



رجب ١٤١٤هـ
كانون الثاني (يناير) ١٩٩٤م



مطبعة الصباح

دمشق ـ هاتف ٢٢٢١٥١٠

عدد النسخ (١٠٠٠)

المنهج التأثري في النقد العربي القديم

الحسن بن بشر الآمدي (ت نحو ٣٧٠هـ) وكتاب

(الموازنة بين الطائيين)

الدكتور . عبد الكريم الأشتر

آ ـ ملامح تكوينه ومصادر درسه :

١ ـ اصله من آمد (من ديار بكر ، إلى الغرب من دجلة) ويقال : انه ولد في البصرة (النديم يقول : إنه من أهل البصرة)[١] . أخذ اللغة والنحو في بغداد عن الأخفش والحامض والزجاج وابن دريد وابن السراج ونفطويه وغيرهم[٢] ، وروى الأخبار . وكان يعد عالماً بالشعر ومعانيه ، حسن الرواية والفهم ، سريع الادراك ، صاحب دراية وحفظ[٣] . وكان يكتب لبعض القضاة والمسؤولين في البصرة وبغداد . يوصف في المصادر « بكثرة الشعر وحسن الطبع وجودة الصنعة[٤] » ، وبأنه عالم

(١) معجم الأدباء لياقوت ٧٧/٨ ومعظم الكلام مأخوذ عنه ، في مواضع متفرقة من الترجمة (٧٥/٨ ـ ٩٣) ، وانظر أيضاً الفهرست ٢٢٧ ـ طبعة المكتبة التجارية ـ دون تاريخ .

(٢) المصدر نفسه ٨٦/٨

(٣) المصدر نفسه ٧٥/٨

(٤) المصدر نفسه ٨٧/٨

فاضـل لا يجارىٰ . ويوصف بسـلامة التصنيف وجودة التأليف وبتعاطي مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب[1] . هذه جملة ما نعرف من اخبار حياته وثقافته ، لخصناها في هذه الأسطر القليلة . فلا بد اذن من أن نعود إلىٰ الكتب التي ألفها ننظر فيها وفي اسمائها وموضوعاتها لنوسع من معرفتنا به وبتكوينه ، بما يعيننا على فهم منهجه في النقد ، وهو المنهج الذي ارتضاه بحكم هذا التكوين ، وأرساه على تفسير للعمل الشعري استخلصه لنفسه من درس تراث العرب الشعري دراسة صبر وتأن وتحليل .

٢ ــ خلف الآمدي ، على ما تقول المصادر في ايدينا ، اربعة عشر كتابا ، ربما كان ادخل بعضها في كتاب الموازنة . على أنه لم يتبق لنا منها إلا كتـابان احدهما (الموازنة) ، والثـاني كتـاب في التراجم اسمه (المؤتلف والمختلف) ، يدل على معرفة بتاريخ الشعر عند العرب وتتبع دقيق لرجاله ، وتنسيق مدروس لأسمائهم وكناهم والقابهم وانسابهم (طبعه سنة ١٣٥٤هـ المستشـرق كرنكـو مع كتـاب معجـم الشعراء للمرزباني) . وفي كتبـه الأخرىٰ ما ينبئ أنه وصل في اللغة الىٰ مستوىٰ التأليف في بعض مسائلها الدقيقة (ككتاب الحروف من الأصول) في الأضداد (رآه ياقوت في نحو مائة ورقة) و(فعلت وافعلت) الذي رآه ياقوت ايضاً وقال عنه : « غاية لم يؤلف مثله » . يعني أنه وصل إلىٰ مرتبة متقدمة جداً في اللغة والنحو ، حتىٰ لقد أدخله القفطي في كتـابه (انبـاه الرواة على انبـاه النحـاة ٢٨٥/١) والسيوطي من بعده في (بغية الوعاة : ٢١٨) . فهذا الذي يحقق اخذه عن شيوخ اللغة والنحو في عصره ممن اشارت اليهم المصادر كما رأينا . ثم يستأثر الاهتمام النقدي بمعظم الكتب المتبقية ، فبعضها ينحو فيه نحوا نقديا

---

(١) إنباه الرواة للقفطي ٢٨٥/١ .

عاما ككتاب (الخاص والمشترك) في معاني الشعر الذي يغلب أن يكون تناول فيه مسألة السرقات الشعرية وما يعد من المعاني تراثاً عاماً مشتركا بين الشعراء ، وما يعد ملكاً خاصاً للشاعر ينسب إليه السبق فيه . وكتاب (نثر المنظوم) الذي توحد بعض المصادر بينه وبين كتابه السابق . وكتاب (في أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما) الذي يبدو أنه تناول فيه أيضا مسألة السرقات التي شغلت نقادنا في القديم زمنا طويلاً . وكتب اخرىٰ ينحو فيها نحوا نقدياً محضاً على نحو ما فعل في كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) ككتاب (معاني شعر البحتري) الذي شرح فيه ، على ما يبدو لنا ، الأبيات التي بدت له مستغلقة من شعر شاعره الذي يحبه ويريد أن يقرب شعره من الآخرين[1] وكتاب (تفضيل شعر امرئ القيس على الشعراء الجاهليين) الذي يشير إلىٰ استبحار الآمدي في شعر الجاهلية وتقليب النظر فيه ، وكتاب (الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه ابا تمام) ، ويرد فيه على الناقد احمد بن عبيد الله بن عمار القطربلي (ت نحو ٣١٩هـ) الذي كتب رسالة اسماها (الفريد) ملأها بما رأىٰ أن أبا تمام اخطأ فيه ، في الألفاظ والمعاني ، فرد عليه الآمدي ورماه بالتحامل على أبي تمام[2] . وكتاب (تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر) الذي ألفه لابن العميد وقرأه عليه . وهو الكتاب الذي نأسف لضياعه أشد الأسف

---

(١) يقصد بمعاني الشعر في تراثنا القديم شرح معاني الأبيات المستغلقة الغامضة، ككتاب (المعاني الكبير والمعاني الصغير) لابن قتيبة ، وكتاب (معاني الشعر) للأشنانداني وغيرها .

(٢) ينبغي أن يكون القطربلي هذا بالغ مبالغة شديدة في نقد أبي تمام حتىٰ تصدىٰ الآمدي ، وهو الذي يرمىٰ بالتحامل على الشاعر ، للرد عليه . ولا يبعد أن يكون هذا الكتاب جزءاً مفقوداً من أجزاء الموازنة العشرة ، في تقسيم الآمدي لكتابه ، في الأصل .

لأنه كان بالغ القيمة في توضيح المنهجين الأساسين في نقدنا القديم على لسان شيخ المذهب الثاني الذي يعارض تقنيات قدامة الذهنية التي أملاها تأثره الحاد بما فهم من كتب اليونان النقدية وغيرها ، وكان ترجم بعضها ايامه إلىٰ العربية والسريانية . وكتاب (ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ)[1] الذي ألفه أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا الاصبهاني (ت٣٢٢هـ) وتأثر فيه على ما يبدو بابن قتيبة في مقدمته لكتاب (الشعر والشعراء) في الاحتفال بالمعني في العمل الشعري ، وفي تثقيف الشكل الشعري ، وبناء الشعر بناء متصلاً متلاحما على نحو ما يكون التلاحم في الرسائل النثرية ، على مقتضىٰ قوله : (الشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول) . فهذه الكتب الثلاثة تقطع بأن الآمدي استوعب التراث النقدي العربي الذي كتب قبله استيعابا ممتازاً وصل فيه إلىٰ مستوىٰ الرد عليه ، مما خالف فيه قدامة الذي نص في مقدمة كتابه (نقد الشعر) على أنه لم يؤلف قبله في نقد الشعر كتاب يبين جيد الشعر من رديئه .

ويبقىٰ من الكتب التي خلفها الآمدي كتابان لا يخلوان من عمق الدلالة على ثقافته التي استغلها في النقد ، وتمرسه بالعمل الشعري . احدهما كتاب (في شدة حاجة الإنسان إلىٰ أن يعرف نفسه) ويشير الىٰ قدرة واعية على التأمل في حقائق النفس البشرية ، ولا يبعد أن يكون اطلع فيه على بعض ما نقل الىٰ العربية من الفلسفة اليونانية التي كانت تتخذ لها شعارا (اعرف نفسك) . والكتاب الآخر ديوان شعر[2] يثبت أن الآمدي عانىٰ هذه الصناعة وتمرس بأساليبها وخبر دقائقها[3] .

---

(١) يرد في بعض المصادر باسم (نقض عيار الشعر) .

(٢) يقول ياقوت : « انه يقع في مائه ورقة » : ٨٦/٨

(٣) نقلت بعض المصادر مقاطع من شعره هي كل ما تبقىٰ لنا منه : انظر نماذج منها في معجم الأدباء لياقوت وفي انباه الرواة للقفطي .

٣ ــ فهذه الكتب التي استعرضناها اذن على هذا النحو تثبت أن هذا الناقد الكبير وفر لنفسه من الثقافة والاطلاع والخبرة والدرس ما أعانه على أن يبلغ في كتاب (الموازنة) ، اكبر كتبه النقدية التي تبقت لنا لحسن الحظ ، المرتبة الرفيعة التي يشغلها في النقد ، وأن يصل إلىٰ منهج يجمع فيه بين رهافة الذوق والتمرس بالعمل النقدي واكتساب خبراته ، وبين سعة المعرفة الموضوعية باللغة وأسرارها والأدب ورجاله ومذاهبهم في القول ، وبالنقد وقضاياه ، وبالنفس البشرية وحاجة الانسان إلىٰ معرفة خفاياها ، مما مكنه من أن يعلل لتأثره الشخصي تعليلا يحاول أن يكون مقنعا حتىٰ يسوغ عند الآخرين ، وهو ما نجد أثره واضحا في كتاب الموازنة ، وبه ، أعني برهافة هذا الذوق ، وبصواب هذا التعليل ، بلغ الآمدي مبلغه في النقد فليس غريباً من بعد أن يوصف في مصادرنا القديمة بما وصف به من العلم بالشعر ومعانيه ، والاتساع التام في الأدب ، ومن حسن الرواية والفهم وسرعة الادراك ، وبأنه صاحب دراية وحفظ ، وبأنه حسن الطبع ، وبأنه عالم لا يجارىٰ وليس غريباً أن يتجه ناقد موهوب كالآمدي الوجهة التي اتجهها في النقد ، بعد أن توفر له هذا التكوين الذي قام على وعي ممتاز بتراث العرب اللغوي والأدبي والشعري بخاصة ، فيتمسك بمفهوم العرب للشعر وخصائص العمل الشعر عندها ، ويذوقه بذوقها ، ويصدر فيه عن رأيها وتفسيرها للآراء والمعاني والألفاظ والتراكيب والصور .

ب ــ كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) :

١ ــ نقف الآن عند كتاب الموازنة . فقد كتبه الآمدي في عشرة أجزاء[١] ، وطبع أول ما طبع منذ أكثر من مائة عام (١٢٨٧هـ) ، في

(١) معجم الأدباء لياقوت ٨/٨٧

مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ، طبعة ناقصة لنقص المخطوط الذي استندت اليه . وطبع بعدها عنها طبعات متعددة اتصفت كلها بهذا النقص والتشويه ، حتىٰ اتيح لأحد المحققين (السيد احمد صقر) أن يصل إلىٰ مخطوطات أتم ، فأعاد نشره . ونشر منه إلى اليوم مجلدين ، وسمعتُ أنه كان ينوي أن يردفهما بمجلد ثالث مما اجتمع لديه من مواد الكتاب الضائعة لولا أن الموت اخترمه رحمه الله .

٢ – ويقع الكتاب في مجمله ، ضمن مخطط واضح بينه الآمدي في مطلع الكتاب ، بعد أن صور الخصومة بين المذهبين ، على لسان ممثليهما ، في محاورة مثيرة . فهو يبدأ فيذكر طرفا من سرقات أبي تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ، ثم يردفهما بمساوئ البحتري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام وغلطه في بعض معانيه . ثم يبدأ الموازنة بين قصيدة لأبي تمام وأخرىٰ للبحتري ، يختارهما متفقتين في الوزن والقافية وحركة الروي . ثم يوازن بين معان مفصلة لأبي تمام في موضوعات مختارة تتفق مع معان مثلها للبحتري في الموضوعات نفسها . ثم يخرج من الموازنة بالحكم (وهو في صالح البحتري) ليذكر الجيد من معاني كل شاعر منهما مما لم يتح للآخر مثله . ثم يعقد جزءاً لصور التشبيه في شعريهما وجزءاً آخر للأمثال يختم بهما الكتاب . ثم يلحق به اختيار من شعر الرجلين يؤلفه على حروف المعجم « ليقرب تناوله ، كما يقول ، ويسهل حفظه وتقع الاحاطة به » . هذا مخطط الكتاب ، نفضل أن ننظر فيه ، في ضوء بيان مركز لحقيقة المذهبين المتصارعين وحدودهما حتىٰ يسهل علينا فهم الموازنة التي كتب الآمدي لها كتابة هذا .

٣ – بعض الباحثين (الدكتور أمجد الطرابلسي)[1] يرىٰ « أن

---

(١) La critique poétique des Arabes P. P 92 – 3

الشاعرين كليهما يختاران على الإجمال ألفاظاً موافقة للعصر ، وقد يلجأان بحكم الضرورة أو بحكم الاعجاب بما يشيع في عصرهما من حب الإغراب (Le snobisme) الىٰ الألفاظ القديمة ، على أن كلف أبي تمام بها أبلغ من كلف صاحبه البحتري . فلهذا يعد شعره أسهل من شعر أبي تمام وأقرب إلىٰ الطبيعة وأشد استواء . كلا الشاعرين يميل إلىٰ الزينات البديعية ، ويتجاوز في استخدامها القدامىٰ ولكن كلف أبي تمام بها أشد . وإذا كان في شعره ابتكار أوسع في التعبير فإن هذا ما يجعله أثمن . ثم ان كلا الشاعرين يعود إلىٰ المعاني القديمة ، على أن ميل البحتري ، على الإجمال ، اليها أشد . فهو يولي تجويد التعبير وكماله أهمية أكبر مما يولي جدة المعنىٰ . أما أبو تمام فهو مبتكر لا ينفذ ابتكاره . يسمو في معانيه ويرتفع ولكنه ينحط ويسف . وعلى الإجمال فإن شعر أبي تمام أكثر جدة وأكثر قوة ولكنه أكثر مآخذ نقدية . أما شعر البحتري فهو أقل جرأة على الجديد ، ولكنه أشد استواء ، ويمكن أن يقال : ان البحتري أوفىٰ لتقاليد الشعر العربية ، فلهذا عد وأصحابه ممثلين للقديم ، على حين يبدو شعر أبي تمام بجانبه ممثلا للجديد . ومن هنا بدت الخصومة بين البحتريين والتماميين كما لو أنها صراع جديد بين القدامىٰ والمحدثين » .

نعتقد أن ما قاله الدكتور الطرابلسي يرمي إلى وصف المظاهر الخارجية للعمل الشعري في كلا المذهبين . فهو ، من ثم ، لا يقصد إلى بيان جوهر الشعر فيهما من حيث هو تصوير لحقائق النفوس وحركاتها العميقة لا يعرض للغة والمعاني المبتكرة إلا من حيث تكون هذه وسيلة لبلوغ تلك الغاية . فما نستطيع إذاً أن نقف فيه على حقيقة المذهبين المتصارعين وإن وقفنا على خلافهما في الوسيلة الشعرية .

٤ – ويذهب الدكتور مندور[١] في رأينا مذهبا آخر حين ينفي عن الخصومة ما ليس من حقيقتها (التعصب للقديم ، وكفر أبي تمام ، وصعوبة شعره ، والطعن في شعره التماسا للشهرة) . ويقرر أن عناصر الخصومة الحقيقية تكمن في صدق الشعر وقربه من المألوف عن طريق استعانته (بمعطيات الحواس المباشرة التي هي مادة الشعر وسبيله إلىٰ اثارة الصور في نفوس السامعين ، وبعث الأصداء الملازمة للواقع[٢]) . فالخلاف كما يقول « في معدن الشعر »[٣] . ذلك أن أبا تمام ، كما يقول معاصروه من النقاد ، أراد البديع فخرج إلىٰ المحال ، و« اسرف واقتسر وضرب في عالم المجردات » ، على حين كان الشعر عند العرب « يصاغ من معطيات الحواس المباشرة ، بعيدا عن التجريد والاغراب » . حقيقة الصراع اذن عند الدكتور مندور تكمن في حقيقة الشعر لا في وسائله التعبيرية . أو لعله في وسائله التعبيرية من حيث ارتباطها بحقيقته العميقة .

٥ – وما تزال هناك في رأينا كلمة تضاف إلىٰ الموضوع ، موضوع الصراع بين المذهبين . فإن العملية الشعرية عند أبي تمام ، في مجموعها ، طغىٰ عليها العمل الذهني فأخرجها عن حقيقتها الشعورية ، وأطفأ حرارتها أحيانا ، وسبح بها في عالم المجردات الغامض ، حتىٰ « خرج إلىٰ المحال » كما يقول نقادنا القدامىٰ . « واسرف واقتسر » ومال إلىٰ « الاغراب في اللفظ والمعنىٰ » ، والتعمية والاغراق في الزينة . وانتهىٰ بهذا كله الىٰ الافتعال الذي يحسه قارئ شعره في كثير من الأحيان ، على إعجابه بالمعنىٰ المولد المبتكر في ذاته . ومن هنا يصح ما قاله الدكتور مندور عن عجز هذا المذهب عن

(١) انظر كتاب : النقد المنهجي عند العرب ص ٨١ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ص٨٥ . وما بعده منه ، ثم الصفحات التي تليها .

(٣) المصدر نفسه ص٨٤ .

صياغة الشعر من « معطيات الحواس المباشرة التي هي مادة الشعر وسبيله إلىٰ إثارة الصور في نفوس السامعين . وبعث الأصداء الملازمة للواقع » ، لأن أصحابه كانوا يفكرون اكثر مما كانوا يشعرون .

٦ - وتفسيرنا للمذهب الذي سلكوه يعود بنا إلىٰ بداية النزعات التجديدية في الشعر العربي . فقد كان العرب يحيطون شعرهم القديم بما يشبه القداسة لأنه يضم جملة تراثهم الثقافي من ناحية (الشعر ديوان العرب)[1] ، ويرتبط ارتباطا قويا بالدين من ناحية اخرى . فمنه تستخرج شواهد اللغة التي هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف . فمن هنا كان تطلعهم الدائم إلى نماذجه وأساليبه وصوره ، وانطباع أذواقهم بمقتضاها وكان اللغويون والرواة يمجدونه لهذا السبب ، ولأنه بضاعتهم التي يحرصون عليها . فكانوا يعززون في الناس هذه النزعة إلى « تقديسه » وروايته ومحاكاة نماذجه والوقوف عند حدودها . حتى اذا جاء شاعر كأبي نواس فريد الأصالة[2] ، شفاف الروح ، عذب النفس ، بدعوته الى تجديد الاحساس بالعصر وحياته ومشاهده وهمومه ، اضطر الى أن ينحني في شعره الذي يتوجه به إلىٰ الآخرين (المدائح) للنموذج الشعري القديم ، ويخرج هو نفسه فيه على دعوته التي دعاها بالاضراب عن الوقوف على الأطلال ومساءلتها واستنطاقها . فيقف هو نفسه على الاطلال في المطالع ، ويسائلها كما يفعل الشعراء الآخرون .

---

(١) يقول المرزوقي في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام « إذ كان الله عز وجل قد اقام الشعر للعرب مقام الكتب لغيرها من الأمم ، فهو مستودع آدابها ومستحفظ انسابها وديوان حجاجها يوم الخصام » .

(٢) الاصالة هي جملة الخصائص القومية العامة التي تنبثق منها الخصائص الفردية لدى الأدباء على اختلاف أمزجتهم وتكوينهم .

وقد كانت دعوته في مرحلتها انطلاقا في تجديد الشعر العربي من أبوابه المشروعة، فكانت خليقة أن تكون منطلقا لحركات تجديدية واسعة من بعد، لو تيسّر لها أن تستمر من بعده. لكنها حوصرت وانتهت لأسباب كثيرة ، ليس هنا موضع بيانها . والمهم أن هذه الدعوة كانت قادرة على تجديد مضامين الشعر النفسية، إلى أن يحس الناس من بعد بالمفارقات الصارخة التي لا بد أن يحسوا بها بين المضامين الجديدة ووسائل التعبير الشعرية القديمة ، فيكون في هذا الاحساس حافز الى تجديدها حتى تلائم المضامين الجديدة ، على نحو ما وقع من حركة التجديد الشعرية في العصر الحديث .

ولكن الدعوة بقيت صرخة مفردة ماتت بموت صاحبها . واستمر الشعراء يرون في النماذج الشعرية التقليدية مثلهم الفني الأول . وجاء أبو تمام بطموحه الذهني العريض وثقافته الشعرية الواسعة وتكوينه الفكري القوي فحاول أن « يرقص في السلاسل » كما يقولون ، رقصات جديدة : مضامين قديمة ووسيلة تعبير يتصبب العرق في تجديدها تجديداً لا يوحي به الاحساس بالتغير قدر ما توحي به الرغبة في التغيير . ومن هنا كانت غلبة الذهن في عمله الشعري ، فأصبحت صياغة الشعر معه ، كما قلنا ، إسرافا في التفكير وتعميقا للمعاني ومبالغة في الزينة ، ومن ورائها الاغراب والتجريد والغموض .

٧ ــ هذه اذن ، في رأينا ، كما قلنا ، حقيقة الصراع بين المذهبين اللذين تجرد الآمدي للموازنة بينهما ، ممثلين في زعيميهما أبي تمام والبحتري . ولا يمكن أحداً أن ينكر ميل هذا الناقد إلى البحتري . ولعل الآمدي نفسه لم ينكر هذا في بعض تضاعيف كتابه . فجاء تلميحا وتعريضا في أكثر الأحيان . ولكننا يجب ألا ننسى أن الآمدي كتب كتابه

بعد قرن تقريبا من رحيل الشاعرين . فميل الناقد الى البحتري ليس له إلا سبب واحد في رأينا ، هو ذهابه مذهب الآمدي في فهم العمل الشعري ، وعليه بنى موقفه من شعر الشاعرين .

ومذهبه في فهم العمل الشعري يتضح منذ فاتحة الكتاب . يقول : « فإن كنت ، ادام الله سلامتك ، ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحتري أشعر عندك ضرورة . وان كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوي على ما سوى ذلك . فأبو تمام اشعر لا محالة »[1] . ويقول من بعد في « احتجاج الخصمين » ، على لسان صاحب البحتري – ولعله هو الآمدي نفسه – نقلا عمن سماهم في كتابه : « أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام واستحسن مذهبه ، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلك طريقا وعرا ، واستكره الألفاظ والمعاني ، ففسد شعره وذهبت طلاوته ، ونشف ماؤه ... وتلك عقبى الإفراط وثمرة الاسراف »[2] ثم يقول في « باب فضل البحتري » : « وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي وقرب المأخذ واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وأن يقترن المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل في مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه . فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف: [3] » . ويتابع قوله في الباب نفسه : « وإذا كانت طريقة الشعر غير هذه الطريقة ،

(١) الموازنة ١/٧

(٢) الموازنة ١/١٨

(٣) الموازنة ١/٤٠٠

وكانت عبارته مقصرة عنها ، ولسانه غير مدرك لها ، حتى يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج مضطرب ، وان اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليم النظر ، قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيما أو سميناك فيلسوفا . ولكن لا نسميك شاعرا ، ولا ندعوك بليغا ، لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم ... وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحوج مستعمه الى طول تأمل[1] » .

فهذه المقتطفات التي نقلناها بحروفها من كتاب الآمدي تعني أن فهمه للعمل الشعري قريب من فهم أصحاب المدرسة الفنية التي ترى أن الأدب يبلغ غايته « بجمال الصياغة وسحرها » . وأنه « يفضل خصائص الصياغة يثير لدينا صورا خيالية أو انفعالات شعورية أو احساسات فنية »[2] . وعلى هذا النحو نجد أنفسنا قريبين جداً من مذهب العرب الفني في الشعر الذي سماه الآمدي نفسه « عمود الشعر » .

فليس غريباً اذن أن يميل الآمدي الى البحتري الذي يمثل في نظره ، في صياغة الشعر ، خصائص هذا المذهب الأصيل .

ففي (الموازنة) اذن ميل إلى احد المذهبين يمليه اسلوب الآمدي في فهمه للعمل الشعري ، وليس فيها على التحقيق تعصب يمليه الهوى و العجز

---

(١) المصدر نفسه ١/٤٠١ ـ ٢

(٢) منهج البحث في تاريخ الآداب للانسون . ترجمة مندور (ملحق بكتابه : النقد المنهجي عند العرب) ص٤٠٧

عن فهم أبي تمام، والتعبد الأعمىٰ للقديم والكره للحديث واصحابه، على نحو ما يظن بعض الباحثين في القديم والحديث . ولعل من رمىٰ الآمدي بالتعصب من باحثينا المحدثين قرأ شيئا من ذلك في كتبنا القديمة وتأثر به، مثل ما نقرأ في معجم الأدباء لياقوت[1] عن الآمدي : « انه جد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام وتزيين مرذول البحتري ... ولو أنصف وقال في كل واحد بقدر فضائله لكان في محاسن البحتري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام » . ولعل بعضهم أعجبه الرأي فالتزمه لافتتانه بصنعة أبي تمام ، وجرياً مع مذهبه في أن الشعر صناعة كلما اشتد تعقيدها والتفنن فيها علت منزلتها في سلم الفن الشعري .

٨ ـ والآن : وقد حاولنا أن نحيط بأسباب الخلاف بين المذهبين ، وأسلوب الآمدي في فهم العمل الشعري الذي مال به إلى جانب البحتري ، نسأل : فما منهج الآمدي الذي سلكه في الموازنة بينهما ؟ وما قيمة هذا المنهج ؟

فأما المنهج فهو المنهج التأثري القائم على تحكيم الذوق المدرب في العمل الشعري ، والمسوّغ بالمعرفة الموضوعية . وما زال هذا المنهج قائما في النقد ، وسيظل قائماً فيه مهما تعددت مذاهبه وأساليبه . فالذوق لا غنىٰ عنه في كل نقد ما دام الأدب رموزا صوتية غايتها الاثارة الوجدانية والجمالية ، عن طريق الصياغة (صياغة الألفاظ والصور) . والمعرفة التي تدنينا من فهم هذه الصياغة وحسن ذوقها أولاً ، ثم من تفسيرها والتعليل لها من بعد ، معرفةٌ مركبة تشمل علوم اللغة بفروعها ، وموسيقا الشعر والبلاغة والجمال ، فضلا عن الاحاطة بعلوم أخرىٰ تتصل بفهم روابط العمل

---

(١) ٨/٨٨

الشعري بالحياة كالتاريخ والاجتماع والنفس . وهذا يستلزم استيعاب التراث الشعري القديم وفهمه حتى نستطيع أن نتمثل روحه القوي الساري في شعرنا الذي يستمد منه الشعراء أصالتهم .

والمهم هو تمييز هذه الأصالة في العمل الشعري ، أي تمييز الأسلوب الخاص بالشاعر في التفكير والاحساس والتصور ، الذي يرتسم في الصياغة . ويتم هذا ، كما نعلم ، بدرس ما في العمل الأدبي من قيم عقلية وعاطفية وفنية واقامة صلتها بالحال النفسية لصاحبها ، ومن ثم تمييز صياغته لها من أساليب الصياغة التي نعرفها في اللغة . ووسيلتنا في هذا كله احساسنا الخاص وذوقنا الشخصي مستعينين بتجاربنا الشخصية السابقة ، وبمعارفنا التي أشرنا إليها ، وبالدربة والتمرس اللذين يصقلان الاحساس الشخصي وينميانه . ثم يكون التعليل من بعد عصمة لهذا الذوق من الانحراف والميل مع الأهواء المكشوفة والمدفونة . وعند هذه النقطة عينها تكمن اصعب صعوبات المنهج كما يقول لانسون[1] : ضرورة الذوق الشخصي وخطره في وقت واحد ، فنحن لا نستطيع أن ننحيه ، كما رأينا ، في ذوق الأعمال الأدبية والاستجابة لخصائصها العاطفية والفنية ، لأنه وسيلتنا الأولىٰ في ادراكها. ولكنا لا نستطيع ، في الوقت نفسه، أن نطمئن إلىٰ سلامة حكمه وبعده عن كل أسباب الانحراف العميقة والمكشوفة .

فليس أمامنا اذن الا أن نكون يقظين في استخدامه، وأن نستكمل له ما استطعنا أسباب الاستقامة في التقويم ، عن طريق مراقبته وتنقيته واغنائه وصقله في وقت واحد . وفي هذا كله نحتاج إلى التسلح بالدقة

---

(١) منهج البحث في تاريخ الآداب : ترجمة الدكتور محمد مندور (ملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب) ص٤١٢

والتجرد والتثبت والحذر والصبر والتمرس والمعرفة . فهكذا يستقيم المنهج بالجمع بين التأثر الشخصي المدرب وبين المعرفة الموضوعية ، على نحو تتولى معه هذه المعرفة مراجعة التأثر الشخصي ومراقبته والتدقيق في أحكامه والتثبت من صحة وقائعه ، وتقديم العون له ليكون أقرب ما يكون الى الاستقامة والنفاذ والسلامة . وبكلمة أخرى يجمع هذا المنهج بين التأثر والتعليل ، التأثر الذاتي بالعمل الأدبي ثم بالتعليل لهذا التأثر بتحليل العمل الأدبي تحليلا موضوعيا ، في ضوء حقائق التاريخ والعصر والحياة والنفس البشرية ، وحقائق اللغة وبلاغتها وطرق صياغتها العامة .

٩ – ليس الآمدي في رأينا اذن ناقدا يغلب الشكل على المضمون ، وليس ناقدا يعتسف لنفسه « عمودا للذوق » يريد أن يملي أحكامه على الآخرين[٢] . ولكنه في رأينا ناقد يعود في نقده إلى خير ما في الشعر العربي ، ويريد أن يستخلص منه معاييره وينصبها للحكم على الشعر ، لأنه يعتقد بسلامتها وجدارتها واستقامتها في تقويم الشعر العربي .

وليس في هذا ، كما نرى ، تحكم ولا تحيز ولا تغليب للشكل على المضمون ، بل هو في نظرنا رغبة صادقة في أن يبقى الشعر شعرا يتذوقه العرب ، فلا تطغى عليه الذهنية ولا النثرية ولا الافتعال والاحالة والاغراب والتجريد . وليس من خصومة الفكر في الشعر أن نشترط ألا تطغى برودته في الشعر على قوة الانفعال وحرارته . فالفكر البارد وحده لا يصنع شعرا ، كما يقول الآمدي ، وإن صنع حكمة أو فلسفة ولكن الفكر الحامي الذي يصرخ في جنبات النفس وجنبات الكون على السواء هو الذي يصنع

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص١٦٢

الشعر . ومثل هذا الفكر هو الذي يأتي معه « حسن التأتي وقرب المأخذ واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وايراد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ، وتكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه »[١] . ثم ان الآمدي لم يدع لنفسه الاحاطة بطريقة العرب عن غير بينة ، فقد ملأ موازنته بالشواهد والأمثلة التي انتزع منها مقاييسه في استعمالات اللغة وصورها وتمثيلاتها ومعاني ألفاظها ومجازاتها . قد يخطئ ،ولكنه الخطأ الذي يقع فيه الناقد ، في قوة التعليل واستقامته ، أو في نقصه وانعدامه أو انحرافه أو ضيقه ، أو في الافراط بالتأثرية والتواني عن مراقبتها وتتبعها . فذلك لا ينال من صحة الموقف الذي يقفه من الشعر في الأصل[٢] ، ولا يضيق على أصحابه ويحدد أمامهم مجالات الابتكار في الاستعارات والتمثيلات ، بحجة الوقوف عند الحدود التي وقف عندها الذوق العربي . فان الابتكار كلمة غامضة واسعة ما أحوجنا فيها الى التحديد ، والا كثرت المزاعم وأغرقتنا الوساوس .

(١) يقول : « والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والاغراق في الوصف ، وانما يكون الفضل عندهم في الالمام بالمعاني وأخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل ، مع جودة السبك وقرب المأتى . والقول في هذا قولهم واليه أذهب » ٤٩٦/١

(٢) انظر مثلا ما يقول الشريف المرتضى في تتبعه لبعض نقد الآمدي لشعر أبي تمام : « وهذا من الآمدي قلة نقد للشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء » . فهذه التهمة في رأينا ، بصرف النظر عن صحتها أو خطئها ، أقرب الى الآمدي من اتهامه بالتعصب والميل مع الاهواء .

العربية الفصحى ومشكلة اللحن

الدكتور أحمد محمد قدور

تمهيد

ليس من شكٍّ في أنّ تحديث علم اللغة (Linguistique) منذ مطلع هذا القرن قد امتدّت آثاره إلى آفاق العلم والثقافة في هذا العالم الذي يشهد ثورة الاتصال بجميع سبله ، ممّا جعل التغاضي عما يجري حولنا من تطورات واسعة في العلوم الإنسانية ولا سيّما اللسانية منها أمراً غير مقبول . وعلى الرغم من أن كثيراً من المؤثرات الأجنبية اللغوية اتخذت سبلها من طريق الترجمة والاقتباس إلى لغتنا منذ أربعينيات هذا القرن ، فإنّ بعض الدراسين العرب المحدثين لا يزالون شديدي الحذر من المناهج الغربية التي يرفضونها جملة وتفصيلاً . والأجدى عندنا – إن أردنا أن نكون على بيّنة من أمرنا أمام التحدّيات الصعبة التي تواجهنا – هو أن نفتح عيوننا على الوافد الجديد من العلوم والمناهج لنرى رؤية الذين يملكون ما يميِّزون به بين ما هو مقبول ، وما هو مردود ، وبين ما هو قابل للتطبيق ، وما هو غير قابل لذلك . ولن يعود على العربية بالفائدة انبهار بعض الدارسين العرب المحدثين بالمناهج الحديثة ، لأنّ هذا الانبهار قادهم إلى تشديد النقد للبحوث العربية القديمة ومناهجها ، واتهامها بالتخلف والنقص والعجز . ويلاحظ أنّ هؤلاء سعوا إلى تطبيق ما عرفوه من مناهج أجنبية على العربية تطبيقاً حرفياً ، ورفضوا الإقرار بخصوصية العربية الفصحى التي تقوم على المعيارية .

جوانب البحث

١ ـ مناهج الدرس اللغوي :

يجد الدارس في المناهج اللسانية الحديثة تنوّعا يتيح له النظر إلى المسألة المدروسة من زوايا متعدّدة . فالمنهج الوصفي يدرس الظواهر اللغوية مفترضاً أنها في حالة ثبات ، وهي محدّدة بحدود الزمان والمكان والمستوى اللغوي (لهجة ، لغة فصحى ، شعر ، نثر) . والمنهج التاريخي يدرس الظواهر ضمن تدرّجها المتسلسل على مرّ الزمن . أما المنهج المقارن فهو مختصّ بمقارنة الظواهر اللغوية بين لغة وأخرى ضمن إطار تصنيف اللغات إلى أسر ومجموعات مترابطة . ويدرس المنهج التقابلي (Contrastive) ـ وهو أحدث المناهج ـ المقابلات بين لغتين أو لهجتين أو لغة ولهجة ، كما يقابل بين المستويات اللغوية ، ويدرس جوانب تعليم اللغات والترجمة[1] .

ويتجه النظر إلى نوعين من المناهج اللغوية كانا مدار اختلاف الدارسين ولا سيّما حين يتصل الأمر باللغويين العرب القدامى ومنهجهم في جمع اللغة وتقعيدها . وهذان المنهجان هما : المنهج الوصفي والمنهج المعياري . ومن الملاحظ أنّ المنهج الذي اتخذ سلاحاً لإدخال الضيم على العربية الفصحى هو المنهج الوصفي بتطبيقه الحرفي الذي عرفه بعض الدارسين العرب في اللغات الأجنبية ، ومن ثَمّ حملوا لواء الهجوم على مناهج العربية الفصحى وطرائق تدوينها ، ومواقف علمائها .

وتقوم أسس المنهج الوصفي على اختيار « مرحلة بعينها ، من لغة بعينها ، لتصفها وصفا استقرائياً ، وتتخذ النواحي المشتركة بين المفردات

---

(١) انظر : حجازي ، د . محمود فهمي ، علم اللغة العربية ، ص ٣٥ ـ ٤١ .

الداخلة في هذا الاستقراء وتسميها قواعد . فالقاعدة في الدراسة الوصفية ليست معياراً ، وإنّما هي جهة اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية »[٢] . أما المادة التي يختارها الدارس فهي تجمع دون اختيار تعبير ما والبعد عن غيره لتفضيل أحدهما على الآخر ، بل لكون التعبير مستعملاً أو غير مستعمل بغضّ النظر عن القيمة أو الحكم الذي يصدره الناس ، أو أهل الاختصاص[٣] .

ويرجع الفضل في توضيح حدود المناهج اللغوية ، والتركيز على المنهج الوصفي إلى اللغوي السويسري الشهير فرديناند دو سوسير (f. De Saussure ت ١٩١٣م) . وقد لاحظ في هذا المجال أنّ اللسانيات الحديثة عكفت على الاهتمام بالتطور التاريخي ، وهو مادعاه بمصطلح (Diachronique) ، على حين أنّ المقارنة التي استخدمت في قواعد اللغات الهندية – الأوربية ، ليست إلا وسيلة لبناء الماضي . ومن هنا برز اهتمام سوسير بالمنهج الوصفي وهو ما دعاه بمصطلح (Synchronique)[٤] . وقد أثبتت الشروح الواردة في محاضراته إمكان دراسة اللغة وصفياً أو تاريخياً ، فإمّا أن ندرس الظاهرة اللغوية في وضع الثبات في مدة محدّدة من الزمن ، ضمن مستوى معيّن . وأما أن ندرس تتابع حالات تاريخية متعاقبة مع تطوراتها ، وما يتعلّق بها من تغيّرات عبر الزمن .

---

(٢) حسان ، د . تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص١٨ ، وانظر : حجازي ، علم اللغة العربية ، ص٣٧ – ٣٨ .

(٣) انظر : أيوب ، د . عبد الرحمن ، اللغة والتطور ، ص٧٠ .

(٤) انظر : دوسوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر .

الثانية شهدت إقبال الدارسين على تحرّي إضافات هذا العالم المنهجية ، والتركيز عليها . ومن هنا برز اهتمام الدارسين بالمنهج الوصفي حتى غدا المنهج السائد عند أكثر المشتغلين باللغة في كل أنحاء العالم(٥) . ومن الملاحظ أيضاً أنّ الدراسات الوصفية للّغة العربية اتجهت إلى اللهجات العامية ، على حين أنّها شدّدت نقدها للفصحى ، ومناهج تدوينها .

ويقود الحديث عن المنهج الوصفي لدى الدارسين إلى مقابلته بالمنهج المعياري . وهو منهج يضع للخطأ والصواب مستوى يرجع إليه أي معيار (Norme) وهو « نموذج متحقّق أو متصوّر لما ينبغي أن يكون عليه الشيء ، ومنه علوم معيارية وهي : المنطق والأخلاق والجمال وغيرها(٦) » . والعلوم المعيارية (Normatives Sciences) موضوعها أحكام تقويمية ، أي تبحث في القيم وأحياناً في الأوامر بقدر ما تتضمن هذه الأوامر من القيم(٧) .

ويرى أحد الدراسين أنّ المعيارية تفرض « سلطة قوانين نمّقها اللغويون على ظواهر من سلوك المجتمع ، وهؤلاء اللغويون ينصرفون بكبرياء عن مرارة التعمّق في فلسفة اللغة ، ويؤكدون بكلّ بساطة أنّ دراستهم تتحكّم بما لها من حقّ وقدسية لامراء فيهما ... »(٨) . وتنتخب مادة الدراسة – ههنا – من بين الوقائع اللغوية الكثيرة ، ويتحرى أن تكون محافظة على مستوى معيّن يحظى برضى الطبقة المثقفة ، وهذا المستوى

---

(٥) انظر : حجازي ، د . محمود فهمي ، علم اللغة العربية ، ص٣٨ .

(٦) المعجم الوسيط ، ٦٣٩/٢ .

(٧) انظر : خياط ، يوسف ، ومرعشلي ، نديم ، المصطلحات العلمية والفنية ، ١٨٧/٢ .

(٨) حسان ، د . تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٢٢ .

ما يطلق عليه مستوى الصواب[٩] .

وحين يتصل الأمر بالعربية يرى الدارسون أنّ العربية الفصحى (Classique L'arabe) بأصواتها وقواعدها تعدّ معيارا . وقد تضافرت عوامل متعدّدة لتشكيل المستوى الصوابي الذي حدّده اللغويون بحدود الزمان والمكان ، إضافة إلى تأثرهم بالدرس المنطقي ، وبالمستوى الصوابي الديني المتمثل في الحلال والحرام ، وما حملوه في نفوسهم من نزعة عربية وتوجّه ديني للحفاظ على لغة الذكر الحكيم التي هي عندهم أفصح اللغات .

وقد لاحظ كثير من الدارسين المحدثين من عرب ومستشرقين هذه المعيارية التي اتصفت بها العربية الفصحى ، غير أنّهم اختلفوا في النظر إليها وتقويمها . وهم في ذلك فريقان ، فريق أنكر على اللغويين منهجهم في جمع اللغة وتقعيدها ، لأنّ هذا المنهج دفع بالبحوث اللغوية التالية إلى معيارية صارمة وقفت في طريق التطوّر ، فأفضت باللغة إلى الجمود . ويصدر هذا الفريق عمّا عرفه من مناهج تقعيد اللغات الأجنبية ، كاليونانية واللاتينية والفرنسية والإنكليزية[١٠] .

ولدى تطبيق القواعد الوصفية على منهج اللغويين العرب القدامى ، يلاحظ بعض الدراسين « أنّ نحاة العرب في العصر الأول وفيهم سيبويه يقعون في مخالفات منهجية من ناحيتين :

---

(٩) انظر : أيوب ، د . عبد الرحمن ، اللغة والتطور ، ص٧٠ .

(١٠) انظر مناقشة لبعض آراء هؤلاء في : مصطفى السنجرجي ، « فلسفة النحو العربي بين الرفض والتأييد » ، مجلة الحصاد ، العدد الأول ، ص١٠٠ – ١١٣ ، وإبراهيم رفيدة ، « أصالة اللغة العربية وعلومها » ، مجلة الفكر العربي ، العدد (٢٦) ، ص٤ – ٣٦ .

١ – فهم أولاً يشملون بدراستهم مراحل متعاقبة من تاريخ اللغة العربية ، تبدأ من نحو مائة وخمسين عاماً قبل الإسلام ، وتنتهي بانتهاء ما يسمونه عصر الاحتجاج ، أي أنهم يشملون ما يقرب من ثلاثة قرون من تاريخ لغة العرب . وتلك حقبة لا يمكن أن تظلّ اللغة فيها ثابتة على حالها ...

٢ – ثم هم يعمدون ثانياً إلى لهجات متعددة من اللغة نفسها فيخلطون بينها ، ويحاولون إيجاد نحو عام لها جميعاً »[١١] .

وفي الحق أنّ هؤلاء الدارسين أخطؤوا حين توهّموا أنّ ما يصدق على بعض اللغات التي قيست عليها المناهج الحديثة يجب أن يصدق على غيرها ، وكأنّ هذه المناهج قوانين جبرية قاهرة لامناص للغات جميعاً من الخضوع لها[١٢] . وهم أيضاً يجانبون الصواب حين أنكروا الظروف الخاصة التي رافقت تدوين العربية ، والحوافز التي حفزت إلى النهوض به .

أما الفريق الآخر فيصدر عن تفهّم للظروف التي جعلت قدامى اللغويين والنحويين ينهجون ذلك النهج الفريد في تدوين اللغة ووضع قواعدها . ولا يعني هؤلاء أن يتطابق منهج اللغويين العرب مع ما انتهى إليه المحدثون تطابقاً تاماً . وهم من بعد ذلك يرون أنّ ما ذهب إليه أنصار المنهج الوصفي لا يسلم من النقد والاعتراض ، لأنّ منهج اللغويين الأوائل كان وصفيّا بجملته ، وإن تحكم فيه المعيار الذي ارتضوه لحفظ لغتهم فيما بعد . ويؤكد بعض الدارسين أنّ اللغويين الأوائل درسوا لغتهم على المنهج

(١١) حسان ، د . تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٢٦–٢٧ .

(١٢) انظر مناقشة لآراء المدرسة الوصفية في : ماريوباي ، لغات البشر ، ترجمة صلاح العربي ، ص٧٣ – ٧٨ ، ومن الجدير بالذكر أنّ باي يرفض تعميم الطرق الوصفية على جميع اللغات .

الوصفي ، واحتج لذلك بعدد من الجوانب التي رآها لدى قدامى اللغويين مماثلة لما يقوله المحدثون حول قواعد المنهج الوصفي . فاللغويون الأوائل انطلقوا من وصف الظواهر ضمن حدود قصدوا وضعها كي يسلم لهم جمع العربية الفصحى التي عدّوها مستوى من الأداء اللغوي المطرد الذي قصروه على حدود معينة . وإنّ ما تعرّضوا له من نقد حول إهمالهم تدوين اللهجات يجد مسوّغا لردّه ههنا ، لأنّ قصدهم لتحديد المستوى اللغوي الذي رأوه في القرآن الكريم والشعر الجاهلي جعلهم يتشدّدون في الاقتصار عليه ، وعدم إدخال أيّ عناصر متناثرة من بقايا اللهجات التي باد معظمها إما بإهماله وخروجه من نطاق الاستعمال ، أو بإدخاله في خصائص المستوى المعروف في القرآن والشعر . ويلاحظ أيضاً أنّ اللغويين بقوا مخلصين لما ندبوا أنفسهم له من تتبّع للمستوى الذي عدّوه فصيحاً ، والذي أخذت نصوصه تنحرف بتقدّم الزمن وزيادة الاختلاط . ومن هنا نستطيع أن نفهم نشأة المعيار الذي تمثّل في الحفاظ على النموذج المثالي الذي وجدوه في لغة القرآن ، والذي أرادوا تثبيته . كما يلاحظ أنّ اللغويين الأوائل دوّنوا اللغة وصنّفوها تصنيفاً تقريرياً يسجّل الظواهر اللغوية كما جاءت أو « كما خلقت » ، أي كما نقلت من سنن العرب في كلامهم ، ولم يكن هناك حديث عمّا ينبغي أن يقال بل عمّا قيل[١٣] .

ويقرّ تمام حسان ـ وهو من أكثر الدارسين انتقاداً للمناهج القديمة ـ بأنّ « تاريخ دراسة اللغة العربية ليعرض علينا في بدايته محاولة جدّية لإنشاء منهج وصفي في دراسة اللغة ، يقوم على جمع اللغة ورواياتها ، ثم ملاحظة المادة المجموعة واستقرائها ، والخروج بعد ذلك بنتائج لها طبيعة

(١٣) انظر : الراجحي ، د . عبده ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص١٧٩ ـ ١٨٤ .

الوصف اللغوي السليم . ولكنّ بعض الأخطاء المنهجيّة في طريقهم لم تمكنهم من الخلاص من النقد »[١٤] .

وبإمكان الدارس المتتبع لتاريخ اللغة العربية أن يؤوّل فرضية تتناول مراحل جمع اللغة وتقعيدها ، وعلاقة ذلك بالمنهجين الوصفي والمعياري . وهذه المراحل بحسب ترتيبها الزمني هي :

١ – مرحلة جمع اللغة ، وتتضمن الانطلاق إلى البوادي لتسجيل أهمّ المجالات اللغوية ، والموضوعات التي ظهرت في مجموعات من الرسائل في خلق الإنسان والحيوان والأنواء وصفة الأرض وغير ذلك مما هو معروف ومدوّن[١٥] . ويلاحظ أنّ تدوين هذه الرسائل لم يكن خاضعاً لأيّ نظر معياري ، بل كان نشاطاً وصفياً خالصاً[١٦] .

٢ – مرحلة التأليف الواسع ، واستقرار اللغويين في الأمصار ، وما تبعه من بدء حركة التنقية والتماس الأفصح ، ومن ثَمّ بروز ما يدعى بمعايير الاحتجاج . ويلاحظ ههنا أنّ مسلك اللغويين مال إلى التشدّد في قبول اللهجات ، واتجه إلى المستوى الفصيح الذي لم يسلم من الخلاف .

٣ – مرحلة تلت تلك الحقبة ، واتسمت بالخلاف بين النحاة

(١٤) حسان ، د . تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٢٢–٢٣ .

(١٥) انظر وصفاً لبعض الرسائل التي دُوّنت في هذه المرحلة في : الطرابلسي ، د . أمجد ، حركة التأليف عند العرب ، ص١٥ – ٢٢ .

(١٦) من الجدير بالذكر هنا أنّ أمثلة كثيرة مما رواه الخليل (ت ١٧٥هـ) عن العرب كانت مدار اختلاف حول المستوى الصوابي ، وقد استند إليها أصحاب نزعة التوسّع في قبول السماع ، ولدى ابن السيد وابن هشام اللخمي وابن الحنبلي مسائل متعدّدة تتصل بما رُوي عن الخليل مما أنكره أصحاب نزعة التشدد ، وفي هذا دليل على أنّ هذه المرحلة التي يمثّل الخليل ختامها اتسمت باتجاه شديد نحو جمع اللغة والحفاظ عليها دون أن تكون خاضعة لتحكّم معياري .

واللغويين في تطبيق المعيار الصوابي . ومن الملاحظ أنّ النحاة كانوا متشدّدين في تطبيق المعيار على قواعدهم التي أرادوا لها – أو توهّموا – أن تكون شاملة لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها . ومن هنا برز مفهوم الشذوذ عن القاعدة في مصنّفاتهم . أما اللغويون فقد تساهلوا في قبول بعض اللهجات على أنها لغة ثانية أو لغة تروى ولا يقاس عليها(١٧) .

وأيّا ما كانت الآراء حول هذه الفرضية ، فإننا نستخلص منها ما يمكن أن يركن إليه الباحث حول سلامة مناهج اللغة وخصوصيتها لدى القدماء الذين بذلوا جهودا كبيرة لتسجيل الصورة المثلى للغتهم والتي تمثلت في المستوى الذي عدّوه فصيحاً جديراً بأن يمثّل الخصائص الأساسية للغة ، وهم من أجل ذلك التمسوا أنقى البيئات التي يتردّد فيها ، وأعرضوا عن المواضع التي لم يجدوا فيها ذلك الصفاء . وفي الأجزاء التالية من هذا الفصل تفصيل لكثير من جوانب منهجهم وقواعد احتجاجهم .

ومن الأمور التي ينبغي أن يشار إليها ضمن هذا المجال من تقويم جهود القدماء بحسب المناهج الحديثة ، أنّ دراستهم للغة كانت تشمل جميع قطاعات الدرس اللغوي الحديث والتي تضم الأصوات والصرف والنحو والمفردات . وهم بذلك يعبّرون عن فهم متقدّم للّغة بوصفها منظومة متكاملة لا يستقلّ منها جانب عن غيره من الجوانب .

وبالنظر إلى هذه القطاعات الدرسية في ضوء المعيارية التي تمثّل

---

(١٧) يمكننا أن نقترح إطاراً زمنياً لهذه المراحل التي قد تتداخل فيما بينها . فمن الجائز أن تكون المرحلة الأولى انتهت عند منتصف القرن الثاني ، على حين أن المرحلة الثانية بدأت مع أواخر ذلك القرن حتى القرن الثالث . أما المرحلة الثالثة فتمتد من بداية القرن الرابع لترافق حركة التأليف النحوي حتى القرون المتأخرة .

خصوصية للعربية الفصحى نجد أنّ معيارية الأصوات والصرف والنحو حفظت كيان اللغة ودفعت عنها أخطار التشتت والتفرّع إلى لهجات متباينة . ولو لم تكن هذه المعيارية متشدّدة في رأينا لكان من المتوقع أن تنزوي الفصحى في المعاهد الدينية فتصبح لغة خاصة بالدين تقتصر على بعض البحوث المحدودة والشعائر ، على حين أنّ لهجات المدن والأمصار تتّجه إلى مزيد من الانغلاق الذي قد يولّد لغات متعدّدة بعد أمد .

ويمكننا أن ننتهي إلى خلاصة تمثّل موقفنا من مناهج اللغة ولا سيّما ما يتصل بالمنهج الوصفي . فالمنهج المقارن يكشف لدى تطبيقه على اللغة العربية أموراً ذات دلالة لم تكن واضحة المعالم ، لأنّ العلماء العرب اكتفوا بما ثقفوه من علوم العربية . وفي نزوعهم إلى تفضيل لغتهم على سائر اللغات ما يدلّ على هذا المنحى من اختصاصهم بالعربية . ومن المؤكّد أنّ الإشارات الطفيفة إلى بعض اللغات الأجنبية ، أو إلى شقيقات العربية من الساميات[١٨] ، كانت ترد عرضاً دون أن تمثّل دراسة للعربية على أساس مقارن[١٩] .

أما المنهج التاريخي فلم ينل ما يستحقه من اهتمام اللغويين القدامى ، لأنهم كما ذكرنا كانوا يحرصون على تثبيت صورة العربية كما تلقوها بعد الإسلام ضمن حدود زمنية قصروا عليها الاحتجاج . غير أنّ هذا لم يمنع عدداً من اللغويين من تناول بعض القضايا اللغوية من وجهة تاريخية تطوّرية ، والأمثلة على ذلك متوافرة ، منها دراسة الألفاظ الإسلامية ،

---

(١٨) انظر على سبيل المثال رأياً حول علاقة العربية بالسريانية في : السيوطي ، المزهر ١/٣٠ .

(١٩) انظر : الراجحي ، د . عبده ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص١٧٩ .

والمصطلحات العلمية ، وشروح الشعر ، إضافة إلى إشارات عميقة وردت في تضاعيف المعاجم تدلّ على فهم لتطوّر اللغة ولعدد كبير من سنن التطور وأشكاله كالمجاز والاستعارة وغير ذلك . وإلى هذا المنهج ينبغي أن تتجه الجهود الدراسية المعاصرة كي تتحقق – ولو بعد أمد – تلك الصورة المرجوة لتطور العربية على مرّ الزمن . وقد دخلت خطط متعددة لمثل هذا التوجه في مشاريع المجامع اللغوية ، وبرامج الهيئات العلمية المختصة .

ويمثل المنهجُ الوصفي المنهج السائد في الدراسات الأجنبية التي تأثر بها عدد من الدارسين العرب ، فصدروا عنها وسعوا إلى محاكاتها في الدراسات المتعلقة بالعربية . كذلك سعى آخرون إلى اتخاذ هذا المنهج مدخلاً للطعن في العربية الفصحى ومناهجها . ومهما يكن من أمر فإن الموضوعية العلمية تقتضي منا تحديد نقاط الخلاف التي تجعلنا نحذِّر من التطبيق الحرفي لهذا المنهج ولغيره أيضاً على العربية . وتتمثّل هذه النقاط في ثلاثة أمور ، أولها : أنّ اتجاه الدراسات الوصفية الحديثة كان ينحو إلى اللجهات العامية ، لأنها كما يزعمون المادة التي تمثِّل الاستعمال الحيّ . ثانيها : أن موقف الدراسين الوصفيين كان متشدّدا إزاء الفصحى ، لأنّها تتضمّن حكماً نهائياً بتفضيل أسلوب كلامي على آخر ، ولأنّ توجيه الدراسات إلى الفصحى يفضي إلى إهمال قطاعات مهمّة من اللغة هي أولى بالدراسة لأنّها ميدان لدرس التطور الذي تقاومه معيارية الفصحى كما يرون . ثالثها أنّ معظم الدارسين الوصفيين افترضوا معرفة القدماء بالمناهج اللغوية جميعاً ، ولذلك فهم يعيبون عليهم تقصيرهم في الالتزام بالطريقة المثلى لدراسة اللغة والتي تقتصر على المنهج الوصفي دون غيره من سائر المناهج قديمها وحديثها .

وبالنظر إلى ما أوردنا يتبيّن أنّ سبب الخلاف عائد إلى محاولة تطبيق الوصفية تطبيقاً حرفياً على مرحلة التقعيد اللغوي وما اتصل بها من معيارية . أمّا حدود المنهج الوصفي فلا نجد بأساً من مراعاتها في الدراسات المخصّصة للعربية الفصحى قديماً وحديثاً شريطة أن نتجاوز ما كان من خلاف بين منهج اللغويين القدامى من جهة ، والمناهج الحديثة ولا سيما الوصفية من جهة أخرى ، وأن نأخذ في اعتبارنا دوماً خصوصية العربية الفصحى القائمة على المعيارية وحراسة التطور ضمن حدود . ولا شك في أن دراسات تقوم على اختيار حقبة معينة من تاريخ العربية الفصحى من خلال مستوى واحد من الأداء اللغوي ، سوف تعود على العربية بالفوائد الجمّة . ولسنا نرى مانعاً من الاعتماد على الملاحظة وتسجيل الوقائع تسجيلاً محايداً عن طريق الوصف كما هي . غير أنّ ذلك لا ينفك عن مرحلة التقويم والنظر إلى النتائج من خلال المعيارية ، « ولا مانع في نظرنا من أن يسلك الدارس منهجين اثنين ، ولكن باعتبارين مختلفين ، وفي مرحلتين منفصلتين دون أن يخلط بينهما بحال من الأحوال . ولا بأس علينا إن نحن اتبعنا هذا الطريق هنا . فنقرّر الحقيقة أولاً بطريق الوصف الصرف ، ثم نتبعها – إذا دعت الحاجة – بتقويمها وإصدار حكم عليها »[٢٠] .

٢ – القوانين اللغوية ومشكلة التطور :

ارتبطت مسألة البحث عن قوانين لعلم اللغة في البحوث الغربية بفكرة التطور بوصفها مبدأ أساسياً من مبادئ العلم والثقافة . وعلى الرغم

(٢٠) بشر ، د . كمال ، دراسات في علم اللغة ، ٢/١٢٦ ، وانظر آراء مماثلة لمحمد المبارك في فقه اللغة ص٣٤–٣٥ .

من أن فكرة التطور ظهرت في بيئة المفكرين في عصر التنوير[٢١] ، فهي لم تلق الاهتمام الواسع في الدرسات الإنسانية إلا بعد أن نفذت إلى العلوم الطبيعية ، ولا سيا حين ارتبطت بكتاب دارون (Darwin ، ت ١٨٨٢) المعروف « بأصل الأنواع » . ويلاحظ هولتكرانس (Hultkrantz) أن مفهوم التطور غدا من خلال مؤلف دارون سمة لجميع البحوث الفكرية ، مع ملاحظة المبالغة الكبيرة لدى بعض الباحثين حين يتحدثون عن أهمية هذا الكتاب بالنسبة لنموّ نظرية التطوّر وسيادتها[٢٢] .

وعلى هذا النحو من المبالغة طبّق كثير من الدارسين نظرية دارون على اللغة ، وزعموا بأن الأنواع في الطبيعة ، واللغات في التاريخ تتغير تبعاً لنواميس متشابهة ، فالعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الأنواع التغير والانتخاب الطبيعي[٢٣] . وقد قادت المبالغة الكثيرين إلى الزعم بأنّ اللغة كائن حي له طبيعته الذاتية ، وأنّ تطور اللغة محكوم بقوانين ثابتة كالقوانين التي تحكم مظاهر التطور الأخرى في الطبيعة[٢٤] .

ويبدو أنّ هذا التعسّف ولّد معارضة شديدة دعت إلى التهوين من أثر دارون وعلوم الطبيعة في سيطرة الأفكار التطوّرية لأن « فكرة التطور

(٢١) انظر : هولتكرانس ، إيكه ، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي ، ص١٠٣ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص١٠٣ ــ ١٠٤ ، وانظر : ميتشيل ، دينكن ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة إحسان محمد الحسن ، ص ــ١٩٠ ١٩١ .

(٢٣) انظر : أيوب ، د . عبد الرحمن ، اللغة والتطور ، ص٣٧ ــ ٣٩ . وتجدر الإشارة إلى تطبيق هذه النظرية على الأجناس الأدبية لدى برونتيير (Brunetière) وغيره من الباحثين .

(٢٤) انظر : المصدر السابق ، ص٥٧ ــ ٥٨ وظاظا ، د . حسن ، اللسان والإنسان ، ص١٢٥ .

الثقافي لم تكن مجرّد تقليد تافه أو نقل للفكرة من التطور البيولوجي ، فقد كانت العلوم كلها تتحرك نحو هذه الفكرة ، لأن المبدأ كامن في طبيعة الحقائق »[٢٥] . كذلك ظهرت فكرة ترى أنّ نظرية التطوّر البيولوجي لا يمكن أن تنطبق على الوقائع الثقافية ، بل إنّ عدداً من الباحثين رفض التسليم بوجود أيّ مشابهة بين التطوّر البيولوجي والتطوّر الثقافي بما فيه اللغة والمجتمع[٢٦] .

ولم يكن ما أتى به المحدثون من علماء القواعد (Néo – grammairiens) من جبرية الظواهر اللغوية ، وسلب الأفراد كل قدرة على التأثير في قوانين اللغة وتطورها مسلَّماً به ، إذ لقي مذهبهم هذا مقاومة كبيرة تمثلت في آراء متعدّدة لمجموعة من الباحثين .

والحقيقة أنّ العوامل التي تؤثّر في اللغة وتؤدّي إلى تغيّرها يرجع أهمّها إلى الظواهر الاجتماعية التي تضمّ ثقافة المجتمع وسلوكه وطرائق حياته وما إلى ذلك . وإنّنا – مع إقرارنا بدور العوامل النفسية في تطوّر اللغة – نؤكد دور المجتمع في تطوّر اللغة بوصفه العامل الأساسي الذي ينبغي أن يتجه إليه النظر . وقد تضافرت في هذا المجال جهود أعضاء المدرسة الاجتماعية الفرنسية (Ecole Sociologique Francaise) التي أنشأها دوركايم (Durkheim ، ت ١٩١٧م) لبيان العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه في مختلف الظواهر اللغوية[٢٧] . ومن

---

(٢٥) هولتكرانس ، قاموس الإثنولوجيا ، ص١٠٤ .

(٢٦) انظر : باي ، لغات البشر ، ص٤٠ – ٤١ ، وافي د . علي عبد الواحد ، علم اللغة ، ص٥٧ .

(٢٧) انظر : وافي ، علم اللغة ، ص٦٥ – ٦٧ ، وميتشيل ، معجم علم الاجتماع ، ص٧٨ – ٨٠ .

الملاحظ أن أعلام هذا الاتجاه شنّوا هجوماً شديداً على الطبيعيين ومصطلحاتهم الدخلية على البحث اللغوي ، كالحياة والموت والوراثة والنشوء والارتقاء [٢٨] .

ومن المعروف أنّ رفض سوسير اتخاذ معايير من خارج اللغة ، انتهى به إلى فكرة استقلال اللغة بوصفها منظومة لا تعترف إلا بترتيبها الخاص ، وبقوانيها الداخلية ، ولذلك يؤكدّ بأنه « يجب أن يكون الانطلاق من اللغة ذاتها ، واتخاذها معياراً للظواهر اللغوية الأخرى كافة »[٢٩] .

واستناداً إلى هذا التوجّه نرى أنّ مشكلة التطوّر اللغوي يجب أن تدرس ضمن أنظمة اللغة من خلال اتصالها بالإطارين الزماني والمكاني ، وليس من الضروري القصد إلى استخلاص قوانين تحاكي في اطرادها ودقتها القوانين العلمية .

وبالنظر إلى أنّ فكرة التطوّر نقطة ارتكاز تقوم عليها الدراسة في مختلف فروع العلم ، يمكننا أن نفترض أنّ اللغة في تطوّر مستمر يتنازعها فيه عاملان متناقضان تجاهد اللغة في الاحتفاظ بتوازنها بينهما . وهذان العاملان أو القوتان – كما يرى دارمستيتر (A. darmesteter)[٣٠] هما :

---

(٨) انظر : فندريس ، اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، ص٢٤٧ .

(٢٩) سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ص٤ ، ٣٧ .

(٣٠) انظر هذا الرأي المنقول من كتابه « حياة الكلمات » (La Vie des mots) في : ظاظا ، د . حسن ، اللسان والإنسان ، ص٩٨ .

أ ـ المحافظة ، وهي نزعة طبيعية عند المتحدثين باللغة تسعى إلى الإبقاء عليها كما عرفوها في جميع أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لكي لا تتغيّر ولا تختلف . ب ـ التغيّر ، وهو قوّة تعمل على دفع اللغة نحو التطوّر في جميع أنظمتها . وبين هاتين القوتين المتضادتين تقع اللغة في صراع دائم وأبدي ، فإذا ما تمسّكت بالقديم المحافظ وحده جمدت وتخلّفت ، وإذا ما فتحت صدرها للتطوّر من غير حدود ضاعت شخصيتها القائمة على الانتظام ، وتعرضت للتشعب والاندثار[٣١] .

وليس من شك في أن الحالة السليمة للغة لا بد من أن تخضع للتوازن بين هاتين القوتين كي تصل إلى نوع من التطوّر الهادئ الذي يرتبط بالقديم وتراثه ، ولا يرفض الجديد ومتطلباته .

ويقود الحديث عن فكرة التطور إلى حديث عن دلالات مصطلح « تطوّر » وتعدّد استعماله . فكلمة « التطوّر » اشتقت في هذا العصر من كلمة « طور » على وزن التفعّل ، وهي كلمة احتيج إليها للتعبير عن معنى جديد غير التبدّل والتغيّر ، وهو الانتقال من طور إلى طور[٣٢] . ويدلّ التطوّر غالباً على تغيّر تدريجي يؤدي إلى تحوّلات متلاحقة[٣٣] . وعلى الرغم من ذلك يُلاحظ أنّ استعمال مصطلح التطوّر توسّع بحيث أصبح مرادفاً لمصطلح التغيّر (Change) الذي يشير إلى حدوث تغيّرات أو ظواهر

---

(٣١) انظر : ظاظا ، المصدر السابق ، ص٩٨ ، وبشر ، د . كمال ، دراسات في علم اللغة ١٢٨/٢ ، وخليل ، د . حلمي ، المولّد ، ص١٩ .

(٣٢) انظر : المبارك ، محمد ، فقه اللغة وخصائص العربية ، ص٣١ ـ ٣٦ ، ص٣٢٥ .

(٣٣) انظر : المعجم الوسيط ، ٥٦٩/٢ ـ ٥٧٠ ، والمصطلحات العلمية والفنية لخياط ومرعشلي ، ١٣٣/٢ ، ومعجم علم الاجتماع لميتشيل ، ص١٩٧ .

جديدة لا تعني بالضرورة أنّها تسير على نسق منتظم أو تتحوّل من طور إلى طور .

وهناك من الدارسين من يرى أنّ التغيّر (Change) أبسط معنى من معاني التطور ، لأنّ « التغيّر بمعناه العام ليس هو المقصود بالتطور (Evolution) إذ إنّ هذا الخير يعني تغيّراً يتخذ نسقاً منتظماً يمكن أن نتتبع مراحله ، وخصائص كل مرحلة »[٣٤] . ومن الملاحظ أنّ معظم الدراسات الأجنبية تميل إلى هذا المصطلح أي التغير ، على حين أنّها تفضّل الابتعاد عن المصطلحات التي تدلّ على معنى التقويم ، كما في مصطلحي التطوّر المعروفين (EvoLution) و(Développement)[٣٥] . وكلّ ما يعنيه أصحاب هذا الاتجاه هو أن هناك شيئاً ما حدث للغة ، أو أن هناك تغيّرات ، أو ظواهر جديدة لحقت بها في فترة زمنية ، وعلى هذا المستوى أو ذاك من مستويات البحث اللغوي[٣٦] . ويبدو أنّ إطلاق هذا المصطلح (Change) يشير إلى التغيّر الذي لا يكون مقصوداً من الفرد أو الجماعة ، ولذلك يحدث هذا التغيير من غير أن يتولد لدى الناطقين باللغة إحساس بأن اللغة التي يستعملونها لا تبقى كما هي[٣٧] .

واستناداً إلى هذا الفهم للتغيّر اللغوي يرى أندريه مارتينيه (Martinet) أن عالم اللغة يهتم بتسجيل التغير على أنه وقائع تسجل

---

(٣٤) أيوب ، د . عبد الرحمن ، اللغة والتطور ، ص٣٥ .

(٣٥) انظر : ميتشيل ، معجم علم الاجتماع ، ص١٩٠ ، ١٩٧ – ١٩٩ .

(٣٦) النظر : بشر ، د . كمال ، دراسات في علم اللغة ، ١٢٥/٢ وخليل ، د . حلمي ، المولد ، ص١٧ – ١٨ .

(٣٧) انظر : مارتينيه ، أندريه ، مبادئ اللسانيات العامة ، ص١٧٦ .

وتشرح ضمن إطار العادات اللغوية التي تنتمي إليها . كما يرى أنه ليس من حق عالم اللغة أن يصدر حكمه لها أو عليها[٣٨] .

ويلاحظ الدارس نوعاً من التطور اللغوي الذي لا يحدث من تلقاء نفسه ، وهو ما يدعى بالتطوير ، فالتطوير جهد واع يقوم به الأدباء والمفكرون ، أو تقوم به مجامع اللغة والهيئات المختصة بالتعليم والمصطلح الفني . ودلالة التطوير ههنا قريبة من مصطلح ابتداع (Initiative)[٣٩] . ومن الملاحظ أن ظهور الظروف الجديدة بسبب التغير الاجتماعي وتطور الثقافة والعلوم ، يتطلب جهوداً مكثفة لتلبية الحاجات الجديدة في حياة الجماعة . ومن هنا يبرز الابتداع بوصفه سببا من أسباب تطور اللغة .

ومن الجدير بالذكر أن عدداً من الدارسين يقفون من مظاهر التغير والتطور كلها موقفاً متشدداً ، إذ يعدّون كل انحراف عن أنظمة اللغة ودلالات مفرداتها خطأ . وحجتهم في ذلك أن المظاهر الجديدة تخالف القواعد والنصوص التي سجّلت في كتب اللغة والتي ارتضاها العلماء الموثوق بهم[٤٠] . ومن الملاحظ أن معظم اللغويين القدامى وقفوا من التطور هذا الموقف ، وقد سبق أن بينا الظروف الخاصة التي رافقت تشكيل المعيار الذي استند إليه هؤلاء اللغويون في مقاومة التغيّر وعدّه خطأ . ولقد رأينا أثر المعيارية في الأصوات والصرف والنحو ، وما دفعته من أخطار على وحدة اللغة .

---

(٣٨) انظر : المصدر السابق ، ص١٠ .

(٣٩) انظر : ظاظا ، اللسان والإنسان ، ص١٠٢ ، وخليل ، المولد ، ص١٧ – ١٨ ، وعمر ، د . أحمد مختار ، علم الدلالة ، ص٢٤٢ .

(٤٠) انظر : بشر ، دراسات في علم اللغة ، ١٢٥/٢ .

أما المفردات فهي من أكثر العناصر اللغوية استجابة لدواعي التغيّر ، لأن دلالة المفردات لا يمكن أن تبقى محصورة بحال من الأحوال في أنماط ثابتة من العيش والفكر والثقافة وغير ذلك . وعلى الرغم من أن اللغويين القدامى وقفوا من الدلالة أيضاً ذلك الموقف المتشدّد ، ففي العربية شواهد كثيرة على التطوّر الدلالي ، بعضها ورد في تضاعيف بحوثهم المعجمية وملاحظاتهم النقدية ، وبعضها الآخر اتخذ شكلاً قريباً من البحوث المنظّمة والواضحة المقاصد . وبإمكان الدراس أن يتقرّى أمثلة كثيرة على هذه البحوث في مصنفات الفقه والاصطلاح والغريب والألفاظ الإسلامية ، إضافة إلى ما يستخلصه الدارس المتعمق من ملامح لتطور الدلالة وإشارات إلى سبل التطور التي وردت في مصنّفات اللحن وكتب التثقيف اللغوي .

ويتبيّن لنا مما سبق أن هناك جانباً من اللغة هو دلالة المفردات كان بالإمكان إخراجه من نطاق المعيارية ، وعلينا الآن تخصيص الجهد له لما له من خطورة في حياة اللغة والمجتمع . وتذهب كثير من الدراسات إلى أن التطور في متن اللغة أي في الألفاظ ودلالاتها على المعاني ، يمثل الميدان الكبير الذي يتسع لبحوث كثيرة ، يمكن أن يتناولها الباحثون من أكثر من جانب[٤١] . وترجع أهمية هذا الجانب اللغوي في رأينا إلى أنّ الأصوات والصرف والنحو تمثّل أنظمة قياسية يفترض استقرارها بحسب قواعدها التي لا تقدّم كمّا محدوداً من الصيغ والاستعمالات ، بل تقدّم أساليب متنوّعة يجري عليها الصوغ القياسي الذي يتضمّن قدرات توليدية . أما المفردات فهي عناصر لغوية تنافي مبدأ الاستقرار ، لأنها قابلة للتأثر بالزمن وأطواره التاريخية .

(٤١) انظر : أنيس ، د . إبراهيم ، دلالة الألفاظ ، ص١٢٣ ، وظاظا ، اللسان والإنسان ، ص١٢٥ ، والداية ، د. فايز ، علم الدلالة العربي ، ص١٧٨ .

ويؤكّد اللغوي فندريس (Vendryes) وجود فرق في تطوّر اللغة بين الأصوات والصرف والنحو من جهة ، والمفردات من جهة أخرى . وهو يرى في هذا الصدد : « أنّ الحياة تشجّع على تغيّر المفردات لأنها تضاعف الأسباب التي تؤثّر في الكلمات . فالعلاقات الاجتماعية والصناعات والعدد المتنوعة تعمل على تغيّر المفردات وتقضي على الكلمات القديمة أو تحوّر معناها وتتطلب خلق كلمات جديدة . ونشاط الذهن يستدعي دائماً للعمل في المفردات . وبالاختصار فإنّ الأسباب التي تؤدي إلى تغيّر الظواهر ليست في أيّ مادة أكثر تعقيداً ولا عدداً ولا تنوّعاً منها هنا[٤٢] . فالمفردات على النقيض من أنظمة اللغة الأخرى لا تستقرّ على حال ، لأنها تتبع الظروف[٤٣] .

ومن الضرورة بمكان أن نؤكّد أنّ التطوّر في دلالة المفردات ـ وهو ما نحن بشأنه ـ ليس مطلق الأحكام كما نرى ، إذ لابدّ من الاحتراز في هذا الجانب كي يبقى هذا التطوّر محروساً بالأنظمة اللغوية المعيارية . وتكون هذه الحراسة ذات جدوى إذا ما راقبنا التغيّر الذي تتعرّض له الدلالة نتيجة الاستعمال ، ممّا يعدّ في التغيّر غير المقصود ، وإذا ما ضاعفنا جهود التطوير والابتداع أضعافاً كي تلبّي حاجات التطوّر الحضاري السريع الذي يكاد يسبق كلّ متابعة فضلا عن التريّث وبطء الحركة .

٣ ـ العربية الفصحى والمستوى الصوابي :

إنّ الدرس المتعمّق لقضية التطور في العربية الفصحى يتطلب منا أن نلقي مزيداً من الأضواء على خصائص العربية ومستواها الصوابي . وتظهر

---

(٤٢) فندريس ، اللغة ، ص٢٤٧ .

(٤٣) انظر : المصدر السابق ، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

أهمية هذا التناول إذا عرفنا أن العربية تفرّدت بظروف معينة قادت إلى ظهور خصائص لا يحسن بالدراس تجاوزها إذا قصد الموضوعية ونبذ الأفكار القَبْلية عن منهج اللغويين القدامى ، وما يُرمى به هؤلاء من اتهام وتجريح .

وإنّ أولّ ما يطالع الدارس ههنا ما يراه بعض الباحثين من أنّ العربية لغة انتقائية مشتركة تشكّلت أصولها وتوضّحت مقاييسها لدى قبيلة قريش[٤٤] . وقريش كما هو معروف حظيت بمكانة رفيعة لدى قبائل العرب ، لأنها حازت السيادة والغنى والقداسة . ومن هنا يكثر وصف العربية بأنها قرشية ، وهو نحو من اعتبار الصفات العامة المشتركة التي اصطفتها لهجة قريش من اللهجات العربية الأخرى ، إضافة إلى ما امتازت به من خصائص . واستناداً إلى هذا الرأي لا يمكن أن نقبل وصف العربية الفصحى بالقرشية ، ونحن نريد أنها لغة قريش مستقلّة عن الخصائص المشتركة . ولذلك نرى أن النصوص التي تشير إلى أنّ العربية هي لغة قريش وحدها تحتاج إلى تدقيق وإنعام نظر .

ويحاول أحد الدارسين المحدثين ، في سياق الردّ على مبالغة القدماء في وصف العربية بالقرشية أن يخلص إلى نتيجة معاكسة ، « فاللغة المشتركة لا تنتسب إلى قبيلة بذاتها ، لكنها تنتسب إلى العرب جميعاً ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف فيما بينها ، وهذه النصوص – كما نعلم – ليست قرشية أو تميمية أو هذلية فقط ، بل هي من قبائل مختلفة »[٤٥] . ونحن نرى في هذا المجال أنّ أيّ محاولة لسلب قريش مكانتها

---

(٤٤) انظر : المبارك ، د . مازن ، نحو وعي لغوي ، ص١٣٢ – ١٣٧ ، والداية ، د . فايز ، علم الدلالة العربي ، ص١١٧ .

(٤٥) الراجحي ، د . عبده ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص ٤٨ – ٤٩ ، وانظر أيضاً ، ص١٠٨ ، ص٢٠٤ .

في العربيـة ودورها في إبراز الخصـائص العامة للعربية ، ليست مجدية ولن تكون مقبولة ، لأنها تخالف الحقائق المؤكدة . فالعربية المشتركة تشكّلت في قريش لأسبـاب متعدّدة ذكرها القدماء والمحدثون ، ومن ثم شـاعت الخصائص الأساسية لدى قريش فعرفت بها ونقلت عنها من خلال حركتين متناوبتين لا يُعرف مدى عمقهما في الزمن ، هما اجتماع العرب في المواسم التجارية والدينية والأدبية ، ورجوعهم إلى ديارهم حاملين معهم خصائص لغوية تواضعوا عليهـا عن طريق الاصطفاء ، واختيار الأكثر شيوعاً وقبولاً لدى جمهرة الناس حين يتلاقون . ومع ذلك فإن هذا الدارس ينتهي إلى نتيجة لا نخالفه فيها وهي « أنّ اللغة العربية المشتركة لم تقم على لهجة قريش وحدهـا »[٤٦] ويُـلاحظ أنّ هذا الدارس انطـلق للردّ على فرضيـة لبعض الدارسين الذين تابعوا آراء بعض القدماء من أنّ العربية هي لهجة قريش . وإننا نرى أنّ إطلاق الكرم بأنّ القدماء المحدثين ذهبوا إلى أنّ هذه العربية هي لهجة قريش لا يسلَّم له ، لأنه وقف على نصوص قليلة لا تتجاوز ثلاثة نصـوص قديمة وخمســة آراء حديثـة[٤٧] . ولأنّ معظـم النصوص والآراء المتداولة تشير إلى أنّ قريشاً اصطفت الخصائص الحسنة من كلام العرب ، وضمّتها إلى خصائصها حتى صارت جزءاً منها . لذلك لا نرى أساساً للزعم بأنّ لهجة قريش منعزلة عن لهجات العرب ، وأنّ العربية الفصحى هي لهجة قريش وحدها .

ويرى دارس آخر أنّ الفصحى لكونها لغة العرب جميعاً تمّ نموّها في المجتمع العربي في عمومه لا في قبيلة بعينها ، وتقبّلت في نموّها عناصر من

---

(٤٦) المصدر السابق ، ص١٤١ .

(٤٧) انظر : المصدر السابق ، ص١٤١ ـ ١٤٧ .

جميع اللهجات حتى بدت قريبة إلى كلّ لهجة[٤٨] . ومن الملاحظ أنّ هذا الدارس يهمل دور المركز في إبراز خصائص الفصحى التي لا يمكن أن تظهر لدى القبائل جميعاً من غير أن تمرّ بمرحلة الصدور عن مركز مؤهّل لعمليتي الاستقطاب والانتشار ، وهذا المركز هو قريش من غير شكّ . أضف إلى ذلك أنّ الناظر في طبيعة المجتمع العربي في الجاهلية يرى حالة البداوة ، وما فيها من توزّع يجعل من الصعوبة الحديث عن مجتمع عام نمت فيه الفصحى على النحو الذي يصوّره هذا الدارس .

ومهما يكن من أمر فإنّ العربية في آخر جاهليتها – كما يرى عبّاس حسن – أقدرت الألسن على استخدام هذه الطرائق الموحّدة بالدربة والمرانة لا بالتلقين المهيّأ والتعليم المصنوع . وقد سرت هذه الطرئق إلى الناشئ وكأنها إحدى غرائزه الأصلية فشبّ عليها وشاب[٤٩] . وإنّ هذه المقدرة اللغوية لدى الأفراد تمثل صفة أساسية للعربية الفصحى هي السليقة . فالسليقة كانت في العرب قبل الإسلام وفي صدره لعوامل توافرت لهم في جزيرتهم ، ومؤدّى ذلك أنهم كانوا ينطقون لغتهم فصيحة معربة بسهولة من غير تكلّف إعراب ولا تصنّع فصاحة[٥٠] . كما أنهم لم يكونوا بحاجة إلى تعلّم ضوابط وقوانين لنطقهم كما توهم بعض المستشرقين[٥١] .

ويضاف إلى ما ذكرنا من خصائص العربية الفصحى خصيصة

---

(٤٨) حسان ، د . تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٦٤ .

(٤٩) انظر : حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص١٧ .

(٥٠) انظر : رفيدة ، د . إبراهيم ، « أصالة اللغة العربية وعلومها » ، مجلة الفكر العربي ، العدد /٢٦/ ، آذار ١٩٨٢م ، ص٦ – ٧ .

(٥١) انظر : ظاظا ، اللسان والإنسان ، ص١١٨ وفيه رأي لرينان (Renan) حول تعلّم اللغة في زعمه .

تتصل بمجال استخدام الفصحى ومدى انتشارها في أنحاء الجزيرة ، وإن أول ما نؤكده ههنا هو أن نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين لدليل على أنه صادف حين نزوله لغة واحدة ينطق بها عامة العرب ، لا لهجة محدودة لقبيلة قريش . ويرى بعض المستشرقين أنّ لغة القرآن كانت لهجة مقتصرة على خاصة أهل مكة ، وعلى أمراء الحج والسدنة . وقد قاد ذلك إلى أن تصير لغة دين وثقافة ودبلوماسية رفيعة يتفاهم بها الرؤساء وقادة الرأي في القبائل[٥٢] . وإننا نرى أنّ المجال الذي يمثل انتشاراً واسعاً للفصحى هو الشعر الجاهلي الذي وردت قصائده ممثّلة مستوى لغوياً يكاد يكون واحداً على الرغم من انتماء الشعراء إلى قبائل متعدّدة ، لم تكن قريش أغزرها شعراً ، بل كانت أقلّها نصيباً منه . وليس من الصعب أن يستنتج الدارس من ذلك أنّ لغة هذا الشعر كانت متداولة لدى القبائل العربية التي نظرت إلى الشعر على أنه لسانها ، ومجلى بلاغتها ، ومجال فخرها . ولذلك لا نرى من المقبول الزعم بأن هذه اللغة كانت لغة يتداولها الخاصة من قريش دون سائر العرب ، أو أنها مقتصرة على كبار القوم والرؤساء من القبائل العربية .

ثم إننا نرى بعض الدارسين يقبلون هذه اللغة على أنها لا تنتسب إلى قبيلة بذاتها ، بل تنتسب إلى العرب جميعاً ، لكنهم يفترضون أنّ هذه اللغة لغة أدبية لا نستطيع أن نتصور العرب يتحدثون بها في بيعهم وشرائهم وهزلهم[٥٣] .وإننا مع افتراض أن هذه اللغة أدبية فصيحة لا نسلّم بوجود فوارق أساسية بين المستوى الأدبي منها ، والمستوى الاتصالي العام الذي

---

(٥٢) انظر بعض الآراء التي تذهب إلى ذلك لدى ولفنسون في تاريخ اللغات السامية ، ص٢١٥ ، وفي اللسان والإنسان لظاظا الذي ينقل رأي رينان ، ص١١٨ ، وفي تعليقات شبتالر في العربية ليوهان فك ، ص٧ — ٩ .

(٥٣) انظر : الراجحي ، اللهجات العربية ، ص٤٩ .

يمثل الرصيد المشترك (Lexique Commun) . وإن كان من الممكن ملاحظة اختلاف بين أساليب الكلام الأدبي من جهة ، وطرائق الحديث اليومي في المبادلات النفعية من جهة أخرى ، فإنه الاختلاف الذي لا يجعل من الحديث مستوى لغوياً مختلفاً يقرب من العامية .

وبإمكان الدارس أن يستدلّ على لغة الحديث والمبادلات الحيوية في العصر الجاهلي بما نقلته المعاجم وكتب اللغة والأدب عن محاوراتهم ومنافراتهم وخطبهم في المناسبات الاجتماعية . ومما يقوّي هذا الاستدلال أنّ لغة الحديث هذه استمرت فصيحة حتى القرن الثاني الهجري ، بل إلى أواسط القرن الرابع في بعض البوادي المنعزلة .

ويلاحظ أنّ بعض الدارسين المحدثين بالغوا في قبول فكرة انقسام العرب إلى خاصة وعامة ، مّما قادهم إلى ظنون لا أساس لها . فإبراهيم أنيس يرى أنّ العامة كانت تكتفي بحظّ قليل من فصاحة القول ، وتمضي تبعاً لتقاليدها الخاصة وبيئاتها الجغرافية إلى الاستقلال في صياغة جملها وتركيب مفرداتها ولحن أصواتها[٥٤] . كذلك نجد صبحي الصالح يفترض أنّ الفصحى إذ ذاك مؤلّفة من وحدات لغوية مستقلة متمثلة في قبائلها الكثيرة المتعدّدة . وهي وحدات منعزلة .[٥٥]

ولنا أن نستدل على ردّ هذه الآراء بما استقرّ لدى اللغويين في أثناء جمع اللغة وتقعيدها والاحتجاج لقواعدها من اعتماد كلام الأعراب الذين

---

(٥٤) انظر : أنيس ، د . إبراهيم ، في اللهجات العربية ، ص٣٦ .

(٥٥) انظر : الصالح ، د . صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، ص٦٥ - ٦٦ ، وانظر بالمقابل رأياً لابن جني يؤكد فيه الاتصال اللغوي بين القبائل ، الخصائص ٢/١٥ ، وانظر رأياً آخر لشكري فيصل في : المجتمعات الإسلامية ، ص٢٢ - ٢٣ .

ينتمون إلى قبائل متعدّدة مصدراً من مصادر اللغة[٥٦] . فإذا صحّ – كما يستنتج بعض الدارسين – أنّ العربية الفصحى لغة أدبية تقتصر على التعامل الراقي لدى الخاصة ، فإن كلام الأعراب الجاهليين والإسلاميين لا يمثّل الفصحى . وهذا زعم – إن ثبت أنّ هناك من يتبنّاه – لا يقوى على مخالفة المشهور من تاريخ العربية وخصائصها في الجاهلية والإسلام .

ويتطلب استكمال الحديث عن خصائص استعمال العربية وما يتصل بالحديث اليومي الوقوف عند مسألتين هما مسألة اللهجات ومسألة الإعراب . أما اللهجات فقد أثيرت حولها نقاشات متعددة حين عرض الدارسون لمنهج القدماء في جمع اللغة ونقد مصادر الاستشهاد والاحتجاج . وعلى الرغم من قلّة معرفتنا باللهجات[٥٧] ، فإنّ بعض الدارسين يفترضون استقلال اللهجات عن الفصحى ، لأنّ عامة العرب – كما يرى هؤلاء – لم يكونوا إذا عادوا إلى أقاليمهم يتحدّثون بتلك اللغة المثالية الموحّدة ، وإنما يعبّرون بلهجاتهم الخاصة[٥٨] . ويفترض محمود فهمي حجازي في هذا المجال أنّ « كتب النحو واللغة لم تقدّم لنا إلا قطاعاً صغيراً محدوداً من الحياة اللغوية حتى القرن الثاني للهجرة ، وهذا القطاع هو بعض لهجات البدو »[٥٩] . ويبني هذا الدارس افتراضه على مقولة أنّ اللغويين نظروا إلى معظم اللهجات بعين الشكّ . ولسنا ندري علام استند

---

(٥٦) انظر النص المشهور حول الاحتجاج بالقبائل التي أخذت عنها اللغة في : السيوطي ، الاقتراح ، ص٥٦ .

(٥٧) انظر : حسان ، د . تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٦٤ ، والسامرائي ، د . إبراهيم ، فقه اللغة المقارن ، ص٣٦ .

(٥٨) انظر : الصالح ، د . صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، ص٦٠ .

(٥٩) حجازي ، د . محمود ، علم اللغة العربية ، ص٢٢٤ .

الدارس في افتراضه وجود قطاعات واسعة من اللهجات التي أعرض اللغويون عنها .

ومهما يكن من أمر فإننا نلاحظ قلّة الأمثلة المروية عن اللهجات العربية القديمة التي اندمجت في الفصحى ولم تبق منها إلا بعض الخصائص التي تتمثل أساساً في شيوع بعض المظاهر الصوتية كالكشكشة والعجعجة والعنعنة ، إضافة إلى قليل من الأمثلة في نظام الجملة وبعض جوانب الثروة اللفظية كالأضداد والمشترك[٦٠] . وبإمكان الدارس أن يستنتج أنّ الأمثلة المتناقلة عن اللهجات العربية لا تمثل لهجات متكاملة أو نحواً من ذلك ، بل تنقل لنا صورة ناقصة عن بعض الخصائص اللهجية التي تنسب إلى هذه القبيلة أو تلك . كما يمكن النظر إلى أمثلة اللهجات مع حيث اتصالها بالفصحى أو بعدها عنها ، وهي إذن إما خصائص تبينها بعض اللغويين والدارسين من خصائص العربية الفصحى ، ونسبوها إلى اللهجة التي أخذت منها . وسبب إفرادها بالنظر هو عدم وجودها – أي الخصائص اللهجية – لدى قريش صاحبة اليد الطولي في خصائص الفصحى ، وإننا نرى في هذا النوع من الأمثلة ما نستدلّ به على اجتماع عناصر لهجية متنوعة شكّلت مع الأساس القرشي اللغة المشتركة[٦١] . وإما خصائص انفردت بها

(٦٠) انظر عرضاً للمصادر التي تناولت اللهجات في : الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص٥٠ – ٦٤ .

(٦١) الأمثلة على هذه العناصر غير القرشية في العربية الفصحى كثيرة ، وهي تنسب إلى قبائل متعدّدة بعضها لم يكن له دور أساسي في الفصحى ، ومن الملاحظ أنّ أمثلة متعدّدة وردت في القرآن الكريم من « لغات » العرب ، كما أُذن للناس أن يقرؤوا ببعض الخصائص اللهجية للقبائل العربية . انظر : الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص١٠٤ – ١١٦ .

بعض القبائل ومنها قريش ولم تدخل في الخصائص المشتركة ، وهي خصائص نادرة الظهور في الفصحى . ونخلص من بعد إلى افتراض يستند إلى كثير من الأدلة هو أن اللهجات بعد تشكل الفصحى الذي رأيناه مكتملاً في أواخر عصر الجاهلية ، لم تعد تحتفظ إلا بالقليل من الخصائص المميزة ، لأنها اقتربت من الفصحى كثيراً فتشكّلت فيها واتخذت خصائصها المشتركة قواعد لها . ولم يكن هذا الوضع يمنع من ورود أمثلة محدودة خرجت على الخصائص المشتركة ، لا لهجات مستقلّة .

ومن المسائل التي تتصل بالاستخدام اللغوي ما أثاره بعض المستشرقين ومن تبعهم من الدارسين العرب من شكوك حول الإعراب . وهم إما منكر للإعراب جملة ، لا يراه من أسس العربية ، بل يزعم بأنه من نسج النحاة واختراعهم . وإما مشكّك في أن يكون ظاهرة عامة لدى العرب ، ولذلك يقصره على المستوى الرفيع من التعامل إضافة إلى الأدب .

ولعل الدافع إلى تلك الشكوك فيما أقدّر هو ما وجده الدارسون المحدثون من اتساع القواعد الإعرابية وتشعّب أنظمتها ، وكثرة حدودها كثرة زادها المتأخرون من النحاة حين بالغوا في التفريع ، واصطناع القواعد ولو لمثال واحد ، إضافة إلى اشتراطات لا حصر لها تفنّنوا في وضعها والزيادة عليها . غير أنّ هذا كلّه لا يقدّم مسوّغا لإنكار الإعراب ، والزعم بأنه مصطنع لا أصل له .

فالإعراب لم يكن نظاماً ابتدعه النحاة كما زعم فولرز (K. Vollers) منكراً أن يكون القرآن الكريم معرباً ، لأنّ لهجة مكة مجرّدة من الإعراب[٦٢] كذلك لم يكن الأمر كما توهّم كوهين (Cohen) الذي

(٦٢) انظر : فك ، يوهان ، العربية ترجمة رمضان عبد التواب ، ص١٦ ـ ١٧ ، الحاشية رقم (١) وهي من تعليقات المترجم .

استبعد وجود الإعراب في لهجات الحديث في الجاهلية ، لأنه – كما يرى – مقتصر على اللغــة الأدبيــة[٦٣] . ومن المعروف أنّ منكري الإعراب عامة يستندون إلى أنّ الضوابط الإعرابية صعبة التطبيق ، وهم بذلك يتجاهلون وجود السليقة التي جعلت العرب ينطقون لغتهم معربة من غير أن يعرفوا شيئاً من قواعد النحاة ، بل من مصطلحاتهم . وهم – أي الدارسون – ينظرون إلى هذه الضـوابط الإعرابيـة بعد تراكم امتدّ نحو عشرة قرون من الإضافات ، واشتجار المنطق وعلم الكلام والبلاغة بالنحو ، ممّا زاد القواعد تعقيداً وأدخلها في التصنّع . كذلك استند هؤلاء إلى أنّ لهجات العرب المحدثين تخلو من الإعراب. والحقّ أنّ عدداً من بقايا الظواهر الإعرابية لم يزل ملاحظـاً في بعض اللهجـات العـامية ولا سيّما في البوادي وبعض المدن العربية ذات الطابع القبلي.

ولقد تبع بعض الدارسـين المحدثين أفكار المستشرقين ، وصـاغوها صياغة لا تخلو من مبالغة . فإبراهيم أنيس يرى أنّ الإعراب قصة وما أروعها قصــة على حدّ تعبيره . وخلاصـة ما ذهب إليه أنيس أنّ قصـة الإعراب حيكت من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة ، ثم أحكمت وتمّ نسجها في أواخر القرن الأول للهجرة على يد صنـاع الكـلام ، ثم غدا الإعراب حصنا منيعا شقّ اقتحامه إلا على النحاة[٦٤] .

ويذهب أنيس إلى نحو مبالغ فيه حين يرى « أنّ النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الإعراب وقاسـوا بعض الأصـول رغبة منهم في الوصول إلى

---

(٦٣) انظر : الصــالح ، دراســات في فقه اللغة ، ص١٢٤ ، وانظر رأى شبتالر المماثل في العربية لفك ، ص٦ – ٧ .

(٦٤) انظر : أنيس ، د . إبراهيم ، من أسرار اللغة ، ص١٢٥ ، وانظر ردّ صبحي الصالح عليه في ص١٢٦ من كتابه السابق .

قواعد مطردة منسجمة[٦٥] . ثم إنه يفترض افتراضاً لا يقوم على أساس علمي تاريخي – كما يقول إبراهيم السامرائي – إذ يقول بتأثر النحاة بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية التي تفرّق بين حالات الأسماء فيها ، وهي التي تسمّى (Cases) ويرمز لها في نهاية الأسماء برموز معينة[٦٦]

والحقّ أنّ هذه المزاعم لا تقف أمام سيل من الوقائع المؤكّدة التي أبرزها العلماء المنصفون من المستشرقين أنفسهم ، ومن الدارسين العرب المحدثين الذين حقّقوا في هذا المسألة ، وانتهوا إلى نتائج مقبولة . وإنّ ممّا يذكر في هذا الصدد دفاع نولدكه (Noldeke) عن ظاهرة الإعراب حين أقام حججا على أنّ الأمثلة التي ضربها فولرز على التجرّد من الإعراب ليست إلا صوراً من تساهل الناس بعد اختلاطهم بالأعاجم وظهور اللحن ، وأنّ الزعم بأنّ القرآن لم يكن معرباً وهم لا يدعمه سند من حقيقة أو دليل . كذلك نجد يوهان فك (J.Fück) يسخفّ برأى فولرز ، ويرى بُعده عن فقه العربية وتاريخها . وقد أثبت فك في دارسته لتاريخ العربية وتطوّرها وجود التصرّف الإعرابي في أزمان تلت القرنين الأول والثاني الهجريين[٦٧] .

ولقد قدّم بعض الدارسين عدداً آخر من الأدلّة التي تثبت وجود الإعراب في القرآن الكريم وفي اللغة الأدبية التي يمثّلها الشعر الجاهلي ، إضافة إلى وجوده في لهجات الأعراب المتناقلة ، وفي أحاديثهم ومبادلاتهم[٦٨] . من

(٦٥) (٦٦)انظر : أنيس ، من أسرار اللغة ، ص١٣٩ ، والسامرائي ، فقه اللغة المقارن ، ص١٨ ، ١٢١ – ١٢٢ .

(٦٧) انظر : فلك ، العربية ، ص١٥ .

(٦٨) انظر : الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص١٢٤ – ١٤٠ ، وحجازي ، علم اللغة العربية ، ص٢٢٤ – ٢٣٧ .

هذه الأدلة أنّ اللغويين القدماء عدّوا لغة الأعراب الذين أُخذت عنهم العربية أساساً من الأسس التي بنوا عليها نحوهم ، ولغةُ أولئك معربة سليقة لا صنعة ، ولقد صحّ أنّ العرب نطقوا بالشعر موزوناً مقفّى دون معرفة ببحوره وأوزانه التي استنبطها الخليل بأخرة من الزمن . فلا عجب أن ينطقوا – قياساً على ذلك – لغتهم معربة من غير أن يعرفوا من قواعد النحاة شيئاً . ونعلم علم اليقين أنّ المشافهة هي التي مكّنت الأجيال قديماً من نطق لغتهم معربة ، فلا حديث حول التعلّم ومعرفة القواعد في الجاهلية وصدر الإسلام . فالعرب في عهد بني أمية كانوا يرسلون أبناءهم إلى البادية لتلقّي اللغة معربة من أفواه البدو . ومن المعروف أنّ هذه السنّة استمرّت حتى فشا اللحن في الأعراب وأخذ العلماء يتشدّدون في الأخذ عنهم ، فاستعاض العرب بالعلم والمدارسة والتلقّي من أهل العلم والفصاحة عن المشافهة والرواية . وبإمكان الدارس أن يقف عند ظاهرة اللحن ، لأنّ خطأ العربي في الإعراب كان أول مظهر من مظاهر اللحن . وهذا النوع من اللحن ظهر لدى العرب ، على حين أنّ اللحن في الأصوات شاع لدى الأعاجم . ولو كان الإعراب من صنع النحاة لما نفر العرب من اللحن ذلك النفور الذي دلّتنا عليه الأمثلة المروية في كتب اللغة والأدب[٦٩] . ومن الشواهد التي تدلّ على رسوخ الإعراب لدى العرب ، تلك الصعوبة – أوعدم الإمكان أحياناً – التي يجدها العربي في نطق لغته مجرّدة من الإعراب ومختلّة التراكيب[٧٠] .

وهناك دليل آخر على وجود الإعراب في العربية ، هو ما قدّمته لنا

(٦٩) انظر على سبيل المثال : الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ٢/٢١٠ – ٢١٩ .

(٧٠) انظر : المبارك ، د . مازن ، نحو وعي لغوي ، ص١٠٣ .

الدارسات الساميّة المقارنة من خلال دراسة الظواهر المماثلة للعربية . ومن الملاحظ أنّ معظم الدراسات تجمع على أنّ الإعراب سمة من أقدم سمات اللغات السامية[٧١] . كما أنّ عدداً من تلك اللغات ينطوي على بعض الظواهر الإعرابية ، ففي الأكادية علامات إعرابية متعدّدة ومطردة ، وفي الحبشية علامة نصب تشبه العلامة الموجودة في العربية . كذلك وجد العلماء في اللهجة النبطية علامات الرفع والنصب والجر . ووجدوا أيضاً في الأمهرية والعبرية ظواهر إعرابية متعدّدة[٧٢] . ولقد ثبت لدى هؤلاء العلماء أنّ العربية لا تنفرد بالإعراب ، بل تحتفظ بأكثر ظواهره على الرغم من تعددها وتشعّبها . ومن المعروف أنّ عزلة العرب قديماً أبعدت عنهم المؤثرات الأجنبية ممّا جعل الإعراب عندهم سليماً من التغيّر الذي صادفته سائر اللغات السامية ، والذي أذهب كثيراً من خصائصها . كما أنّ انتحاء العرب في مرحلة وضع القواعد نحواً معيارياً أسهم في الإبقاء على الإعراب بوصفه خصيصة بارزة من خصائص العربية الفصحى .

يمكن الدارس – بعد الذي قدّمنا – أن يطمئن إلى استنتاج مؤدّاه أنّ العرب في الجاهلية وصدر الإسلام كانوا ينطقون لغتهم فصيحة معربة بسهولة ويسر من غير تكلّف إعراب ولا تصنّع فصاحة ، ودون معرفة شيء

---

(٧١) انظر : برغشتراسر ، التطوّر النحوي للغة العربية ، ص١١٦ ، وفك ، العربية ، ص١٥ ، وفليش ، العربية الفصحى ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، ص٦٣ ، وولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، ص١٥ .

(٧٢) انظر : الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص١٢٢ – ١٣١ ، والسامرائي ، فقه اللغة المقارن ، ص١٥ ، وحجازي ، علم اللغة العربية ، ص٢٣٤ – ٢٣٧ ، وظاظا ، اللسان والإنسان ، ص١١٦ ، وكمال ، د . ربحي ، دروس اللغة العبرية ، ص٢٤٩ – ٢٥٠ ، وعبد التواب ، د . رمضان ، فصول في فقه العربية ، ص٣٨٢ – ٣٨٥ .

من الضوابط الإعرابية ، ودون حاجة إلى تعلّم أو مدارسة . ويردّ كثير من اللغويين القدماء والدارسين المحدثين هذه السلامة والسليقة إلى غلبة العزلة على العرب ، وإلى قلّة اختلاطهم بغيرهم من الشعوب[٧٣] .

أما ظهور اللحن فقد أجمع العلماء على أنه أثر من آثار اختلاط العرب بغيرهم ، وهو الاختلاط الواسع الذي تمّ بعد خروج العرب المسلمين من جزيرتهم قاصدين الأمصار المفتوحة . ومن آثار التطور الإجتماعي بانتقال جل القبائل العربية من بواديها إلى الأمصار ، ومن المؤكد أيضاً أنّ اتساع اللحن أقلق أولي الأمر والنظر فحذّروا منه واستهجنوه ، وسعوا إلى مقاومته . غير أنّ الجهد الأكبر في هذا المجال يرجع إلى اللغويين الذين اندفعوا إلى تدوين اللغة للحفاظ على الصورة المثلى للغتهم التي وصلت إليهم بريئة من مظاهر الانحراف . ولقد قرّ في نفوس ذلك النفر من اللغويين الأوائل أنّ العربية إرث غال من الواجب نقله إلى الأجيال التالية سليماً صحيحاً ، والحفاظ عليه من كلّ خلل أو نقص . وقد قوّى هذا المقصد النبيل كون العربية لغة الدين التي حملت معجزة الوحي الخالدة .

ومن الملاحظ أنّ كثيراً من المسائل المتعلّقة بتدوين اللغة والاحتجاج لها كانت مدار نقاش واختلاف بين الدارسين المحدثين ، وسوف تتخذ بعض الآراء أمكنتها في الأجزاء التالية من هذا البحث . وإنّ أول ما نشير إليه بداية هو ما يتّصل بفكرة العزلة وأثرها في سلامة اللغة لدى العرب في الجاهلية وفجر الإسلام . ويلاحظ أنّ بعض الدارسين يحاولون إثبات الاتصال الواسع بين العرب والشعوب المجاورة لهم قبل الإسلام ، وهم

---

(٧٣) انظر : رفيدة ، د. إبراهيم ، « أصالة اللغة العربية وعلومها » مجلة الفكر العربي ، العدد /٢٦/ ، ص٦ ـ ٨ .

يحتجّون بوجود مفردات دخيلة تداولها العرب وضمّوها إلى لغتهم[٧٤] .

والحقّ أنّ وجود تلك المفردات في العربية لا يقدّم دليلاً حاسماً – كما أُريد له أن يكون – على وجود الاختلاط الواسع بين العرب والشعوب الأخرى قبل الإسلام . ولذلك نردّ ما احتجّ به عبّاس حسن وتمّام حسان من وجود الدخيل في العربية لإثبات موجات سابقه من الاختلاط قبل الإسلام . فالدخيل لا ينهض دليلاً على ذلك الاختلاط الواسع المزعوم لأنّ سبل الدخيل إلى اللغة متعدّدة ، وليس الاختلاط والمساكنة السبيل الوحيدة لها ، بل إننا نردّ كثيراً من تلك السبل إلى التجارة ، والرحلة ، وانتقال الشعراء .

ويتأكّد ربط العلماء بين الفصاحة القائمة على السليقة، وعزلة العرب في جزيرتهم حين نصّوا على إطارين حدّدا المكان والزمان المعتمدين في الاحتجاج .

أ – أما الإطار المكاني فقد حدّده العلماء بعد أن تحرّوا المواضع التي تسكنها القبائل العربية النائية عن التأثير الأجنبي الذي اتقفوا على أنه يسبّب البلبلة والخطأ واللحن . وهذه القبائل هي التي أُخذ عنها جلّ اللسان العربي ، وعليها اعتمد وبها اقتدي . وهناك نص في هذا الصدد يذكر فيه أبو نصر الفارابي القبائل الست التي أخذ عنها معظم ما أخذ ، وهي قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . ثم يذكر القبائل التي لم يؤخذ عنها ، ويردّ سبب ذلك إلى مجاورتها الأعاجم أو مخالطتها لهم في

---

(٧٤) انظر : المصدر السابق ، ص٢٧ – ٣٦ ، وحسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص٧٤ ، ١١٩ ، وحسان ، د . تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٧٢ – ٧٣ .

التجارة مخالطة وساعة[٧٥] . أما ابن خلدون فهو يردّ فصاحة قريش لبعدها عن بلاد العجم من جميع الجهات وإحاطة القبائل الفصيحة بها ، ولذلك نراه يحدّد معيار الفصاحة بالقرب من قريش أو بالبعد عنها[٧٦] . لقد تأكد للعلماء أنّ الاختلاط بالأعاجم هو سبب اللحن وفساد السليقة ، ولذلك كان هذا الإطار متّجهاً إلى التحرّي عن القبائل التي قلّ اختلاطها بالأعاجم .

أما ما كان مخالفاً لما استنبطوه من كلام القبائل التي اعتمد عليها فقد سمّوه لغات أي لهجات ، لأنها خالفت ما نقلوه من العربية الفصحى المشتركة . وقد رويت عن متقدّمي اللغويين أخبار تدلّ على أنهّم لم يخطئوا لغات العرب المخالفة لقواعدهم ، بل إن سيبويه ينقل عن شعراء لم تؤخذ اللغة من قبائلهم . وقد اتخذت هذه المسألة لدى ابن جني نحواً علمياً حين بحث اختلاف اللغات ، وانتهى إلى ضوابط تأخذ في اعتبارها الاستعمال والقياس . من ذلك أنّ استعمال اللهجة القليلة المخالفة للقياس لا يعدّ خطأً ، لكن مستعملها يكون مخطئاً لتركه أجود اللغتين ، إلا إذا كان مضطراً فإنه لا يلام ولا يذمّ على استعماله إياها . ويقول في ذلك : « وكيف تصرّفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه »[٧٧] . وإضافة إلى ذلك ، فهناك ما يدل على أخذ العلماء عمن سلمت لغته ، وإن لم يكن من القبائل المعتمدة لدى أبي نصر ومن سبقه . فالقبائل الست الرئيسة ليست المصدر

---

(٧٥) انظر : السيوطي ، الاقتراح ، ص٥٦ .

(٧٦) انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ص٥٥٥ .

(٧٧) انظر : ابن جني ، الخصائص ، ١٢/٢ .

الوحيد الذي استمدت منه اللغة الفصحى بل أخذ عنها معظم اللغة[٧٨] . كذلك نجد أنّ البحث عن المستوى الذي عدّه اللغويون فصيحاً هو الذي وجّه خطاهم وحدّد معاييرهم ، ولذلك نراهم يطرحون بعض اللهجات المذمومة التي عرفت لدى قبائل معينة من التي قبلوها لتمثيل الفصحى ، والسبب في ذلك هو مخالفة تلك اللهجات لمقاييس الفصحى المشتركة . ويمكن أن نخلص إلى أنّ الإطار المكاني كان معياراً لتتبّع الفصاحة المبنية على السليقة ، ولذلك كان الاحتراز من الأخذ عمن اختلط بالأعاجم لما لاحظوه من أثر الاختلاط في إفساد اللغة . ولا شكّ في أنّ مدار الأمر كان حول البيئات الجغرافية دون الاتجاه إلى التعويل على الانتساب إلى هذه القبيلة أو تلك ، وما كان اعتماد تلك القبائل إلا لسكناها في مواضع معيّنة لاحظ العلماء بُعدها عن الاختلاط[٧٩] . ومن هنا كان تفريقهم بين البوادي والحواضر التي تسكنها القبيلة الواحدة .

ب ــ لقد حدّد اللغويون الإطار الزمني للاحتجاج ابتداء مما عرف من عهد الجاهلية القريب من الإسلام ، والذي وصلنا منه الشعر الجاهلي المتقدّم ، وهو لأوائل الشعراء الذين نقل العرب أخبارهم ، وانتهاء بأواخر القرن الثاني الهجري . ومما يلاحظ ــ ههنا ــ أنّ اللغويين اعتمدوا مفهوم الطبقات للاستشهاد بالشعراء ، وهذه الطبقات هي :

أ ــ الطبقة الأولى وتضمّ الجاهليين ، ب ــ الطبقة الثانية ، وتضمّ المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية ثم أدركوا الإسلام ، ج ــ الطبقة

(٧٨) انظر : السيوطي ، الاقتراح ، ص٥٦ ، وما يليها .

(٧٩) انظر : رفيدة ، « أصالة اللغة العربية وعلومها » ، مجلة الفكر العربي ، العدد /٢٦/ ، ص١٦ .

الثالثة ، وهي التي ضمّت شعراء إسلاميين عاشوا في صدر الإسلام حتى القرن الثاني للهجرة[٨٠] . ومن المؤكد أن الأخذ عن شعراء هذه الطبقات كان واسعاً . أما ما روي عن بعض اللغويين من تخطئة عدد من الشعراء الإسلاميين أو عدم الاعتداد بهم ، فلا يدل على ترك الأخذ عنهم ، لأن المصنّفات اللغوية زاخرة بأشعارهم .

ومن الملاحظ أنّ السليقة اللغوية بقيت لدى البدو المنعزلين في البادية حتى القرن الرابع الهجري . وقد رويت في هذا الصدد نصوص متعدّدة حول لقاء اللغويين الأعراب الفصحاء في هذا القرن . من ذلك ما رواه الأزهري (ت٣٧٠هـ) صاحب معجم تهذيب اللغة من وقوعه في أسر بعض الأعراب الذين ما زالوا حتى ذلك العهد يتكلمون بطباعهم ، ولا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، ولذلك عزم الأزهري على تقييد نكت حفظها من أفواه الأعراب الذين أقام بين ظهرانيهم[٨١] . كذلك روى ابن جني (ت٣٩٢هـ) ملاحظات متعدّدة حول لقائه الأعراب الموثوق بفصاحتهم ، وفيهم من يصعب عليه النطق بالكلام ملحونا لغلبة السليقة عليه ، بل يصعب على الفصيح فهم اللحن ، كما ذكر الجاحظ[٨٢]

ج ـ أما مصادر اللغة التي اعتمدوها في الاحتجاج فهي تتمثّل في ثلاثة مصادر رئيسة هي : القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام

---

(٨٠) يضم هذا الزمن عصر الرسول والخلفاء الراشدين وعصر بني أمية وبداية العصر العباسي .

(٨١) انظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، ١/٧ .

(٨٢) انظر : ابن جنّي ، الخصائص ، ١/٧٦ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، والجاحظ ، البيان والتبيين ، ١/١٦٢ .

العرب . فالقرآن الكريم هو النص العربي الصحيح الذي أثار اهتمام العلماء لما ضمّه من الكلام المبين المعجز الذي تحدّى به العرب الفصحاء . وقد جرى عرف العلماء على الاحتجاج برواياته سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة . فالقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتجّ بها في اللغة والنحو ، لأنها أقوى سنداً من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربي[٨٣] . وعلى أنّ لغة القرآن على الصورة التي ذكرنا من المستوى اللغوي الرفيع فإنّ بعض اللغويين والنحاة لم يتحرّجوا من الطعن في عدد من القراءات ، واتهام القراء بجهل العربية[٨٤] . والحقّ أنّ هذا الموقف يمثّل مظهراً من مظاهر التشدّد في تطبيق القواعد وتحكيم القياس في الكلام المسموع ، وهو ما نقل عن بعض النحاة الذين ظنّوا أنّ قواعدهم شاملة ، وهي ليست كذلك ، بل هي عامة يمكن أن تنطبق على النمط الغالب من اللغة . ومن الملاحظ أنّ هذا الموقف يكاد يكون مقتصراً على مصنّفات النحو دون اللغة التي اتسع صدر علمائها ، فقبلوا كثيراً من اللغات والوجوه التي أنكرها النحاة ، أو رووها على أنها مما سمع عن العرب من غير تحديد لموقفهم منها .

أما الحديث الشريف فلم يُقبل على الاحتجاج به معظم اللغويين والنحاة ، وذلك لعدم وثوقهم أنه لفظ الرسول ﷺ ، إذ لو وثقوا بذلك ، لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد والاحتجاج للغة[٨٥] . ومن المعروف أنّ مانعي الاحتجاج بالحديث تعلّلوا بأنّ الرواة الذين نقلوا الحديث جوّزوا النقل بالمعنى ، فتجد واقعة أو حادثة واحدة جرت في زمن الرسول لم تنقل

(٨٣) انظر : الأفغاني ، سعيد ، في أصول النحو ، ص٢٩ ، وقارن بالاقتراح للسيوطي ، ص٤٨ .

(٨٤) انظر : السيوطي ، الاقتراح ، ص٤٩ ــ ٥١ .

(٨٥) انظر : المصدر السابق ، ص٥٢ .

بألفاظ واحدة ، بل اختلفت الألفاظ أو ترادفت مما يدلّ على النقل بالمعنى دون اللفظ . كذلك تعلّل المانعون بوقوع اللحن فيما روي من الحديث ، لأنّ كثيراً من الرواة لم يكونوا عرباً ، فكثر اللحن والخطأ في رواياتهم . ولا شكّ في أنّ متقدّمي اللغويين والنحاة كانوا متشدّدين في انصرافهم عن الاحتجاج بالحديث ، لأنّ ما استندوا إليه من حجج في منع الاحتجاج به ، لا يسلّم لهم ، فالأحاديث التي نقلت بالمعنى – إن كان ذلك مطرداً – نقلها فصحاء معروفون من الصحابة والتابعين ، وهم ممن يقع الاحتجاج بلغتهم . كما أنّ وقوع اللحن في بعض الأحاديث التي ميّزها المحدّثون لا يلغي الجزء الأعظم من الأحاديث الصحيحة سندا ورواية ولغة . فاللحن وقع في كلام العرب الفصحاء ولا سيما في العصر الأموي ، وهم ممن يحتج بهم ، فلا مسوّغ لذلك التشدّد في رفض الاحتجاج بالحديث بسبب وقوع اللحن في أحاديث محدودة[٨٦] .

ومن الملاحظ أنّ ورود بعض الأحاديث في المصنّفات المتقدّمة ككتاب سيبويه لم يدفع اللغويين التالين إلى التوسّع في الاحتجاج بالحديث إلا في مرحلة متأخرة[٨٧] . فالرأي القائل بحجية الحديث لقي تأييداً مطرداً لدى المتأخرين من النحاة – كما يقول يوهان فك – الذين أكثروا من الاستشهاد بالحديث كابن برّي (ت٥٨٢هـ) ، وابن خروف

---

(٨٦) انظر : المصدر السابق ، ص٥٣ – ٥٥ ، والأفغاني ، في أصول النحو ، ص٤٦ – ٤٨ ، والخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها ، ص١٦٦ ومايليها . وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الحديث شهد توسّعاً لدى بعض المتأخرين ، إذ عدّوا فيه إضافة إلى كلام الرسول بعض ما جرى في السيرة ، وما أُثر عن صحابته وتابعيهم .

(٨٧) ورد في كتاب سيبويه ثمانية أحاديث فحسب ، انظر مواضعها في فهرس الحديث في الكتاب ، ٥/٣٢ .

(ت٦٠٩هـ) ، وابن مالك (ت٦٧٢هـ) ، والاستراباذي (ت٧١٧هـ) . ويرى فك أنّ تحوّلاً طرأ على ترتيب أصول اللغة ، لأنّ الحديث غدا في المرتبة الثانية بعد القرآن ، أما كلام البدو فقد احتلّ المرتبة الثالثة[٨٨] .

ويأتي كلام العرب الموثوق بفصاحتهم في المنزلة الثانية بعد القرآن لدى معظم العلماء المتقدّمين الذين اعتمدوا على ما رواه الثقات من نثر العرب ونظمهم . ومن المعروف أنّ الشعر كان المصدر الأساسي الذي اعتمده النحاة للاحتجاج وإثبات ما استنبطوه من قواعد . وقد روي في هذا الصدد أكثر من خبر حول عناية النحاة بالشواهد الشعرية ، وحفظ ألوف الأبيات منها[٨٩] .

ولقد لاحظ بعض الدارسين المحدثين أنّ اللغويين القدماء وقعوا في مخالفات منهجيّة تتّصل بتحديد المستوى اللغوي ، وبنقص الاستقراء ، وتعدّد مصادر الاستشهاد وبالمدّة الزمنية التي تعارفوا على تسميتها بعصر الاحتجاج[٩٠] . ولا يعنينا في هذا المجال الردّ على جميع ما قيل حول ذلك ، لأننا وقفنا عند عدد من الآراء في تضاعيف كلامنا السابق من هذا الفصل . غير أنّ ما نريد تأكيده هو أنّ اللغويين سعوا إلى تدوين المستوى الذي اختاروه لتمثيل العربية ، ولا يضيرهم في شيء إن فضّلوه على غيره لأنّ

---

(٨٨) انظر : فك ، العربية ، ص٢٣١ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٨٩) انظر : الأفغاني ، في أصول النحو ، ص٥٩ ـ ٦٠ .

(٩٠) انظر بعض هذه الآراء والمناقشات في : حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٢٦ ـ ٢٧ ، ٨٠ ـ ٨١ ، والأفغاني ، في أصول النحو ، ص٣١ ـ ٣٧ ، وحسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص٧٣ ـ ٧٤ ، وحجازي ، علم اللغة العربية ، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

دوافع متعدّدة حدتهم على ذلك . ومن هنا يبدو خطأ من يطالب النحاة واللغويين بتسجيل كلّ لهجة على حدة وعدم الخلط بين مستوى من الكلام وآخر ، لأنّ العرب كانوا معنيّين بتسجيل صورة المستوى الذي وصلهم عن طريق القرآن والشعر وكلام الفصحاء . فالفصحى وصلت إلى العلماء لغة واحدة مشتركة ، لا لهجات متباينة كما فهم بعض الدارسين الذين راحوا يطالبون النحاة بإنشاء نحو خاص لكلّ لهجة من اللهجات . فالمنهج في رأينا سليم يعوّل على وضع الحدود الضرورية للدرس اللغوي ، ويقوم على الملاحظة والتسجيل ، ويتوسّل بالطرائق الدقيقة من القياس واستنباط القواعد العامة .

وإضافة إلى ما رأينا من دور علماء العربية في تكوين المستوى الصوابي والمعيارية ، يجدر بنا أن نشير إلى أثر الدين في المستوى الصوابي . فالقرآن الكريم نزل بالعربية التي أصبحت لغة الوحي الإلهي المقدّس ، فلا غرابة إن وجدنا الأخبار المرفوعة إلى الصحابة والتابعين تعلي العربية من الوجهة الدينية[٩١] .

ولا عجب بعد هذا أن يعدّ اللحن ضلالاً وذنباً يستحقّ مرتكبه أن يضيّق عليه في الرزق ، وأن يستغفر ربّه من أجله[٩٢] . وقد لاحظ بعض الدارسين أنّ النحاة ربّما وضعوا شيئاً من الأحاديث ليتخذوها حجّة لهم في إلزام الناس بمراعاة الإعراب ، وتحذيرهم من اللحن ، ولا سيما في تلاوة

---

(٩١) انظر بعض هذه النظرات في : الخصائص ، ٢٤٥/٣ ، والمزهر ، ٣٠/١ ، وانظر أيضاً : السامرائي ، فقه اللغة المقارن ، ص١٠ ــ ١١ .

(٩٢) انظر مجموعة من الأحاديث والأخبار في : فك ، العربية ، ص٨٠ ــ ٨١ ، والأفغاني ، في أصول النحو ، ص٩ ــ ١٥ .

القرآن[٩٣] . كذلك مال بعض النحاة إلى تأويل بعض الأحاديث التي تتصل بموضـوع العربيـة تأويلاً يتفق وما هدفوا إليه من الحفاظ على لغة القرآن ، ورمي الخارجين عليها بالضلال . ومن هنا يتأكد استناد اللغويين الأوائل إلى قدسية العربية من الوجهة الإسلامية ، واتخاذها دعامة من دعائم المستوى الصوابي . وهناك من الدارسين من يتسع في عدّ العربية لغة مقدسة عند الجاهليـين ، لأنها لغـة مكة قاعدة الآثار المقدّسـة التي تشيع فيها ذكرى الأنبياء ، وتتجاوب في جنباتها أصداء الشعائر التي أرادوها أن تقرّبهم إلى الله[٩٤] .

ولا ننسى أثر العصبية العربية في تكوين المعيارية ، ورمي كل خطأ بالهجنة التي تفسد الأصالة المتوارثة . ولأن العبقرية العربية في لسانها فقد اعتقد العرب أن لغتهم أثمن رصيد لهم ، لأنها إرث غالٍ ينبغي أن يحافظوا عليه . و« إذن يجب أن يسود العرب وأن تسيطر العروبة ، وأن يحافظ على نقاء كل ما يتصل بالعرب من أمور ، وأن ينقّى كل ما ينتسب إليهم من أشياء ، وأن تقام حوله الأسوار والحصون تمنع عنه الأدناس غير العربية ، وفي ظلّ هذه النظرة بدأ الاهتمام باللغة العربية وتنقيتها وتخليصها من شوائب اللحن ، وإقامة القواعد لفصـاحتها وإعرابها وتصاريفها[٩٥] . ومع التسليم ببعض ما جاء في الكلام السابق فإنّه من الضروري الاحتراز من إطلاق الأحكام ، لأن الدافع الديني كان مسيطراً على جواء العلم في عصر التدوين سيطرة كبيرة ، فالناس حديثو عهد بالإسلام ، وعلى الرغم مما يقال عن

(٩٣) انظر : الصـالح ، دراسـات في فقـه اللغـة ، ص١٢٧ ، وفك ، العربية ، ص٨٤ ـ ٨٦ .

(٩٤) انظر : ظاظا ، اللسان والإنسان ، ص١١٩ .

(٩٥) نصّار ، د . حسين ، المعجم العربي ، ١/ ٢٠ .

الصراع بين العرب والموالي في عصر بني أمية ، فإن الفئات العليا من الموالي توسّلت بالعربية كي تحتل مكانة مرموقة في المجتمع . ومن هنا نرى أن العصبية العربية أسهمت في تشكيل المعيارية ضمن مجموعة من العوامل التي لم تكن تلك العصبية أقواها .

٤ـ مصنّفات اللحن والتطور الدلالي :

مر بنا في الفقره السابقة أن العربية الفصحى المشتركة استوت واطردت بما اجتمع لها في الجزيرة العربية من ظروف مكّنت العربي من أن يكون على قدر كبير من العزلة عن الأمم المجاروة ، ولذلك رأينا العربي ينطق لغته بالسجية ويتداولها بالسليقة حتى كان الاختلاط بعد الفتح ، حين انتقل العرب إلى المدائن ومصّرت الأمصار ، ودخل في الدين أخلاط الأمم، فوقع الخلل في الكلام ، وبدأ اللحن على ألسنة الناس[٩٦]. فاللحن لم يتّسع ، ويغدو ظاهرة عامة إلا بعد الفتح واختلاط العرب بالأعاجم . أما ما روي عن وجود اللحن قبل الإسلام ، وفي وقت ظهوره بوصفه جائزاً حتى من سادة العرب وأشرافهم ، فليس مما يركن إليه الدارس ولا سيّما إذا أريد له أن يكون دليلاً على اتهام الجاهليين ومتقدّمي الإسلاميين باللحن والخطأ الذي يوجب الحيطة والاحتراس من اتخاذهم حجة في اللغة[٩٧] . وإنّ ما نرتضيه في هذا الجانب هو أنّ الظاهرة الأولى للّحن قبل الإسلام ، وفي عصر النبوة ، ليست إلا أمثلة محدودة لا تمكن الدارس من أن يستند إليها في تبنّي حكم قاطع حول شيوع اللحن واتساعه . وإذا ما صحّت

---

(٩٦) انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١٦٣/١ ، والزبيدي ، لحن العوام ، ص٤ .

(٩٧) انظر : حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٧٩ ـ ٨٠ .

الأخبار حول اللحن في أيام الرسول ﷺ ، وما نسب إليه من أحاديث حول ذلك ، فهي إذن بداية خفيفة ، لا ظاهرة مطردة . وعلى الرغم من أنّ بعض الأحاديث والآثار التي نقلت عن الصحابة يذكر فيها « اللحن » صريحاً بدلالته الاصطلاحية ، فإنّ أخباراً أخرى رويت بعد ذلك – وعن بعض الصحابة – تدلّ على أنّ دلالة « اللحن » على الخطأ اللغوي لم تكن معروفة معرفة واضحة[٩٨] . ولذلك نرى بعض الدارسين يوهّنون الأحاديث والأخبار التي جرى ذكر اللحن فيها صريحاً[٩٩] .

ومن أجل ذلك نرى بعض الدارسين يذهبون إلى أنّ تحديد الزمن الذي تمّ فيه نقل دلالة لحن إلى معنى الخطأ في الكلام تكتنفه صعوبات جمّة ، بسبب اختلاف الروايات ونقص الأدلة على ذلك[١٠٠] . ومع ذلك نرى صبحي الصالح يجتهد في تحديد دلالة اللحن بمعنى مخالفة التعبير الصحيح حين استبعد أن يكون اللحن قد عرف لدى العرب قبل اختلاطهم بالأعاجم، **«فاللحن لم يكتسب هذا المدلول الخاص إلا في وقت** متأخر بعد أن تعارف الناس على تغيير معناه اللغوي الأصلي »[١٠١] ، ولذلك نجده ينفي أن يكون الرسول قد استعمله بمعنى الخطأ في اللغة ، أو

---

(٩٨) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة لحن ، ٣٧٩/١٣ – ٣٨٣ .

(٩٩) انظر : فك ، العربية ، ص٨٤ – ٨٦ ، والصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص١٢٧ – ١٢٨ ، والأفغاني ، في أصول النحو ، ص٧ ، وقارن بالسيوطي ، المزهر ، ٣٩٦/٢ – ٣٩٧ ، وفيه بعض الأحاديث التي يذكر فيها اللحن بمعنى الخطأ في اللغة ، وهي مستمدة من أبي الطيب اللغوي في مراتب النحويين ، وانظر ما يماثل ذلك في الخصائص ٨/٢ ، ٢٤٦/٣ .

(١٠٠) انظر : فك ، العربية ، ص٢٥٤ .

(١٠١) الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص١٢٧ – ١٢٨ .

أنه حضّ على قراءة القرآن بالإعراب .

ومهما يكن من أمر فإنّ الدارس يجد في قصة أبي الأسود الدؤلي مع الإمام عليّ حين شكا له لحن ابنته ، وما سمعه من لحن الناس ، ما يدلّ على اتساع اللحن ، وصدوره عن العرب والأعاجم ، مما حدا العلماء على تدوين اللغة واستنباط القواعد التي تصون الألسنة من الخطأ[١٠٢] . واستناداً إلى ذلك يمكن أن نعدّ هذه البداية منطلقاً لتحويل دلالة لفظ لحن إلى معنى الخطأ في الكلام . أما في عصر بني أمية فإنّ الروايات تجمع على أنّ اللحن بدأ يتطرّق إلى بعض الخلفاء والأمراء ، بل إلى بعض البلغاء المعروفين . ومن الملاحظ أنّ بني أميّة كانوا متشدّدين في أمر اللحن ، وقد نقلت عن معظم خلفائهم أخبار كثيرة تدلّ على ذلك[١٠٣] . وإذا ما تجاوزنا المئة الأولى للهجرة وبلغنا صدر المئة الثاينة وجدنا الحكم ينتقل إلى بني العبّاس الذين اتخذوا إقليم العراق قاعدة لهم . وبالنظر إلى الظروف التي رافقت دعوتهم ، ومن ثمّ انبثاق دولتهم نجد الأسباب مهيّأة للتخفيف من العصبية العربية التي استند إليها بنو أمية ، ولأتاحة الفرص للاختلاط الواسع بالموالي . ولا شك في أن هذا الاختلاط قاد إلى اتساع اللحن وشيوعه في العراق خاصة[١٠٤] .

ومن هنا نقف عند بداية التصنيف في اللحن التي كانت في إقليم العراق الذي شهد من الاختلاط ما شهد ، وفي هذا القرن – الثاني الهجري – الذي برز فيه أعلام المصرين : البصرة والكوفة ، من النحاة

---

(١٠٢) انظر : ضيف ، د . شوقي ، المدارس النحوية ، ص١٣ – ١٧ .

(١٠٣) انظر : الجاحظ البيان والتبين ، ٢/٢١٠ – ٢٢٤ ، وابن الأنباري ، الأضداد ، ص٢٣٨ – ٢٤٦ (مادة لحن) .

(١٠٤) انظر : البيان والتبين ، ١/١٦٢ – ١٦٤ .

واللغويين . وإذا ما صحت نسبة كتاب « ما تلحن فيه العوام » للكسائي (ت١٨٩هـ) فإنّ في ذلك دليلاً على أنّ التأليف في موضوع اللحن كان مبكراً . ومن الممكن أن يعدّ بداية لحركة تنقية اللغة العربية التي اتسع مجالها فيما بعد . ولن يطول الزمن حتى نرى مصنّفات متعدّدة ظهرت في موضوع اللحن ، وهي لعلماء بعضهم يُعدّ في تلاميذ الكسائي ، كالفراء (ت٢٠٧) ، والأصمعي (ت٢١٦هـ) وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، وغيرهم من العلماء .

ومن الملاحظ أنّ التأليف في موضوع اللحن لم يبق محصوراً في العراق بل امتدّ في القرن الرابع وما تلاه إلى معظم الأقاليم العربية[١٠٥] .

---

(١٠٥) وصلتنا مجموعة من المصنّفات التي تبدأ من أواخر القرن الثاني للهجرة وتنتهي عند أواخر القرن العاشر . ويضمّ هذا الثبت أهمّ المصنفات المعتمدة للبحث مقرونة بأسماء مؤلفيها بحسب الترتيب الزمني لسنة الوفاة :

١ ـ ما تلحن فيه العوام للكسائي (ت١٨٩هـ) .
٢ ـ إصلاح المنطق لابن السكيت (ت٢٤٤هـ) .
٣ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) .
٤ ـ الفصيح لثعلب (ت٢٩١هـ) ، مع شرح الهروي (ت٤٣٣هـ) .
٥ ـ لحن العوام للزبيدي (ت٣٧٩هـ) .
٦ ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي (ت٥٠١هـ) .
٧ ـ درّة الغواص في أوهام الخواص للحريري (ت٥١٦هـ) .
٨ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد (ت٥٢١هـ)
٩ ـ شرح أدب الكاتب للجواليقي (ت٥٣٩هـ) .
١٠ ـ تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي .
١١ ـ المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي (ت٥٧٧هـ) .
١٢ ـ تقويم اللسان لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) .

ولا يعنينا في هذا المجال أن نؤرخ لحركة التصنيف في اللحن ، فذاك ميدان مستقل وقد بذلت فيه جهود قيّمة[١٠٦] .

ومن الملاحظ أنّ معظم المصنّفات اتجهت إلى الخاصة لتقويم لسانها وإبعادها عن التأثّر بالعامة ، فالباعث الأساسي على التأليف في اللحن هو ملاحظة المؤلف أنّ ما يقع فيه العامة من غلط قد وصل إلى الخاصة فتداولوه في كلامهم أو في تأليفهم ، وهو ما حمله على هذا الأمر صوناً للعربية وترفّعاً عن مجاراة العامة والدهماء[١٠٧] . أما الاتجاه إلى العامة لتقويم لسانها فلم يكن في مقاصد جل المؤلفين . ومن الضروري أن يشير ههنا إلى

= ١٣ ـ ذيل فصيح ثعلب للبغدادي (ت٦٢٩هـ) .
١٤ ـ الجمانة في إزالة الرطانة لابن الإمام (ت بعد ٨٢٧هـ) .
١٥ ـ التنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كما باشا (ت٩٤٠هـ) .
١٦ ـ بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي (ت٩٧١هـ) .
١٧ ـ شرح درّة الغواص للخفاجي (ت١٠٦٩هـ) .
١٨ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي .
وهناك مصنفات أخرى متأخرة معظم ما فيها مكرور أهمّها : دفع الإصر عن كلام أهل مصر للمغربي ، والقول المقتضب فيما وافق لغة مصر من لغات العرب لابن أبي السرور الصديقي .

(١٠٦) ينظر في هذا المجال كتاب عبد العزيز مطر ، إضافة إلى كتاب رمضان عبد التواب ، لحن العامة والتطوّر اللغوي ، ومقدّمات معظم المصنّفات التي كتبها المحقّقون المحدثون .

(١٠٧) انظر ما يدلّ على هذا الاتجاه نصّا في مقدّمات المصنّفات التالية : أدب الكاتب لابن قتيبة ، ص٥ ـ ٦ ، وتثقيف اللسان لابن مكي ، ص٤١ ـ ٤٧ ، ودرّة الغوّاص للحريري ، ص٢ ، وتقويم اللسان لابن الجوزي ، ص٧٤ ، وذيل الفصيح للبغدادي ، ص١٠٠ ، والتنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كال باشا ، ص٦ ـ ٧ ، وانظر أيضاً : مطر ، لحن العامة ، ص٥٥ .

أنّ بعض المؤلفين ذكروا نوعين من العامة ، عامة سفلى ، وأخرى علياً أو أولى . ولعل أخطاء الفئة الثانية من العامة هي التي أخذت طريقها إلى الخاصة . أمّا مايتّصل بالفئة الأولى من العامة وهي السفلى ، فقد أعرض عن ذكره معظم المصنّفين ، لأنّ أخطاءهم مما لا يعزب عمّن تمسّك بطرف من الفهم والعلم[١٠٨] .

وممّا يدلّ على اتجاه المصنّفين إلى إصلاح الفاسد من كلام الخاصة ، أنّ معظم المصنّفات كانت تهدف إلى تلقيح الجنان وتعليم البيان ، وذلك بإضافة أبواب مستقلة تضمّ تفسيراً لكثير ممّا يشكل على الناس تفسيره ، ونتفا مستملحة ، وأخرى من أمثلة يقاس عليها للاحتراز من الخطأ . ومن هنا نجد أنّ معظم المصنّفات المؤلّفة في اللحن ليست مقتصرة على أمثلة محدودة يجري تصحيحها ، بل تحوي إلى جانب ذلك موضوعات مهمّة ومفصّلة لدى بعض المصنّفين في التثقيف اللغوي وإعداد الكتّاب وتهذيب لغتهم .

أما أمثلة اللحن فهي تتوزّع على أنواع تضمّ مايتّصل بالأصوات والصرف والنحو والدلالة والإملاء . ويلاحظ من خلال النظر في المصنّفات التي اعتمدناها أنّ أمثلة اللحن في النحو قليلة بل نادرة ، وأنّ أمثلة اللحن في الأصوات قليلة أيضاً ، أمّا أمثلة اللحن في الصرف فهي التي تمثّل القسم الأكبر من الأمثلة ، ويليها ما يتصل بالدلالة من أمثلة ومسائل . وعلى أنّ بعض المصنّفات سعت إلى انتهاج تبويب معيّن لما بين أيدي المصنّفين من مادة ، نرى أمثلة اللحن المتعدّدة تفتقر إلى تصنيف دقيق .

---

(١٠٨) انظر : الزبيدي ، لحن العوام ، ص٧ ــ ٨ ، والجواليقي ، التكملة ، ص٤٢ ، وابن الجوزي ، تقويم اللسان ، ص٧٤ ، ومقدمة مطر لتقويم اللسان ، ص٤١ .

لقد تأكّد لنا من خلال ما قدّمنا أنّ القدماء عدوا كل تغير أو مخالفة للغة التي دوّنوها ضمن حدود معينة لحنا مهما كانت طبيعة ذلك التغيّر ، أوتلك المخالفة ، وبذلك نراهم وسّعوا من دائرة اللحن ، حتى غدت معظم المصطلحات الدالّة على التغيّر اللغوي تنضوي تحتها[١٠٩] . وعلى الرغم من أنّ علماء العربية القدامى تواضعوا على هذا الاتجاه في توسعة دائرة اللحن والخطأ ، نراه غير متفقين غالباً في وجهة نظرهم نحو الاستعمال اللغوي الصحيح الذي عدّوه معياراً للحكم على الخطأ والصواب .

ومن الأمور التي تذكر في هذا الصدد خلاف أهل المصرين : البصرة والكوفة أو المدرستين حول اعتماد بعض القبائل المقيمة في سواد الكوفة أساساً في الاحتجاج[١١٠] . ويؤكّد معظم الدارسين المحدثين تشدّد البصريين في المقياس الصوابي ، وتُروى في هذا المجال قصص كثيرة حول اعتداد البصريين ومن والاهم بصحة مذهبهم في القياس على « لسان العرب الأول » . أما خصومهم من الكوفيين فقد توسّعوا في قبول ما جاء به الأعراب وإن لم يكن مطّرداً ، كذلك لم يجدوا بأساً في عدّ الأعراب المجاورين للمدن حجة في اللغة . ولذلك اتهموا بأنهم قاسوا نحوهم على « لغى أشياخ قطربل »[١١١] .

أما أصحاب المصنّفات التي خصّصت لموضوع اللحن فقد تعدّدت آراؤهم في المقياس الصوابي ممّا قاد إلى مزيد من الخلاف . والمشكلة الرئيسة في هذا المقياس هي أنّ معيار القبول والرفض يرتبط أساساً بما سمع عن

(١٠٩) انظر : خليل ، د . حلمي ، المولّد ، ص٢٠٣ .

(١١٠) انظر : ضيف ، المدارس النحوية ، ص١٥٩ ــ ١٦٣ .

(١١١) انظر : فك ، العربية ، ص٧٠ .

العرب أو عن بعضهم ، أو ماسمّي لهجة من لهجاتهم ، وما يمكن أن يقاس عليه في حدوده الدنيا . فالخلاف يدور حول الاحتجاج بهذا الكلام الذي نسب إلى العرب أو رفضه لأنه قليل أو شاذ أو غيره أفصح منه .. وإنّنا نرى وراء ذلك سببين هما :

١ – تقيّدهم بالمعيارية « الحرفية » ، وتتمثّل في الوقوف عند معاني المفردات التي وردت في اللغة حتى نهاية عصر الاحتجاج .

٢ – عدم التفريق بين مستويات الكلام الفصيح ، وعدّ اللغة مستوى واحداً من الكلام الذي لم يتصوّروا إمكان التفاوت فيه . ولذلك نراهم يسلكون الشعر والنثر والقرآن وكلام الناس في حيّز واحد ، ويحتجّون بأمثلة تفتقر إلى الترتيب الزمني من جهة ، وإلى التدقيق في المستوى الذي تمتُّ إليه من جهة أخرى .

ومهما يكن من أمر فإنّنا نلاحظ وجود نزعتين متعارضتين في مصنّفات اللحن التي اعتمدناها ، وهاتان النزعتان هما : نزعة التشدّد في المقياس الصوابي ، واختيار الفصيح وحده . ونزعة التوسّع في المقياس ، والتخفّف من التخطئة بقبول ما جاء عن العرب من غير تدقيق في درجة الاحتجاج به . ويمثّل النزعة الأولى معظم المصنفين الأوائل ومن تابعهم من المتأخرين . فابن السكيت وابن قتيبة ، وثعلب ، والهروي ، والزبيدي ، والحريري ، والجواليقي ، وابن الجوزي ، وابن الإمام يمكن أن يعدّوا ممثّلين لهذا الاتجاه . ويبدو أنّ رأس هذا الاتجاه هو الأصمعي (ت٢١٦هـ) الذي دارت أقواله على ألسنة المصنّفين فدوّنوها واحتجّوا بها[١١٢] . وبالاضافة إلى

---

(١١٢) انظر : فلك ، ١٤٠ ومن الجدير بالذكر هنا أن ابن جنّي قد لاحظ تشدّد الأصمعي في مسائل متعددة من القياس ، انظر إشارته إلى ذلك في الخصائص ، ٣٦١/١ ، كما أن ردود ابن السيد في الاقتضاب قد وجّه معظمها إلى آراء الأصمعي .

تلاميذه الذين ساروا على نهجه من أمثال ابن السكيت وأبي حاتم السجستاني (ت٠٢٥٠هـ) نجد بعض المصادر تذكر أنّ له كتاباً في لحن العامة[١١٣] ﴾ وبإمكان الدارس أن يتابع هذه النزعة لدى ابن قتيبة الذي نسج على منوال ابن السكيت ، فضمّن كتابه « أدب الكاتب » معظم الأبواب التي وضعها ابن السكيت في كتابيه « الألفاظ » و« إصلاح المنطق » . والعجيب أنه لم يذكر له في كتابه فضله ولا سبقه مع وضوح أخذه من هذين الكتابين[١١٤] . كما يمكن أن نجد ذلك الاتجاه لدى ثعلب الذي يدلّ عنوان كتابه « الفصيح » على اختيار فصيح الكلام ، وفي ذلك يقول :

« فمنه – أي فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم – ما فيه لغة واحدة ، والناس على خلافها ، فأخبرنا بصواب ذلك ... ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن .. ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما وألفنا أبواباً .. »[١١٥] . ويمثل هذا الاتجاه في الأندلس والمغرب أبو بكر الزبيدي صاحب « لحن العوام » . وقد تبين لنا من دراسته أنّ الزبيدي يأخذ بالأفصح ، ويرفض ما عداه . ومن الجدير بالذكر أنّ عبد العزيز مطر لاحظ تشدد المقياس الصوابي لديه وربطه باتجاه الأصمعي وابن قتيبة وثعلب[١١٦] . ويتابع الحريري في « درّة الغوّاص » مذهب هؤلاء العلماء

---

(١١٣) انظر : مطر ، لحن العامة ، ص٥٩ .

(١١٤) انظر : ابن السكيت ، إصلاح المنطق ، مقدمة عبد السلام هارون ، ص١١ .

(١١٥) انظر هذا النص في : الهروي ، التلويح في شرح الفصيح ، ص٣ – ٤ .

(١١٦) انظر : مطر ، لحن العامة ، ص١٠٣ .

حين رفض القيـاس على الشـاذ والقليل ، غير أنّه نصّ أحياناً على تدرّج الاستعمال الفصيح ، ولم يتسرّع في تخطئة الاستعمال الذي له سند من السماع وان كان غير مطرد . ويرى فك في هذا الصدد أنّ « الحريري يمثّل مبدأ تنقية اللغة العربية المتزمّت والأخطاء التي يثيرها في درّة الغواص هي في أغلب الحالات الأخطـاء نفسها التي لا حظها ابن قتيبة قبل ذلك بقرنين ونصف قرن في كتابه : أدب الكاتب ، وهي محلّيات تسرّبت تدريجاً إلى لغة المثقفـين »[١١٧] . ويصف فك الحريري أيضـاً بأنه يمثّل مذهب اللغويين البصريين المتطرّف المتزمّت[١١٨] .

ويجدّد الجواليقي صاحب « تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة » ، و« شرح أدب الكاتب »[١١٩] اتجاه تنقية اللغة حين اختار الفصيح وحده ، وبثّ آراءه في مجموعة من تلاميذه في المدرسة النظامية ، وهو يصرّح في مقدمة كتابه بأنه اعتمد الفصيح من اللغات دون غيره « فإن ورد شيء مما منعته في بعض النوادر فمطّرح لقلّته ورداءته ، فقد أُخبرت عن الفراء أنه قال : واعلم أنّ كثيراً مما نهيتك عن الكلام به من شاذ اللغات ومستكره الكـــلام لو تـوسّـعت بـإجـازتـه لرخّصت لك أن تقـول : رأيت رجلان ... »[١٢٠] .

وقد سار على هذا النهج ابن الجوزي صاحب « تقويم اللسان » ، وهو تلميذ الجواليقي الذي اعتمد على قولة الفراء التي نقلها أستاذه . ولذلك نراه يصرّح بأنه « إن وجد لشيء مما نهيت عنه وجه فهو بعيد ، أو كان لغة

---

(١١٧) فك ، العربية ، ص٢٢٠ .

(١١٨) انظر : المصدر السابق ، ص٢٢٥ .

(١١٩) تجدر الإشارة إلى أننا تابعنا هذا الشرح وأثبتنا منه آراء متعدّدة .

(١٢٠) الجواليقي ، التكملة ، ص٥ .

فهي مهجورة ... »[١٢١] . ويبقى من أصحاب هذا الاتجاه مؤلفان أحدهما يدعى بابن الإمام الذي تقدّر المصادر بأنه توفي بعد سنة ٨٢٧هـ للهجرة ، والآخر هو ابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ للهجرة . فابن الإمام يجري على سنن ابن قتيبة ، ويذكر كثيراً من الأمثلة لمتقدّمي المصنّفين كالكسائي وابن السكيت . وقد تبيَّن لنا من دراسة الكتاب ، أي « الجمانة » أنّ المستوى الصوابي للمؤلف كان متشدّداً يميل إلى الفضيح وحده ، وينكر ما سواه . أمّا ابن كمال باشا فنراه يصف ما آلت إليه العربية لدى المتعلّمين والعامة ، ثم يذكر أنواع الغلط ودرجتها في القبول أو عدمه . ومن الملاحظ أنّ ابن كمال يتوسَع في قبول ما شاع لدى المصنّفين المتقدّمين في مؤلفاتهم من استعمال وإن لم يجوّزه أهل اللغة . أمّا ما لم يقف له على سند من احتجاج لغوي أواستعمال مدوّن فلم يقبله ، لأنه كما يقول : « لم يجوزه أحد ولم يستعمله إلا من لا خبرة له بالكلام »[١٢٢] .

أمّا أصحاب نزعة التوسع وقبول وجوه اللغة فهم فريقان ، أحدهما يقف عند المسموع عن العرب نصّاً ، وهو في هذا الأمر لا يختلف عن أصحاب نزعة التشدّد إلا في درجة الاحتجاج به . والآخر يخطو خطوة متقدّمة حين لم يقيّد الفصيح والجائز بالمسموع نصّاً عن العرب ، بل قبل ما جرى على سنن معيّنة من التطوّر ، كالتعميم والتخصيص ، والمجاز .

فابن مكي صاحب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » يميل إلى التوسّع في قبول ما نطقت به العامة ، وكان جارياً على لهجة عربية معروفة[١٢٣] . وقد يعترف ابن مكي أحياناً بأنّ ما أجازه ضعيف وأنّ غيره

---

(١٢١) ابن الجوزي ، تقويم اللسان ، ص٧٥ ــ ٧٦ .

(١٢٢) ابن كمال باشا ، التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ، ص٩ .

(١٢٣) انظر : مطر ، لحن العامة ، ص١٤٣ .

هو الأفصح . فهو يجيز أمثلة ردّها إلى لغة تميم مع أنّها ليست أفصح اللغتين ، ويذهب إلى اعتماد ما رواه الليث عن بعض العرب في قولهم : فِعيل بكسر الأول في فَعيل المفتوح وإن لم يكن فيه حرف حلق ، نحو كِثير بكسر الكاف(١٢٤) . ويجيز أمثلة أخرى يستند فيها إلى أنّها من المسموع عن العرب دون تحديد ، كذلك نراه يقبل الاحتجاج ببعض اللهجات المذمومة لدى اللغويين كفحفحة هذيل(١٢٥) . وبالمقابل نرى ابن مكي يرفض أيّ تطوّر في الاستعمال لاسند له من كلام العرب ، وإن كان له من الصواب حظّ ، أوجرت به أقلام المؤلّفين المتقدّمين من خاصة العلماء .

ويتناول ابن هشام اللخمي في ردّه على الزبيدي وابن مكي أمثلة متعدّدة كان الخلاف يدور حولها لأنّ ابن هشام رأى لها في الكلام المسموع حجة . وهو يصرّح بداية بمذهبه في التوسّع حين ينقل أقوالاً للأخفش الأكبر وللخليل وللكسائي، ويقول: « ومن اتّسع في كلام العرب ولغاتها لم يكد يلحّن أحداً . ولذلك قال أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد : أنحى الناس من لم يلحّن أحداً . وقال الخليل رحمه الله : لغة العرب أكثر من أن يلحن فيها متكلم ، وروى الفراء أنّ الكسائي قال : على ما سمعت من كلام العرب ليس أحد يلحن إلا القليل »(١٢٦) . وقد استخلصنا من تضاعيف كتاب ابن هشام نصوصاً كثيرة تدلّ على مذهبه في التوسّع ، فهو يقبل القليل(١٢٧) ، وما كان فيه لغتان(١٢٨) ، وما كان مستنداً إلى لغة

(١٢٤) انظر : المصدر السابق ، ص١٤٦ .

(١٢٥) انظر رأي ابن جني القائل بأنّ اتباع اللغة الرديئة ليس خطأً ، في الخصائص ، ١٢/٢ .

(١٢٦) ابن هشام ، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، ص٤٩ .

(١٢٧) انظر المصدر السابق ، ص٣٣ ، ٣٦ .

(١٢٨) المصدر السابق ، ص٣٥ ، ٧١ .

ضعيفة[١٢٩] ، وما اختلف فيه أهل اللغة[١٣٠] ، وما كان جائزاً على أصول الكوفيين[١٣١] . والخلاصة هي « إنما تلحّن العامة بما لم يتكلم به عربي »[١٣٢] .

ويصادفنا في القرن العاشر للهجرة اتجاه جديد هو في الحقيقة ثمرة للتوسّع في قبول اللهجات وعدم التدقيق في المسموع عن العرب . والاتجاه الجديد هذا يمثّل ردّاً للعامّي إلى الفصيح . فابن الحنبلي صاحب « بحر العوّام » يحاول دفع الإصر عن ذلك الجيل من العرب الذين أصابوا في كثير مما يعتقد الجاهل أوالناسي أنه من أغلاط عوام الناس[١٣٣] . ومن الطبيعي – بالنظر إلى هذا التوجّه – أن يكون المستوى الصوابي لدى ابن الحنبلي ميّالاً إلى التوسّع في قبول اللهجات مهما كانت درجة فصاحتها ، وهو يعدّ صحيحاً – بل فصيحا – ماكان لغة تستند إلى بيت مجهول القائل ، أو مثل لسنا ندري مصدره وزمانه . كذلك نراه يسوّغ أقوالاً متعدّدة ويصوّبها لأنّها جرت على عادة الناس . ومن الملاحظ أنّ ابن الحنبلي وظّف كثيراً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وغيرهم من العلماء لصالح تصويبه . ومعيار التصويب عنده هو أن يجد قولاً للغوي ، أو شاهداً لشاعر مهما كانت درجة الأقوال والشواهد من الاحتجاج[١٣٤] .

ويمثّل ابن السيد والبغدادي والخفاجي الفريق الثاني من أصحاب

---

(١٢٩) المصدر السابق ، ص٦٢

(١٣٠) المصدر السابق ، ص١٠٣ .

(١٣١) ابن هشام ، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، ص١٢٠ .

(١٣٢) المصدر نفسه ، ص٧١ ، وانظر : مطر ، لحن العامة ، ص١١٥ .

(١٣٣) انظر : ابن الحنبلي ، بحر العوام ، ص٩٦ .

(١٣٤) انظر المصدر السابق ، ص١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٤ .

نزعة التوسّع . وإنّ ما يميز هؤلاء عن سابقيهم من أصحاب النزعة نفسها ، هو أنهم أضافوا إلى اتجاههم في قبول وجوه اللغة من المسموع عن العرب إشارات إلى بعض السبل التي تسلكها اللغة في طريقها نحو التطوّر في المفردات ، ولا سيّما ما يتّصل بالمجاز .

فابن السيد صاحب « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » يلوم ابن قتيبة لأنّه تبع الأصمعي وجرى على نهجه في التشدّد . فالأصمعي — كما يقول ابن السيد — : « كان — عفا الله عنه — يتسرّع إلى تخطئة الناس ، وينكر أشياء كلها صحيح »[١٣٥] . وابن قتيبة يدخل في لحن العامة ما ليس منه لأنه يستند إلى أمثلة وردت فيها لغتان لا مزية لإحداهما على الأخرى ، ولأنه ينكر الشيء تارة ، ثم يجيزه تارة أخرى ، مما لا يعدّ أصلاً في لحن العامة[١٣٦] . أما ما يتّصل بالمجاز بوصفه أحد الطرق التي يستند إليها في تسويغ ما لحنت فيه العامة ، فالأمثلة عليه متعدّدة ، وبعضها يعتمد على ما عرف من سنن العرب في كلامها . ففي مسألة الفرق بين الفقير والمسكين نجد ابن السيد يردّ على من احتجّ بقوله تعالى : ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين ﴾[١٣٧] ، بأنّ قوله : لمساكين ليس فيه دليل بيّن على أنّها كانت ملكاً لهم ، إذ من الممكن أن ينسبها إليهم لأنّهم كانوا يتولّون أمرها أو يقومون بخدمتها ، كما تقول : هذه الدابة لفلان السائس فتنسبها إليه لأنه يخدمها ، لا لأنها ملك له . « والعرب تنسب الشيء إلى الشيء ليس هو له على الحقيقة إذا كانت بينهما ملابسة ومجاورة »[١٣٨] وفي تسمية العامة الخبزة

(١٣٥) ابن السيد ، الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، ص١٤١ .

(١٣٦) انظر : المصدر السابق ، ص٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ .

(١٣٧) الكهف ، آية : ٧٩ .

(١٣٨) ابن السيد ، الاقتضاب ، ص١١٤ .

ملّة يرى أنه « ليس يمتنع عندي أن تسمى الخبزة ملّة لأنها تطبخ في الملّة كما يسمى الشيء باسم الشيء إذا كان منه بسبب .. »[١٣٩] . وفي موضع آخر نراه يخلص إلى أنّ « كلام العرب أكثره مجاز وإشارة إلى المعاني ، ولذلك غمض كثير منه على من لم يتمهّر فيه »[١٤٠] . ومن الممكن للدارس أن يجد في هذا الرأي صدى لما ذهب إليه ابن جنّي في الخصائص من « أنّ أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة »[١٤١] ، غير أنّ توظيف هذا الرأي وغيره في قضايا تطوّر اللغة هو الذي يثير انتباه الدارس ، ولا سيّما ما يؤول منه إلى تحوّل أساسي في النظر إلى الاحتجاج .

وعلى الرغم من أنّ البغدادي صاحب « ذيل الفصيح » يتابع نهج الفصيح وما هو قريب منه ، نراه يخطو خطوات مهمّة باتجاه التوسّع ، وقبول التطوّر في دلالة المفردات . فالبغدادي يفصل أولاً بين مستويين ، الأول : ما قالت العرب مطلقاً من غير تحديد . والثاني : ما تستعمله العامة ، وبعض من تسرّب إليهم الغلط من الخاصة . ويتنبّه البغدادي في تضاعيف الأمثلة التي أوردها من لحن العامة إلى التطوّر ويسوّغه ، فهو عندما أورد عدداً من الأمثلة التي استعملها العرب من العامّ ، ثم خصّصتها العامة ، يقول : « قلت : هذا كلّه عامّ يجوز أن يخصّص ، وتخصيص العامّ ليس غلطاً »[١٤٢]. ثم يقول بعد أن سرد أمثلة أخرى: « أقول هذا أيضاً عامّ قد خصّصه الاستعمال »[١٤٣] . ويلجأ البغدادي إلى القياس لتسويغ بعض

(١٣٩) المصدر السابق ، ص١١٦ .

(١٤٠) المصدر السابق ، ص١٥٠ .

(١٤١) ابن جني ، الخصائص ، ٢/٤٤٧ .

(١٤٢) البغدادي ، ذيل الفصيح (ضمن كتاب الطرف الأدبية) ، ص١٠٣ ــ ١٠٤ .

(١٤٣) المصدر السابق ، ص١٠٤ .

أمثلة التطوّر من المفردات الجديدة صيغة ودلالة . ففي مسألة « استأهل » يقول : « أقول استعماله بمعنى الاستحقاق سائغ في القياس ، فيستأهل يستفعل من لفظ الأهل مثل يستأصل ويستأسد »[١٤٤] . كما يسوّغ أمثلة أخرى بما يخرج إليه الكلام من أغراض نفسية كالتفاؤل والتعظيم . ففي مسألة « قافلة » يرى أنّها تطلق على الذاهبة بطريق التفاؤل[١٤٥] . على الرغم من منع معظم اللغويين هذا الإطلاق ، لأنّ أصل دلالة قافلة من القفول ، فلا مسوّغ عندهم لتجاوز هذه الدلالة . كذلك يرى أنّه يقال للقائم إذا قعد جلس للتعظيم[١٤٦] . ويذهب البغدادي أيضاً إلى قبول قول العامة « فطرة » في صدقة الفطر ، لأنّ القياس لا يدفعه[١٤٧] .

أما الخفاجي صاحب « شرح درّة الغوّاص » فالمقياس الصوابي لديه واسع ، لأنّه أدخل في الاحتجاج ما سمع عن العرب دون تحديد ، وإن كان شاذّاً أو قليلاً أولغة لقبيلة من الأمثلة التي لم ترد في الفصيح ، ومنهجه في الردّ على الحريري يقوم على التجوّز ، وعلى عدم التسليم بما قاله المؤلف أصلاً ، ويكاد هذا المنهج يكون عامّا . ولذلك قلّ أن نجد مسألة وافق فيها الخفاجي المؤلف . أما المسائل التي لم يتعرّض لها فيبدو أنه لم يجد فيها دليلاً يردّ به على المؤلف[١٤٨] .

والخفاجي – حين يورد الشواهد المتعدّدة – معنيّ بتوجيهها إلى مقاصده في عدم التسليم لما احتجّ به الحريري ، ولذلك نراه يفتح باب

---

(١٤٤) المصدر السابق ، ص١٠٦ .

(١٤٥) البغدادي ، ذيل الفصيح ، ص١٠٧ .

(١٤٦) ، (١٤٧) انظر : المصدر نفسه ، ص١٠٨ .

(١٤٨) انظر درّة الغوّاص ، ص١١ ، وقارن بشرح الخفاجي ، ص٣٩ – ٤١ .

التجوزّ . ومن هذا الباب أنّه يسعى إلى طمس الفروق بين كلمة وأخرى حين تقترب دلالة إحداهما من الأخرى ، ويعدّ ذلك من الترادف ، كما أنه يرى أنّ باب التأويل واسع[١٤٩] . أما المجاز فقد استند إليه كثيراً . وعلى الرغم من أنّه يميل إلى السماع ويعدّه أصلاً ، نراه يلجأ إلى القياس إذا ما أعوزه الدليل السماعي[١٥٠] . وثمة رأي للخفاجي على قدر كبير من الأهمية ، وهو قوله في معرض ردّه على الحريري في مسألة تعريف « كافة » : « ومثاله ما نحن فيه فإنّ كافة ورد عن العرب بمعنى الجميع لكنّهم استعملوه منكّراً منصوباً ، وفي الناس خاصة ، ومقتضى الوضع أن لا يلزمه ما ذكر فيستعمل كما استعمل جميعاً معرّفاً ومنكّراً بوجوه الإعراب في الناس وغيرهم ، والظاهر الجواز ، لأنا لو اقتصرنا في الألفاظ على ما استعملته العرب العاربة والمستعربة حجرنا الواسع وعسر التكلّم بالعربية على من بعدهم .. »[١٥١] .

ويبدو للدارس أنّ الخفاجي يريد أن يجيز كلّ شيء ، على الرغم من أنّ الحريري لم يخطّئ جميع ما رواه من كلام الناس ، بل نصّ في مواضع متعدّدة على تدرّج الاستعمال المقبول من فصيح عال ، وآخر جائز لا يكون صاحبه مخطئاً ، بل مقصّراً عن الفصيح .

تبيّن لنا من خلال ما قدّمنا في الفقرات السابقة أنّ الذين ألّفوا في لحن العامة لم يقصدوا أن يسجّلوا لنا شيئاً من مظاهر تطوّر اللغة بوصفه موضوعاً للدرس ، بل كان همّهم هو إعادة الخارجين على الفصحى إلى

---

(١٤٩) انظر : الخفاجي ، شرح درّة الغوّاص ، ص٥٧ ، ٨٩ ، ١٥٢ .

(١٥٠) انظر : المصدر السابق ، ص٥١ .

(١٥١) المصدر السابق ، ص٧٠ .

المستوى الصوابي . وبإمكان الدارس أن يتابع هذا التوجّه لدى المصنّفين جميعاً ، سواء أكانوا متشدّدين ، أم كانوا متوسّعين في معيار الخطأ والصواب ، ومن الملاحظ أنّ المصنّفين قد عدّوا كلّ تغيّر أو مخالفة أو انحراف عن مستوى الفصيح الصحيح لحناً مهما كان نوع التغيّر أو مجاله . فالتغيُّرات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية تنضوي تحت مصطلح « اللحن » الذي يرجّح بعض الدارسين أنه كان يدلّ بداية على التغيّر الصوتي ، ثم توسّعت دلالته فشمل مظاهر التغيّر اللغوي جميعاً(١٥٢) .

كما يلاحظ أنّ بعض المصنّفين لم يفرّق بين اللحن والمولّد جرياً على رأي معظم اللغويين الذين جعلوا جميع مظاهر التغيّر من المولّد بما في ذلك اللحن حيناً ، وعدّوا المولّد نوعاً من اللحن حيناً آخر(١٥٣) . ومع ذلك نفترض أنّ مظاهر المولّد صادفت قبولاً لدى اللغويين لأنها كانت تلبّي حاجة لدى الدوائر العليا من الناس الذين كانوا على قدر كبير من العلم باللغة ، ولأنّ المولّد يتّصل بتغيّر الدلالة الذي يتدرّج ظهوره ويسارع إلى الانضمام إلى رصيد اللغة . ومن الممكن أن نفترض أيضاً أنّ المولّد كان نوعاً من التطوير الواعي ، ولا سيّما في مصطلحات العلوم الجديدة التي لم ينكر أحد تطور دلالاتها ، واستخدامها في التأليف . ويعدّ في هذا المصطلحات حدود المنطق وتعريفاته ، ومفهومات الفلسفة والكلام ، إضافة إلى مصطلحات العلوم العربية من نحو ولغة وعروض وبلاغة وغير ذلك .

أما اللحن فهو ظاهرة انبثقت لدى العامة الذين لا يحرصون على

---

(١٥٢) انظر : حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص١١ ــ ١٢ ، والصالح دراسات في فقه اللغة ، ص١٢٨ .

(١٥٣) انظر : خليل ، د . حلمي ، المولّد ، ص١٩٣ ، ٢٠٣ ، وانظر أيضاً : نصّار ، المعجم العربي ، ٩٦/١ .

سلامة التعبير أو فصاحته ، وهم الناس الذين لم يتلقّوا تعلماً صارماً على أيدي العلماء والمؤدّبين . ويبدو أن إهمال الإعراب وتجاوز القواعد الصرفية ، وكثرة الإبدالات الصوتية جعل العلماء يتنبّهون إلى مخالفة اللحن للعربية الفصحى مخالفة تهدّد كيانها في الصميم . ومن الملاحظ أن معظم أمثلة اللحن هي مما يتخاطب به الناس في حياتهم . وقد تضافرت عوامل كثيرة على الاتساع في اللحن لدى هؤلاء إلى أن ظهرت اللهجات العامية الدارجة .

ونشير استكمالاً لبيان العلاقة بين اللحن والمولّد إلى أنّ يوهان فك صاحب المصنّف المتميّز « العربية » ضمّ مظاهر اللحن المختلفة إلى ما أسماه « العربية المولّدة » . فهو يرى أن حملة الحريري على اللحن في « درّة الغوّاص » لم تحتدم تجاه أخطاء متفرّقة من الحماقات اللغوية ، أو الاستعمالات الشعبية ، بل هي موجّهة إلى روح العربية المولّدة على الإطلاق[١٥٤] .

وإننا ، مع تقديرنا جهد فك ، نرى أنه بالغ كثيراً في رسم صورة العربية المولّدة . فالناظر في كتابه يخال أنّ العربية الفصحى قد هزمت أمام لغة جديدة ، هي العربية المولّدة . والأمر عندنا ليس كذلك لأن جميع المظاهر التي حشدها فك من اللحن والعامي والأخطاء العامة والضرورات وما شاكلها لا يمكن أن تلتئم في نسق واحد يشكّل لنا عربية مولدة[١٥٥] . فالعربية المولّدة كما نرى ليست إلا تيّاراً داخل العربية الفصحى جدّد شبابها ، وأمدّها بطاقات غنيّة استطاعت الفصحى بها أن تواكب ركب الحضارة ، وأن تكون لغة العلم والفلسفة والمنطق والطبّ والفلك وغيرها من

---

(١٥٤) انظر : فك ، العربية ، ص٢٣٥ .

(١٥٥) انظر : خليل ، المولّد ، ص١٩٤

العلوم الجديدة ، إضافة إلى استيعابها مصطلحات العلوم العربية وفنونها المحدثة . والسمات التي نراها للعربية المولّدة تتمثّل في أسلوب لغوي من أساليب القول الفنية ، وتطوّر واسع في دلالات المفردات ، واستحداث مصطلحات جديدة ، وتوسّع في قبول الدخيل ولا سيّما في المصنّفات غير الأدبية . ولا يعني الإقرار بهذه السمات أن العربية الفصحى « الكلاسية » انتهى أمرها وغلبتها العربية المولّدة . وإنما كان لكل منهما تيار يسير فيه . وليس أدلّ على ذلك من أن بعض الشعراء جمع الأسلوبين القديم والمولّد في شعره . فأبو نواس مثلاً استخدم الفصيح القديم في أداء موضوعات تضمن له رضا الخليفة ، واستحسان العلماء المقرّبين إليه ، على حين أنه استخدم المولّد المحدث في الموضوعات التي يعبّر بها عن ذاته ولهوه .

وعلى الرغم من تفهّم فلك لخصائص العربية ، ودوافع العلماء إلى تبنّي المعيارية ، نراه قد جعل مظاهر التغير كلها في مستوى واحد ، مما أبعده عن التفريق بين المولّد بوصفه رافداً للفصحى ، والعامي الذي يختلف عن الفصحى اختلافاً بيّناً ولا سيّما ما يتعلّق بالإعراب والصرف .

ويتابع حلمي خليل هذه المسألة حين يتصدّى لتأريخ المولّد ودرسه . وإنّنا نتّفق معه حين انتهى إلى الفريق بين اللحن من جهة ، والتوليد من جهة أخرى ، وكلاهما يتّصل بالتغيّر اللغوي . فالمولّد لدى حلمي خليل قريب الدلالة من التطوّر الدلالي الذي يتّصل بالمفردات . « فالتوليد هو تغيّر لغوي لا شكّ في ذلك ، ولكن ليس كلّ تغيّر لغوي توليداً ، ذلك لأنّ التغيّر اللغوي يشمل البنية اللغوية في جوانبها الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو الدلالية أو فيها جميعاً ، بينما التوليد يتّجه أساساً إلى التغيّر الدلالي وحده .. ولكنّه مع ذلك يأخذ في اعتباره التغيّرات الاشتقاقية والتركيبية بما

لها من اتصال مباشر في إعطاء اللفظ أو التركيب دلالة جديدة لم تعرفها العربية القديمة . وعلى ذلك فالمولّد هو جزء من التغيّر اللغوي وليس العكس »[١٥٦] .

ونجد في زاوية أخرى ما يتّصل بتقويم اللحن في ضوء بعض الآراء . فرمضان عبد التواب يرى أنّ ما عدّه اللغويون لحناً وخطأً يعدّ تطوّراً ونموّاً من وجهة علم اللغة الحديث[١٥٧] . كذلك نجد كمال بشر يلوم علماء العربية القدامى لأنهم نظروا إلى « التطوّر الذي أصاب العربية العربية حينئذ كما لو كان ضرباً كما لو كان ضرباً من الخطأ والانحراف يجب طرحه وإهماله .. وهذا المسلك مسلك غير محمود من وجهة النظر العلمية ، إذ هم بفعلتهم هذه قد أوصدوا أبواب البحث في وجه الدارسين من بعدهم . وهكذا ظلّت العربية تتغيّر وتتطوّر دون أن يسجّل هذا التطوّر أو أن يلتفت إليه أحد من الناس »[١٥٨] . أما أصحاب مصنّفات اللحن فهم – كما يرى كمال بشر – تناولوا هذا « التطور » بالدرس والمناقشة ، ولكن لا على أنه تطوّر أو تغيّر ، وإنّما بوصفه لحناً وخطأً[١٥٩] .

وكذلك يرى بعض الدارسين في سياق تلك المصنّفات أمراً غير سويّ إذ تتحدّث عن اللحن والخطأ ، ساعية إلى إعادة المتجاوزين إلى جادة الصواب[١٦٠] . فتمّام حسّان يحمّل اللغويين القدامى وزر التقصير في

(١٥٦) خليل ، المولّد ، ص١٩٤ – ١٩٥ .
(١٥٧) انظر : عبد التواب ، لحن العامة والتطور اللغوي ، ص٣٣ .
(١٥٨) بشر ، دراسات في علم اللغة ، ١٢٨/٢ .
(١٥٩) انظر : المصدر السابق ، ١٢٧/٢ – ١٢٨ .
(١٦٠) انظر مناقشة لبعض الآراء حول هذه الوجهة في : الداية ، علم الدلالة العربي ، ص٢٥٢ – ٢٥٣ .

تسجيل التطوّر ، لأنهم انطلقوا من معيار الخطأ والصواب ، « ولم تكن الموجة التي سمّوها شيوع اللحن في صدر الإسلام إلا واحدة من هذه الموجات التي التقى العرب فيها بالمتكلّمين بلغات أجنبية ، وأغلب الظن أنّ هذه الموجة لو لم تدفع العرب إلى دراسة اللغة في ذلك العصر لكانت اللغة العربية التي ندرسها الآن على صورة أخرى أحدث عهداً في التاريخ ، ولكانت مصادر قواعدها أشعاراً يمنعون الآن الاحتجاج بها في النحو واللغة »[١٦١] . ويبدو أنّ خلوّ العربية من التطوّر المسجّل أو المعترف به جعل بعض المستشرقين يوجّهون نقدهم إلى العلماء القدامى لأنهم لم يعتنوا الاعتناء الكافي بالكشف عن تطوّر اللغة بعد الإسلام . وإنّ الذي منعهم من ذلك – كما يقول برغشتراسر (Bergsträsser) – مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضدّه وعلى تخطئة كثير من العبارات[١٦٢] .

وأيّا ما كانت هذه الآراء التي ترى في مظاهر اللحن كلها تطوّراً ، وتلك التي ترى تقصير العلماء في تدوين التطوّر المعترف به ، فإنّنا ننطلق في النظر إلى مظاهر اللحن من المحافظة على العربية الفصحى ، وعلى الأخذ بالتطوّر الدلالي الذي تحرسه القواعد المعيارية . وبإمكاننا أن نحدّد أهمّ الأسس التي يقوم عليها منهجنا في تحليل الأمثلة التي عددناها في التطور الدلالي . وتتلخّص هذه الأسس في[١٦٣] :

١ – الاحتراز من تطبيق قوانين التطوّر المقبول على أنظمة العربية

---

(١٦١) حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص٧٤ ، وانظر : ص١٧٥ .

(١٦٢) انظر : برغشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، ص٢٠٤ – ٢٠٥ ، وانظر أيضاً : عبد التواب ، لحن العامة والتطوّر اللغوي ، ص٣١ .

(١٦٣) انظر بعض نقاط الالتقاء بين منهجنا ومنهج عبد العزيز مطر في لحن العامة ، ص٥٠ – ٥١ ، وكمال بشر في دراسات في علم اللغة ، ١٢٦/٢ – ١٢٧ .

الصوتية والصرفية والنحوية ، ولا سيّما ما يتّصل بالمبادئ الأساسية التي تمثّل ثبات أصوات الفصحى ، وانتظام قواعد الإعراب ، وتركيب الجملة ، واستقرار القواعد الصرفية . ولا شك في أنّ قدرات كبرى تكمن في قواعد النحو والصرف ، ممّا يبعدها عما يُتوهّم من قصور ، لأنّ قواعد الجملة لا تقدّم كمّاً محدوداً من الجمل والتراكيب إن خرج عنه المتكلّم غدا مخطئاً ، بل تقدّم أساليب متعدّدة لنظم الكلام ، وللمتكلّم أن يختار من بينها ما يلائم غرضه ومستوى كلامه . كذلك تتّصف قواعد الصرف العربية بالحيوية الاشتقاقية مما ينأى بها عن الجمود . ومن الملاحظ أنّ كثيراً من الإمكانات الاشتقاقية القياسية لم تستوف في جميع الصيغ . وهذه الإمكانات تتيح المجال للصوغ القياسي لأصول لم تُدوّن جميع اشتقاقاتها . ومن المفيد في هذا المجال الاهتداء بما سنّته مجامع اللغة العربية في هذا العصر من طرق الاشتقاق والتعريب والتوليد والنحت وغيرها .

٢ ــ استشارة المعاجم القديمة في كلّ ما يتصل بالتطوّر ، لأنّ هذه المعاجم تمثّل الأصول الاحتجاجية للتدوين . ولا شكّ في أنّ الرجوع إلى المعاجم العربية التي امتدّت على مدى زمني طويل يحلّ كثيراً من الإشكالات التي تعترض سبيل الدارس الذي يتصدّى لبحث التطور . ومن الممكن أيضاً أن تستشار المعاجم التي تابعت بعض جوانب التطوّر ، كمعاجم المصطلحات المتنوّعة ، وبعض المصنّفات الموسوعية . وسوف يتبيّن الدارس أنّ قسماً ممّا عُدّ في اللحن له نظائر في المعاجم ، ويسهل ردّه إلى السماع وإن اختلفت درجته . ويبدو أنّ سبب ورود هذا النوع من الأمثلة هو نقص الاستقراء ، أو قصر المستوى الصوابي على وجه من الوجوه الفصيحة . ولذلك كلّه نرى أنّ استشارة المعاجم تعيننا على تفسير بعض الأمثلة أو الحكم عليها بالإجازة أو الرفض إن شئنا .

٣ ـ التفريق بين مستويات الكلام الفصيح . وتظهر أهمية هذا التفريق حين نجد أنّ علماء العربية القدامى أغفلوا الفروق التي لا بدّ من أن تلاحظ بين مستوى من الكلام وآخر . ولقد مرّ بنا في تضاعيف هذا البحث أنّهم حين تصدّوا للحكم على صواب الاستعمال أوخطئه ، راحوا يسلكون الشعر والنثر والقرآن ، وكلام الناس في حيّز واحد .

٤ ـ تخصيص الجوانب المتعلّقة بالمفردات لدراسة التطوّر الدلالي وفق مناهج علم الدلالة الحديث (Lasémantique) ونحْن نرى في هذا المجال أنّه كان بإمكان اللغويين القدامى إخراج هذه الجوانب من نطاق المعيارية أصلاً ، لأنّ الدلالة تنافي مبدأ الاستقرار بسبب قابليتها للتأثر بالزمن وتطور المجتمع ، وجوانبه الحضارية المتعددة . ومن الطبيعي أننا في هذه الجوانب نقبل من الدلالات الجديدة كلّ ما وافق خصائص العربية الفصحى من حيث الصيغ التي تبنى على قياس من أقيسة العربية ، أو تلك التي تمتّ إلى قواعد التعريب ، وإن لم تستعملها العرب(١٦٤) .

وتتضمّن دراسة الجوانب الدلالية المحاور التالية :

آ ـ العلاقة بين اللفظ والمعنى . وتتمّ دراسة هذه العلاقة في ضوء المواضعة والاصطلاح الذي يتعرّض لكثير من التغييرات الناتجة عن ظروف الجماعة اللغوية . وسوف تدرس الأشكال التي تبدو فيها هذه الدلالة ، وأهمّها : الترادف والاشتراك والتضاد والفروق ، وما يمكن أن يستخلص منها من تطوّر دلالي . وهناك وقفة عند الجوانب الدلالية في الأبنية والأوزان وما يتّصل بالاشتقاق والثروة اللفظية .

---

(١٦٤) انظر آراء محمد المبارك في مسألة اللحن والأخطاء الشائعة في : فقه اللغة وخصائص العربية ، ص٣٢٤ ـ ٣٣٩ .

ب – التطوّر الدلالي في معاني المفردات، ويضمّ مجالين أساسيّين هما : ١ – التطوّر ضمن المحسوسات ويتّصل به ما يتعلّق بالأصل الحسي للدلالة . ٢ – التطوّر من المعنى الحسي إلى الذهني المجرّد . ومن الملاحظ أن دراسي الدلالة المحدثين تبينوا أنّ المعنى يبدأ حسيّاً مرتبطاً بالبيئة ، ثم يتّسع ضمن محسوسات أخرى عن طريق المشابهة أو المجاورة أو الانتقال من مجال إلى آخر لأسباب متنوعة متشابكة يصعب على الدارس حصرها ، ويمكن أن تدرس ضمن حدود الأمثلة التي تتّصل بها . أمّا التطوّر من الحسي إلى المجرّد فيمثّل مرحلة متقدّمة للنموّ اللغوي الذي يواكب تطوّر المجتمع والحضارة ، وما يثيره من نشاط عقلي متنوّع ، فيغدو للغة مجال للانتقال من الدلالة على الحسيّ إلى الذهنيّ المجرد . ومن الملاحظ أن هذا السبيل من سبل التطور يتسع وتتضاعف خطورته في المراحل المهمّة من حياة اللغة لما فيها من تطور في العلوم والثقافة .

ج – المجاز والاستعارة: ذهب كثير من علماء المعاني والنقاد المحدثين إلى أن المجاز والاستعارة قطبا التطور الدلالي ، وأنهما طريقان مهمّان لإنشاء المصطلحات ، وإطلاق التسميات ، وبإمكان الدارس أن يحدّد الجانب الذي يمسّ اللغة من المجاز الذي يمثّل حقلاً درسياً تشترك فيه علوم اللغة والبلاغة ، والنقد والأسلوبية . ويضمّ هذا الجانب قضايا بلى المجاز ، وتحوّل الاستعارة إلى تعبير لغوي خال من الإثارة الانفعالية . ويضمّ أيضاً صور المجاز المرسل ، وعلاقاته المعروفة ، ولا سيّما المجاورة والجزئية والكلية . ويضمّ كذلك استعارات مستمدّة من أعضاء الجسم والكون والطبيعة .

وفي ضوء علم الدلالة الحديث ، والمناهج اللسانية عامة ، ومع مراعاة خصائص الفصحى ومعياريتها ، يمكن أن ينظر إلى مصنّفات اللحن

نظرة جديدة لا إفراط فيها ولا تفريط . فاختيارنا المنهجي في هذا البحث يمثّل وسطاً بين موقف الجمود المانع من التغيّر ، والوقوف عند الأمثلة المنقولة نصّاً من المعاجم والكتب اللغوية من جهة . وموقف الخروج على قواعد اللغة وأصول دلالاتها ، وأنظمتها الأساسية من جهة أخرى . ولاشكّ في أنّ هذا النظر يؤول إلى الإفادة من تطوّر الدلالة للكشف عن المراحل الزمنية التي تلت عصر الاحتجاج ، وما لها من ارتباط بالبيئة والمجتمع ، وما يتّصل بهما من عوامل التطوّر اللغوي .

المصادر والمراجع

- ابن أبي السرور : القول المقتضب فيما وافق لغة مصر من لغات العرب ، تحقيق إبراهيم سالم ، مراجعة إبراهيم الأبياري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ت .
- ابن الإمام : الحمانة في إزالة الرطانة ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٣م .
- ابن الأنباري : كتاب الأضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دائرة المطبوعات والنشر « سلسلة التراث العربي » ، الكويت ، ١٩٦٠م .
- ابن جنّي : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى بيروت ، د .ت .
- ابن الجوزي : تقويم اللسان ، تحقيق عبد العزيز مطر ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- ابن الحنبلي : بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مجلة المجمع العربي ، المجلد /١٥/ لعام ١٩٣٧م .
- ابن خلدون : المقدّمة ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، د . ت .
- ابن السكيت : إصلاح المنطق ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ط . ثانية ، ١٩٥٦م .
- ابن السيد : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، تصحيح عبد الله أفندي البستاني ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٩٠١م .

- ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- ابن كمال باشا : التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ، تحقيق المغربي ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٤٤هـ .
- ابن مكي : تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق عبد العزيز مطر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
- ابن هشام اللخمي : المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، تحقيق عبد العزيز مطر ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٨١م .
- الأزهري : تهذيب اللغة ، الجزء الأول ، تحقيق عبد السلام هارون ، مراجعة محمد علي النجار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- الأفغاني ، سعيد : في أصول النحو ، دار الفكر ، د . ت .
- أنيس ، د . إبراهيم : من أسرار اللغة ، القاهرة ، ١٩٥٠م .

  في اللهجات العربية ، القاهرة ، ط . ثانية ، ١٩٥٢م .

  دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط . ثانية ، ١٩٦٣م .
- أيوب ، د . عبد الرحمن : اللغة والتطوّر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدولة العربية ، ١٩٦٩م .
- باي ، ماريو : لغات البشر ، ترجمة صلاح العربي ، قسم النشر بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
- برغشتراسر : التطوّر النحوي للغة العربية ، نشر رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٢م .
- بشر ، د . كمال : دراسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م .
- البغدادي : ذيل الفصيح ، تصحيح بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة مصر ، ١٩٠٧م .
- ثعلب : الفصيح ، تصحيح بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٠٧م .
- الجاحظ : البيان والتبين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ومكتبة الهلال ببيروت ، والمكتب العربي بالكويت ، ط . ثالثة ، ١٩٦٨م .
- الجواليقي : تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مطبوعات

المجمع العلمي العربي ، دمشق ، د . ت .
شرح أدب الكاتب ، تقديم مصطفى صادق الرافعي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٠٠هـ .
– حجازي ، د . محمود فهمي : علم اللغة العربية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٣م .
– الحريري : درّة الغواص في أوهام الخواص ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ، ١٢٩٩هـ .
– حسان ، د . تمّام : اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط . ثانية ، ١٩٧٩م .
اللغة بين المعيارية والوصفية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٠م .
– حسن ، عبّاس : اللغة والنحو بين القديم والحديث ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م .
– حسين ، محمد الخضر : دراسات في العربية وتاريخها ، المكتب الإسلامي ومكتبة الفتح ، دمشق ، ط . ثانية ، ١٩٦٠م .
– الخفاجي : شرح درّة الغواص ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ، ١٢٩٩هـ .
شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، تصحيح محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني بمصر ، ١٩٥٢م .
– خليل ، د . حلمي . المولّد ، درساة في نمور وتطوّر اللغة العربية بعد الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ، ١٩٧٨م .
– خيّاط ، يوسف ، والمرعشلي ، نديم : المصطلحات العلمية والفنية ، مجلد ملحق بلسان العرب المحيط ، دار لسان العرب ، بيروت ، ١٩٧٠م .
– الداية ، د . فايز : علم الدلالة العربي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥م .
– الراجحي ، د . عبده : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م .
فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م .
– الزُّبيدي : لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التواب ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
– السامرائي ، د . إبراهيم : فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط . ثانية ، ١٩٧٨م .

- سوسير ، فردينان : محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ، دار نعمان ، جونية ، لبنان ، ١٩٨٤م .
- سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ت .
- السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق أحمد محمد قاسم ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٩٧٦م .

  المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، البابي الحلبي ، القاهرة ، د . ت .
- الصالح ، د . صبحي : مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط . سادسة ، ١٩٦٩م .

  دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، ط . رابعة ، ١٩٧٠م .
- ضيف ، د . شوقي : المدارس النحوية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م .
- الطرابلسي ، د . أمجد : نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب ، د . ت .
- ظاظا ، د . حسن : اللسان والإنسان ، مدخل إلى معرفة اللغة ، ١٩٧١م .
- عبد التواب ، د . رمضان : لحن العامة والتطور اللغوي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٧م .

  فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، ط . ثانية ، ١٩٨٣م .
- عمر ، د . أحمد مختار : علم الدلالة ، مكبة دار العروبة ، الكويت ، ١٩٨٢م .
- فك ، يوهان : العربية ، ترجمة رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- فليش ، هنري : العربية الفصحى ، تعريب عبد الصبور شاهين ، دار المشرق ، بيروت ، ط . ثانية ، ١٩٨٣م .
- فندريس ، جوزيف : اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، ١٩٥٠م .
- فيصل ، د . شكري : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط . خامسة ، ١٩٨١م .
- الكسائي : ما تلحن فيه العوام ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، المطبعة السلفية بالقاهرة ،

١٣٨٧هـ .
ـ كمال ، د . ربحي : دروس اللغة العبرية ، جامعة حلب ، ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ .
ـ مارتينيه ، أندريه : مبادئ اللسانيات العامة ، ترجمة أحمد الحمو ، وزارة التعليم العالي ، دمشق ، ١٩٨٥م .
ـ المبارك ، د . مازن : نحو وعي لغوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩م .
ـ المبارك ، محمد : فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، بيروت ، ط . سابعة ، ١٩٨١م .
ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط ، دار الفكر ، ط . ثانية ، د . ت .
ـ مطر ، د . عبد العزيز : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
ـ المغربي ، يوسف : دفع الإصر عن كلام أهل مصر ، تحقيق عبد السلام عواد ، دار العلم ، موسكو ، ١٩٦٨م .
ـ ميتشيل ، دينكن : معجم علم الاجتماع ، ترجمة إحسان محمد الحسن ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨١م .
ـ نصّار ، د . حسين : المعجم العربي ، نشأته وتطوّره ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط . ثانية ، ١٩٦٨م .
ـ هولتكرانس ، إيكه : قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢م .
ـ وافي ، د . علي عبد الواحد : علم اللغة ، دار نهضة مصر ، ط . سابعة ، د . ت .
ـ ولفنسون ، إسرائيل : تاريخ اللغات السامية ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠م .

الدوريّات

ـ رفيدة ، د . إبراهيم عبد الله : « أصالة اللغة العربية وعلومها » ، مجلة الفكر العربي ، بيروت ، العدد/٢٦/ ، آذار ، ١٩٨٢م ، ص٤ ـ ٣٩ .
ـ السنجرجي ، د . مصطفى : « فلسفة النحو العربي بين الرفض والتأييد » ، مجلة الحصاد ، جامعة الكويت ، العدد الأول ، تموز ، ١٩٨١م ، ص١٠٠ ـ ١١٣ .

ديوان المعاني

(القسم الثالث)

الفهارس

الدكتور محمود محمد الطناحي

(باب الهمزة)

فصل الهمزة المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
سواءَ	الطويل	ابن الرومي	٢٥٢/٢
سماءَ	الطويل	ابن الرومي	٢٥٢/٢
أضاءَها	الطويل	قيس بن الخطيم	٥١/٢
وراءَها	الطويل	قيس بن الخطيم	٥١/٢
سواءَ	الوافر		٣١٠/١
التواءَ	الوافر		١٤٣/١
سواءَ	الوافر		١٤٣/١
الدواءَ	الوافر		١٤٣/١
وحراءَ	الخفيف	أبو هلال العسكري	١٨٠/٢
تراءَى	الخفيف		
وبهاءَ (٩ أبيات)	الخفيف	أبو هلال العسكري	٣١/٢
الأقذاءَ	الخفيف	علي بن العباس النوبختي	١٦٧/٢
جِلاءَ	الخفيف	علي بن العباس النوبختي	١٦٧/٢
آباءَهُ (٤ أبيات)	المتقارب	أبو هلال العسكري	١٨٥/١، ١٨٦

(*) نشر القسمان الأول والثاني في مجلة المجمع (مج٦٦ ، ج١ وج٣) .

فصل الهمزة المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
أحشائِهِ (٦ أبيات)	الكامل		١١٠/٢
رجائِهِ	الكامل	العُدَيْل بن الفرخ العِجليّ	٢٣٦/٢
عزائِهِ	الكامل	العُدَيْل بن الفرخ العِجليّ	٢٣٦/٢
ردائِهِ	الكامل		٢٥/٢
حيائِهِ	الكامل		٢٥/٢
بدمائِهِ	الكامل		٢٥/٢
إغفائها	مجزوء الكامل	الناجم	٣٢٥/١
الماءِ (١١ شطراً)	الرجز	ابن طباطبا	١١/٢
الأرجاءِ (٥أشطار)	الرجز	أبو بكر الصنوبري	١٢/٢
الأرجاءِ (١٣شطراً)	الرجز	أبو هلال العسكريّ	٢٩٠/١
خربائِهِ (٤ أشطار)	الرجز		١٣٨/٢
بأسائِهِ (٧ أبيات)	السريع	أبو هلال العسكريّ	٣٨/٢
عمشاءِ	المنسرح	ابن طباطبا	٣٦٠/١
وغَناءِ	الخفيف	أبو هلال العسكريّ	١٩٦/٢
الرخاءِ	الخفيف	أبو هلال العسكريّ	١٩٦/٢
الشُّعراءِ	الخفيف		١٦٨/١
الجراءِ = الجرارِ	في الخفيف		
بِغنائِهْ	الخفيف		٢١٤/١

(باب الباء)

فصل الباء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
وثَبْ	البسيط	ابن المعتز	٣١٣/١
والنُّوَبْ	الكامل	أبو هلال العسكريّ	٣٤٢/١

(١) ونُسب إلى هِمْيان بن قُحافة ، وإلى الزَّفَيان . راجع كتاب الشعر ص٣٣٠

(١) مع اختلاف الصَّدر في الموضعين .

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
لذابا	الوافر	جرير	١/٣٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٧٠
ذُبابا	الوافر		١/٣٢
شابا	الوافر		١/١٨٣
قضيبا	الوافر	المتنبي	٢/٦١
لهبا	مجزوء الوافر		١/١٤٥
الهَرَبا	مجزوء الوافر		١/١٤٥
أغْضَبا	الكامل	جرير	١/٩١
عنّابا	الكامل	الناشئ	١/٢٥٤
حِسابا	الكامل	الناشئ	١/٢٥٤
فطابا (٥ أبيات)	الكامل	الناشئ	١/٢٥٤ ، ٢٥٥
خضابا	الكامل		١/٢٥٤
عنّابا	الكامل		١/٢٥٤
مُذْهَبا	الكامل	السَّرِيّ الرفّاء	٢/٣٥
كُعوبا	الكامل	البحتري	٢/٥٥
جُيوبا	الكامل	البحتري	٢/٥٥
أذنابَها	الكامل	الصنوبري	٢/٣٠
هَبّا	مجزوء الكامل	إبراهيم بن العباس	٢/١٩٥
نَهْبا	مجزوء الكامل	إبراهيم بن العباس	٢/١٩٥
تُسَبّا	مجزوء الكامل		١/١٧٩
العصابَهْ	مجزوء الكامل	مخلد الموصلي	١/٣٣٥
الذُّوابَهْ	مجزوء الكامل	مخلد الموصلي	١/٣٣٥
أكلبا	الرجز	العماني	٢/١١٤

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
تنُوبا (١١بيتا)	المتقارب	البحتري	٢١٩/١
رقيبا	المتقارب	البحتري	٢٦١/١
يُعرِبا	المتقارب	الناجم	٣٢٦/١
مُعجِبا	المتقارب	الناجم	٣٢٦/١
القلوبا	المتقارب	العباس بن الأحنف	٢٨١/١
حبيبا	المتقارب	العباس بن الأحنف	٢٨١/١
اللبيبا (٤أبيات)	المتقارب	أبو هلال العسكري	٧٩/١ ، ٨٠
معيبا (٤أبيات)	المتقارب	أبو هلال العسكري	١٥٧/٢ ، ١٥٨
رطيبا (٨أبيات)	المتقارب	أبو هلال العسكري	٢٦١/١
معجبَهْ (٧أبيات)	المتقارب	ابن الرومي	١٢٦/١

فصل الباء المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
رَكْبُ (٤أبيات)	الطويل	أبو تمام	٧٢/١
ثَقْبُ	الطويل	البحتري	٥٥/٢
عَتْبُ	الطويل	العباس بن الأحنف	٢٦٧/١
الذنبُ	الطويل	العباس بن الأحنف	٢٦٧/١
حربُ	الطويل	العباس بن الأحنف	٢٦٧/١
نَدْبُ	الطويل		٢٠٢/٢
وهْبُ	الطويل		٧٥/١
الكلبُ	الطويل		٧٥/١
يتذبْذبُ (٧ أبيات)	الطويل	النابغة	١٥/١ ، ١٦
المهذَّبُ	الطويل	النابغة	١٦/١ ، ٢١٧ ، ١٩٦/٢
مذهبُ	الطويل	النابغة	٢١٧/١

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
ملعبُ	الطويل		١٥٣/٢
يذهبُ	الطويل		١٧١/٢
ويعذبُ	الطويل		٢١١/٢
تُنسبُ	الطويل		١٦٩/٢
تُضرَبُ	الطويل		١٦٩/٢
معصَّبُ	الطويل		١٦٩/٢
كواكبُ	الطويل	الأخنس بن شريق	٦٨/٢
الحرائبُ	الطويل	النابغة	٦٦/٢
عاتبُ	الطويل	شاعرٌ من كندة	١٧/١
كواكبُ	الطويل	شاعرٌ من كندة	١٧/١
ضاربُ	الطويل	امرأةٌ من بني أسد	١٦٣/٢
المطالبُ	الطويل	دِعْبل الخزاعيّ	١٩٤/٢
التجاربُ	الطويل	دِعْبل الخزاعيّ	١٩٤/٢
الكواكبُ	الطويل	نُصَيْب	١٧/١
الحقائبُ	الطويل	نُصَيْب	١٣٠/١
عجائبُ	الطويل	أبو تمام	٢٠٢/٢
جانبُ	الطويل	أبو تمام	٢٠٢/٢
المطالبُ	الطويل	أبو فراس الحمداني	٦١/٢
جانبُ	الطويل	أبو فراس الحمداني	٦١/٢
الكواكبُ	الطويل	مولى ابن أبي السمط	٢٣/١
حاجبُ	الطويل	مولى ابن أبي السمط	٢٣/١
ثاقبُ (٤أبيات)	الطويل	أبو هلال العسكري	٣٦/٢
ملاعبُ	الطويل		١٥٤/٢

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
غريبُ (٥أبيات)	الطويل		١٩٣/٢
حبيبُ	الطويل		١٣/١
فقريبُ	الطويل		١٣/١
وحليبُ(٨أبيات)	الطويل		٤٥/٢ ، ٤٦
نحيبُ	الطويل		٢٣٤/٢
قلوبُ	الطويل		٢٣٤/٢
خصيبُ	الطويل		٢٣٤/٢
ثاقبُهْ	الطويل	أبو الطَّمَحان القينيّ	٢٢/١
كواكبُهْ	الطويل	أبو الطَّمَحان القينيّ	٢٢/١
كتائبُهْ	الطويل	أبو الطَّمَحان القينيّ	٢٢/١
جادِبُهْ	الطويل	الفرزدق	١٥٦/٢
جادبُهْ (٩أبيات)	الطويل	ذو الرمة	٢٣٣/١ ، ٢٣٤
غباغِبُهْ	الطويل	ذو الرمة	١٤٧/٢
صالبُهْ	الطويل	ذو الرمة	١٤٧/٢
سحائبُهْ	الطويل	ابن المعتز	٢٥٩/١ ، ٤٧/٢
ساحبُهْ	الطويل	ابن المعتز	٢٥٩/١ ، ٤٧/٢
كتائبُهْ	الطويل	ابن المعتز	٢٥٩/١ ، ٤٧/٢
جوانبُهْ	الطويل	ابن المعتز	٢٥٩/١ ، ٤٧/٢
جانبُهْ	الطويل	ابن المعتز	٣٥٦/١
سواكبُهْ	الطويل	ابن المعتز	١٣٠/٢
كاتبُهْ	الطويل	ابن المعتز	١٣٠/٢
كواكبُهْ	الطويل	بشّار	٦٧/٢
يناسبُهْ	الطويل	بشّار	١٩٢/٢

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
لا تعاتبُهْ	الطويل	بشّار	١٩٦/٢
ومجانبُهْ	الطويل	بشّار	١٩٦/٢
مشاربُهْ	الطويل	بشّار	١٩٦/٢
تعابتُهْ	الطويل	الصاحب بن عباد	١٦٤/١
صاحبُهْ	الطويل	الصاحب بن عباد	١٦٤/١
مشاربُهْ	الطويل	الصاحب بن عباد	١٦٤/١
كواكبُهْ	الطويل	أبو تمام	٤٣/١
غياهبُهْ	الطويل	أبو تمام	١٤٠/١
عواقبُهْ	الطويل	أبو تمام	١٤٠/١
حالبُهْ	الطويل	أبو تمام	١٢٤/٢
ساكبُهْ	الطويل	أبو تمام	١٢٤/٢
مراتبُهْ	الطويل	الخريمي	٢٧٩/١
جنائبُهْ	الطويل	الخريمي	٢٧٩/١
راكبُهْ	الطويل	أبو النشناش	٢٧٩/١
يُقارِبُهْ (٦أبيات)	الطويل		١٤١/١
يواثبُهْ	الطويل		٢٠٣/١
معايبُهْ	الطويل		١٩٦/٢
سالبُهْ	الطويل		١٩٩/٢
صاحبُهْ	الطويل		١٩٩/٢
حبيبُها	الطويل	[نُصيب]	١٤٤/١
نصيبُها	الطويل	[نُصيب]	١٤٤/١
هبوبُها	الطويل	إبراهيم بن العباس	٢٧٤/١، ٢٧٥
حبيبُها	الطويل	إبراهيم بن العباس	٢٧٤/١، ٢٧٥

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
ومطَّلبُ	البسيط	أبو تمام	١٦١/١
الذهبُ	البسيط	ابن بسّام	٢٣/٢
مرتقبُ	البسيط	ابن بسّام	٢٣/٢
الأدبُ	البسيط		٢٤٣/٢، ٢٤٤
الخشبُ	البسيط		٢٤٣/٢، ٢٤٤
أدبُ	البسيط		٢٤٧/٢
نشبُ	البسيط		٢٤٧/٢
العطبُ	البسيط		٢٤٩/٢، ٢٥٠
أدبُ	البسيط		٢٤٩/٢، ٢٥٠
ينسابُ	البسيط	أبو هلال العسكري	٣٣٩/١
نشابُ	البسيط	أبو هلال العسكري	٣٣٩/١
مصلوبُ	البسيط	ابن الرومي	١٨٩/١
مآربُهْ (٦أبيات)	البسيط	أبو هلال العسكري	٦٤/١
ركائبُهْ (٧أبيات)	البسيط	أبو هلال العسكري	١٢٤/٢
تُرغّبُها	البسيط	أبو هلال العسكري	١٨١/٢
تخربُها	البسيط	أبو هلال العسكري	١٨١/٢
تطلبُها	البسيط	أبو هلال العسكري	١٨١/٢
والخضابُ	مخلّع البسيط	محمود الوراق	١٥٣/٢
يُستطابُ	مخلّع البسيط	محمود الوراق	١٥٣/٢
الكعابُ	الوافر	ابن المعتز	١٥٧/٢
العتابُ	الوافر	البحتري	١٧٧/١
الكلابُ	الوافر	البحتري	١٧٧/١

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
العتابُ[1]	الوافر		١/١٦١
القضِيبُ	الوافر	أبو العاهية	٢/١٥٥
المشيبُ	الوافر	أبو العتاهية	٢/١٥٥
مشيبُ	الوافر	محمود الورّاق	٢/١٦٤
المريبُ	الوافر	محمود الورّاق	٢/١٦٤
الجدوبُ	الوافر	أحمد بن إسحاق الموصلي	٢/١٨٩
حبيبُ	الوافر	أحمد بن إسحاق الموصلي	٢/١٨٩
الرحيبُ (٤ أبيات)	الوافر		٢/٢٤٣
عذبُ	الكامل		١/٢٤١
ربُّ	الكامل		١/٢٤١
مستعتبُ	الكامل	العباس بن الأحنف	١/١٦١
مَذْهَبُ	الكامل	العباس بن الأحنف	١/١٦١
مُذْهَبُ	الكامل	أبو هلال العسكري	١/٣٦٢
أعجَبُ	الكامل		١/١٨٨
يُحْجبُ	الكامل		١/١٨٨
مغرِّبُ	الكامل		١/٣٤١
مذهبُ	الكامل		١/٣٤١
يُنسَبُ	الكامل		١/٤٩
نَذهبُ	الكامل		١/٤٩

(١) صدره : إذا ذهب العتابُ فليس ودٌّ

وهو من غير نسبة في العقد الفريد ٢/٣١٠ ، ٤/٢٣٠ ، والتمثيل والمحاضرة ص٤٦٥

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
الحاجبُ	السريع		١٨٨/١
والحاجبُ	السريع		١٨٨/١
حُجَّاب	السريع		١٨٨/١
ومركوبُ	السريع	أبو دؤاد الإيادي	١٠٦/٢
الوصبُ	المنسرح	ابن الرومي أو الناجم	١٦٥/٢
عجبُ	المنسرح	ابن الرومي أو الناجم	١٦٥/٢
تُشَبُّ (٢١ بيتا)	المجتث	أبو سعيد الأصفهاني	٢١٠/٢
أستوهبُ	المتقارب	أبو هلال العسكري	١٦١/١
نحسبُ (٥ أبيات)	المتقارب	أبو هلال العسكري	٢١٥/١

فصل الباء المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
والقَلْبِ	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	٢٢٨/١
الشُّربِ	الطويل	العباس بن الأحنف	٢٥٩/١ ، ٢٦٠
العَذْبِ	الطويل	العباس بن الأحنف	٢٥٩/١ ، ٢٦٠
القلْبِ	الطويل	العباس بن الأحنف	٢٧٥/١
الذَّنْبِ	الطويل	العباس بن الأحنف	٢٧٥/١
وبالعَتْبِ	الطويل	العباس بن الأحنف	٢٧٥/١
ثَغْبِ[1]	الطويل	عُمارة بن عَقِيل	٢٤١/١

(١) جاء البيت في مطبوعة ديوان المعاني هكذا :

كأنّ على أنيابها مبيت الكرى وقيعه يردى تهلل في تعب

وفيه من التصحيف والتحريف ما ترى . وصوابه :

كأن على أنيابها مبعث الكرى وقيعة بَرْدِيٍّ تَهَلَّل في ثَغْبِ

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
قلبِ	الطويل	عُمارة بن عَقِيل	٢٤١/١
الجَذْبِ	الطويل	ابن الرومي	٦١/٢
الصُّلبِ	الطويل	ابن الرومي	٦١/٢
بالسُّلْبِ	الطويل	ابن الرومي	٦١/٢
مكعثبِ	الطويل	الفرزدق	٢٨١/١
المهذَّبِ(٦أبيات)	الطويل	أبو تمام	٧٠/١
المتصعَّب	الطويل	أبو هلال العسكري	١٣/١
مطلبِ	الطويل	أبو هلال العسكري	٢٢/١ ، ١١٠
معقّبِ	الطويل	أبو هلال العسكري	١١٠/١
يتقلّبِ	الطويل	أبو هلال العسكري	١١٠/١
والقُربِ	الطويل	أبو هلال العسكري	١٨٠/١
كلْبِ	الطويل	أبو هلال العسكري	١٨٠/١
غيهبِ	الطويل	أبو هلال العسكري	٢٤٨/١
معقربِ	الطويل	أبو هلال العسكري	٢٤٨/١
ملعبِ	الطويل	أبو هلال العسكري	٢٤٨/١
مطحلبِ	الطويل	أبو هلال العسكري	٣٣٧/١
المتقلّبِ	الطويل		٥٥/١
بمَرْحَبِ	الطويل		٢٢٠/٢
حُبِّي (٤أبيات)	الطويل		٢٦٥/١، ٢٦٦
تطيَّبِ	الطويل	امرؤ القيس	٢٦١/١

=والثَّغْب : بقية الماء العذب في الأرض . وقيل : هو الغدير يكون في ظل جبلٍ لا تصيبه الشمس . راجع ديوان عُمارة ص٣٤

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
نحطبِ[1]	الطويل	امرؤ القيس	١٠٩/٢
الكواكبِ	الطويل	النابغة	٣٤٦/١
بآيبِ	الطويل	النابغة	٣٤٦/١
جانبِ	الطويل	النابغة	٣٤٦/١
الحواجبِ	الطويل	النابغة	٥٢/٢
الحباحب	الطويل	النابغة	٥٢/٢
لاعبِ	الطويل	قيس بن الخطيم	٥٠/٢ ، ٥٧
جنادبِ	الطويل	قيس بن الخطيم	٥٠/٢ ، ٥٧
بحاجبِ	الطويل	قيس بن الخطيم	٢٢٩/١
بحاجبِ	الطويل	النمر بن تولب	٢٢٩/١ ، ٢٦٥
المتقاربِ	الطويل	قيس بن الخطيم	٧٠/٢
جانبِ	الطويل	عُروة بن الورد	١٩٥/١
جانبِ	الطويل	ذو الرمة	١٤٧/٢
تائبِ	الطويل	ذو الرمة	١٤٧/٢
عازبِ	الطويل	القطامي	٢٥٩/١
جانبِ	الطويل	القطامي	٢٥٩/١
جانبِ (٥أبيات)	الطويل	أبو تمام	١٤٠/١
محاربِ	الطويل	البحتري	١١٧/١
حبائبِ	الطويل	البحتري	١١٧/١
سحائبِ	الطويل	البحتري	١١٧/١
عاتبِ (٥أبيات)	الطويل	البحتري	١٩٤/٢

(١) في نسبته إلى امرئ القيس خلاف . وهو في ديوانه ص٣٨٩ ، من زيادات الطوسي والسّكريّ وابن النحاس . وانظر شرح أبيات المغني ١٢٩/١

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
هُبوبِ	الطويل		٢٨٥/١
واللَّهَبِ	البسيط	أبو نُواس	٣٠٨/١
الذَّهَبِ	البسيط	أبو نُواس	٣٠٨/١
الذهَبِ	البسيط	علي بن الجهم	٢٣/٢
الطرَبِ	البسيط	أبو تمام	٣١/١، ١٩٥
الحَرَبِ[1]	البسيط	أبو تمام	٦٦/٢
واللعبِ	البسيط	أبو تمام	٧٧/٢
لم أشبِ	البسيط	أبو تمام	١٥٦/٢
شطبِ	البسيط	أبو تمام	١٥٦/٢
والأدبِ	البسيط	أبو تمام	١٥٦/٢
تعبِ (٤أبيات)	البسيط	البحتري	١٢٧/١
واليلبِ	البسيط	ابن الرومي	٢٦/١ ، ٢٧
الرُّتبِ	البسيط	ابن الرومي	٢٦/١ ، ٢٧
والذُّنَبِ	البسيط	ابن الرومي	٢٦/١ ، ٢٧
الحقب (٤أبيات)	البسيط	ابن الرومي	٣١/١
كثَبِ	البسيط	أبوهِفّان	٦٥/١ ، ٦٦
عَربِ	البسيط	أبو هِفّان	٦٥/١ ، ٦٦
النشَبِ	البسيط	أبو هِفّان	٦٥/١ ، ٦٦
منتقَبِ	البسيط	أبو هلال العسكري	٣٣٦/١

(١) في مطبوعة ديوان المعاني : والحربُ مشتقةٌ من الحربِ

وهو بهذه الصورة من البحر المنسرح ، لكنه ورد في ديوان أبي تمام ٦٤/١ هكذا :

لما رأى الحربَ رأيَ العين تُوفَلِسٌ والحربُ مشتقة المعنى من الحربِ

وهو بهذه الصورة من البسيط ، كما ترى .

(١) راجع ديوانه ص٧١

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
الأبوابِ	الكامل	جرير	١٨٢/١
الأسبابِ	الكامل	أبو دعامة	٢٥٣/٢
الأنسابِ	الكامل	أبو دعامة	٢٥٣/٢
البابِ	الكامل		٢٤٥/٢
ذيابِ	الكامل		٢٤٥/٢
البوّابِ	الكامل		٢٤٥/٢
حجابِ	الكامل		٣٦١/١
مكذوبِ	الكامل	قيس بن الخطيم	٢٢٩/١
لغروب	الكامل	قيس بن الخطيم	٢٢٩/١
قريبِ	الكامل	قيس بن الخطيم	٢٢٩/١، ٢٧٦
محسوبِ	الكامل	قيس بن الخطيم	٢٢٩/١، ٢٧٦
مكذوبِ	الكامل	قيس بن الخطيم	٢٢٩/١، ٢٧٦
برُضابِهِ	الكامل	كشاجم	٨٤/٢
لصوابِهِ	الكامل	كشاجم	٨٤/٢
الربربِ	مجزوء الكامل	السَّريّ الرفّاء	٣٥/٢
بعَقْربِ	مجزوءالكامل	السَّريّ الرفّاء	٣٥/٢
المذهبِ	مجزوء الكامل	السَّريّ الرفّاء	٣٥/٢
القلوبِ	مجزوء الكامل	الحِمّاني	١٥٤/٢
والجيوبِ	مجزوء الكامل	الحِمّاني	١٥٤/٢
عيوبِهْ= عيونِهْ			
القلبِ (٧أبيات)	الهزج	أبو هلال العسكري	١٤٨/٢
الجَنْبِ	الرجز		١٠٧/٢

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
شهبِ[1]	الرجز	أبو هلال العسكري	٣٣٤/١
حطبِ	الرجز	أبو هلال العسكري	٣٣٤/١
الحجبِ	الرجز	أبو هلال العسكري	٣٣٤/١
الذهبِ	الرجز	أبو هلال العسكري	٢١/٢
الكُربِ	الرجز	أبو هلال العسكري	٢١/٢
عجبِ	الرجز	أبو هلال العسكري	٢١/٢
أربي (٦أشطار)	الرجز		١٢٣/١
المنكبِ	الرجز	أبو نواس	١٣٣/٢
المقربِ	الرجز	أبو نواس	١٣٣/٢
المخلبِ	الرجز	أبو نواس	١٣٣/٢
بالعقابِ (٩ أشطار)	الرجز		١٥١/٢
الجنابِ	الرجز		١٨١/٢
الخرابِ	الرجز		١٨١/٢
قشوبِ	الرجز	أبو نواس	١٣٨/٢
بالتذهيب	الرجز	أبو نواس	١٣٨/٢
الشيبِ	الرجز	أبو نواس	١٣٨/٢
قنابِهِ (٤أشطار)	الرجز	أبو نواس	١٣٣/٢
حجابِهِ	الرجز	أبو نواس	٣٥٦/١
جلبابِهِ	الرجز	أبو نواس	٣٥٦/١
جلبابِهِ (٤أشطار)	الرجز	ابن المعتز	٣٥٦/١
حجابِها	الرجز	أبو نواس	٣٦٠/١
نقابِها	الرجز	أبو نواس	٣٦٠/١

(١) في ديوانه ص٧٣ « سربِ » ، وكذلك في كتابه الصناعتين ص٤٨٣

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
بِها (٤أشطار)	الرجز	ابن المعتز	٢/١٢١
قصبِ	مجزوء الرجز	أبو هلال العسكري	٢/١٥١
الكتبِ	مجزوء الرجز	أبو هلال العسكري	٢/١٥١
ذهبِ	مجزوءالرجز	أبو هلال العسكري	٢/١٥١
بعبوبِ	مجزوءالرجز	ابن المعتز	٢/١١٥
المكبوبِ	مجزوءالرجز	ابن المعتز	٢/١١٥
التقطيبِ	مجزوءالرجز	ابن المعتز	٢/١١٥
ومغيبِ	مجزوء الرمل	أبو فضلة	١/٣٣٥
المصيبِ	مجزوء الرمل	أبو فضلة	١/٣٣٥
غروبِ	مجزوء الرمل	أبو فضلة	١/٣٣٥
المغيب (٢٠بيتاً)	مجزوء الرمل	أبو هلال العسكري	٢/٨١ ، ٨٢
قلبي	السريع	علي بن محمد البصري	١/١٠٩
والغربِ	السريع	علي بن محمد البصري	١/١٠٩
بالضربِ	السريع	علي بن محمد البصري	١/١٠٩
العاجبِ	السريع	رزين العروضي	١/١٩٩
الحاجبِ	السريع	رزين العروضي	١/١٩٩
أترابِ	السريع	أبو نواس	١/٣٧ ، ٢٥٤
بُعُنّابِ	السريع	أبو نواس	١/٣٧ ، ٢٥٤
تكذيبي	السريع		١/١٨٨
تأديبي	السريع		١/١٨٨
بِهْ	السريع	نصر بن أحمد	١/٢٧٢
لم ينتبِهْ	السريع	نصر بن أحمد	١/٢٧٢
الحجبِ	المنسرح	السريّ الرفّاء	١/٣٦٢

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
ذهبِ	المنسرح	السريّ الرفّاء	٣٦٢/١
الشَّبابِ	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	٢٣٢/١
الشبابِ	الخفيف		٣٣١/١
غرابِ	الخفيف		٣٣١/١
معيبِ	الخفيف	ابن الرومي	١٦٠/٢
حبيبي	المجتث		٣٤٣/١
مشيبي	المجتث		٣٤٣/١
الكاذبِ	المتقارب	أبو تمام	١٦١/١
الخائبِ	المتقارب	أبو تمام	١٦١/١
الكاتبِ (٥ أبيات)	المتقارب	ابن الرومي	٧٨/٢
بِها	المتقارب	الأعشى	٣٢٩/١

(باب التاء)

فصل التاء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
خُلقتْ (٤ أبيات)	مجزوء الرجز	ابن طباطبا	٢١٦/١

فصل التاء المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
ماتا	البسيط	أبو هلال العسكري	٢١٣/٢
أمواتا	البسيط	أبو هلال العسكري	٢١٣/٢
فَوْتا	الوافر	علي بن محمد الكوفي	١٥٨/٢
مَوْتا[1]	الوافر	أبو هلال العسكري	١٥٨/٢

(١) هذا البيت ممّا أخلَّ به ديوان أبي هلال في طبعتيه : طبعة الدكتور محسن غياض ، وطبعة الدكتور جورج قنازع ، وكأنّ الذي منع الأستاذين الفاضلين من إثبات البيت لأبي هلال : أنه إصلاح للبيت السابق . وذلك ما عقَّب به أبو هلال ، على قول:=

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة•
ياقُوتَهْ	السريع		٢٨/٢
ضَرْبَتَهْ	المنسرح	ابن المعتز	٢٤٩/١

فصل التاء المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
مقلتُ	الطويل		١٣٠/٢
ميتُ	الطويل		١٣٠/٢
نابتُ	الطويل		٥٩/٢
ساكتُ	الطويل		٥٩/٢
فحييتُ	الطويل	جحظة البرمكيّ	٢٠٦/١
خَرِيتُ	الطويل	جحظة البرمكيّ	٢٠٦/١
رِشْتُها (٧أبيات)	الطويل	مسكين الدارميّ	٧٩/١
السكوتُ	مخلّع البسيط	الناجم	٢١٥/١
عنكبوت	مخلّع البسيط	الناجم	٢١٥/١
انثنيتُ	الوافر	أبو العتاهية	١٠٥/١
ليلتُهْ (٣ أشطار)	الرجز	ابن المعتز	٣٤٠/١
كرتُهْ	الرجز	ابن المعتز	٣٤٠/١
لحيتُهْ	الرجز	ابن المعتز	٣٤٠/١
أصواتُها(٨أشطار)	الرجز		١٤٨/٢
والموتُ	السريع	ابن لنكك	١٨٩/١
الصوتُ	السريع	ابن لنكك	١٨٩/١

= علي بن محمد الكوفي :

لعـمـرُكَ للمشـيب عـليّ ممـا فقـدتُ من الشبـاب أشـدّ فوتـا

فقال أبو هلال : هذا البيت مضطرب اللفظ والرصف والصنعة ، فاعتبرْه :

تمـلّيتُ الشبـابَ فكـان شـيبـا وأبـليتُ المشـيبَ فصـار موتـا

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
والفوتُ	السريع	ابن لنكك	١٨٩/١
النعوتُ	الخفيف		٤٢/٢
الياقوتُ	الخفيف		٤٢/٢

فصل التاء المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
فاستقرّتِ	الطويل	عمرو بن معد يكرب	١١٢/١
ضلَّتِ (٥أبيات)	الطويل	الطرماح	١٧٥/١
غضّةِ	الطويل	السريّ الرفاء	٣١٢/١
فضّةِ	الطويل	السريّ الرفاء	٣١٢/١
فتجلّتِ	الطويل	سعيد بن حميد	٢٨٤/١
تولَّتِ	الطويل	سعيد بن حميد	٢٨٤/١
شلَّتِ	الطويل		١٧٩/٢
سُلَّتِ	الطويل		١٧٩/٢
جلَّتِ	الطويل		١١٠/١
زلَّتِ	الطويل		١١٠/١
تجلَّتِ	الطويل		١١٠/١
ستظلَّتِ	الطويل		٢٦٤/١
[illegible]ولَّتِ	الطويل		٢٦٤/١
[illegible]ضنَّت	الطويل		٢٦٤/١
الخضرات (٥أبيات)	الطويل	الحطيئة	٤٠/١
[illegible]	الطويل	محمد بن عبد الله النميري	٢٦٠/١
[illegible]	الطويل		٢٨٣/١
[illegible]وتِ	الطويل	الحلبي	٤٥/٢
[illegible]اقوتِ	الطويل	الحلبي	٤٥/٢

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
الثَّياتِ	البسيط	أبو نواس	٣٥٦/١
بأمواتِ	البسيط		٢٣٨/٢
اليواقيتِ	البسيط	ابن المعتز	٢٤/٢
كبريتِ	البسيط	ابن المعتز	٢٤/٢
تشتيتِ	البسيط	ابن المعتز	٢٤/٢
صورتِهِ	البسيط	ابن المعتز	٢٢٤/١
جفوتِهِ	البسيط	ابن المعتز	٢٢٤/١
بلحيتِهِ	البسيط	ابن المعتز	٢٢٤/١
المعجزاتِ(٧أبيات)	الوافر	أبو الحسن بن الأنباري	١٧٩/٢ ، ١٨٠
وجنتِهِ	الكامل	ابن المعتز	٢٤٧/١
هجرتِها (١١بيتا)	الكامل	السريّ الرفاء	٣٥/٢ ، ٣٦
سراويلاتِها	الكامل	المتنبي	٢٦٨/١
يانعاتِ	الرجز	ابن المعتز	٤١/٢
منوَّعاتِ	الرجز	ابن المعتز	٤١/٢
ونُورتِهْ	الرجز	ابن طارق	١٤٤/٢
فَرْوتِهْ	الرجز	ابن طارق	١٤٤/٢
ضَرَّاتِها	الرجز	ابن لجأ	١٢٧/٢
مجوَّفاتِها	الرجز	ابن لجأ	١٢٧/٢
قدّاتِها	الرجز	أبو نواس	١٠٩/٢
أقواتِها	الرجز	أبو نواس	١٠٩/٢
شياتِها (٨أشطار)	الرجز	أبو نواس	١٣٣/٢
هيبتِهْ	السريع	أبو نواس	١٤٤/١
بُرْمتِهْ	السريع	جحظة	٣٠٠/١، ٣٠١

(باب الثاء)

فصل الثاء الساكنة

فصل الثاء المفتوحة

فصل الثاء المضمومة

(١) راجع شرح أشعار الهذليين ص٨٧٨

(باب الحاء)

فصل الحاء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
الرياحْ	مجزوء الكامل	إسحاق بن خلف	٥٧/٢
مطرحْ	الرمل	أبو هلال العسكري	١٠٩/١
وشخْ	الرمل	أبو هلال العسكري	١٠٩/١
مزَخْ	الرمل	أبو هلال العسكري	١٠٩/١
فطفخْ	الرمل	أبو هلال العسكري	٣٠٩/١
الفرحْ	الرمل	أبو هلال العسكري	٣٠٩/١
قُزَحْ	الرمل		٣٤/٢
مروحْ	السريع		٤٣/٢
للفتوحْ	السريع		٤٣/٢
الصفيحْ	السريع		٤٣/٢

فصل الحاء المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
مديحا	الكامل		١٨٠/١
وضّاحا	الرجز		٣٧/١
صحيحا	مجزوء الرمل		٢٥٠/٢
ريحا	مجزوء الرمل		٢٥٠/٢
راحا	المنسرح	السريّ الرفّاء	٣٧/٢

فصل الحاء المضمومة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
تلمحُ	الطويل	ابن مقبل	٢٤٣/٢
أوطحُ	الطويل	ابن مقبل	٢٤٣/٢
مقدحُ	الطويل	ابن مقبل	٢٤٣/٢
ينفحُ	الطويل	ذو الرمة	٢٤٠/١
والمتروَّحُ	الطويل	ذو الرمة	٢٤٠/١
يتوضَّحُ	الطويل	بشار	٣٥٠/١

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
مبرّحُ	الطويل	بشار	٣٥٠/١
أسجحُ	الطويل		١٣٩/٢
أقبحُ	الطويل		١٣٥/١
وأروحُ	الطويل		١٣٥/١
راحُ	الطويل	ابن مقبل[1]	١٣٢/٢
مادحُ (٧أبيات)	الطويل	أشجع السّلميّ	١٨٥/٢
والقدَحُ (٤أبيات)	المديد	كشاجم	٢٢٨/١
والفرحُ	البسيط	كشاجم	٢٣١/١
مقترحُ	البسيط	كشاجم	٢٣١/١
مصباحُ	البسيط		٣٠٦/١، ٣٠٧
الراحُ	البسيط		٣٠٦/١، ٣٠٧
مذبوحُ	البسيط	ابن طباطبا العلوي الأصبهاني	٣٢٩/١
مشبوحُ	البسيط	ابن طباطبا العلوي الأصبهاني	٣٢٩/١
يُراحُ	الوافر	قيس بن ذَرِيح	٢٧٠/١
الجناحُ	الوافر	قيس بن ذَرِيح	٢٧٠/١
الصباحُ(٧أبيات)	الوافر	أبو هلال العسكري	٢٤٣/٢
الملاحُ	الوافر		٢٨٥/١
وأجرحُها	مجزوء الوافر	أبو نواس	٢٦٥/١
أفرحُ	الكامل	عمرو بن محمد الثقفي. أبو نوفل	٢٩/١
يمزحُ	الكامل	عمرو بن محمد الثقفي. أبو نوفل	٢٩/١
يلمحُ (٤أشطار)	الرجز	مسعود أخي ذي الرمة	١٢٨/٢

(١) نسبه أبو هلال إلى الراعي . والصواب أنه لابن مقبل ، في ديوانه ص ٤١ ، وراجع الخزانة ٢٢٨/١ ، وهو في ملحق ديوان الراعي ص٣٠٣

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
يرضحُ	الرجز		١١٤/٢
تبرحُ	الرجز		٣٠٥/١
ينصحُ	الرجز		٣٠٥/١
تصبحُ	الرجز		٣٠٥/١
قرحُ	السريع		٢٨٠/١
يبرحُ	السريع		٢٨٠/١٠
المازحُ[1]	السريع	أبو نواس	١٥١/١
راحُ	السريع	ابن المعتز	٣٣٧/١

فصل الحاء المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
بأروحِ	الطويل	الطرماح	٣٤٦/١
مطرحِ	الطويل	الطرماح	٣٤٦/١
الجوارحِ	الطويل	البحتري	٧٨/٢
راحِ	الطويل	البحتري	٧٨/٢
المصابحِ	الطويل		٦٣/١
وجارحِ	الطويل		٦٣/١
أصافحِ	الطويل		٢١٨/٢
دلحِ	البسيط	أبو تمام	١٨/٢
الفرحِ	البسيط	أبو تمام	١٨/٢

---

(١) جاء البيت في المطبوعة هكذا :

انـــه نـــار وقـــدح القـــادح وأيّ جـــد بـــلغ المـــازح

وفي صدره من التصحيف وإقحام الواو ما ترى . وصواب روايته في الديوان ص٦١٨ :

أيّـــة نـــارٍ قـــدح القـــادحُ

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
بالراحِ	البسيط	أوس بن حجر ، أو عَبيد بن الأبرص[٢]	٤/٢
بقرواحِ	البسيط	أوس بن حجر ، أو عَبيد بن الأبرص	٤/٢
رمّاحِ	البسيط	أوس بن حجر	٧/٢
وضّاحِ	البسيط	البحتري	٢٣٨/١
القِماحِ	الوافر	بشر بن أبي خازم	١٢/٢
الجناحِ	الوافر	بشر بن أبي خازم	١٢/٢
راحِ	الوافر	جرير	٣١/١ ، ٧٦
مراحِي	الوافر	جرير	١٥٧/٢
اللّقاحِ	الوافر	ابن المعتز	٥٤/٢
الصباحِ	الوافر	ابن المعتز	٣٣٣/١
الأقاحِ	الوافر	ابن المعتز	٣٣٣/١
الرماحِ	الوافر	ابن المعتز	١٢١/٢
الملاحِ (٤أبيات)	الوافر	أبو هلال العسكريّ	٢٨٩/١
الرّبيحِ (٥أبيات)	الوافر	عمرو بن الإطنابة	١١٤/١
المليحِ (٥أبيات)	الوافر	أبو هلال العسكريّ	٧٦/٢
القادحِ	الكامل	أبو هلال العسكريّ	١٤٦/٢
رامحِ	الكامل	أبو هلال العسكريّ	١٤٦/٢
الرائحِ	الكامل	أبو هلال العسكريّ	١٤٥/٢
صفائحِ	الكامل	أبو هلال العسكريّ	١٤٥/٢
روائحِ	الكامل	أبو هلال العسكريّ	١٤٥/٢

(٢) انظر كتاب الشعر ص٤٦١ .

(١) النسبة من الأغاني ٣٨١/١٥ ، وذيل أمالي القالي ص٨ . والبيتان من قصيدة زياد الشهيرة في رثاء المغيرة بن المهلب .

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
لروحي	الخفيف	أبو هلال العسكريّ	٣٧/٢
مليحِ	الخفيف	أبو هلال العسكريّ	٣٧/٢
القباحِ	المتقارب	الخالديّ	٢٠٨/١
الصباحِ	المتقارب	الخالديّ	٢٠٨/١
مستراحِ	المتقارب	الخالديّ	٢٠٨/١
فتحِهِ	المتقارب	ابن الرومي	١٨٢/١
سلحِهِ	المتقارب	ابن الرومي	١٨٢/١

(باب الخاء)

فصل الخاء الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
الرخاخْ	السريع		٣٢٤/١

فصل الخاء المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
تمرَّخِ	الطويل		٣٥٤/١
سرِخِ	الطويل		٣٥٤/١
باذخِ	الطويل	إبراهيم بن العباس	٢٠٠/٢
وصارخِ	الطويل	إبراهيم بن العباس	٢٠٠/٢
بنافخِ	الطويل	إبراهيم بن العباس	٢٠٠/٢

(باب الدال)

فصل الدال الساكنة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
بلَدْ	الطويل		٢٤٩/٢
زبرجدْ	الوافر	أبو هلال العسكريّ	٣٣/٢
عسجدْ	الوافر	أبو هلال العسكريّ	٣٣/٢

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
فلم تَجُدْ	مجزوء الكامل	محمد بن محمد بن إبراهيم اليزيدي	١٧١/٢
ولا تعُدْ	مجزوء الكامل	محمد بن محمد بن إبراهيم اليزيدي	١٧١/٢
الحسودْ	مجزوء الكامل	ابن الرومي	٢٥/٢
الخدودْ	مجزوء الكامل	ابن الرومي	٢٥/٢
بَرْقَعِيدْ	مجزوء الكامل		١٩٣/١
ما نُريدْ	مجزوء الكامل		١٩٣/١
القصيدْ	مجزوء الكامل		١٩٣/١
والقيودْ[١]	مجزوء الكامل		١٩٣/١
الحديدْ	مجزوء الكامل		١٩٣/١
لم تَزِدْ(١٠أشطر)	الرجز	أبو جندب[٢] الهذلي	٨٢/١ ، ٨٣
معدّ (٦أشطار)	الرجز	امرأة	٨٢/١
أحدْ[٣]	الرجز		٨٢/١

(١) هذا والذي بعده أنشدهما ابن خلكان ، مع بيت ثالث ، حكاية عن « حماسة البيّاسيّ » ، لأبي العطاف الكوفي صالح بن عبد الرحمن بن نشيط . وفيات الأعيان ٢٤٣/٧ ، في أثناء ترجمة البيّاسيّ ، وهو يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الأندلسيّ . والقافية هناك مطلقة بالضم « والقيودُ » .

(٢) هكذا ينسب أبو هلال هذا الرجزَ إلى أبي جندب الهذلي ، ولم يرِدْ في شعر أبي جندب ، في أشعار الهذليين ، صنعة السّكريّ ، على حين نُسِب إلى أبي ذؤيب في شرح أشعارهم ص٢٣٣ ، والرجز هناك سبعة أشطار ليس غير . ولم يرجع الأستاذ عبد الستار فراج ــ رحمه الله ــ في هذا الموضع إلى ديوان المعاني ، مع ما جرى عليه من الاستقصاء والتتبّع . وانظر تخريج الرجز عنده في ص١٣٩٩

(٣) هذا والذي بعده نُسبا إلى حسان بن ثابت ، في الموضع المذكور من شعر الهذليين ، وعنه زيادات ديوان حسان ص٤٥٤

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
وغَدْ	الرجز		٨٢/١
نكدْ (٥أبيات)	مجزوء الرجز	أبو هلال العسكريّ	٢٤٧/٢
بالعُمُدْ	الرمل	عديّ بن زيد	١٣٧/٢
تودّ	الرمل	عمر بن أبي ربيعة	٢٢٨/١
تبتردْ (٤أبيات)	الرمل	عمر بن أبي ربيعة	٢٢٨/١
بعَدّ	الرمل	محمد بن مناذر	١١٨/٢
أوَدّ	الرمل	محمد بن مناذر	١١٨/٢
الأسدْ	الرمل		٢٥/١
بالجلَدْ	الرمل		٢٥/١
الجحودْ	الرمل	ابن الرومي	٢٧٨/١
الأسودْ	الرمل	ابن الرومي	٢٧٨/١
هجودْ	الرمل	ابن الرومي	٢٧٨/١
تتّقدْ	السريع	ابن المعتز	٣١٢/١
جَمَدْ	السريع	ابن المعتز	٣١٢/١
أمْردْ	الخفيف	أبو هلال العسكريّ	٢٤٩/١ ، ٢٨/٢
تتجدّدْ (١٢ بيتاً)	الخفيف	أبو هلال العسكريّ	٢٧/٢ ، ٢٨
أحمدْ	المجتث		٢٣٢/١

فصل الدال المفتوحة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
المقالدا	الطويل	الأعشى	٢٤/١
فتبدّدا	الطويل	ابن الطثرية	٣٣٤/١
مشرّدا	الطويل	الحسين بن الضحاك	٢٠٦/٢
مُورِدا	الطويل	أبو هِفّان	٨٠/١
جُرّدا	الطويل	أبو هِفّان	٨٠/١

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
أسودا	الطويل		٢٧٦/١
مرقدا	الطويل		٢٧٦/١
موعدا	الطويل		٦٧/١، ٦٨
يدا	الطويل		٦٧/١
المخلَّدا	الطويل		٦٧/١
واطّرادَها	الطويل	ابن هرمة	١٢٠/١
واكتدادَها	الطويل	ابن هرمة	١٢٠/١
ثمادَها	الطويل	ابن هرمة	١٢٠/١
العَضُدا	البسيط	عبد مناف بن رِبْعٍ[1]	٥٥/٢
والبَرَدا	البسيط	عبد مناف بن رِبْعٍ	٥٥/٢
البَلَدا	البسيط	البحتري	٢٠/٢
بِدَدا	البسيط	البحتري	٢٠/٢
غردا	البسيط	البحتري	٢٠/٢
يدا	البسيط	التنوخي	١٦/٢
نضدا	البسيط	التنوخي	١٦/٢
كمِدا	البسيط	التنوخي	١٦/٢
ولدا	البسيط		١٧٦/١
قوَدا	البسيط		١٧٦/١
واردَهْ	منهوك البسيط	ابن المعتز	١١٦/٢
زائدَهْ[2]	منهوك البسيط	ابن المعتز	١١٦/٢
جاحِدَهْ	منهوك البسيط	ابن المعتز	١١٦/٢

(١) في المطبوع « ربعي » خطأ . وهو من الهذليين . انظر شرح أشعارهم ص٦٧١

(٢) في ديوانه ١٥٦/٣ « رائده » بالراء .

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
الجديدا	الوافر	ابن الرومي	٢٠٠/١
الرِّديدا	الوافر	ابن الرومي	٢٠٠/١
تبيدا	الوافر	ابن الرومي	٢٠٠/١
قعودا	الوافر		٢١٢/١
مَغْدا[1]	مجزوء الوافر	عمرو بن معدي كرب	٢٣/٢
تتزيَّدا (٤أبيات)	الكامل	ابن الرومي	٦٨/١ ، ٦٩
مواعدا	الكامل	البحتري	٢٠٧/٢
رواعدا	الكامل	البحتري	٢٠٧/٢
بُرودا	الكامل	جرير	٧٧/١ ، ١٠٧/٢
أُسُودا	الكامل	السَّريّ الرفاء	٢٩٠/١
توريدا	الكامل	السَّريّ الرفاء	٢٩٠/١
فريدا (٦أبيات)	الكامل	أبو تمام	٩/١
ومعيدا (٤أبيات)	الكامل	أبو تمام	٥٧/١
عَمُودا (٧أبيات)	الكامل	أبو تمام	٧٢/١
طريدا	الكامل		٣٥٧/١
الممدودا	الكامل		٣٥٧/١
مدادَها	الكامل	عديّ بن الرقاع	١٣٢/٢
وزادَها	الكامل	عديّ بن الرقاع	٢٢٣/٢
كدّا	مجزوء الكامل	الحارث بن حِلِّزَة	٢٤٧/٢

(١) جاء في المطبوع « معدي » وصُحّح في الاستدراكات بآخره . والبيت بتمامه :

تباري قرحة مثل الـ ـــوتيرة لم تكن مغدا

قال الأزهري : يصف فرساً أنثى . والوتيرة : الحلقة الصغيرةُ يتعلّم عليها الطعن والرمي . المغد : النتف . أخبر أن قرحتها جبلّةٌ لم تحدث عن علاج نتف . التهذيب ٤١/٤ ، وأيضاً ٧٩/٨ ، ٣١٣/١٤ ، وديوان عمرو ص٦٢

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
زهَّادُ	البسيط	أبو هلال العسكريّ	١٧٨/١
نَقْدُ	الوافر	ابن الرومي	١٦٩/١
يُمَدُّ	الوافر	ابن الرومي	١٦٩/١
وَعْدُ	الوافر	ابن الرومي	١٦٩/١
البلادُ	الوافر	كشاجم	٢٣١/١
المعادُ	الوافر	كشاجم	٢٣١/١
الخدودُ	الوافر	بعض شعراء الشام	٢١٨/٢
وجيدُ	الوافر	بعض شعراء الشام	٢١٨/٢
ولا تزيدُ	الوافر		٢٠١/١
تقودُ	الوافر		٢٠١/١
تجودُ	الوافر		٢٠١/١
ومحمدُ	الكامل	كعب بن مالك	٨١/١
ويُغْمَدُ(١)	الكامل	الطرمّاح	١٣١/٢
البُرْجُدُ(٢)	الكامل	الطرمّاح	١٤١/٢
الفرقد (٥أبيات)	الكامل	البحتري	٣٠/١
مُوسدُ	الكامل		١٠٦/١
لا يَحْمدُ	الكامل		١٠٦/١

(١) أتت هذه القافية مع كلمةٍ قبلها في شعر أمية بن أبي الصَّلت . راجع كتاب الشعر ص٢٣٣

(٢) البيت بتمامه :

مُجتابُ شَمْلةِ بُرْجُدٍ لِسَراتِه قَذراً وأَسْلَمَ ما سِواها البُرْجُدُ

ديوان الطرماح ص١٤١

ولم يأت منه في ديوان المعاني إلا كلمة « مجتاب » واستدرك في ص٢٥٨

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
الأَسْودُ	الكامل		١٠٦/١
نَضَدُ	الكامل		٢٧٥/١
أجِدُ	الكامل		٢٧٥/١
زبرجَدُ	الكامل		٣١٧/١
يتفنَّدُ	الكامل		١٤٢/٢
مقيَّدُ	الكامل		١٤٢/٢
شاهدُ (١٢بيتا)	الكامل	ابن الرومي	٢١/٢
حمَّادُ	الكامل		٣١٤/١
الحدادُ	الكامل		٣١٤/١
الحدادُ	الكامل		٣١٤/١
سوادُ	الكامل		٣١٤/١
وتعودُ	الكامل	محمد بن زياد الكاتب	١٦٧/٢
أسودُ	الكامل	محمد بن زياد الكاتب	١٦٧/٢
تميدُ	الكامل	ابن الرومي	١٨٩/٢
عضدُهْ(٤ أشطار)	الرجز		٦١/٢
أبدُ	مجزوء الرجز	سعيد بن حميد	٣٤٩/١
غدُ	مجزوء الرجز	سعيد بن حميد	٣٤٩/١
تريدُ	الرمل	أحمد بن أبي فنن	٣١٥/١
عتيدُ[1]	الرمل	أحمد بن أبي فنن	٣١٥/١

(١) جاء البيت في المطبوع هكذا :

إني إن أمكـــن يـــوم صـــــالح إن يـوم الشـــرب لا كان عتـيـدُ

وصوابه ــ كما أثبته جامع شعره ــ :

والٰهُ إن أمكـــن يـــومٌ صـــــالح

شعراء عباسيون . للدكتور يونس أحمد السامرائي ص١٤٧

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
مريدُ (٤أبيات)	مجزوء الرمل	السريّ الرفّاء	٣٢/٢
جَهدُوا	المنسرح	طريح بن إسماعيل الثقفي	٥٣/١
مقتصدُ	المنسرح	طريح بن إسماعيل الثقفي	٥٣/١
زرَدُ	المنسرح	الصنوبري	٢٤٨/١
البلدُ	المنسرح		٢٢٣/١
أحدُ	المنسرح		٢٢٣/١
الخدودُ	الخفيف	البحتري	١٧/٢
سعودُ	الخفيف	البحتري	١٧/٢
تُجيدُ	الخفيف	ابن الرومي	٣٢١/١
مديدُ	الخفيف	ابن الرومي	٣٢١/١
مستعيدُ	الخفيف	ابن الرومي	٣٢١/١
تزيدُ[1]	الخفيف	ابن الرومي	٣٤٩/١
يدُ (٤أبيات[2])	المتقارب	ابن أبي فنن	٣٤٥/١
يرفدُ (٦أبيات)	المتقارب	أبو العتاهية	١٠٥/١، ١٠٦

(١) جاء في المطبوع :

ليست تــزول ولكــنْ تــزيــدُ

وهو بهذه الصورة من المتقارب المخروم ، لكنّ الواو فيه مقحمة . والبيت بتمامه في الديوان ص٦٩٢ :

ذي نجـومٍ كأنهنّ نجوم الشـيبِ ليست تــزول لكــن تــزيــدُ

فهو من الخفيف كما ترى .

(٢) جاء البيت الثاني من الأربعة في المطبوع هكذا :

ونحن ضجيــعــانِ في مَسْجـدٍ فــللّه مــا ضُــمّــن المسجــدُ

وهو تحريف ، صوابه : « في مُجْسَدٍ .... المُجْسَدُ » على ما في شعره ، ضمن (شعراء عباسيون) ص١٤٨ . ويقال : ثوبٌ مُجْسَدٌ ومُجَسَّدٌ ، وهو المصبوغ بالزعفران .

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
الواردُ	المتقارب		٢٤١/٢
باردُ	المتقارب		٢٤١/٢
عناقيدُها[١]	المتقارب	الأعشى	٢٤٤/١
عُودُها	المتقارب	الناجم	٣٢٨/١
الواردُ	مجزوء المتقارب	ابن المعتز	٢٤١/٢
باردُ	مجزوء المتقارب	ابن المعتز	٢٤١/٢

فصل الدال المكسورة

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
في غِمدِ	الطويل	أبو ذؤيب	١٥٧/١
والمجدِ	الطويل	نهشل بن حرِّيّ	٦٥/١
نجدِ	الطويل	نهشل بن حرِّيّ	٦٥/١
بعدِي	الطويل	نهشل بن حرِّيّ	٦٥/١
والمجدِ[٢]	الطويل	البحتريّ	٦٥/١
نجد	الطويل	البحتري	٦٥/١
الغِمْدِ	الطويل	النمر بن تولب	٨٠/١
الغِمدِ	الطويل		٦٩/١
وَرْدِ	الطويل	ابن المعتز	٣٥٥/١
القَصْدِ	الطويل	ابن المعتز	٣٤٨/١
النَّقدِ	الطويل	ابن المعتز	٣٤٨/١
خدٍّ	الطويل	ابن المعتز	١٨٠/٢
والمجدِ	الطويل	ابن المعتز	١٨٠/٢

(١) لم أجده في ديوان الأعشى بطبعتيه (جاير) و (محمد حسين)

(٢) البيتان مفردان في ديوان البحتري ٥٤٣/١ . وقد أنبأنا أبو هلال أنه أخذهما من نهشل بن حرِّيّ . وانظر تعليق الأستاذ حسن كامل الصيرفي . رحمه الله رحمة واسعة .

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
من بُرْدِ	الطويل	حمّاد عَجْرَد	١٨١/١
وَرْدِ	الطويل	التنوخيّ	٣٥٨/١
الجعْدِ	الطويل	التنوخيّ	٣٥٨/١
خدٍّ	الطويل	التنوخيّ	٢٧/٢
الزُّبْدِ	الطويل	أبو الهنديّ	٣١١/١
للرَّعْدِ	الطويل	أبو الهنديّ	٣١١/١
الوَرْدِ	الطويل	بشّار	٢٧٩/١
الوَرْدِ	الطويل	البحتري	١٦٧/٢
الجِدَّ	الطويل	ابن طباطبا العلوي	٣٥٧/١
وحدي	الطويل	ابن طباطبا العلوي	٣٥٧/١
الغِمدِ	الطويل	ابن طباطبا العلوي	٣٥٧/١
العبدِ	الطويل		٩١/١
والبَرْدِ	الطويل		٢٤١/١
مِذْوَدِي	الطويل	حسّان بن ثابت	٨٩/١
موقدِ	الطويل	الحطيئة	٤٣/١ ، ٤٤
الغدِ	الطويل	الحطيئة	٤٣/١
بمخلدِ	الطويل	الحطيئة	٤٣/١
مُصَرَّدِ	الطويل	الأخطل	٢٧/١
مجدَّدِ	الطويل	الأخطل	٢٧/١
بإثمدِ	الطويل	أبو تمّام	٣٤٣/١
عندي (٦أبيات)	الطويل	ابن الرومي	١٨٤/٢
فَرْدِ	الطويل	خالد الكاتب	٢٨٤/١
عندِي	الطويل	خالد الكاتب	٢٨٤/١

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
بموعدِ	الطويل	مالك بن نويرة	٢/٥٥
موردِ	الطويل	السَّريّ الرفاء	١/٣٠٩
مورَّدِ	الطويل	السَّريّ الرفاء	١/٣٠٩
يجرَّدِ	الطويل	أبو تمام	٢/٥٦
مغمدِ	الطويل	أبو تمام	٢/٥٦
تتجدَّدِ	الطويل	أبو تمام	٢/١٩٠، ٢٣٩
بسَرْمدِ	الطويل	أبو تمام	٢/١٩٠
المتفقّدِ	الطويل	يزيد بن الطثرية	٢/١٦٣
وإثمدِ	الطويل	يزيد بن الطثرية	٢/١٦٣
زبرجدِ	الطويل	ابن المعتز	١/٢٤٨
زبرجدِ	الطويل	التنوخي	٢/٣٢
يجتدِي (٥أبيات)	الطويل	الرقاشي	٢/١٧٩
وفدفدِ	الطويل	مسلم بن الوليد	٢/١٢٤، ١٢٥
مهتدي	الطويل	مسلم بن الوليد	٢/١٢٤، ١٢٥
باليدِ	الطويل	مسلم بن الوليد	٢/١٢٤، ١٢٥
القلائدِ	الطويل	أبو خِراش الهذلي	٢/٧٢
واحدِ	الطويل	ابن المعتز	٢/١٨٠
عوامدِ	الطويل	ابن المعتز	٢/١٨٠
حاسدِ (٨أبيات)	الطويل	البحتري	٢/٢٠
بحاسدِ	الطويل	البحتري	١/٤٦
الأساودِ	الطويل		١/١٣
الثرائدِ	الطويل		١/١٧٤
خالدِ	الطويل		٢/١٤٩، ١٥٠

القافية	البحر	الشاعر	الجزء والصفحة
بالبَردِ	البسيط		٢٥٦/١
البلَدِ	البسيط		٣٤٢/١
بادِي	البسيط	النمر بن تولب	٥١/٢
والهادي	البسيط	النمر بن تولب	٥١/٢
الصادي	البسيط	القطامي	٢٤٢/١
الحادي	البسيط	القطامي	١٢١/٢
بادي	البسيط	ابن أبي عيينة	١٣٨/٢
والحادي	البسيط	ابن أبي عيينة	١٣٨/٢
زادِ	البسيط	الأفوه الأودي	١١٨/١
بأقيادِ	البسيط	إدريس بن أبي حفصة	٦٣/١
حادي	البسيط	إدريس بن أبي حفصة	٦٣/١
الزادِ	البسيط	إدريس بن أبي حفصة	٦٣/١
بجلمودِ	البسيط	مسلم بن الوليد	١١٧/١
تغريدِ	البسيط	مسلم بن الوليد	١١٧/١
الجودِ	البسيط	مسلم بن الوليد	١٠٤/١
والجيدِ[1]	البسيط	مسلم بن الوليد	٥١/٢
الجلاميد	البسيط	مسلم بن الوليد	١٢٩/٢
مودودِ[2]	البسيط	مسلم بن الوليد	١٥٨/٢

(١) أنشد أبو هلال عجزه فقط بهذه الرواية :

ونغمد السَّيفَ بين النحر والجيدِ

والذي وجدته في ديوان مسلم ص١٦٣ :

ورأسَ مهران قد ركَّبْتَ قلّتَه   لَدْناً كفاه مكانَ اللِّيتِ والجيد

(٢) وينُسب لبشّار . راجع دلائل الإعجاز ص٥٠٤ ، وتعليق شيخنا أبي فِهر ، عليه .

(التعريف والنقد)

التعليقات والنوادر

لأبي علي الهجري

دراسة ومختارات للأستاذ حمد الجاسر

الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ حمد الجاسر علّامة الجزيرة من علمائنا الأعلام ، أحبَّ العربية الحبَّ الجمّ ، ووقف نفسه على دراستها والاطلاع على مكنوناتها ونفائسها ، والتنقيب عن مخطوطاتها النادرة ، والحثّ على تحقيقها ونشرها ، فكان الحجة في أنساب العرب ، ومعرفة مؤلفاتها وكنوزها في المكتبات المتفرقة ، وكان المرجع في تحديد المواضع في جزيرة العرب وضبط اسمائها . حقّق وألّف فأكثر وأطاب . وقام وحده بإصدار مجلة العرب الغراء التي بلغت سنتها التاسعة والعشرين ، فسدت فراغاً كبيراً في المكتبة العربية . وإن شهرته الواسعة ، ومكانته الرفيعة بين أهل العلم ، وجولان قلمه في تحبير المقالات والبحوث لتغني عن الإشادة بفضله ، والإفاضة في ذكر مآثره .

مما طلع به علينا من المؤلفات القيّمة كتابه : أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع (الرياض – ١٩٦٨م) ، فكشف اللثام عن مكانة هذا العالم الكبير الذي أهمله أصحاب التراجم والمؤلفون فلم يذكروا عنه إلا أقلَّ القليل ، وحدثنا عن كتابه الغميس : التعليقات والنوادر ، الذي أبقت الأيام منه قطعتين : إحداهما في دار الكتب المصرية (القاهرة) ،

والثانية في مكتبة الجمعية الآسيوية (كلكتة بالهند) .

وجاءت الدراسة في قسمين : تناول الأستاذ الجاسر في أولهما : الحديث عن الهجري : عصره وحياته ومؤلفه : التعليقات والنوادر (ص١٣ – ١٧٢) ، وعرض في القسم الثاني بحوث الهجري في تحديد المواضع (ص١٧٣ – ٣٩٩) . ورمى من نشر كتابه أن يكون مقدمة لدراسة وافية عن كتاب الهجري[1] .

واستجابةً لما فطر عليه الأستاذ الجاسر من تواضع جمّ ، وتنويه بأعمال سابقيه ، فقد أهدى كتابه إلى العلماء الثلاثة : الميمني والصديقي والمعصومي (من بلاد الهند) الذي كانوا أول من تحدث عن الهجري وكتابه[2] .

تبوأ أبو علي الهجري مكانته لدى العلماء بعد أن كشف أستاذنا الجاسر عنه الغطاء ، واحتفل في تقديمه لجمهرة الباحثين ، وأخذت الأنظار تتطلع إلى من ينهض بعبء تحقيق القطعتين المخطوطتين اللتين سلمتا من كتابه : التعليقات والنوادر .

وتقدم السيد حمود عبد الأمير الحمادي (من العراق) فرجا الأستاذَ الجاسر أن يمده بقطعتي المخطوطة ليكون تحقيقُهما مشفوعاً بدراسة الهجري موضوعَ رسالته لنيل درجة الدكتوراه ، فلبّاه وقدم له قطعتي المخطوطة مع نسخة من مؤلفه : أبو عليّ الهجريّ . وقام السيد الحمادي بدراسة الهجري وكتابه وتحقيق القطعة المصرية ، ونال بذلك درجة الدكتوراه ، وصدرت التعليقات والنوادر في جزأين (بغداد – ١٩٨١م)[3] .

(١) التعليقات والنوادر / دراسة ومختارات ، ق١ : ٥

(٢) أبو علي الهجري : ٥ ، ٩٧ – ٩٩ ، ١٧١ – ١٧٢

(٣) التعليقات والنوادر / دراسة وتحقيق للدكتور الحمادي ٢ : ٣٧٧ – ٣٧٨

ويبدو أن الطالب لم يكن ذا كفاية للاضطلاع بهذا العمل على وجهه ، فسطا في دراسته على ما ضمه كتاب : أبو علي الهجري ، بدل الإفادة منه ، وشوّه القطعة المصرية من الكتاب التي تصدى لتحقيقها ، إذ كان يجهل أصول التحقيق . لقد « اقتحم هذا الأمر اقتحاماً لم يتهيأ له ... » كما قال الأستاذ إبراهيم السامرائي ، فاستثار بعمله أستاذنا الجاسر ، وهو الحليم ، لأنه رأى بفعلة الدكتور الحمادي (رحمه الله) استهانةً بالتراث لا تغتفر[٤] ، وكان أن نهض الأستاذ من بعدُ بعبء تصحيح كثير من الأغلاط التي وقعت في الكتاب المطبوع ، ونشر ذلك في مجلة العرب (س١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) .

وما زال أستاذنا يؤمل أن يقوم أحد الكفاة القادرين بتحقيق الكتاب ، وفيه كنوز من اللغة والأدب والشعر والأنساب وتحديد المواضع لا نجدها في غيره من الكتب . وحرصاً منه على تقديم هذه الأعلاق النفائس ليفيد منها القراء ، ريثما يُحقق الكتاب ، فقد نسق الفوائد التي جناها منه ، ورتبها ، وجعل عمله موزعاً على أربعة أقسام :

القسم الأول (ط ١٩٩٢م) : وقد تحدث فيه الحديث المفصل عن : حياة الهجري وعصره وثقافته (ص٨ – ٢٣٣) ، واستخلص من النصوص أن الهجري عاش في القرن الثالث وفي أول القرن الرابع الهجريين[٥] .

وبعد أن استوفى القول في الهجري ، عقب بإيراد ما قام به من

---

(٤) التعليقات والنوادر / دراسة ومختارات ، ق١ : ٥ – ٦ ، ٢٣٧ ، ٤٨٦ – ٤٨٨ ، ق٢ : ٤٩٥ – ٤٩٦

(٥) التعليقات والنوادر / دراسة ومختارات ، ق١ : ٢٤

تصحيحات لطبعة الدكتور الحمادي (ص ٢٣٧ - ٤٨٨) .

القسم الثاني (ط ١٩٩٣م) : ويتضمن ما استطاع الأستاذ قراءته في قطعتي المخطوطة من الشعر والرجز ، وإنها لذخيرة طيبة . وقد أورد أستاذنا أسماء الشعراء على ترتيب حروف المعجم فبلغوا (٤٢٥) شاعر ، نُسقت أشعار كل منهم مرتبة القوافي على حروف الهجاء (ص٥١٢ - ٩٢٦) ، ثم وليتها أشعار لم يتضح قائلها ولا راويها (ص٩٢٧ - ٩٤٥) ، وبلغت عدة الأشعار نحو (٥٤١٥) بيت . وجاء بعدها الرجز (ص٩٤٦ - ١٠٠٩) وقد بلغ عدد الرجاز نحو (٧٦) راجزاً ، ثم ساق بعد ذلك الرجز الذي لم يتضح قائله ولا راويه (ص١٠١٠ - ١٠٢٤) . وبلغت عدة أبيات الرجز نحو ١٦٦٥ بيت مشطور .

ويبدو لمتصفح هذه الأشعار أن أكثرها لشعراء مغمورين لم يرد لهم ذكر فيما بين أيدينا من كتب ، وجلُّهم من عصريي الهجري . أما الشعراء المشهورين فقد جاء في أشعارهم أبياتٌ لم ترد في دواوينهم المعروفة .

ولقد تطلب جمع هذه الأشعار وترتيبها جهداً ووقتا . وعلق الأستاذ الجاسر عليها تعليقات نفيسة لا يقوى عليها إلا من أوتي اطلاعاً واسعاً ، وحافظة حيّة ، فصحَّح وخرّج . وتبقى أشياء تحتاج إلى مراجعة وتدقيق ، وأغلاط طباعية يحسن تلافيها في طبعة قادمة .

القسم الثالث (ط١٩٩٣م) : ويحتوي ما فسره الهجري في كتابه من اللغة ، وما قام به من تحديد المواضع . وقد رتبت مواد اللغة على حروف المعجم (ص١٠٣٨ - ١٢٨٠) . وهذه المادة اللغوية تتطلب الدرس والتوثيق ، فقد ذكر الأستاذ الجاسر أنه يخشى أن يكون قد اعتور بعضها

التصحيف والتحريف[٦] . ولا بد من دراسة يقوم بها عالم متضلع في المباحث اللغوية ، قادر على أن يستوفي ما استدركه كتاب الهجري مما لم يرد في كتب اللغة ومعجماتها .

أما المواضع التي عُني الهجري بصفتها وتحديدها فقد انطوت على فوائد شتى ، وتطالعنا مواضع كثيرة في جزيرة العرب قد تفرد الهجري بذكرها ، كما تطالعنا شروح تفصّل ما أجمله البلدانيون العرب في مؤلفاتهم ، وتفتح الباب لاجتهادات وتحقيقات وتصحيحات .

ولم تسنح الفرصة بعدُ لصدور القسم الرابع من الكتاب ، وقد قصره الأستاذ الجاسر على الأنساب التي جاءت في كتاب التعليقات والنوادر ، والمأمول أن يصدر قريباً إن شاء الله .

لقد قدّم الأستاذ الجاسر بعمله الحافل ذخيرة مشحونة بالفوائد اللغوية والأدبية والتاريخية ، تمور بأخبار البادية وحياتها الاجتماعية ، وهيأ للدارسين ما يحسن أن ينكبّوا عليه وينصرفوا اليه ليستخرجوا لآلئه ، ويعرضوا فرائده ، وقد وزّعها الدكتور الحمادي في دراسته على تسعة موضوعات مختلفة[٧] .

كذلك فإن الأستاذ الجاسر قد وطّأ بعمله السبيل لمن يودّ أن يحقق الكتاب ، فيصحّح المحرّف ، ويقيم المنآد ، على هدي وبصيرة ، مستعيناً بما سنّه العلماء من قواعد وأصول يحسن الالتزام بها ، ليأتي العمل أقرب الى الصواب . لقد قدّم الأستاذ الجاسر بكتابه منهلاً عذباً سائغاً للباحثين والدارسين يئلون اليه ، ويرتوون من فيضه .

---

(٦) التعليقات والنوادر / دراسة ومختارات ، ق٣ : ١٠٣٧

(٧) التعليقات والنوادر / دراسة وتحقيق للدكتور الحمادي ٢ : ٣٧٧ ـ ٣٧٨

شعر ابن جبير

مأمون الصاغرجي

عُرف ابن جبير الرحّالة الأديب برحلته الشهيرة « رحلة ابن جبير » ، ولم تطلق عليه كتب الأدب صفة الشاعر إلا في القليل النادر ، بيد أنها ذكرت أن له شعراً يمتاز بجودة الطبع ، ورقة الحاشية ، ونصاعة البيان[1] ، وأن له ديوان شعر بقدر ديوان أبي تمام ، ومنه جزء سمّاه « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » وأن له جزءاً آخر منه في رثاء زوجته أمِّ المجد سمّاه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح » ، ولم يصل إلينا – فيما نعلم – شيء عن هذين الجزأين أو بقية الديوان[2] .

وأُهدي بأَخَرَة إلى خزانة المجمع بدمشق كتاب يحمل عنوان « شعر ابن جبير » جمع وتحقيق الأستاذ فوزي الخطبا (دار الينابيع للنشر والتوزيع – عمّان ١٩٩١) نقدّم فيما يأتي نبذة عنه :

تبلغ عدة صفحاته ١١٠ صفحة من القطع الصغير ، ذكر مؤلفه أنه جمع قصائده ومقطّعاته من المصادر والمراجع التي تحدثت عن ابن جبير ورحلته ، ورتبها متسلسلة القوافي حسب حروف المعجم ، وذكر في مطلع كثير منها المناسبة التي قيلت فيها لتعين القارئ على فهم شعره . وقدّم لها

---

(١) انظر « الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » للأنصاري ، السفر الخامس ، القسم الثاني ص٦٠٧ ، ٦٠٨ .

(٢) انظر المصدر السابق والأعلام للزركلي ٥/٣٢٠ .

بكلمه تحدث فيها عن حياة ابن جبير ونسبه وصفاته ، وأعلام عصره من شيوخ وتلامذة ، ثم تحدث عن رحلاته وأسبابها (ص٣ – ٢٧) ، ثم استغرق شعره من ص٣٠ إلى ص١٠٨ .

ويبدو من تخريج الشعر أن جامعه قد استخرجه من سبعة كتب هي : « الإحاطة فيْ أخبار غرناطة » للسان الدين بن الخطيب ، و« نفح الطيب » للمقَّري ، و« الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » لمحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ، و« رحلة ابن جبير » و« رحلة العبدري » و« زاد المسافر » لأبي بحر صفوان بن إدريس ، و« المغرب في حلى المغرب » لأبي سعيد الأندلسي .

ويلوح لقارئ شعر ابن جبير تعدُّد الأغراض التي تناولها في شعره ، ففيها النسيب والمديح والحكمة والرثاء والهجاء والعتاب وغير ذلك من الإخوانيات والوصف . فمما يستجاد له قوله في جارية تركها في غرناطة[1] :

ولي بغرناطةٍ حبيبٌ قد غَلِق الرهنُ في يديهِ
ودَّعته وهو في دلالٍ يُظهر لي بعض ما لديهِ
فلو ترى طلَّ نرجسيه ينهلُّ في ورد صفحتيهِ
أبصرتَ دُرًّا على عقيقٍ من دمعه فوق وجنتيهِ

ومما قاله في الناصر صلاح الدين الأيوبي مادحاً وناصحاً[2] :

أطلَّت على أفقك الزاهرِ سعودٌ من الفلك الدائرِ
فأبشرْ فإنَّ رقاب العدا تُمدُّ إلى سيفك الباتر

(١) شعر ابن جبير ص١٠٥ .
(٢) شعر ابن جبير ص٤٦ .

فكـم لك من فتكـةٍ فيهمُ حكتْ فتكةَ الأسد الخادر
جنودك بالرُّعب منصـورة فناجزْ متى شئت أو صابر
تبيت المـلوك على فُرْشها وترفُل في الزَّرَدِ السَّابر[1]
وتؤثر جاهدَ عيش الجهاد على طيب عيشهـمُ النـافر
وتُسهر جفنك في حقِّ مَنْ سيرضيك في جفنك الساهر
فتحت المقدَّس من أرضـه فعادت إلى وصفها الطاهر

وفيها يقول :

محبتكم أُلقيت في النفوسِ بذكرٍ لكم في الورى طائر
فكـم لك بالشرق من حامدٍ وكم لك بالغرب من شاكر

إلى أن يقول له ناصحاً فيمن ضمن مال الزكاة فظَلَم وغَشَم :

ألا نـاصـح مبـلغ نصحـه إلى المـلك النـاصر الظافر
ظـلوم تضـمّن مالَ الزكاة لقد تعست صفقة الخاسر
يُسِـرُّ الخيـانـة في باطنٍ ويبدي النصيحة في الظاهر
فـأوقع بـه حـادثـاً إنـه يقبّـح أحـدوثـة الذاكر
فمـا للمنـاكر من زاجرٍ سـواك وبالعُرْف من آمر

لقد قام جامع الديوان بعمل طيب يذكر له فيشكر ، بيد أنه في عمله يحتاج إلى كثير من الضبط والعناية والتبصُّر فيما ينقله عن المصادر التي ذكرها في التخريج ، ومن القراءة الأولى للكتـاب كانت لي فيـه جملة من الملاحظ ، أذكر فيما يأتي شيئاً منها على سبيل الإفادة ، وهي ملاحظ متنوعة تندرج في أربعة أبواب : منها ما يتصل بضبط الكلمة أو رسمها أو ما يلحقها

(١) السـابر : مخفف عن السابريّ ، وهو درعٌ دقيقة النسج في إحكام صنعة ، منسوبة إلى الملك سابور . التاج (سبر) .

من التصحيف ، ومنها ما يتصل بالعروض ، ومنها ما يتعلّق بالقوافي ، ومنها ما يغلب على الظن أنها من أخطاء الطباعة :

أولاً : ما يتصل بضبط الكلمة أو رسمها ، أو ما يلحقها من التصحيف :

١ – جاء في ص٣٣ البيت (١) :

بِسِبتَةَ لي سكنٌ في الثرى وخلٌّ كريم إليها أتى

ضُبط اسم المكان « سبتة » بكسر السين ، والصواب فيه الفتح ، كما في القاموس (سبت) ومعجم البلدان ١٨٢/٣ وفيه : سَبْتَة : بلفظ الفَعْلَة الواحدة من الإسبات ... وجاء في تاج العروس (سبت) ما نصه : قال شيخنا : ثم إن المشهور الجاري على الألسنة أن النسبة إليها بالفتح على لفظها ، وجزم الرشاطي أن النسبة إليها سِبْتِيّ بالكسر . وعندي فيه نظر وإن قبله منه شيوخنا وأقروه قياساً على البصرة ونحوه . انتهى .

٢ – جاء في ص ٣٥ البيت (٢) :

حسن القول سيء الفعل كالجز ار سمّى وأتبع القول ذبحا

« سيءُ » كذا كتبت الهمزة على السطر ، والصواب أن تكتب على شبه ياء من غير نقط هكذا « سيِّئ » ، وكذلك ما جاء في ص٤٤ البيت (٤) : « لامريء » ، وما جاء في ص٥٥ البيت (٥) : « امريءٍ » ؛ والصواب فيهما : « لامرئ » و« امرئٍ » ، وهو ما يسمى كرسياً للهمزة وليس ياء معجمة باثنتين . انظر في ذلك كتاب « قواعد الإملاء » لعبد السلام هارون ص١٠ ، و« المطالع النصرية » لنصر الهوريني ص٥٦ ، و« سراج الكتبة » لمصطفى طموم ص٦ .

٣ – جاء في ص ٥٠ البيت (٥١) :

وإن كان نظمي له نادراً فقد قيل لأحكم النادر

فأصاب الكلمتين الأخيرتين من البيت شيء من التصحيف ، والصواب في روايته « فقد قيل لا حُكْمَ للنادِرِ » كما جاء في مصدر التخريج .

٤ – وجاء في ص٥٤ البيت (٢) :

لا أحب الليث في زمنٍ حاجتي فيه إلى البشر

والصواب فيه : « اللَّبْثَ في زمنٍ » ولعله من خطأ الطباعة .

٥ – ص ٥٨ البيت (١٦) :

وحين دنونا لغرض السلا م قصدنا الخطى ولزمنا الوقارا

لقد جار التصحيف على بعض كلمات في هذا البيت ، ولعل الصواب في روايته هكذا :

وحين دنونا لفرض السلام قصرنا الخطا ولزمنا الوقارا

« لفرض » بالفاء ، والميم في الشطر الأول ، و« قصرنا » بالراء المهملة ، و« الخطا » بالألف لأنها جمع خطوة .

٦ – ص ٥٩ البيت (٣٢) :

عسى لحظةُ منك لي في غد تمهَّد لي في الجنان القرارا

كذا « لحظة » بضمة على التاء ، و« تمهَّد » بفتح الهاء المشددة . والصواب فيها « لحظةٌ ... تُمَهِّد » .

٧ – ص ٧٢ البيت (١) :

قـلم بـه الإقـليم أصبح في حمى بشبـاتـه صرف الحوادث يصرف

كذا « بشبـاتـه » بـالثـاء المثلثـة ، وهو تصحيف ، والصـواب : « بشَبَاتِهِ » والشباة حَدُّ الشيء وطرفه .

٨ – ص ٨١ البيت (٢) :

كذا شهوات المرء إن لم تكن به موافقـة عـادت عـليهـا بكـلهـا

والصواب فيه : « إن لم تكن له » كما في مصدر التخريج « الذيل والتكملة » ص ٦٠٩ .

٩ – ص ٨٥ البيت (٥) :

أخي كم نتـابع أهـواءنـا وتخبط عشـواءهـا في الظُّـلَمْ

كذا « عشواءها » بالنصب ، والصواب بالرفع « عشواؤها » .

١٠ – ص ٩٤ البيت (٢) :

فقلت لخلّي في النوى جد بمدمع فـليس لنـا إلا المـدامع قربـانـا

« قربانا » كذا بإطلاق النون المنصوبة ، والصواب « قربانُ » بالنون المضـمـومة كما جاءت في مصـدر التخريج « نفح الطيب » ٤٩٢/٢ على الصواب بالرفع . ولعلها من خطأ الطباعة أيضاً .

ثانياً : ما يتصل بالعروض :

تعـددت الأخطـاء العروضيـة التي وقع فيها المحقق جامع الديوان وتنوعت ، فمنها ما يتعلق باختلال الوزن ، ومنها ما يتعلق بالخلط في أسماء البحور .

أما من حيث اختلال الوزن فقد جاء من مصدرين اثنين :

الأول : سقوط كلمة أو كليمة من البيت كما جاء في ص ٤٨ البيت (٢٤) :

فكـــم عنــد ذكر المــلـ ـوك بمثلك من مثل سائر

والصواب :

فكم [لهمُ] عند ذكر الملوكِ بمثــلك من مثَــلٍ ســائرِ

– وجاء في ص ٦٦ البيت (٢) :

لعجبت قبحــاً ومـلاحـةً منـه وقلت حظيرة أم مكنس

والصواب فيه : « لعجبت قبحاً [منهما] وملاحةً » .

– وجاء في ص ١٠١ البيت (٢) :

صحبت بك الزمـان أخا وفاءٍ فهــا هـو تنـمَّـر للقـطيعَـهْ

والصــواب في الشـطـر الشـاني هكـذا : « فهــا هو [قد] تنمَّرَ للقطيعَهْ » .

الثاني : عدم تساوي وزن البيت في شطرين متساويين ، وهو كثير ، وخاصة في البحر المتقارب ، فنجتزئ منه بثلاثة مواضع :

أ – جاء في ص٤٨ البيت (٢٣) :

رفعت مغـارم أرض الحجا ز بإنعامك الشاملِ الغامر

والصواب فيه :

رفعت مغارم أرض الحجازِ بإنعـامك الشــاملِ الغامر

ب – ص ٥٨ البيت (١٥) :

ولمــا حــللنــا فنــاء الرسـو ل نـزلنــا بــأكرم مجد جـوارا

وصوابه أن تكون كلمة « الرسول » كلها في الشطر الأول هكذا :

ولما حللنا فناء الرسولِ نزلنا بأكرم مجدٍ جوارا

جـ - ص ١٠٦ البيت (١) :

يا دمشق الغرب هاتيك لقد زدت عليها

والصواب فيه أن تكون كلمة « هاتيك » بين الشطرين هكذا :

يا دمشق الغرب هاتيـ ـك لقد زدت عليها

وأما الخلط في أسماء البحور فقد صنف المحقق في آخر الكتاب ص١٠٩ أشعار ابن جبير حسب البحور ، فرصد القصائد والمقطعات كلها وسمّى بحورها ، فأدرج القصيدة رقم (١١) ص٤٠ تحت البحر الكامل وهي من البحر الطويل ومطلعها :

صبرت على غدر الزمان وحقده وشاب لي السمّ الزعاف بشهده

وأدرج المقطعة رقم (٣٥) ص٧٤ تحت البحر الكامل وهي من الطويل ، ومطلعها :

عليك بكتمان المصائب واصطبر عليها فما أبقى الزمان شفيقا

وأدرج المقطعة رقم (٣٨) ص٧٧ تحت البحر الكامل وهي من المتقارب ، ومطلعها :

تغير إخوان هذا الزمان وكل صديق عراه الخللْ

وأدرج المقطعة رقم (٤٠) ص٧٩ في البحر المتقارب وهي من الكامل ، ومطلعها :

لصنائع المعروف فلتة غافل إن لم تضعها في محلّ قابل

وكذا المقطعة رقم (٤٢) ص٨١ أدرجت في البحر المتقارب وهي من الطويل ، ومطلعها :

وكم فلتات للصنائع تتقى عواقبها إن لم تقع في محلّها

وكذا المقطعة رقم (٤٤) ص٨٣ أدرجت في البحر الطويل وهي من المتقارب ، ومطلعها :

إذا بلغ المرء أرض الحجازِ فقد نال أفضل ما أمَّلَهْ

ثالثاً : وأما ما يتعلق بالقوافي فقد جاء في ص١٣ من المقدمة قول ابن جبير هكذا :

اسمعُ أُخَيَّ نصيحتي والنصح من محض الديانة
لا تقربن إلى الشهادة والوساطة والأمانة
تسلمْ من ان تعزى لزور أو فضول أو خيانة

جاءت القافية بإعجام الهاء ، والصواب أن تبقى عريَّةً عن النقط « الديانَهْ ... الأمانَهْ ... خيانَهْ » لأن تاء التأنيث لا تكون رويًّا ، وإنما هي هاء وصل بعد حرف الروي الذي هو النون المفتوحة . وفي هذه الأبيات اختلال في تقطيع البيت إلى شطرين متساويين كما أسلفت ، فكلمة « الشهادة » في البيت الثاني فـ« الشها » في الشطر الأول و« دَهْ » في الشطر الثاني ، وكلمة « لزور » فـ« لزو » في الشطر الأول و« رِ » في الشطر الثاني . وقد ذكرت هذه الأبيات في الديوان على الصواب ص٩٨ عدا قافية البيت الأول فقد ذكرت كما هي مثبتة هنا . وفيها « اسمعُ » بضمة على العين ، والصواب فيها « إسمعْ » فعل أمر بإثبات همزة الوصل وجعلها همزة قطع لضرورة الوزن .

وجاء ترتيب المقطعة رقم (٥٤) ص٩٩ ومطلعها :

يا وحشة الإسلام من فرقة شـاغلة أنفسها بالسفَهْ

على أن قافيتها الهاء ، وليست كذلك ، فحرف الروي هنا هو الفاء ، والهاء للوصل ، فيجب وضعها مع قوافي حرف الفاء . انظر « الكافي في العروض والقوافي » للخطيب التبريزي ص١٥١ ، ١٥٢ .

وكذلك المقطعة رقم (٥٥) و(٥٦) وقافيتهما : « الشريعَهْ » و« للوديعَهْ » فحرف الروي فيهما هو العين ، والهاء للوصل ، فموضعهما مع قوافي حرف العين .

وثمة ملحوظتان تعدَّان من لوازم عمل المحقق وعدَّته ، وهما من الأمور التي تواضع عليها أهل هذا الفن : الأولى ضبط النص ، وقد أشار جامع الديوان إليه إذ ذكر (ص٣) أنه قام بضبط النص بالشكل التام لإزالة اللبس والغموض وتحديد المعنى . ومن يقرأ في الديوان يجد كثيراً من الأبيات لا ضبط فيها مثل البيت (٣) ص٦٢ :

وبودي لو أقضي العمر في خدمة الطلاب حتى في الكرى

وكذا البيت (٦) ص٨٥ :

رويدك جرت فحج واقتصد أمامك نهج الطريق الأعمْ

الثانية : أنه كثيراً ما يذكر في تخريجه للشعر « الورقة كذا » مما يوهم بأن الكتاب الذي ينقل منه مخطوط ، في حين أنه ينقل من كتب مطبوعة ، لأن اصطلاح ذكر الورقة لا يستخدم إلا في الكتب المخطوطة ، وأما المطبوعة فلا يذكر فيها عادة إلا الأرقام أو يقال ص أو صفحة ..

رابعاً : الأخطاء المطبعية نشير إلى بعض كلمات منها :

الصفحة	البيت	الخطأ	الصواب
٤٠	٦	صاڈم	صادمْ
٤٧	١١	الزاخْر	الزاخِرِ
٥٠	٥٤	قبولُ	قبولٌ
٦١	٢	حالِ	حالٍ
٦٤	١	وسبطية	وسبطيه
١٠٣	٢	فيكمُ	فيكمْ

وبعد ، فهذه نماذج مما وقع في الديوان على سبيل المثال لا الحصر ، وإننا لنرجو من جامع هذا الشعر أن يسخو على عمله بالجهد والصبر والتبصُّر في طبعته القادمة – إن شاء الله – ليغدو شعر ابن جبير أقرب ما يكون إلى نظمه الذي خلَّفه ، ويكون مرآة صافية لعصره وثقافته ، تعين الدارس على أخذ الفوائد والعبر .

(آراء وأنباء)

انتخاب

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب أميناً للمجمع

انتخب مجلس المجمع في جلسته التاسعة للدورة المجمعية (١٩٩٣ – ١٩٩٤م) التي عقدها في (١٤١٤/٧/٢هـ – ١٩٩٣/١٢/١٥م) الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب أميناً للمجمع .

وصدر عن السيدة وزيرة التعليم العالي الدكتورة صالحة سنقر القرار ذو الرقم (١٨) في (١٤١٤/٧/٨هـ – ١٩٩٣/١٢/٢١م) بتجديد تعيين الدكتور عدنان الخطيب أميناً لمجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات .

الندوة العلمية الدولية الثالثة

حول

المعجم العربي المختص(*)

(١٧ - ١٩٩٣/٤/١٩م)

الدكتور يحيىٰ ميرعلم

درجت جمعية المعجمية العربية في تونس على سنة حميدة ، تجلت في تنظيمها أربع ندوات علمية متخصصة ، وقفت أولاها على تقويم التجربة المعجمية التونسية فعقدت لها الندوة العلمية الأولى حول إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي(١) . (تونس ١و٢و٣ آذار / مارس ١٩٨٥) ثم انطلقت إلىٰ أفق معجمي أرحب ، فعقدت ثلاث ندوات دولية ، تناولت في الأولىٰ منها موضوعين ، الأول : دراسة ثلاثة من كبار المعجميين المحدثين إحياءً للذكرىٰ المئوية لوفياتهم ، وتقديراً لجهودهم في إثراء المعجم العربي الحديث ، وهم أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٧م) صاحب كتاب « الجاسوس على القاموس »(٢) وبطرس البستاني (١٨١٩ -

---

(*) شارك كاتب المقال في أعمال الندوة وفي تقديم بحث « الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي » نيابة عن فريق العمل المؤلّف من : الأستاذ مروان البواب والدكتور محمد مراياتي والدكتور يحيي مير علم والأستاذ محمد حسان طيان .

(١) صدرت بحوثها عن دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة ١٩٨٥م .

(٢) طبع في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩هـ .

١٨٨٣م) صاحب أول معجم عربي حديث « محيط المحيط »[٣] وراينهارت دوزي (١٨٢٠ - ١٨٨٣م) صاحب « تكملة المعاجم العربية »[٤] .

والثاني : الاهتمام بقضايا المعجم العربي المعاصر ، وهكذا تناولت بحوث الندوة العلمية الدولية الأولىٰ محورين : الأول « إسهام المعجميين الثلاثة في إغناء المعجم العربي « والثاني » من قضايا المعجمية المعاصرة (تونس ١٥ و١٦ و١٧ نيسان / أفريل ١٩٨٦م)[٥] . ثم عقدت الجمعية بعد ثلاث سنوات « الندوة الدولية الثانية حول المعجم العربي التاريخي : قضاياه ووسائل إنجازه »[٦] . (تونس من ١٤ إلى ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٩م) . وكان آخر النشاطات العلمية للجمعية هذه « الندوة العلمية الدولية الثالثة حول المعجم العربي المختص » والتي سيرد قريباً الكلام عليها مفصلاً .

ولا يخفىٰ على أهل الذكر أن الموضوعات التي تناولتها الندوات الدولية الثلاث المتقدمة كان اختيارها موفقاً ، لأنها من أهم قضايا المعجم العربي المعاصر ، وتؤلف بحوثها في مجموعها سجلاً حافلاً يجمع بين دفتيه دراسات متخصصة تستغرق كثيراً من موضوعات المعجم العربي المعاصر العام والتاريخي والمختص ، إضافة إلى الكشف عن جهود الأعلام من المعجميين المعاصرين ، ولما كانت مثل هذه الندوات والدراسات التي تتناولها

---

(٣) طبع وصور غير مرة ، منها طبعة مصورة في مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٣م .

(٤) صدرت طبعته الأولىٰ في هولندا بسنة ١٨٨١م .

(٥) صدرت بحوث الندوة عن دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٦) صدرت وقائع الندوة في العددين الخامس والسادس من مجلة المعجمية بتونس ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م و١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

موضعَ عناية السادة قرّاء مجلة مجمع اللغة العربية ، غير أنهم لم يتح لهم الاطلاع على ما يقدّم في تلك الندوات من بحوث لجملة من الأسباب ، يتصدرها عدم الكتابة عنها في أكثر المجلات المعنية بقضايا العربية ، واقتصار الاطلاع على بحوثها وسجل وقائعها على المشاركين فيها ، وهم قلة ربما لا يتجاوز مبلغهم ، في أحسن الأحوال ، بضع عشرات ، أو على من انتهى إليهم العلم بصدور بحوث الندوة الأولى في كتاب ، والثانية في عددين مجموعين من أعداد مجلة المعجمية العربية التونسية التي لم يرها أو لم يسمع بها في المشرق إلا الخاصة من المعنيين بقضايا العربية عامة والمعجمية خاصة . لمّا كان ذلك كذلك رأيت من المستحسن قبل تفصيل الكلام على الندوة الثالثة موضوع المقال إيرادَ ما اشتملت عليه الندوتان الأولى والثانية من بحوث ، وهو ما سأذكره فيما يأتي :

وقائع الندوة العلمية الدولية الأولى حول

المعجمية العربية المعاصرة

المحور الأول

إسهام المعجميين الثلاثة في إثراء المعجم العربي : أحمد فارس الشدياق .

١ - النظرية الاشتقاقية عند الشدياق : أصولها وعرضها على المعجمية السامية المقارنة ، د . رمزي بعلبكي .

٢ – جهود أحمد فارس الشدياق في تطوير المعجم العربي ، د . يوسف مسلم أبو العدوس .

٣ – أحمد فارس الشدياق وقضايا المعجم العربي ، د . أحمد مختار عمر .

٤ – عناصر المعجم الحديث عند الشدياق . أ . محمد علي الزركان .

٥ – الجوائب ودورها في المعجمية الحديثة ، د . محمد التونجي .

٦ – قراءة تحليلية لمقدمة الشدياق على لسان العرب ، د . عبد العزيز بن يوسف كيلاني .

٧ – علم المعاجم عند أحمد فارس الشدياق ، د . حلمي خليل .

٨ – منزلة الحركة المعجمية في القرن التاسع عشر ، أ . فرحات الدريسي .

٩ – رياض النفوس للمالكي مصدراً من مصادر معجم دوزي ، أ . محمد العروسي المطوي .

١٠ – منزلة مستدرك دوزي من المعجمية العربية ، أ . إبراهيم بن مراد .

١١ – ملاحظات على معجم دوزي وانكلمن ، د . حكمة علي الأوسي .

١٢ – بطرس البستاني وجهوده المعجمية ، د . علي توفيق الحمد .

١٣ – البستاني مصدراً لدوزي ، أ . محمد القاضي .

المحور الثاني
من قضايا المعجمية العربية المعاصرة

١ – الاستيعاب في المعجم العربي الأوربي من حيث مناسبات التعويض ومناسبات السياق وأثره في المعرفة والتربية والترجمة ، د . محمد رشاد الحمزاوي .

٢ – من قضايا المعجمية العربية المعاصرة ، د . عفيف عبد الرحمن .

٣ – النحويون واللغويون وموقف دوزي من التراث اللغوي ، د . كيس فرستيخ .

٤ – معضلة المصطلحات العلمية و« حيل المترجمين » ، د . حنفي بن عيسىٰ .

٥ – من قضايا المعجمية العربية المعاصرة ، أ . عيسىٰ بطرس .

٦ – من قضايا المعجمية العربية المعاصرة ، أو من العربية المعاصرة ، د . إبراهيم السامرائي .

٧ – المعجم العربي بين التصوري والوظيفي ، د . عبد القادر الفاسي الفهري .

٨ – المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد ، د . عبد العزيز مطر .

٩ – أهمية أدب الخاميادو المورسكي في المعجم الإيتمولوجي القشتالي ، أ . محمد نجيب بن جميع .

١٠ – هل من معجم عربي وظيفي ، أ . أحمد العايد .

١١ – من قضايا المعجمية العربية المعاصرة ، د . أحمد شفيق الخطيب .

وقائع الندوة العلمية الدولية الثانية
حول

ندوة المعجم العربي التاريخي : قضاياه ووسائل إنجازه

١ ــ تاريخ المعجم التاريخي العربي (متع) في نطاق العربية : المبادرات الرائدة ، د . محمد رشاد الحمزاوي .

٢ ــ من الألفاظ إلىٰ المعاني والعكس ، د . دانيال ريغ .

٣ ــ دائرة المعارف الإسلامية أصل من أصول المعجم العربي التاريخي ، أ . أحمد العايد .

٤ ــ دائرات المعارف وصلتها بالمعجم التاريخي (العربي) ، أ . فرحات الدريسي .

٥ ــ منزلة « المستدرك » و« معجم الملابس » لدوزي من التأريخ للفظ العربي ، أ . منجية منسية .

٦ ــ المعجم التاريخي العربي : مفهومه ــ وظيفته ــ محتواه ، د . علي توفيق الحمد .

٧ ــ دراسة تقنية مقارنة لمعاجم الصحاح ولسان العرب وتاج العروس ، د . علي حلمي موسىٰ .

٨ ــ المعجم العربي التاريخي : مفهومه ــ وظيفته ــ محتواه ، د . عبد المنعم عبد الله محمد .

٩ ــ من مواد المعجم التاريخي : الجمع في طائفة من الكلم القديم ، د . إبراهيم السامرائي .

١٠ ــ قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي ، د . عبد الوهاب الودغيري .

١١ – دور العاميات والساميات في المعجم العربي التاريخي ، د . فيديركو كورينطي .

١٢ – منزلة اللهجة التونسية في المعجم التاريخي العربي : « واحة بلا ظل » نموذجاً ، أ . محمد العروسي المطوي .

١٣ – تراث لحن العامة مصدراً من مصادر المعجم التاريخي ، د . أحمد محمد قدور .

١٤ – اللفظ الأعجمي في معجم العربية التاريخي : ملاحظات حول قضيتي الجمع والوضع ، أ . إبراهيم بن مراد .

١٥ – المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي ، د . حلمي خليل .

١٦ – بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي ، أ . الطيب البكوش .

١٧ – صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التاريخي ، د . شوقي ضيف .

١٨ – تاريخ الكلمة العربية وتطورها في الدرس اللغوي عند العرب مع دراسة وصفية تطبيقية من خلال لسان العرب لابن منظور ، د . هادي نهر .

١٩ – محاولة التأريخ لمعجم الرياضيات في العربية ، د . محمد السويسي .

٢٠ – المصطلح الفلسفي ومنزلته في المعجم العربي التاريخي ، أ . عبد الستار جعبر .

٢١ – الخبر : مفهومه ومنزلته في المعجم ، أ . محمد القاضي .

22 – La lexiographie historique et LOxford English

dictionary: T. BENBOW

23 – The computerization of the Oxford English Dictionary: T. BENBOW

24 – Organisation de l'information dans la rubrique d' analyse synchronique des articles du
Tresor de la langue francaise
problemes et solutions: G. GORCY

وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة حول

المعجم العربي المختص

وأما هذه الندوة فقد انعقدت في نزل المشتل بتونس ما بين السابع عشر والتاسع عشر من نيسان/ أفريل ١٩٩٣م ، وشارك فيها ما يزيد على خمسة وعشرين باحثاً ينتمون إلى بعض الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث العربية والأجنبية ، قدموا فيها خلاصة ما انتهى إليه علمهم في هذا الموضوع المتخصص ، وهو المعجم العربي المختص وقضاياه وجميع ما يتعلق به ، وأغنوا الندوة بمناقشاتهم المثمرة التي أتاحت لهم فرصة لتبادل خبراتهم وتجاربهم . وقد أعان جمعية المعجمية العربية على تنظيم الندوة كلّ من : كتابة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا ، وجامعة تونس للآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، وجامعة الزيتونة ، والمعهد الأعلى للحضارة الإسلامية ، واتحاد الصحفيين التونسيين . وفيما يأتي بيان مفصل يتناول وقائع الندوة ، وما قدم فيها من بحوث ، موزّعةً على الجلسات العلمية والمحاور :

الجلسة العلمية الأولى

المحور الأول

المعجم العربي القديم المختص

ومنزلته في وضع المعجم العربي المختص المعاصر

١ ــ المعجم العربي القديم المختص : مقاربة في الأصناف والمناهج ، د . حلام الجيلاني .

٢ ــ المعجم العربي القديم المختص ومنزلته في وضع المعجم العربي المختص المعاصر ، د . علي توفيق الحمد .

٣ ــ منزلة التراث الاصطلاحي الجغرافي في وضع المعجم الجغرافي المعاصر ، أ . لطفي دبيش .

الجلسة العلمية الثانية

٤ ــ المطلع على أبواب المقنع لأبي عبد الله محمد البعلي الحنبلي : تعريف ونقد ، د . سليمان العايد .

٥ ــ الرسائل العلمية مصدر من مصادر المعجم العربي المختص ، أ . فرحات الدريسي .

المحور الثاني

روّاد المعجم العربي المختص

(مع اهتمام خاص بالشيخ محمد بن عمر التونسي)

٦ ــ الأسس المعجمية في كتاب الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية

للشيخ محمد بن عمر التونسي ، أ . إبراهيم بن مراد .

٧ ـ الرواد القدماء في مجال المعجم الفني المختص ، أ . عبد الستار جعبر .

٨ ـ بعض مشكلات المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، د . ماهر عبد القادر علي .

الجلسة العلمية الثالثة

أصناف المعجم العربي المختص الحديث : القضايا والمنهجيات

٩ ـ النص المعجمي في المعجم المختص ، د . محمد رشاد الحمزاوي .

١٠ ـ المعجم النباتي العربي بين الماضي والحاضر والمستقبل : قضايا ومنهجيات ، د . أنور الخطيب .

١١ ـ المعجم المختص : مشكلاته واستعمالاته ، أ . أحمد العايد .

١٢ ـ المعجم بالإشارة ، د . مصطفى بنيخلف .

١٣ ـ مشروع معجم إناثي ، أ . منجية منسية .

١٤ ـ مصطلحات البلاغة العربية بين معجمين ، د . وليد محمود خالص .

١٥ ـ المعجم الطبي : ملاحظات وإضافات ، د . أحمد ذياب .

١٦ ـ أسس بناء معجم آلي عربي في النظرية والمنهج ، د . محمد الحناش .

١٧ ـ الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي ، د . يحيى مير علم .

١٨ ـ برنامج تقليص حجم قاموس عربي مبني على قواعد العربية لإنجاز مدقق إملائي ، أ . بو بكر المؤدب الحمروني .

١٩ – دراسة مقارنة في المعجم الفقهي المختص ، د . حسين بيوض .

المحور الرابع

علاقة المعجم المختص بالنظريات اللسانية والمصطلحية

٢٠ – المعاجم المختصة : وجهة نظر المترجم ، د . حنفي بن عيسىٰ .

٢١ – المعجم المختص : ملاحظات مصطلحية ولسانية ، د . محمد حلمي هليّل .

٢٢ – دور المعجم المختص في ترجمة وتعريب المصطلح السياسي الإنكليزي ، د . عبد الله الشناق .

٢٣ – من قضايا المصطلحية العربية الإسبانية : نظرات في معاجم مختصة عربية إسبانية ، أ . محمد نجيب بن جميع .

٢٤ – حول منهجية الترجمة والتعريب من خلال معجم جيولوجي فرنسي انكليزي عربي ، د . أحمد بلال .

٢٥ – علاقة المعجم المختص بالنظريات اللسانية والمصطلحية ، د . محمد رشاد الحمزاوي .

٢٦ – ظواهر تنوع المصطلحات العلمية العربية ومعالجتها القاموسية ، د . إكزاويه لولوبر .

٢٧ – علاقة المعجم المختص بالنظريات الحديثة ، أ . منية الحمامي .

وقد خلصت الندوة بعد تقديم البحوث السالفة وما أعقبها من مناقشات مثمرة إلى جملة توصيات ، استغرقت أهم ما جاء في بحوث الندوة

وموضوعاتها والآراء التي تداولها المشاركون فيها . وأرىٰ مفيداً إيراد هذه التوصيات بنصّها وحروفها إتماماً للفائدة ، وجرياً على نهج مضىٰ في مقالات مشابهة ، نشرت في مجلة المجمع ، تناولت مؤتمرات وندوات عُنيت بقضايا العربية المعاصرة عامة واللغويات الحاسوبية خاصة . وفيما يلي نصّ هذه التوصيات(٧) :

« إن المشاركين في الندوة العلمية الدولية الثالثة حول (قضايا المعجم العربي المختص) المنعقدة في تونس من ١٧ إلى ١٩ أفريل ١٩٩٣ بدعوة من جمعية المعجمية العربية بتونس يقدرون تقديراً عالياً الجهود العلمية الرائعة التي بذلتها هذه الجمعية وإنجازاتها المباركة على مستوىٰ البحث والنشر والتأليف ، وعقد الندوات العلمية الدولية في سبيل تحقيق أهدافها ، كما يعبرون عن إعجابهم بالمستوىٰ الرفيع الذي اتسمت به هذه الندوة تخطيطاً وإشرافاً وتنفيذاً .

وبعد الاستماع إلى كلمة السيد وزير الثقافة التونسي وترحيبه وتوجيهاته خلال حفل الافتتاح ، وبعد الاستماع إلى كلمة السيد كاتب الدولة للبحث العلمي في جلسة اختتام أشغال هذه الندوة ، وكلمة الأستاذ الدكتور رئيس المعجمية العربية التي عرض فيها جهود الجمعية ومشاريعها ، وبعد متابعة المداخلات والمناقشات التي دارت حول موضوع الندوة ومحاورها ، فإن المشاركين يسجلون التوصيات التالية :

١ – ضرورة الاستمرار في العناية بالمعجم العربي المختص في مختلف

(٧) ماسيأتي هو نص التوصيات وفق ما جاء في أصلها المخطوط الذي تسلمته من جمعية المعجمية العربية آخر الندوة ، وقد رأيت من الواجب إثباتها كما هي ، على ما فيها من مواضع يسيرة تجافي الصواب اللغوي ، وتدخل في باب الأخطاء الشائعة .

الميادين ، ولا سيما المعاصرة منها ، وتأهيله ليكون أداة علمية ومعرفية وتربوية وثقافية ، تواكب حاجات العصر وتحديات القرن الحادي والعشرين باللغة العربية القومية .

٢ ـ الدعوة إلى استقراء المصطلح التراثي اللغوي والعلمي ، بحصره وتحليله وفهرسته ، حتى تتمّ الإفادة منه في وضع المعاجم المختلفة ، ولتوظيفه توظيفاً عصرياً يحقق التواصل الثقافي والحضاري بين الأجيال .

٣ ـ العناية بتحقيق أمهات كتب التراث اللغوي والعلمي التي لها صلة بإنجاز المعاجم المختصة المنشودة ونشرها ، ونخص منها بالذكر كتاب « الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية » للشيخ محمد بن عمر التونسي .

٤ ـ التعريف بجهود روّاد المعجم العربي المختص ، وبيان أثرهم في هذا المعجم ، والدعوة إلى تخليد ذكراهم بمناسبة الذكرىٰ العاشرة لتأسيس جمعية المعجمية العربية بتونس ، والذكرىٰ المئوية الأولى لميلاد الأمير مصطفى الشهابي في نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٩٣ ، بالتعاون مع الجهات والمؤسسات والهيئات ذات العلاقة في تونس والوطن العربي .

٥ ـ عقد ندوات متخصصة في تقنيات وضع المعاجم المختصة ، وبخاصة مقاييسها النظرية والتطبيقية التي توصلت إليها النظريات اللسانية والمعجمية الحديثة .

٦ ـ يدعو المشاركون إلى عقد ملتقيات عمل تدريبية دورية لتأهيل المعجميّين والمصطلحيين في ميادين اللسانيات المعجمية والمصلطحية والحاسوبية ، كدورة في مجال اللسانيات الحاسوبية مطبقة على المعجمية والمصطلحية خلال صيف ١٩٩٥ ، وندوة في إعداد (المعجمي والمصطلحي العربي) بالتعاون مع الجامعات والهيئات والمنظمات والمؤسسات العربية والدولية .

٧ – يناشد المشاركون جميعة المعجمية العربية بتونس أن تواصل ما تنشره من ثبت للمصادر والمراجع المتعلقة بالجهود المعجمية والمصطلحية العربية ، لما لها من قيمة ، وفائدة علمية وتطبيقية ، ويدعونها إلى أن تتعاون في سبيل تحقيق ذلك مع وزارات التربية والتعليم والبحث العلمي والثقافة والأوقاف والمجامع والجامعات العربية والكليات والمعاهد العليا لتمدّها بإصداراتها ومطبوعاتها ، وخاصة اللغوية والمعجمية والمصطلحية ، لتساعد على التعريف بها والإفادة منها .

٨ – يدعو المشاركون إلى العناية ومضاعفة الاهتمام بالمعاجم المختصة ، كمعجم الإشارة لمساعدة الصم والبكم ، والمعاجم الحاسوبية (المحوسبة) ومعجم البلاغة والفقه ، ومعجم المصطلحات التربوية وغيرها من المعاجم الفنية المعاصرة ، حتى يكون المعجم المختص العربي على مستوى الأعمال المعجمية المماثلة .

٩ – دعوة الجامعيين والباحثين والاختصاصيين إلى تأسيس جمعيات لسانية حاسوبية متعددة الوظائف ، من ذلك تأسيس جمعية عربية للسانيات الحاسوبية داخل الوطن العربي ، لتدعم نهضة المعجم العربي المختص ، وليصبح تقليداً عربياً عامّاً ، إضافة إلى تحقيق أغراض لسانية ومعرفية أخرى .

١٠ – يناشد المشاركون الجامعات العربية ومعاهد البحث والتعليم العالي استكمال زاد المكتبات العربية العلمية التراثية منها والحديثة ، لتكون دعامة للتدريس والبحث والتأليف والترجمة في اللغة العربية لإنجاح مشروعات التعريب على كل المستويات ، بحيث تصبح العربية لغة العصر في العلم والمعرفة ، وفق استراتيجية وتخطيط زمني مبرمج تقوم به الحكومات العربية ومؤسساتها ، لتنمية اللغة العربية مواجهةً لتحديات القرن المقبل .

١١ – يدعو المشاركون الدول العربية إلى رصد مبالغ من ميزانياتها

لدعم الجهات والهيئات والجمعيات التي تعمل على خدمة العربية لغةً وثقافةً .

١٢ - يناشد المشاركون المؤسسات والهيئات والمعاهد والجمعيات الإقليمية والدولية ، مثل منظمة اليونسكو ، والألكسو ، وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية ، والمنظمات الدولية الإقليمية ، وصناديق التنمية العربية ، والبنك الإسلامي للتنمية ، والمجموعة الاقتصادية الأوربية ، والبنوك والشركات الاقتصادية ، والجامعات العربية والصديقة ، ومراكز دعم الثقافة العربية والإسلامية في مجال التخصص ، إلى مساعدة جمعية المعجمية العربية بتونس لتحقيق أغراضها العلمية الخيّرة ، ومساعدة كل هيئة تسعىٰ إلى تحقيق التقدم على المستويات اللسانية والمعجمية والمصطلحية .

١٣ - ترحب الجمعية بعضوية المشاركين في ندواتها المتخصصة ، والمهتمّين بأهدافها العلمية المعلنة ، وتدعوهم إلى أن يكونوا أعضاءً ممثلين ، ومراسلين لها كلٌّ في موقعه ، ليقوموا بالدعوة إلى مؤازرة مشاريعها العلمية ، والإسهام في ذلك معنوياً وعلمياً ومادياً .

١٤ - يشكر المشاركون جمعية المعجمية العربية بتونس على إتاحتها الفرصة لهم للانضمام إلى عضويتها ، ويعدون أن يكونوا أعضاء عاملين ملتزمين لتحقيق أهدافها العلمية القومية والحضارية النبيلة .

١٥ - كما يسجلون شكرهم ضافياً لجمعية المعجمية العربية بتونس على دعوتهم وتمكينهم من المشاركة في أشغال هذه الندوة ، ويشكرون كل من أسهم في تنظيم عقد هذه الندوة ، أو شارك في الإعداد والتنفيذ والدعم مادياً أو معنوياً ، ويسجلون امتنانهم على الحفاوة البالغة والأخوة الصادقة التي غمرهم بها منظمو الندوة والقائمون عليها ، ويباركون لهم نجاحهم في كل خطواتهم ، ويتمنّون لهم دوام التوفيق .

« تونس العاصمة في : ١٩ أفريل ١٩٩٣م »

ويبدو جلياً أن في التوصيات المتقدمة دلائل أخرى على نجاح هذه الندوة في تحقيق غاياتها العلمية ، آية ذلك ما فيها من دقّة وشمول لقضايا المعجم العربي المختص ، والمصطلح ، واللسانيات الحاسوبية ، فضلاً عمّا تضمّنته من دعوات ومناشدات مختلفة للهيئات والدول وصولاً إلى غايات نبيلة . على أن قراءة فاحصة لهذه التوصيات تسمح بإعادتها إلى أربع موضوعات رئيسية ، يمكن توزيعها عليها ، فالتوصيات ذوات الأرقام (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨) ينتظمها موضوع المعجم المختص وأعلامه والمصطلحات وكتب التراث المتعلقة بها والمعجم الحاسوبي ، وهي أهم ما اشتملت عليه التوصيات ، على كثرتها وطولها ، وأكثرها قابلية للتطبيق ، والتوصيات ذوات الأرقام (٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩) ينتظمها موضوع الدعوة إلى عقد ندوات وملتقيات ودورات وإنشاء جمعيات لسانية حاسوبية ، وهناك ثلاث توصيات أرقامها (١٠ ، ١١ ، ١٢) ناشد المشاركون فيها الهيئات على اختلاف تسمياتها والدول العربية لدعم المكتبات المتخصصة بقضايا العربية ، ومساعدة جمعية المعجمية على النهوض بمهامّها العلمية ، ودعم الجهات المعنيّة بخدمة اللغة العربية ، وتبقىٰ التوصيتان الأخيرتان (١٣ ، ١٤) ينتظمهما موضوع تلبية الجمعية لرغبة بعض المشاركين في الانضمام إلى عضويّتها وشكرهم لها على ذلك .

لقد تنبّه القائمون على الندوة والمشاركون فيها على أهميّة العلاقة بين وضع المعاجم على اختلاف أنواعها : عامّة ومختصّة وتاريخيّة وبين اللسانيات الحاسوبية التي يكون الحاسوب فيها الأداة المنفّذة لجميع تطبيقات المعالجة الآلية للغة ، ومنها المعجم الحاسوبي ، يدلّ على هذا ما ورد في التوصيات ذوات الأرقام (٦ ، ٨ ، ٩) إذ دعت الأولى منها إلىٰ عقد دورة في

اللسانيات الحاسوبية لتطبيقها على المعجمية والمصطلحية ، ودعت الثانية إلى العناية بالمعاجم الحاسوبية وغيرها ، وأمّا الثالثة فدعت إلى تأسيس جمعية عربية للسانيات الحاسوبية ، وذلك لأن المعجم الحاسوبي يُعَدّ الأساس الذي يقوم عليه بناء النظام المعرفي الخبير للغة العربية ، إذ ترتبط به جميع الأنظمة الجزئية الخبيرة التي يستقل كلٌّ منها بمعالجة واحد من مستويات اللغة (علومها) : الصرف والنحو والدلالة والأصوات . وسيشتمل هذا المعجم الحاسوبي على توصيف معلوماتي لموادّه يتضمّن المعطيات اللازمة لتحديد المادّة وخصائصها اللغوية والنحوية والصرفية والدلالية والمقامية والصوتية والإحصائية بما يوفر حاجة الباحثين ونُظُمَ المعالج الآلية للعربية ، كما سيتفرع عليه معاجم مختصّة وفق الحقول الدلالية والمقامات والعلوم، ومن المأمول له أن يتجاوز ما يتجه على المعاجم التقليدية قديمها وحديثها من مآخذ في المادّة والشرح والمنهج[٨] .

ومّما يثلج الصدر أن تكون هذه الجمعية العلمية الخاصة قادرة على تنظيم هذه الندوات الدولية المتخصصة ، وتوفير أسباب النجاح لها ، وتأمين راحة المشاركين فيها على خير وجه ، يعينها في ذلك ما تقدّمه لها بعض الجهات المحلّيّة من أنواع الدعم وهذه الخصوصية لجمعية المعجمية تحمل على التقدير والإعجاب ، وتفسّر ما بدا واضحاً في مستهل التوصيات وفقراتها ذوات الأرقام (٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) من تعدد التوصيات الخاصة بها .

لقد أفاد المشاركون كثيراً من هذه الندوة ، وكان يمكن للفائدة أن تكون أكبر لو أنه تسنّىٰ للهيئة المنظمة أن تضع بين أيدي الباحثين

(٨) انظر بحث « الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي » ص٢ . وقد تقدّم (الجلسة العلمية الثالثة ــ رقم ١٧) .

المشـاركين بحوث الندوة قبـل تقديمهـا ، كما درجت العادة في مثل هذه الندوات والمؤتمرات ، إذ من شأن ذلك أن يمكن المشاركين من الاطلاع عليها مسبقاً ، وإغناء مناقشاتها عند تقديم أصحابها لها ، ويصبح هذا الأمر لازماً في البحوث الرئيسية التي تستغرق موضوعات محور ما ، وكذلك في البحوث التي تكون خلاصة لدراسات كبيرة ، يحول ضيق الوقت المحدد لتقديمها دون عرض كثير من نتائجها ، مّما يضطر الباحث معه إلى الإحالة عليهـا ، ومثـل هذا يقـلّل من فائدة متـابعـة المشــاركين لها عند تقـديمها ومناقشتهم لها ، وأعتقد أن الذي حال دون قيام الجمعية بطباعة البحوث أو تصـويرها ثم توزيعهـا على المشـاركين بداية الندوة عدم إرسـال كثير من المشاركين بحوثَهم قبل الأجل المضروب لذلك ، وهو يوم ١٥ آذار / مارس سنة ١٩٩٣م ، حتى انعقدت الندوة وقرابة نصف البحوث لم تسلّم إلى جمعيـة المعجميـة ، حملهـا أصحـابها معهم في صورتها غير النهائية ، على ما أفادنيه الأستاذ إبراهيم بن مراد نائب رئيس الجمعية .

ومن دلائل نجاح هذه الندوة في تحقيق غاياتها العلمية الجليلة تعدّدُ المؤسسات العلمية المشاركة وتنوّعها ، من جامعات ومعاهد ومراكز بحوث عربيةً وأجنبيةً ، وهذا على سبيل الإجمال لا الحصر ، إذ الحصر يقتضي أن يكون بين أيدي المشاركين قائمةٌ بأسماء أصحاب البحوث ، والهيئات العلمية التي ينتمون إليهـا ، وعناوينهم ، جرياً على ما عهدناه في ندوات ومؤتمرات مشـابهة ، أحسب أن جمعية المعجمية لم تتمكّن من طباعة العناوين التي أخذتها من الباحثين ، مّما حال دون توزيعها عليهم . على أن هذا التعدّد والتنوع في الجهات العلمية المشاركة كان دون ما هو مأمول ، إذ لم يشارك في هذه الندوة العـلميـة الدوليـة الموقوفة على المعجم العربي المختص – فيما أعلم – بعض الهيئات العلمية المعنية بخدمة اللغة العربية ووضع المعاجم ،

مثـل مكتب تنسيق التعريب والمجامع اللغوية العربيـة الأربعـة ، ولا يخفى ما لكـلّ منهـا من كبـير الأثر في خدمة العربية عامّةً وقضـاياها المعجمية خاصّـةً ، وأرى أن كثرة ما صدر من معاجم مختصة عن مكتب تنسيق التعريب يجعـل الإشـارة إلى أيّ منها من فضول القول . ولا ريب في أن مشاركة مثل هذه الهئيات العلمية المعنية باللغة العربية ومعاجمها لو تحققت لجعـلت النـدوة توفي على الغـاية نجاحاً وإفادةً ، ولزادت من دُنُوّها من الكمال ، ولا أحسب مثل هذا الأمر يفوت جمعية المعجمية ، لعلّ ظروف تلك الهيئات لم تسمح لها بالمشاركة في الندوة في هذا الوقت .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ١٩٩٤م (رجب ١٤١٤هـ)

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عدنان الخطيب « أمين المجمع »	١٩٦٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الدكتور شاكر الفحام « رئيس المجمع »	١٩٧١
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الدكتور إحسان النص « نائب رئيس المجمع »	١٩٧٩

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣
الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨
الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨
الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الدكتور عادل العوا	١٩٩١
الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١
الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١

ب ـ الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة ١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦
الدكتور محمود إبراهيم ١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي ١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ١٩٩٣
الدكتور إبراهيم شبوح ١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد ١٩٩٣
الدكتور سليم عمار ١٩٩٣
الدكتور سعد غراب ١٩٩٣

الجمهورية الجزائرية

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

تاريخ دخول المجمع

الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧
الدكتور صالح الخرفي ١٩٨٦
الدكتور أبو القاسم سعد الله ١٩٩٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١
الأستاذ حسن عبد الله القرشي ١٩٩٢
الأستاذ عبد الله خميس ١٩٩٢

جمهورية السودان

الدكتور محيي الدين صابر ١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب ١٩٨٥
الأستاذ سر الختم الخليفة ١٩٩٣
الدكتور حسن فاتح قريب الله ١٩٩٣

الجمهورية العربية السورية

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤
الدكتور صلاح الدين المنجد ١٩٩٢
الدكتور شاكر مصطفى ١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم ١٩٩٢
الأستاذ عبد المعين ملوحي ١٩٩٢

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد السلام العجيلي	١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر	١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
الدكتور خالد الماغوط	١٩٩٢

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجت الأثري	١٩٣١
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٦٩
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم	١٩٧٣
الدكتور إبراهيم السامرائي	١٩٩٣
الدكتور حسين علي محفوظ	١٩٩٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس	١٩٧٢
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٨٥
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	١٩٩٣
الدكتور إدوارد سعيد	١٩٩٣

الكويت

الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور خالد عبد الكريم جمعة	١٩٩٣

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٣
الدكتور محمد يوسف نجم	١٩٩٣

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم	١٩٩٣
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٧٧
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الدكتور شوقي ضيف	١٩٩٢
الدكتور كمال بشر	١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي	١٩٩٣
الدكتور أمين علي السيد	١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي	١٩٩٣

المملكة المغربية

الأستاذ الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٣
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	١٩٩٣
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣

الجمهورية العربية اليمنية

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥

ج ـ الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفيتي
« سابقاً »

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٤٨

ازبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

اسبانية

الأستاذ اميليو غارسيا غومز ١٩٤٨

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

إيران

الدكتور محمد جواد مشكور ١٩٧٧

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

ايطالية

الأستاذ غبريلي (فرنسيسكو) ١٩٤٨

تاريخ دخول المجمع

باكستان

الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي ١٩٦٦

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو ١٩٨٦

السويد

الأستاذ ديدرينغ سفن ١٩٦٥

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ اندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ نيكيتا إيليسيف ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع
فنلانده	
الأستاذ كرسيكو (يوحنااهتنن)	١٩٢٣

	تاريخ دخول المجمع
الهند	
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٥٧
الدكتور مختار الدين أحمد	١٩٨٥
الدكتور عبد الحليم الندوي	١٩٨٦

رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كردعلي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ – ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضاء العاملون

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كردعلي « رئيس المجمع »	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي « نائب الرئيس »	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك « رئيس المجمع »	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي « نائب الرئيس »	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي « رئيس المجمع »	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل « أمين المجمع »	١٩٨٥

	تاريخ الوفاة
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الدكتور حسني سبح « رئيس المجمع »	١٩٨٦
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

	تاريخ الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
جمهورية السودان	
الشيخ محمد نور الحسن	
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

الجمهورية العراقية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢

فلسطين

	تاريخ الوفاة
الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦

	تاريخ الوفاة
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الشيخ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥

المملكة المغربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

الاتحاد السوفييتي
« سابقاً »

	تاريخ الوفاة
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوار دو فيتش)	١٩٥٧

اسبانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤

المانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

ايران

	تاريخ الوفاة
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١

ايطالية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نللينو (كارلو)	١٩٣٨

باكستان

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨

البرازيل

	تاريخ الوفاة
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤

	تاريخ الوفاة
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د. س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ. ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون ا. ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك. ف)	١٩٥٣

	تاريخ الوفاة
سويسرة	
الأستاذ مونته (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح. ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو(بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس)	١٩٢١
الأستاذ ماهلر (ادوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	

النمسا

	تاريخ الوفاة
الدكتور اشتولز (كارل)	
الأستاذ جير (رودلف)	١٩٢٩
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦١

الهند

	تاريخ الوفاة
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧

هولاندة

	تاريخ الوفاة
الأستاذ هورغرونغ (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ اراندونك (ك فان)	١٩٤٧
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠

الولايات المتحدة الأمريكية

	تاريخ الوفاة
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١
الدكتور فيليب حتي	١٩٧٨

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأخير من عام ١٩٩٣م

أ ـ الكتب العربية

سهام الكسم

أحاديث الشعر ـ عبد الغني المقدسي ـ تحقيق خير الله شريف ـ دمشق ١٩٩٣م .

أوربا الإثنتي عشرة دولة والآخرون ـ الرباط ١٩٩٢م .

الأوتار الفائقة ـ يول ديفيس ، جوليان براون ، ترجمة : أدهم السمان ـ دمشق ١٩٩٣م .

بيضة الديك ـ يوسف صيداوي ـ دمشق .

التعليقات والنوادر ـ لأبي علي بن زكريا الهجري ـ حمد الجاسر ـ (قسمان الثاني والثالث) الرياض .

قضايا المعجم العربي ـ عبد العلي الود غيري ـ الرباط ١٩٨٩م .

كامل الصناعتين ـ لأبي بكر البيطار المعروف بالناصري ـ تحقيق : عبد الرحمن إبريق ، جزآن الأول والثاني حلب ١٩٩٣م .

المخطوطات العربية في ألبانيا ـ محمود الأرناؤوط ـ لبنان ١٩٩٣م .

حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية – محب الدين الحموي – تحقيق : عدنان البخيت – جامعة مؤتة ١٩٩٣م .

المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين – شكري محمد عياد – الكويت ١٩٩٣م .

مع النحاة (دراسة) – صلاح الدين الزعبلاوي – دمشق ١٩٩٢م .

المعجم العلمي العربي المختص – إبراهيم بن مراد – لبنان ١٩٩٣م .

نشوء العصر الذري – الوين ماكاي – مكي الحسيني الجزائري – دمشق ١٩٩٢م .

المكرو الكترونيات الدقة – الدارات والأنظمة الرقمية والتشابهية – ي . ميللمان ، ترجمة : وجيه السمان – وزارة التعليم العالي ، دمشق ١٩٨٤م .

من حياتي الشعر والحقيقة – يوهان ڤولفجانج فون جوتة – ترجمة : محمد جديد – منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٩٢م .

من كتاب الزهرة – لأبي بكر الأصبهاني – تقديم خالد محيي الدين البرادعي – منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٩٢م .

من مباهج الفكر ومناهج العبر (صفحات من جغرافية مصر)– للوطواط محمد الكتبي –تحقيق :عبد العال الشامي –الكويت ١٩٨١م .

من محاسن الدين الإسلامي – عبد العزيز المحمد السلمان – الرياض ١٩٩٣م .

المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي – لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع . تحقيق : محمد يوسف

نجم – بيروت ١٩٨٤م .

المنطوق به والمسكوت عنه في فقه ابن رشد الحفيد – حسن قرواشي – تونس ١٩٩٣م .

المؤتمر الأخير لملوك الطوائف – خالد محي الدين البرادعي (مسرحية شعرية) دمشق ١٩٨٦م .

نجد ومفاتنه الشعرية – خالد بن محمد الخنين – بيروت ١٩٩٣م .

نظريات وسائل الاعلام – ملفين ل . ديظير ، ساندرا بول – روكيتش – ترجمة : كمال عبد الرؤوف – القاهرة ١٩٩٢م .

النظرية الأدبية الحديثة – آن جفرسون وديفيد روبي – ترجمة : سمير مسعود – دمشق ١٩٩٢م .

نظرية الكم وقصتها الغريبة – نانيش هوفمان ، ميشيل باتي – ترجمة : محمد وائل الأتاسي – هيئة الطاقة الذرية ، دمشق ١٩٩٢م .

النفير – حياة ونضال مارتن لوثر كينغ « الابن » الزعيم ستيڤن ب . أواتيس – ترجمة : سهيل أيوب . دمشق ١٩٩٠م .

نهج الإسلام في تربية الأطفال – محمد كامل الشربجي – دمشق ١٩٩٣م .

وأنا أحتضر (قصة) – وليم فوكنر – ترجمة : سمير عزت نصار – الأردن ١٩٨٩م .

وثائق جمعية عمر المختار – محمد بشير المغيربي – دبي ١٩٩٣م .

وزارة التربية – التربية في الجمهورية العربية السورية لعام ١٩٩٢ – ١٩٩٣م . دمشق ١٩٩٢م .

وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية – وزارة التعليم العالي ، دمشق ١٩٨١م .

الولد الملعون (قصــة) – ترجمة : صــلاح الدين برمدا – منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٢م .

الوهن القــاتـل (قصـــة) جـاي بينيت – ترجمة : ربا الخش – منشـورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٢م .

يـا ليــل الصب ومعــارضــاتها – محمد المرزوقي ، الجيـلاني بن الحاج يحيى تونس ١٩٨٦م .

ب ـ المجلات العربية المهداة

سامر اليماني

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٥	١٩٩٣	سورية
الأسبوع الأدبي	من ٣٨١ ـ ٣٨٩	١٩٩٣	سورية
التراث العربي	٥٣	١٩٩٣	سورية
الثقافة	عدد أيلول	١٩٩٣	سورية
حمص	٢٠٣٧	١٩٩٣	سورية
الحياة المسرحية	٣٩	١٩٩٣	سورية
الحياة والبيئة	٣(كانون الأول)	١٩٩٣	سورية
دراسات تاريخية	٤٥ ـ ٤٦	١٩٩٣	سورية
رسالة معهد التراث العلمي العربي	٦١	١٩٩٣	سورية
صوت فلسطين	٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠	١٩٩٣	سورية
الضاد	٧ ـ ٨	١٩٩٣	سورية
مجلة طب الفم السورية	٢	١٩٩٣	سورية
المعرفة	٣٦١	١٩٩٣	سورية
الموقف الأدبي	٢٦٨ ، ٢٦٩	١٩٩٣	سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	١	١٩٩٣	سورية
الأنباء	٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧	١٩٩٣	الأردن
دراسات	٤(مجلد ٢٠/ب)	١٩٩٣	الأردن
الشريعة	٣٣٥	١٩٩٣	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	١(مجلد ٨)	١٩٩٣	الأردن
تعليم الجماهير	٣٩	١٩٩٢	المنظمة العربية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المجلة العربية للتربية	١ ، ٢	١٩٩٢	المنظمة العربية
المجلة العربية للثقافة	٢٤	١٩٩٣	المنظمة العربية
المجلة العربية للمعلومات	١	١٩٩٢	المنظمة العربية
الدارة	٣	١٩٩٣	السعودية
الثقافة العالمية	٦١	١٩٩٣	الكويت
حولية كلية الآداب	١٤	١٩٩٣ - ١٩٩٤	الكويت
علوم وتكنولوجيا	٣	١٩٩٣	الكويت
الدراسات الفلسطينية	١٥	١٩٩٣	لبنان
الشراع	من ٥٩٥ ـ ٦٠٣	١٩٩٣	لبنان
المشرق	الجزء الثاني (السنة	١٩٩٢	لبنان
	٦٦) الجزء الأول والثاني	١٩٩٣	
	(السنة ٦٧)		
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية	١٧	١٩٩٢	المغرب
ألمانيا	١	١٩٩٣	ألمانيا
منظمة المؤتمر الإسلامي	٣٢	١٩٩٣	تركيا
العالم العربي في البحث العلمي	١	١٩٩٣	فرنسا
الملف العربي الأوربي	١٢	١٩٩٣	فرنسا
جمهورية كوريا الديمقراطية	٤٤	١٩٩٣	كوريا
كوريا اليوم	أيلول ، تشرين الأول	١٩٩٣	كوريا

ج ـ الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

ـ ١ ـ

1 – Books:

– Cartes, Plans Et Fortfications Hispaniques Du Maroc (XVIXXS.) /Par Juan Bta. Villar. – Madrid, 1992. – 604P., Illus.

– Sources And Methods, Labour Statistics, Vol.7: Strikes And Lockouts. – Geneva: Bit, 1993.

– Yearbook Of Labour Statistics, 1993/Par Bit. – Geneva, 1993.

– Ciudades Y Fortalezas Lusomusulmanas/ Par Bsilio Pavan Maldonado. – Madrid, 1993.

– Macedonia And Its Relation With Greece/ By Several Authors. – Skopje, 1993. (Pul. By: Council For Research Into South – Eastern Europe Of The Macedonian Academy Of Sciences And Arts).

– The Song Of Independence, Peace And Friendship (The Io Th April Spring Friendship Art Festival)/ Par Korea Pictorial. – Pyongyang, DPrK, 1992.

– A History Of The Ancient World/ By Chester G. Starr. – 3 RD. Ed. New York, Oxford: Oxford University Press, 1983.

2 – Periodicals:

– Acta Orientalia/ Publ. By: Academiae Scientiarum Hungaricae, Fasciculus I, Tomus XLVI, Budapest, 1992/ 1993.

– Boletin De La Academia Argentina De Letras, Buenos Aires, No. 221 – 222, Tomo Lvi, Julio – Diciembrs, 1991.

– Bulletin Officiel, Publ. By: Bureau International Du Travail, Geneve, No.2, Serie B, Vol. LXXVI, 1993.

– Catalonia, Publ. By: centre Uensco De Catalunya, Spain, No. 35, October, 1993.

- Comptes Rendus De L'Academie Bulgare Des Sciences, Sofia, Nos. :II,12, Tome 45, I992.
- Coree, Pyongyang, No. 40I, 403 I993.
- Dossier Euro – Golfe, Paris, No. Io, Oct., I993.
- Espana, Revue D'Information De L'O.I.D, Nos.: 236, 237, I993.
- Lettera Dall'Italia, Rome, No. 30, Aprile – Giungo, I993.
- Livres Et Revues D'Italie, Rome, No. I2, Annee XXXIV, Janv. – Decem. – I99I.
- Maarif, Iran, No. 3, Vol. I5I, I993.
- Museum International, Revue Trimestrielle Publiee Par Unesco, No. 3, Sept., I993.
- Muslim education Quarterly/ Publ. by: The Islamic Academy, Cambridge: United Kingdom, No. 2, Vol. Io, Winter Issue, I993.
- L'Osservatore Romano, Vatican, No. 39, 24 Sep., I993.
- Science &Technology|Now, Publ. By: The Arab– British Chamber Of Commerce, Vol. I, No.I, Oct., I993.
- Self – Realization, los Angelos, U.S.A., No.3, Vol. 64, I993.

فهرس الجزء الأول من المجلد التاسع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٢٤	تح مطاع الطرابيشي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٣٩	تح سكينة الشهابي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٢	تح غازي طليمات
ـ المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي	تح مصطفى الحدري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢	وضع ياسين السواس
ـ المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني	تح سبيع الحاكمي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣	تح إبراهيم عبد الله
ـ المستدرك على فهرس (الشعر)	إعداد رياض مراد
ـ تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش	تح إبراهيم صالح
ـ الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً	للدكتور عدنان الخطيب
ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا	للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

ـ المحب والمحبوب للسري الرفاء ج ١ ـ ٤	تح غلاونجي والذهبي
ـ شعر خداش بن زهير العامري	صنعة د. يحيى الجبوري
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج٣٨ ، ٤٠	تح سكينة الشهابي
ـ إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢)	تح عبد الإله نبهان
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦	وضع غزوة بدير
ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية	وضع الحيمي والحافظ
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٤	تح أحمد مختار الشريف
ـ علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب	دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان ومير علم
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥	وضع محمد خير محمد

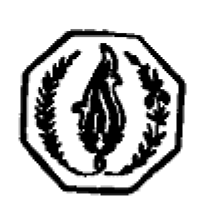


مطبعة الصباح

دمشق ـ هاتف ٢٢٢١٥١٠

عدد النسخ (١٠٠٠)





شوال ١٤١٤هـ
نيسان (ابريل) ١٩٩٤م

كتب الأنساب العربية

- ٨ -

الدكتور إحسان النص

كتب الأنساب المفردة لقبيلة واحدة

* * *

كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها

للزبير بن بكّار

(١٧٢ - ٢٥٦هـ)

المؤلف(*)

هو أبو عبد الله الزُبير بن أبي بكر (ويعرف ببَكّار) بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، من بني أسد بن عبد العُزّى ، أحد بطون قريش .

(*) من مصادر ترجمته : مقدمة كتاب جمهرة نسب قريش تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر . الأغاني للأصفهاني ، ٤١/٩ ؛ الفهرست لابن النديم ص١٦٠ ؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٦٧/٨ ؛ معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢١٨/٤ ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ٣١١/٢ ؛ ميزان الاعتدال للذهبي ٣٤٥/١ ؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ٣١٢/٣ .

ولد بالمدينة سنة ١٧٢هـ ونشأ بها ، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ منهم والده أبو بكر بن عبد الله ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ، وأبو ضَمْرة أنس بن عياض الليثي ، وسُفيان بن عُيينة ، وعلي بن محمد المدائني ، والنَضْر بن شُمَيل المازني .

قدم بغداد من الحجاز ، ودخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأكرمه وعظّمه وقال له : إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب ، وإن أمير المؤمنين أمرني أن أدعوَك وأقلّدك القضاء . فقال له الزبير بن بَكار : أبعدَ ما بلغت هذه السن ورويتُ أن من ولي القضاء فقد ذُبح بغير سِكّين أتولّى القضاء ! فقال له : فتلحق بأمير المؤمنين بُسرّ من رأى . فقال له : أفعلُ . فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وظَهر يحمله ويحمل ثَقَلَه الى سُرّ من رأىٰ[1] .

ولهذا الخبر روايات أخرىٰ ، ففي الأغاني[2] أن الزبير بن بكّار دخل على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (لا على أخيه محمد) ، وأن الخليفة كان المتوكل أو المعتز – وراوي الخبر يرجح أنه المعتز – ، وسائر الخبر كما في معجم الأدباء . وقد نقد الأستاذ محمود شاكر هذه الرواية ، فقد ذكر وكيع في كتاب القضاة[3] أن قاضي مكة عمّار بن أبي مالك الخشني توفي سنة احدىٰ وأربعين ومئتين فولي الزبير بن بكار قضاء مكة مكانه . ومن هنا نستدل على أن الزبير دخل بغداد في تلك السنة أو بُعيدها ثم ولي قضاء مكة سنة ٢٤٢هـ . وكان على بغداد يومئذ محمد بن عبد الله بن طاهر فقد ولاّه

(١) معجم الأدباء ٢١٨/٤ .
(٢) الأغاني ٤١/٩ .
(٣) أخبار القضاة ٢٦٩/١ .

الواثق أعمال أبيه عبد الله بن طاهر كلها بعد وفاته سنة ٢٣٠هـ[٤] ، وكان إليه قبل ذلك الشرطة والحرب والسواد وخراسان وأعمالها . وفي سنة ٢٣٧هـ قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان ودخل بغداد فولي الشرطة والجزية وأعمال السَواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام ، وكان الخليفة حينئذ المتوكل (بويع بالخلافة سنة ٢٣٢هـ وقتل سنة ٢٤٧هـ) .

وقد بقي محمد بن عبد الله في عمله هذا حتى وفاته سنة ٢٥٣هـ في زمن المعتز بالله[٥] . فلم يكن عبيد الله بن طاهر على بغداد لدىٰ قدوم الزبير إليها ، وانما ولي بغداد بعد وفاة أخيه محمد سنة ٢٥٣هـ .

وكذلك ما رجَحه راوي الخبر من أن الخليفة يومئذ كان المعتز خطأ ، والصواب أنه كان المتوكل ، أما المعتز فقد ولي الخلافة سنة ٢٥٢هـ ، وقتل سنة ٢٥٥هـ .

وقد ورد في الطبري وتابعه ابن الأثير أن محمد بن عبد الله بن طاهر توفي سنة ٢٢٦هـ ، وأن المعتصم صلَى عليه ، وهذا سهو من الطبري ، فقد أورد بعد ذلك أخبار محمد بن عبد الله : ولايته خراسان ثم بغداد ثم وفاته سنة ٢٥٣ ، ويحتمل أن يكون أحد أبناء عبد الله بن طاهر قد توفي في تلك السنة .

وفي رواية أخرىٰ لخبر قدوم الزبير إلى بغداد أوردها الخطيب البغدادي[٧] ، أن أمير المؤمنين اختارَ الزبير لتأديب ولده لا لتولي القضاء ؛

---

(٤) تاريخ الطبري ١٣١/٩ .
(٥) تاريخ الطبري ٣٧٦/٩ .
(٦) تاريخ الطبري ١١١/٩ ، تاريخ ابن الأثير ٥١٧/٦ .
(٧) تاريخ بغداد ٤٦٩/٨ .

وقد شك الأستاذ محمود شاكر – وهو على حق – في صحة هذا الخبر ، لأنه يبعد أن يكلف الزبير تأديب ولد المتوكل وقد ناهز السبعين من العمر ، بل الأدنى إلى الصواب أن يكون استدعاه ليوليه قضاء مكة بعد وفاة قاضيها عمار بن مالك .

وتتمة الخبر الأول أن الزبير دخل على الفتح بن خاقان وسأله أن يستأذن له على المتوكل في الحج . فاستأذن له وقال له :-جائزتك تلحقك ، وكتاب عهد بالقضاء على مكة لاحق به . فلما صار الى منزله جاءه خادم معه ثلاثون ألف درهم . ولمّا وافى مكة جاءه رسول معه عهد بقضاء مكة ، وكان ذلك سنة ٢٤٢هـ . وقد ظل على قضاء مكة حتى وفاته سنة ٢٥٦هـ ، وكانت سنة آنذاك أربعاً وثمانين سنة .

كان الزبير ثقة ثبتاً في الأخبار والحديث ، عالماً بالنسب ، عارفاً بأخبار المتقدمين . وكان إلى ذلك شاعراً . وقد روى عَنه طائفة من العلماء أبرزهم أحمد بن سليمان الطوسي ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، واسماعيل بن العباس الورّاق ، وابن ماجة محمد بن يزيد القزويني ، ومحمد بن ادريس الرازي ، ووكيع القاضي محمد بن خلف بن حيّان ، وأبو الحسن محمد بن الحسن بن علي الأنصاري ، وابراهيم بن عبد الصمد الدمشقي ، وعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا .

تردد الزبير على بغداد أكثر من مرة وحدّث بها ، وكانت بينه وبين اسحاق الموصلي مودّة . ومن أخبارهما أن الزبير لقي إسحاق مرة فقال له إسحاق : يا أبا عبد الله عملت كتاب النسب ، وهو كتاب أخبار . فقال : وأنت يا أبا محمد ، أيدك الله ، عملت كتاباً سميته كتاب الأغاني وهو كتاب المعاني[٨] !

(٨) تاريخ بغداد ٤٦٩/٨ ؛ وفيات الأعيان ٣١١/٢ .

ألّف الزبير أكثر من ثلاثين كتاباً ذكرها ياقوت في معجم الأدباء ، وأكثرها لم يصل إلينا ، منها : كتاب نسب قريش الذي سأتحدث عنه ، وكتاب الموفّقيات وقد طبع بتحقيق الدكتور سامي العاني ، وكتاب أخبار أبي دهبل الجمحي ، وقد طبع أيضاً ، وكتاب أخبار العربْ وأيامها ، وكتاب الاختلاف . وله كتب في أخبار طائفة من الشعراء منهم : حسان بن ثابت ، والأحوص ، وعمر بن أبي ربيعة ، وكثيّر ، والعرجي ، وحاتم الطائي ، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، واخبار توبة بن الحَمَيّر مع ليلى الأخيلية ، وهُدبة بن الخَشرم ، وابن هَرمة ، ونُصيب ، وجميل بن مَعمر .

وفي كتاب الأغاني أخبار كثيرة مروية عن الزبير بن بكار ومنها أخبار عن القرشيين وتصحيح لأنساب بعضهم ولأخبار تتصل بهم ، ومن ذلك مثلاً تصحيحه خبراً فيه أن الثريا صاحبة عمر تزوجت سهيل بن عبد العزيز بن مروان والصحيح عنده أنها تزوجت سهيل بن عبد الرحمن بن عوف(٩) . ويصحح كذلك عزو بعض الشعر إلى غير قائله ومن ذلك مثلاً أبيات ينسبها الرواة إلى عمر بن أبي ربيعة وهو ينسبها إلى جعفر بن الزبير بن العَوام(١٠) ، وثمة أبيات ذُكر أنها لبشار وهو يصحح نسبتها ويجعلها لابن الخياط في المهدي(١١) . وله إلى ذلك آراء في نقد الشعر فهو يعيب مثلاً على ابن قيس الرقيات بيتاً له نقض صدره بعجزه(١٢) ، وله كذلك تفسيرات لغوية في بعض ما روي من الشعر(١٣) .

---

(٩) انظر : الأغاني ٢٣٣/١ .

(١٠) الأغاني ٢١٤/٢ .

(١١) الأغاني ١٥١/٣ .

(١٢) الأغاني ٨٧/٥ .

(١٣) انظر مثلاً الأغاني ٩/٩ و١٤٣/٩ .

الكتاب

المطبوعة التي بين أيدينا لا تحتوي على الكتاب كاملاً وانما هي الجزء الأول من القسم الثاني من الكتاب ، ومخطوطة الكتاب التي اعتمدها المحقق محفوظة في مكتبة بودليان بأوكسفورد ، على أنها لا تشتمل على الكتاب كاملاً فأصل الكتاب مقسّم الى ثلاثة وعشرين جزءاً لم يعثر منها إلا على أحد عشرجزءاً ، من الجزء الثالث عشر إلىٰ الجزء الثالث والعشرين . والجزء الذي بين أيدينا يبدأ بأنساب بني أسد بن عبد العُزّىٰ وينقص من أول الجزء الثالث عشر ورقتان . أما القسم الأول من الكتاب والمشتمل على اثني عشر جزءاً فما يزال مفقوداً .

وقد قسّم المحقق الأجزاء الأحد عشر التي عُثر عليها إلىٰ ثلاثة أجزاء نشر الجزء الأول منها فقط وهو يحتوي على الأجزاء الثالث عشر الى السابع عشر ، أي خمسة أجزاء ، ولما ينشر المحقق الجزأين الآخرين ، وأمنيتنا أن يقوم بنشرهما بعد تحقيقهما ، أمدّه الله بالقوة والعافية لينهض بهذا العبء ، فهو خير من يتولّى هذا الأمر .

حديثي هنا إذاً يتناول الجزء الأول من القسم الثاني من الكتاب .

المخطوطة التي عُثر عليها في أوكسفورد كتبها أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي الماندائي الواسطي وفرغ من نسخها سنة سبع وأربعين وخمسمئة ببغداد . وقد نقل ابن بختيار نسخته عن نسخة أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي البغدادي (ت ٥٥٠هـ) ، وقرأها عليه ثم عارضها بالأصل . ونسخة أبي الفضل هذه موثقّة مسندة ، فيها سماع شيوخه وسماعه عنهم ، عدة أجزائها تسعة وعشرون ولكن ابن بختيار جعلها ثلاثة وعشرين جزءاً .

وقد روىٰ أبو الفضل بن ناصر نسخته من طريقين : الأول روايته عن ابن الطيّوري عن السَّلماسي عن المخلِّص عن الطوسي عن الزبير بن بكار . والثاني : روايته عن ابن الفرّاء عن ابن المسلمة عن المخلّص عن الطوسي عن الزبير بن بكّار .

ورجال الإسناد كلهم من الحُفّاظ الضابطين الثقات ، وكلا الإسنادين ينتهيان برواية المخلّص عن الطوسي عن الزبير بن بكّار .

والمخلّص هو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن (ت ٣٩٣هـ) ، وهو من الرواة الثقات . والطوسي هو أبو عبد الله أحمد بن سليمان بن داود الطوسي (ت ٣٢٣هـ) . وهو أيضاً من الرواة الثقات . وهذه النسخة جعلها المحقق النسخة الأم .

وقد عثر المحقق على نسخة أخرىٰ من الكتاب ولكنها ليست كاملة ، فهي دون نسخة أوكسفورد حجماً ، تكاد تبلغ خمسها ، وهي مصورة عن نسخة بمكتبة كوبرلي بالآستانة ، وإسنادها يختلف عن إسناد نسخة أوكسفورد ، ولكنه ينتهي كذلك برواية ، الطوسي عن الزبير بن بكّار .

وقد فصّل الأستاذ محمود شاكر القول في إسناد النسختين تفصيلاً لا مزيد عليه ، فليرجع إليه من يرغب في استزادة المعرفة .

ومحقق الكتاب الأستاذ العلاّمة محمود محمد شاكر غنيّ عن التعريف ، وقد بذل في تحقيق الكتاب من الجهد والعناية ما لا يطيقه سواه ، فجاء نموذجاً يحتذى في الدقة وصحة الضبط . وأضاف الى ضبط النص حواشي مفيدة تقارب في حجمها متن الكتاب ، شرح فيها الألفاظ التي تفتقر إلى الشرح ومعاني الأبيات وذكر اختلاف الرواية في النسختين ، كما أنه قدم للكتاب بمقدمة وافية فصّل فيها ترجمة الزبير بن بكار وذكر تراجم

رجال الإسناد في النسختين ، ووصف النسختين وصفاً مفصلاً غاية التفصيل ، ووضّح النهج الذي اتّبعه في التحقيق .

الجزء الذي أتحدث عنه يشتمل على أنساب بني أسد بن عبد العُزّىٰ فقط ، وهم البطن الذي ينتمي إليه آل الزبير بن العوّام .

والنهج الذي اتبعه المؤلّف هو الجمع بين الأنساب والأخبار والأشعار ، فهو من هذا الجانب يختلف عن سائر كتب الأنساب بوفرة ما تضمّنه من أخبار وأشعار ، وهذا يفسّر مقالة اسحاق الموصلي للزبير بن بكّار : « يا أبا عبد الله ، عملت كتاباً سميته كتاب النسب وهو كتاب الأخبار »[١٤] . وأخباره تبدأ كلها بعبارة : حدّثنا الزبير قال . والراوي عنه هو أحمد بن سليمان الطوسي .

وهذه الأخبار تحمل إلينا فوائد كثيرة ، وقيمتها تكمن في أن كثيراً منها لم تذكره المراجع التي انتهت إلينا ، فالمؤلف يفصّل القول في أخبار الرجال الذين ورد اسمهم في سياقة النسب تفصيلاً لا نقع عليه في مراجع أخرىٰ ، ومن ذلك مثلاً أخبار عبد الله بن مصعب ، جدّ المؤلف ، فقد أفرد له ولأخباره وللأشعار المقولة فيه مدحاً ورثاءً أكثر من ثلاثين صفحة .

بدأت المطبوعة بأبيات لبِشر بن أبي خازم الأسدي في مدح زَبّان بن سيّار الفزاري ورهطه ، وقبل هذه الأبيات ورقتان ساقطتان من المخطوط . وقد مضى الزبير في إيراد ما قيل في مديح آل سيّار من الشعر وطرف من أخبارهم . ومناسبة الحديث عن آل سيّار صلة المصاهرة بين آل الزبير وآل سيّار ، فقد تزوّج عبد الله بن الزبير تُماضر بنت منظور بن زبّان بن سيّار الفزارية وولدت له : خُبيباً وحمزة وعبّاداً وثابتاً ، ثم ماتت

(١٤) تاريخ بغداد ٨/٤٦٩ .

عنده فتزوج أختها أم هشام زُجْلة بنت منظور فولدت له : هاشماً وقيساً والزبيرْ وعُروة[١٥] .

ولما فرغ من ذكر آل سيّار انتقل الى ذكر أولاد عبد الله بن الزبير وهم : عامر وموسى وأبو بكر وبكر وهاشم وقيس وعروة والزبير وحمزة وعبد الله وخُبَيب ، وساق أخبارهم وما قيل فيهم من الشعر ، وهو يحرص على ذكر أمهاتهم وجدّاتهم ، وفي هذا التعداد فائدة في ضبط الأنساب وبيان تسلسلها . وقد عني ببعض أبناء عبد الله بن الزبير عناية خاصة ومنهم حمزة بن عبد الله ، فقد وقف عنده وقفة مطوّلة وأورد ما قيل في مديحه من الشعر . وانتقل بعدُ إلى ذكر ولد حمزة بن عبد الله وذكر أمهاتهم . وهو يستطرد كدأبه إلى ايراد أخبار تتصل بالرجال الذين ترد أسماؤهم في سياقة نسب الأمهات ، فعبّاد بن حمزة ، مثلاً ، أمه هند بنت قُطبة بن هرِم بن قطبة ، وهرم بن قطبة كان الحكم في الجاهلية بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة ، وهكذا يخرج المؤلف من الحديث عن ولد حمزة إلى أخبار هرم بن قطبة . وكذلك شأنه في كل ما يورد من أنساب .

ولما فرغ من ولد حمزة بن عبد الله مضى في سياقة النسب فذكر أبناء ولد حمزة بن عبد الله وأخبارهم وما قيل فيهم من الشعر ثم ختم الحديث عنهم بقوله : هؤلاء ولد حمزة بن عبد الله بن الزبير[١٦] .

وتابع بعد ذلك الحديث عن أولاد عبد الله بن الزبير الآخرين وأبنائهم وأخبارهم مع إيراد ما يتصل بهم من شعر ، فذكر عبّاد بن عبد الله وأبناءه . ثم ثابت بن عبد الله وولده ، وهو يصف ثابتاً بأنه كان لسان آل

---

(١٥) انظر حاشية الصفحة (٥) وانظر ص ٣٥ و٢٣٢ من الكتاب .

(١٦) ص ٧٠ من الكتاب .

الزبير جَلداً وفصاحة وبياناً ويروي لنا خبراً طريفاً خلاصته أن أبناء عبد الله بن الزبير خبيباً وحمزة وثابتاً وعباداً كانوا عند جدهم منظور بن زبَان بالبادية يرعون عليه الإبل كما يفعل عبيده ، ثم أشار عليهم ثابت بالمضيّ إلى أبيهم فاتّبعهم منظور ودخل على عبد الله بن الزبير وقال له : اردُد عليّ أعبُدي هؤلاء . فقال : إنهم قد كبروا واحتاجوا إلى أن نعلّمهم القرآن ... فهذا الخبر يظهرنا على حرص أشراف قريش على تنشئة أولادهم بالبادية ليلقفوا الفصاحة عن أهلها .

ونجد في ثنايا حديثه عنهم أخباراً طريفة لا نجدها في المصادر الأخرىٰ وهذا ما يجعل لهذا الكتاب خصيصة ليست لغيره من كتب الأنساب .

وقد ختم الجزء الثالث عشر بما يتصل به من السماع .

واستمّر المؤلف في الجزء الرابع عشر يتحدث عن أبناء ثابت بن عبد الله بن الزبير وأحفاده ويروي أخبارهم وما قيل فيه من الشعر . فكذلك نرىٰ أن تقسيم الكتاب إلىٰ أجزاء غير مبني على أبواب متمايزة وإنما هو تقسيم اعتباطي لعل مردّه إلى حجم الاجزاء حتى لا يكون في رواية الكتاب بأجمعه مرة واحدة عبء ومشقة على الراوي .

وقد وقف المؤلف وقفة خاصة عند عبد الله بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الذي وصفه بأنه كان « مِدره قريش وخطيبها وواحدها شرفاً وقدراً وصوناً وعناية بهم وبجميع أهل المدينة .[١٧] » ، فروى جانباً من شعره كما روىٰ مامُدح به من الشعر ، وكانت له منزلة أثيرة لدى خلفاء بني العباس ، وقد ولاّه الرشيد المدينة ، ثم ولاّه اليمن وعكّ ، وكانت وفاته سنة أربع وثمانين ومئة[١٨] .

---

(١٧) الكتاب ص ١٢٤ .

(١٨) الكتاب ص ١٣٠ وص ١٤٦ .

وكان ابنه أبو بكر بن عبد الله صنواً له في الفصاحة واللسن ، وكان « ناب قريش ومدرهها شرفاً وبياناً ولساناً وجاهاً وأبّهة وحَدَباً عليها وبّراً بها وحسن أثر عندها » ، وقد استعمله الرشيد على المدينة فأقام عاملاً عليها اثنتي عشرة سنة ونيّفاً . وكان الرشيد به معجباً وإليه مفِوضاً وكان عنده وجيهاً أثيرا[١٩] . وقد أثبت المؤلف طائفة من القصائد التي مدحه بها الشعراء . وكانت وفاته سنة خمس وتسعين ومئة ، ورثاه كثير من الشعراء .

وبذلك انتهى الجزء الرابع عشر من الكتاب وفي ختامه سماعه .

وفي الجزء الخامس عشر يستمر الزبير في تعداد أبناء ثابت بن عبد الله بن الزبير وأحفاده ، فيذكر مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ويروي طرفاً من شعره ويصفه بأنه كان « وجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً وبياناً وجاهاً وقدراً .[٢٠] » وروى المؤلف ما مُدح به من الشعر ولا سيما مدائح عبد الله بن أبي صبح المزني فيه . وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومئتين .

واستمر بعد ذلك في تعداد سائر ولد عبد الله بن مصعب وبذلك فرغ من ولد ثابت بن عبد الله بن الزبير .

وانتقل بعد إلى عامر بن عبد الله بن الزبير ووصفه بأنه كان من « العُبّاد المنقطعين »[٢١] ، وروى طرفاً مّما عُرف به من غريب الطباع حتى إنه امتنع من تزويج بناته . ثم تحدّث عن موسى بن عبد الله بن الزبير وولده ، وسائر ولد عبد الله بن الزبير وولدهم وأمهاتهم . وأكثرهم عقباً الزبير بن

(١٩) الكتاب ص ١٦٣ .

(٢٠) الكتاب ص ٢٠٧ .

(٢١) الكتاب ص ٢٢٠ .

عبد الله بن الزبير .

ولما فرغ المؤلف من ولد عبد الله بن الزبير انتقل إلى ولد مصعب بن الزبير بن العوّام فذكر منهم : عيسىٰ وعُكّاشة وعمر ، وبذلك انتهى الجزء الخامس عشر من الكتاب .

وفي الجزء السادس عشر يستمر الزبير بن بكار في تعداد ولد مصعب بن الزبير ، ولم يكن لمصعب عقب كثير – على نقيض أخيه عبد الله – . وقد شارك بعض ولده في القتال مع أبيهم في مسكن[٢٢] ، وقتل بعض ولده بقُديد .

ولَما فرغ من ولد مصعب بن الزبير انتقل إلى ولد خالد بن الزبير بن العوّام[٢٣] ، ثم الى ولد عمرو بن الزبير بن العوام[٢٤] ، ثم إلى ولد جعفر بن الزبير بن العّوام[٢٥] ، ويذكر المؤلف أن كل بني الزبير بن العوّام لهم عقب الاحمزة بن الزبير فقد انقرض عقبه[٢٦] .

وبذلك انقضى الحديث عن ولد الزبير بن العوّام .

ولما فرغ من هؤلاء انتقل الى سائر ولد العوّام بن خويلد وعقبهم ، ثم ارتفع في نسب آل خُويلد بن عبد العُزّى فعدّد أولاد حزام بن خُويلد ، ومن أشهرهم حكيم بن حزام الذي كان « من سادات قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام »[٢٧] ، وكان زيد بن حارثة في ملكه فوهبه لعمته خديجة

(٢٢) الكتاب ص ٣١٣ .
(٢٣) الكتاب ص ٣٤٢ .
(٢٤) الكتاب ص ٣٤٤ .
(٢٥) الكتاب ص ٣٤٨ .
(٢٦) الكتاب ص ٣٥٠ .
(٢٧) الكتاب ص ٣٥٤ .

بنت خُويلد فوهبته للرسول عليه السلام . وقد جاء الإسلام والرفادة والندوة في يد حكيم بن حزام[٢٨] . وقد استغرق الحديث عن حكيم بن حزام وولده زهاء أربعين صفحة من الكتاب .

ثم عاد القول إلىٰ سائر ولد حزام بن خويلد ، ولما فرغ منهم تحدث عن نوفل بن خُويلد وولده . ثم ارتفع في عمود النسب إلى نوفل بن أسد بن عبد العُزّىٰ وولده ، ومن أبرزهم ورقة بن نوفل الذي كره عبادة الأصنام في الجاهلية وطلب الدين في الآفاق وانصرف إلىٰ قراءة الكتب السماوية[٢٩] . وفيه قال رسول الله ﷺ : « لا تسبّوا ورقة فإني أُريته في ثياب بيض »[٣٠] . وقد تنصّر ورقة في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب[٣١] ، وكان لورقة شعر كثير .

وبعد انقضاء الحديث عن نوفل بن أسد وولده تحدث المؤلف عن الحُويرث بن أسد وولده . ومن مشهوري ولده عثمان بن الحُويرث الذي كانت له صلة وثيقة بقيصر الروم ، ويقال إنه ملّكه على قريش ، وكان يقال له « البطريق »[٣٢] وانتهىٰ أمره بأن سمّه عمرو بن جفنة الغسّاني[٣٣] .

ثم تحدّث الزبير عن حبيب بن أسد بن عبد العُزّىٰ وولده[٣٤] ، ثم عن الحارث بن أسد بن عبد العُزّىٰ وولده[٣٥] ، ثم عن المطّلب بن أسد بن

(٢٨) الكتاب ص ٣٦٣ .
(٢٩) و(٣٠) الكتاب ص ٤٠٨ .
(٣١) الكتاب ص ٤١١ .
(٣٢) الكتاب ص ٤٢٥ .
(٣٣) الكتاب ص ٤٢٨ .
(٣٤) الكتاب ص ٤٣٩ .
(٣٥) الكتاب ص ٤٤١ .

عبد العُزّىٰ وولده[٣٦] . ومن ولده أبو زَمْعة الأسود بن المطلب ، أحد المستهزئين الذين ذكرهم الله في كتابه[٣٧] . وكان ابنه زَمعة من خطباء قريش المشهورين في الجاهلية وأحد أزواد الركب[٣٨] . وقد قتل زمعة بن الأسود وأخوه عقيل يوم بدر كافرين[٣٩] .

وبذلك انتهىٰ الجزء السادس عشر من الكتاب .

في الجزء السابع عشر يستمر المؤلف في تعداد ولد زمعة بن الأسود بن المطّلب ويسوق أخبار أبي عبيدة عبد الله بن زَمْعة خاصة ، وكان شريفاً مطعماً[٤٠] . ويذكر جماعة من ولده ، ولمّا فرغ منهم تحدّث عن هَبّار بن الأسود بن المطّلب ، أخي زمعة ، وهو الذي نخس بزينب بنت رسول الله ﷺ في سفهاء من كُفّار قريش وكانت حاملاً فأسقطت ، ثم أسلم بعدئذ[٤١] . ثم عدّد ولد هبّار وعاد بعد ذلك إلى استقصاء ولد المطّلب بن أسد بن عبد العُزّىٰ حتىٰ فرغ من بني أسد بن عبد العُزَىٰ جميعاً ، وبذلك ينتهي الكتاب .

وقد ألحق المحقق بالكتاب مستدركاً صحّح فيه ما بدا له في ضبط المخطوطة من تحريف أو تصحيف أو إبدال كلمة بكلمة أو رواية برواية .

---

(٣٦) الكتاب ص ٤٦٣ .

(٣٧) سورة الحجر آية ٩٥ .

(٣٨) أزواد الركب ثلاثة من قريش هم مسافر بن أبي عمرو بن أمية وزمعة بن الأسود بن المطلب وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي ، وقيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا يطعمون كل مسافر معهم .

(٣٩) الكتاب ص ٤٦٦ .

(٤٠) الكتاب ص ٤٨٢ .

(٤١) الكتاب ص ٥١٤ .

وفي سياق هذا المستدرك آراء للشيخ حمد الجاسر في تصحيح بعض ما وقع من أخطاء في الضبط أو في تفضيل رواية على أخرىٰ أو في استكمال خبر غير تام . ولهذا المستدرك فائدة جليلة في تقويم ضبط المخطوطة .

وختم الكتاب بفهرس مفصل لمحتوياته ، ولو أن المحقق صنع فهرساً للأعلام لكانت الفائدة أوفىٰ .

طبع الكتاب في مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٨١ للهجرة .

نهج الكتاب

اتبع المؤلف في سياقة الأنساب نهجاً مخالفاً لما جرت عليه كتب الأنساب الأخرىٰ إذ أنه بدأ بالفروع وانتهىٰ بالأصول ، تحدث أولاً عن أبناء الزبير بن العوام ثم ارتفع إلىٰ العوّام ثم إلىٰ خُويلد فأسد فعبد العُزّى وقد خالف في نهجه هذا نهج عمه المصعب في كتابه ، فقد ذكر المصعب الأصول أولاً وانتقل منها إلى الفروع . وقد جرى المؤلف على الجمع بين الأنساب والأخبار والأشعار مع العناية بذكر اسم راوي الخبر .

مصادر الكتاب وقيمته

استقىٰ الزبير بن بكّار مادة كتابه من مصادر شتىٰ ، ومصدره الأول في الأنساب كتاب عمه المصعب بن عبد الله الزبيري ، وقد تحدثت عنه آنفاً ، ولكنه لم يكتف بالاستمداد من كتاب المصعب بل كان أحياناً ينقل أحاديث سمعها منه ، فتتكرر في الكتاب عبارة : حدّثني عمّي مصعب بن عبد الله . ومن المرجح أنه أخذ أنساب قريش من مصادر أخرىٰ غير كتاب عمه ، على أنه لا يذكر مرجعه عند ذكره الأنساب . أما الأخبار التي ضمّنها كتابه فإنه أسندها إلىٰ رواتها ، وكثير من أخباره استقاه مشافهة ، فهو يبدأها غالباً بعبارة : حدثني ، ثم يذكر اسم من نقل عنه الخبر . وقد

نقل أخباره عن خلق كثير يصعب إحصاؤهم ، وكان الزبير أميناً في إسناد أخباره إلىٰ رواتها . وقد نقل عن الرجال كما نقل عن النساء . ومنهنَ مثلاً ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب .

والجزء الذي نحن بصدده وقفٌ كله على آل الزبير ، وهم آل بيته ، ومن المحتمل لذلك أنه أولاهم من العناية أكثر ممّا أولىٰ سواهم ، ولكنني لا أقطع بهذا الأمر لأننا لم نقف على سائر أجزاء الكتاب . على أن في الكتاب ميلاً واضحاً إلىٰ الرفع من شأن آل الزبير ، فهو يغدق على المشهورين من رجالهم النعوت التي تعلي من شأنهم ، ويحرص على إثبات ما قيل في مديحهم ورثائهم من الشعر . فعبّاد بن حمزة بن عبد الزبير مثلاً كان « سريّاً سخيّاً حلواً ، أحسن الناس وجهاً ، يضرب المثل بحسنه . »[٤٢] وثابت بن عبد الله بن الزبير كان « لسان آل الزبير جلداً وفصاحة وبياناً »[٤٣] والزبير بن خبيب بن ثابت كان « من وجوه قريش جمالاً وعبادة وفقهاً وعلماً . »[٤٤] ، والزبير بن خُبيب كان « أسطوانة من أساطين المسجد . »[٤٥] ، وكان مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير « يصلّي في يومه وليله ألف ركعة ويصوم الدهر ، وكان من أبلغ أهل زمانه . »[٤٦] وعبد الله بن ثابت كان « مِدرَة قريش وخطيبها وواحدها شرفاً وقدراً وصوناً وعناية بهم وبجميع أهل المدينة »[٤٧] ، وكان أبو بكر بن

---

(٤٢) الكتاب ص ٥١ .
(٤٣) الكتاب ص ٨٠ .
(٤٤) الكتاب ص ٩٩ .
(٤٥) الكتاب ص ١٠٧ .
(٤٦) الكتاب ص ١١٦ .
(٤٧) الكتاب ص ١٢٤ .

عبد الله بن مصعب » ناب قريش ومدرهها شرفاً وبياناً ولساناً وجاهاً وأبّهة وحَدَباً عَليها وبّراً بها وحسن أثرٍ عندها . »(٤٨) ... الخ .

وللكتاب قيمة كبيرة في أنه جمع أخباراً عن قريش لا نقع عليها أو على أكثرها في المصــادر القديمة التي بين أيدينـا ، وكذلك الأشعـار التي رواها . وله ميزة على كتب الأنساب الأخرىٰ في أنه عني بأنساب الأمهات عناية خاصة ، فهو يذكر أم الرجل وجدته ويمضي في تعداد جداته حتى يبـلغ الخمس أو الست أحياناً(٤٩) . وهذه فائدة تاريخية لا نقف عليها في كتب الأنساب الأخرىٰ .

(٤٨) الكتاب ص١٦٣ .

(٤٩) انظر مثلاً في ص ٣٢ أمهات عامر بن عبد الله بن الزبير وص ٧٥ أمهات صالح بن عبّاد .

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني

دراسة في السيرة

الدكتور وليد محمود خالص

— ١ —

هو « ميثم بن علي بن ميثم »[1] أجمعت على ذلك المصادر والمراجع التي

---

(١) ينظر حول اسمه : السلافة البهية في كشكول البحراني ١/٤٢ وهو يكتفي باسمه الأول ، والنسبة إلى البحرين . أنوار البدرين ، علي البحراني ص٦٢ ، لؤلؤة البحرين ، يوسف البحراني ص٢٥٣ وفي مواضع مختلفة مثل : ص٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ وغيرها ، فهرست علماء البحرين ، سليمان البحراني ، ص٢٥٣ . مجمع البحرين ، الطريحي ، ٦/١٧٢ . سفينة البحار . عباس القمي ٢/٥٢٦ . الكنى والألقاب ، عباس القمي ، ص٤١٩ عن مقدمة تحقيق شرح المئة كلمة للشيخ ميثم ص٧ ، روضات الجنات ، للخوانساري /٢١٦ . هدية العارفين ، البغدادي ٢/٤٨٦ . وذكره من المحدثين الطهراني في الذريعة في مواضع كثيرة منها : ١/١٤ ، ٢/٣٢ ، ٣/٣٧ ، ١٤/٤١ ، ٢١/٢٣٠ ، ٢٥/٦١ وغيرها ، والأمين في أعيان الشيعة ، المجلد التاسع ص١٩٧ ، وفي مواضع أخرى أيضاً مثل : المجلد الأول ص١٦٦ ، ٥٤٤ وغيرها . وعباس العزاوي في تاريخ العراق بين احتلالين ، والزركلي في الأعلام ٨/٢٩٣ ، وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ١٣/٥٥ . والدكتور عبد القادر حسين في مقدمة تحقيقه لكتاب أصول البلاغة ، للشيخ ميثم ص٦ . والخاتمي في مقدمة تحقيقه لكتاب شرح نهج البلاغة للشيخ ميثم ، ١/ز . والأرموي المحدث في مقدمة تحقيقه لشرح المئة كلمة للشيخ ميثم ص١ . والدكتور عبد الأمير الأعسم في كتابه عن الطوسي ص٥٣ و١٣١ . والدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه النزعات الصوفية في التشيّع ص٨٩ .

استطعنا الاطلاع عليها وذكرت بعضها أن لقبه (كمال الدين)[٢] ، وأجمعت هي الأخرى على أنه ينسب إلى البحرين فيقال له (البحراني)[٣] ، فهو وفق ما تقدم كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، وانفرد صاحب الذريعة في موضع واحد من كتابه بجعله اسمه الأول « عليا » حين قال : « كمال الدين علي بن ميثم بن علي ميثم »[٤] ، ويبدو أن هذا لا يصح بدليل إجماع المصادر على اسمه الذي اثبتناه من جهة وتردد هذا الاسم في الذريعة نفسها في مواضع كثيرة من جهة أخرى .

وقد ضنت المصادر التي ذكرته على كثرتها بترجمة مفصلة عن حياته تعين الدارس على تلمس مراحل هذه الحياة ، ولا نلتقي إلا بالاشارة السريعة واللمحة المقتضبة التي لا تغني كثيراً ، ولعل نمط المصادر نفسها التي ذكرت الشيخ ميثم وترجمت له ومنهج تأليفها هو السبب ، فهي تصب اهتمامها على أمور أخرى بعيدة عن تفصيلات السيرة مثل الشيوخ والتلاميذ والكتب ولا تعير المولد والنشأة والتحصيل والثقافة اهتماماً كبيراً[٥] ، ونرى

(٢و٣) تنظر المصادر السابقة التي أوردناها للتحقق من اسمه في مواضعها . وجاء في السلافة البهية أن « صاحب مجالس المؤمنين لقبه بمفيد الدين في موضعين » ، وللمؤلف تعليق يفيد بعدم صحة هذا اللقب لرواية أوردها ، وتنظر هناك في الكشكول ١/٤٥ ـ ٤٦ .

(٤) الذريعة ، ٢/٣٢ .

(٥) يبدي الشيخ محمد رضا الخاتمي أسفه لهذه الظاهرة التي تكاد تكون عامة وهو يتحدث عن الشيخ ميثم فيقول : « ومما يحز في النفس ويبعث الأسف أن المعتنين بضبط أحوال رجال العلم والفضل ما اعتنوا بحفظ دقائق تراجم الكثيرين منهم حق الرعاية والاعتناء ، واكتفوا بالجرح والتعديل كي يؤخذ بمروياتهم في استنباط الأحكام الشرعية أم لا ، وترى في كثير من كتب التراجم الإهمال والإشارة بأقصر لفظ إلى أنه ثقة يروي عن ، ويروى عنه » . ينظر مقدمة تحقيق شرح نهج البلاغة ، للشيخ ميثم ١/ج ـيد .

هذا جلياً عند الشيخ يوسف البحراني ـ مثلاً ـ الذي صنف رسالة مستقلة عن الشيخ ميثم سماها « السلافة البهية في الترجمة الميثمية » لم تخرج في مضمونها العام ومدار اهتمامها عما ذكر سابقاً ، وكان المتوقع من رسالة تؤلف عن عالم بعينه أن يجد الدارس فيها تفصيلات مفيدة ، ولكن هذا لم يقع . ويبدو أن التوفيق بين هذه التراجم وضم الأشياء إلى نظائرها هو المنفذ الوحيد للوصول إلى صورة تقريبية عن سيرة الشيخ ميثم ومراحلها المختلفة .

انفرد الشيخ سليمان البحراني ـ فيما وقع لنا من المصادر ـ بذكر سنة ولادة الشيخ ميثم حين حددها بسنة ٦٣٦ للهجرة[٦] ، ومن الغريب أن تغفل المصادر والمراجع جميعها الاهتمام بسنة ولادته فلا تأتي على ذكر لها ، وهي تغفل مكان ولادته أيضاً ولكن الشيخ الخاتمي يذهب إلى أنه من « المسلم به (أن الشيخ ميثم) قد ولد في البحرين ولم يعلم في أية بلدة أو قرية منها بل في أية جزيرة من تلك الجزر »[٧] ثم يترك هذه النتائج التي توصل إليها بلا مصدر يشير إليه ، ويبدو أنه اعتمد في هذا الجزم على الحال الدالة من حيث النسبة إلى البحرين وإطباق المصادر على أنه واحد من علماء البحرين المرموقين .

ونستطيع القول أن الشيخ ميثم قد بدأ حياته العلمية مبكراً ، درس على علماء البحرين وأخذ من العلوم السائدة ما شاء له الأخذ ، ولعله كان في تلك الآونة منصرفا بكليته إلى طلب العلم مع الزهد في الدنيا وشواغلها

---

(٦) تراجم علماء البحرين ، عن لؤلؤة البحرين ، ص٢٥٩ هامش رقم ٤٦ .
ويقول الشيخ محمد رضا الخاتمي في مقدمة تحقيقه لشرح نهج البلاغة للشيخ ميثم ١/يد ما يلي : « ... ولم نظفر على تاريخ ميلاده (كذا) ... » فكأن في هذا تأكيداً على إغفال سائر المصادر لسنة ولادته .

(٧) مقدمة تحقيق شرح نهج البلاغة للشيخ ميثم ، ١/يد .

إذ كان « في أوائل الحال .... معتكفا في زاوية العزلة والخمول ، مشتغلاً بتحقيق حقائق الفروع والأصول »[٨] ، ثم بدأ بعد هذا يشارك في الحركة الثقافية في بلده ، ونلاحظ أن ذكره أخذ في الذيوع سواء في البحرين أم في العراق ، يساعدنا على هذا تلك المراسلات التي دارت بينه وبين « علماء الحلة والعراق »[٩] ، فإذا كان معروفاً بين علماء الحلة والعراق على حد قول الشيخ يوسف البحراني ، فإن هذا يشير ضمناً إلى أنه كان معروفاً قبل هذا بين علمـاء بلده ، ولهذا نرى أن أولئك العلماء يكتبون إليه : « العجب منك أنك على شدة مهارتك في جميع العلوم والمعارف وحذاقتك في تحقيق وإبداع اللطائف قاطن في طلول الاعتزال ومخيم في زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال »[١٠] ، ومن الواضح أن في هذا النص شهادة واعترافاً بالتفوق والتميز وخاصة أنها تصدر من مركز علمي معروف[١١] ، وما كانت

---

(٨) السلافة البهية في كشكول البحراني ، ١/٤٥ .

(٩) المصدر السابق ، ١/٤٤ .

(١٠) السلافة البهية في كشكول البحراني ، ١/٤٣ .

(١١) يقول ياقوت في معجم البلدان ٢/٢٩٤ : « ... فصارت الحلة أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياة سيف الدولة وهو مؤسسها » ، ويريد به سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي ، ومن هنا جاءت تسميتها بالحلة السيفية نسبة إلى مؤسسها وبانيها سنة ٤٩٥هـ .

ويقول السيد محسن الأمين في الأعيـان ١/٢٠١ : « ... وكانت الحلة دار العلم للشيعـة في القرن الخامس وما بعده » . ويقول الدكتور الشيبي في النزعات الصـوفية في التشيع ص٣٩ : « ... وصارت الحلة مركزا رئيسياً من مراكز الشيعة أيام التستر خاصة » . ويبدو أن الحلة في القرن الخامس قد تميزت بحركة فكرية واسعة حتى إن أهلها كانوا يجلبون الأطعمة إلى بغداد ويبتاعون بأثمانها الكتب النفيسـة ، ينظر تاريخ العراق بين احتلالين ، عباس العزاوي ، ١/٣٣٠ عن الدكتور الشيبي ، النزعات الصوفية ص٩٧ .

هذه الشهادة لتكون لولا معرفة أولئك العلماء بقدر الشيخ وقراءتهم تآليفه ومعرفتهم منهجه وعلو كعبه .

ولعل الشيخ ميثم كان يعاني في ذلك الوقت من أزمة نفسية شديدة تؤلمه وتضفي تشاؤماً واضحاً على نظرته إلى الحياة ، ولعل مرد هذه الأزمة فقره الشديد مع نبوغه الواضح واعتراف الآخرين بهذا النبوغ ، إن هذا التناقض الحاد بين حياته وعقله ولد هذا الحسرة وهذا الاعتزال عن الناس . وهو يشير إلى هذا صراحة في ذينك البيتين اللذين أرسلهما إلى أولئك العلماء الذين استحثوه على تغيير منهج حياته ، فكتب إليهم يقول :

طلبتُ فنون العلم أبغي بها العلا ... فقصَّر بي عما سموت به القل
تبين لي أن المحاسن كلها ... فروع وأن المال فيها هو الأصل[١٢]

ومع ما في هذين البيتين من مباشرة وتسطيح فني فإنهما نفثة مصدور عبر بهما صاحبهما عن واقع الحال وجنح فيهما إلى التعميم الذي يقترب من الحكمة . وكأن الشيخ في هذين البيتين اللذين أشار فيهما إلى نفسه يذكرنا بكثير من أولئك العلماء الأفذاذ الذين أصابتهم الفاقة وأضناهم العوز مع واسع علمهم وعميق معرفتهم بسبب من ظروف سياسية أو اجتماعية لم تهيّئ لهم العيش الكريم الذي يستحقون ، وليس كلام أبي حيان التوحيدي الذي يعد خير ممثل لهذه الفئة ببعيد عنا حين قال : « غدا شبابي هرماً والقبر عندي خير من الفقر »[١٣] أو لم يذكر ياقوت أن أبا حيان بسبب فقره اضطر إلى « أكل الخضر في الصحراء وإلى التكفف

---

(١٢) ينظر البيتان مع القصة في السلافة البهية ١/٤٣ ، ولؤلؤة البحرين ص٢٥٧ ، وأنوار البدرين ص٦٨ .

(١٣) الإمتاع والمؤانسة ، ٢/١٥٠

الفاضح عند الخاصة والعامة ... وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم »[١٤] ، وكانت النتيجة تلك المآسي التي لونت حياة أبي حيان ودعته إلى إحراق كتبه واتلافها[١٥] ضنا بها على أناس لم يعرفوا قدره أو يعطوه حقه .

ويبدو أن أولئك العلماء الذين أرسل لهم الشيخ ميثم بيتيه السالفين لم يقتنعوا برأيه فآثر أن يقطع الطريق إلى نهايته ويثبت لهمّ صواب ما ذهب إليه ، فيمم وجهه شطر العراق قاصداً أولئك العلماء ومحاولاً التعرف على أشياء جديدة وظروف أفضل من تلك التي عاشها في بلده .

أغفلت المصادر مرة أخرى تاريخ رحلته إلى العراق ومدة مكثه فيه ، ولكننا نستطيع الافتراض أن هذه الرحلة قد تمت بين سنة ٦٦٥ للهجرة وسنة ٦٧٥هـ ، وهي مدة تقريبية ساعدنا على استنتاجها أمران : أولهما أن الجويني الذي أهداه الشيخ ميثم شرحه لنهج البلاغة توفي سنة ٦٨١هـ[١٦] . فلابد أن يكون التقاؤه به قبل هذا التاريخ بوقت كاف ، ولا سيما إذا علمنا أن الجويني نفسه قد عزل من المناصب قبل وفاته بعام أو أكثر ومرت به محن صعبة قبل وفاته[١٧] وهذا مما يقوي تينك السنتين المفترضتين . أما الأمر الثاني فيتعلق بالشيوخ الذين درس عليهم في العراق والتلاميذ الذين أخذوا منه في العراق أيضاً ، إذ نرى أن الطوسي توفي سنة ٦٧٢هـ[١٨] والمحقق الحلي

(١٤) معجم الأدباء ، ١٥/١٩ .

(١٥) حول حرق الكتب ينظر (أبو حيان التوحيدي) ، محمد عبد الغني الشيخ ، ٢/٦٣٧ وما بعدها ففيه حديث مستفيض حول هذا الموضوع .

(١٦) ينظر فوات الوفيات ، للكتبي ، ٢/٤٥٣ .

(١٧) ينظر فوات الوفيات ، للكتبي ، ٢/٤٥٢ – ٤٥٣ .

(١٨) ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن الطوسي انتابته العلل في السنة الأخيرة من =

توفي سنة ٦٧٦هـ ، ونرى من جانب آخر أن واحداً من تلاميذه الذين درسوا عليه في الحلة وهو عبد الكريم بن طاوس قد ولد سنة ٦٤٧هـ وتوفي سنة ٦٩٣هـ ، فإذا كان قد أخذ منه بين هاتين السنتين أي ٦٦٥ — ٦٧٥ فيكون عمره حينذاك بين الثامنة عشرة والسابعة والعشرين وهي سنّ مناسبة للأخذ وخاصة من عالم مرموق مثل الشيخ ميثم .

كانت الرحلة إلى العراق نقطة تحول خطيرة في حياة الشيخ ميثم ، وهذا التحول يسير في مجريين متصلين : الثقافة والحياة . إذ مما لا شك فيه أن الشيخ ميثم قد جالس كبار العلماء هناك وخاصة في الحلة أفاد منهم واستفادوا منه ، وليس أدل على ذلك من جمهرة الشيوخ الذين قرأ عليهم والتلاميذ الذين جلسوا إليه ، فهذا يؤيد شدة الصلة بينه وبين علماء العراق ، ولا ننسى في هذا الموضع أن الغاية من رحلته كانت للمناظرة مع أولئك العلماء الذين لم يروا رأيه في قضية المال وأثره في حياة الإنسان ؛ فقد التقى بهم وبين لهم رأيه عملياً مما حداهم على الأخذ برأيه وتغيير نظرتهم إليه . يضاف إلى هذا أن الشيخ بلا ريب قد اطلع على نفائس الكتب الموجودة هناك ، ولم يكن ليغفل هذا الأمر وهو الطلعة المحب للعلم ، وقد أدى هذا إلى تعميق ثقافته وسبره أغوار علوم جديدة واتصاله بمشارب متباينة . وقد أدى هذا الأمر إلى تطوير نظرته للقضايا لتأخذ آماداً أرحب في الحكمة والتصوف مثلاً الذي كانت بذوره موجودة عنده ممثلة في الزهد والعزوف عن الدنيا ، وقد ظهر هذا التطور واضحاً في كتبه وخاصة شرحه لنهج البلاغة الذي ألفه في العراق .

= حياته وأصيب بآلام نفسية شديدة لأسباب مختلفة . ينظر حول هذا الموضوع كتاب الدكتور عبد الأمير الأعسم عن الطوسي ، ص٥٢ وما بعدها .

أما بالنسبة للحياة فيظهر أنه بعد اتصاله بالجويني[١٩] والي بغداد قد تحسنتْ أحواله وأصابه شيء من الخير لأن الجويني كان يحترم العلماء ويعلي من مكانتهم ويشير الكتبي إشارة مهمة إلى ما نحن بصدده إذ يقول : « إن الفاضـل إذا عمل كتاباً ونسبه إليهما (يعني الجويني وأخاه شمس الدين) يكون جائزته ألف دينار . وكان لهما إحسان إلى العلماء والفضلاء »[٢٠] ، ومعـلوم أن الشيخ ميـثم شرح نهج البلاغة للجويني وأهداه إليه ، ونراه في مقدمة كتابه يقول واصفاً الجويني ، « ... فهو امرؤ مثلت طبيعته من طينة الفضـل حـين ينتسب ، فالعـلم والجود والشجـاعة والفقـه والعدل منـه يكتسب »[٢١] ، ويشـير إلى علاقتـه به فيقول : « ... ولما اتفق اتصـالي بخدمته وانتهيت إلى شريف حضرته أحلني من أنسه محلاً ألهى النفس عن أشهى مآربها ، وأمطرني من سحائب جوده نعماء تشبه الصور الفائضة من واهبها »[٢٢] ، فقد هدأت نفسه قليلاً واستقر به الحال عنده وانصرف إلى التـأليف فأثمر أشهر كتبـه وهو شرح نهج البلاغة الذي يعد من الشروح الواسعة المهمة .

وتتوقف المصادر عن تزويدنا بشيء ذي بال عن بقية حياته ، ولكنها تشير إلى أنه توفي في البحرين ودفن بها مما يدل صراحة على عودته من العراق

(١٩) هو علاء الدين عطا ملك محمد الجويني ، تولى ديوان الإنشاء ببغداد ثم صار والياً فوزيراً . ويقول كراتشكوفسكي :« إن الجويني لم يكن موظفاً كبيراً من موظفي الدولة فحسب ، بل كان في ذات الوقت عالماً مرموقاً ومؤرخاً كبيراً » ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ٣٧١/١ ، وينظر كذلك فوات الوفيات للكتبي ، ٤٥٢/٢ .

(٢٠) فوات الوفيات ، للكتبي ، ٤٥٣/٢ .

(٢١) شرح نهج البلاغة ، ٣/١ .

(٢٢) المصدر السابق ، ٤/١ .

بعد مكوثه فيه زمناً لا نعلم مقداره ، وسيفصل الحديث عن وفاته فيما بعد .

- ٢ -

استطاع الباحث أن يلتقط أسماء بعض الشيوخ الذين تتلمذ عليهم الشيخ ميثم سواء في البحرين أم في العراق ، وكذلك بعض التلاميذ الذين جلسوا إليه وأخذوا منه ورووا عنه ، وهم بمجموعهم يؤلفون جزءاً مهما من ثقافته .

ولعل أول هؤلاء الشيوخ وأهمهم نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢هـ) المعروف بالخواجة الفيلسوف والفلكي والرياضي والمتكلم والسياسي[٢٣] صاحب التصانيف الكثيرة التي زادت على المئة والستين كتاباً ورسالة[٢٤] ، وهو يعد الممثل الحقيقي للفكر الشيعي الفلسفي في ذلك الوقت[٢٥] ، وتشير المصادر إلى أن الشيخ ميثم قد درس عليه الحكمة[٢٦] ، وتضيف أيضاً أن الطوسي قد « أثنى عليه ثناء

---

(٢٣) ينظر عن حياته وأطوارها كتاب الدكتور الاعسم ، نصير الدين الطوسي ، ص٢٣ وما بعدها .

(٢٤) ينظر المرجع السابق عن مؤلفاته ص٧٥ وما بعدها .

(٢٥) اختلفت الآراء كثيراً حول شخصية الطوسي فمنهم من عده فيلسوفاً كبيراً وعالماً جليلاً ، ومنهم من جعله ساحراً يعبد الأصنام ؛ ويلاحظ البون الشاسع بين الموقفين ، وينظر حول هذا الاختلاف كتاب الدكتور الشيبي ، النزعات الصوفية في التشيع ص٨٥ - ٨٦ مع الهوامش .

(٢٦) ينظر السلافة البهية في كشكول البحراني ، ٤٧/١ ، لؤلؤة البحرين ، ص٢٤٧ ، الكنى والألقاب ، لعباس القمي ، ص٤١٩ عن مقدمة تحقيق شرح المئة كلمة لميثم ص/ط ، والطوسي ، د . عبد الأمير الأعسم ، ص٦٢ .

عظيماً »(٢٧) ، و« شهد له بالتبحر في الحكمة والكلام »(٢٨) ، مما يلمح إلى حسن أخذه منه وتفوقه في هذين العلمين بعد هذا مما سنفصل الحديث عنه فيما بعد . وهناك من ينفي تلمذته للطوسي . ويصف كل ذلك على أساس أنه لوحة صورها الخيال الشعري عند الشيعة بعقد الصلة بين الطوسي وهذين الأستاذين(٢٩) ، وهذان الأستاذان هما ميثم والعلامة الحلي (ت٧٢٧هـ) ، ولم يورد الدكتور الاعسم صاحب هذا الرأي على أهميته ، ولكن المصادر التي بين أيدينا تكاد تجمع على هذه التلمذة والتقاء ميثم بالطوسي وجلوسه إليه .

وثاني الشيوخ هو علي بن سليمان البحراني المتوفى سنة ٦٧٢هـ والموصوف بأنه « الشيخ الفيلسوف الحكيم »(٣٠) ، وقد ترك كتباً متعددة منها مفتاح الخير(٣١) وشرح قصيدة ابن سينا في الروح ومطلعها .

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاءُ ذات تعزز وتمنع

وسمى هذا الشرح « النهج المستقيم على طريقة الحكيم »(٣٢) ، وقد ذكرت بعض المصادر(٣٣) صراحة أخذ ميثم عنه ولكنها لم تطلعنا على العلوم

(٢٧) أنوار البدرين ، ص٦٣ .

(٢٨) السلافة البهية في كشكول البحراني ، ١/٤٢ ، قصص العلماء ص٢٩٨ ، محفل الأوصياء ورقة ٣٣١ب ، مجالس المؤمنين ص٣٢٩ ـ ٣٢٠ ، عن كتاب الدكتور الشيبي ، النزعات الصوفية ، ص٨٩ .

(٢٩) نصير الدين الطوسي ، د . الأعسم ، ص٦٢ .

(٣٠) أنوار البدرين ، ص٦١ .

(٣١) الذريعة ، الطهراني ، ١٣/٢٨٧ .

(٣٢) المرجع السابق ، ١٣/٣٩٤ .

(٣٣) أنوار البدرين ص٦٢ . الذريعة ، ١٣/٢٨٧ ، أعيان الشيعة ، ٨/٢٤٧ ، معجم المؤلفين ، ٧/١٠٣ .

التي درسها عليه ، ويمكننا استنتاج هذا الأمر من خلال معرفتنا بالعلوم التي برع فيها الشيخ علي وهي الفلسفة والحكمة والكلام ، فلا يبعد أن يكون الشيخ ميثم قد أخذ منه أطرافاً منها أثناء جلوسه إليه . ومما يجب ذكره هنا أن الشيخ ميثم قد حفظ لشيخه أياديه البيضاء عليه فعمد إلى شرح واحد من كتبه وهو الإشارات شرحاً « أجاد فيه وطبق المفصل »[٣٤] ، وهذا يقوي ما ذهبنا إليه سابقاً عن نوعية العلوم التي درسها عليه خاصة إذا علمنا أنه ألف الإشارات « في الإلهيات على طريق الحكماء المتألهين »[٣٥] .

وثالث الشيوخ هو نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن الهذلي (ت سنة ٦٧٦هـ) ، المعروف بالمحقق الحلي ، وهو فقيه ، عالم ، أديب ، ولم يشتهر « من علماء الإمامية على كثرتهم في كل عصر بهذا اللقب غيره وغير الشيخ علي بن عبد العالي الكركي وما أخذ هذا اللقب إلا بجدارة واستحقاق »[٣٦] ، وقد عرف هذا الشيخ بالفقه و« كتابه المعروف بشرائع الإسلام هو عنوان دروس المدرسين في الفقه الاستدلالي في جميع الأعصار »[٣٧] ، ولذلك نراه يوصف بأنه « محقق الفقهاء ومدقق العلماء »[٣٨] ، وعرف عنه اهتمامه بالأدب والعلوم العربية عامة ، وقد قيل عنه أن « حاله في ... الفصاحة والشعر والأدب والإنشاء أشهر من أن يذكر ... وله شعر جيد وإنشاء حسن بليغ »[٣٩] ، وعلى هذا فإن الشيخ

(٣٤) السلافة البهية ، ١/٤٥ ، أنوار البدرين ، ص٦٣ .
(٣٥) أعيان الشيعة ، الأمين ، ٨/٢٤٧ .
(٣٦) أعيان الشيعة ، ٤/٨٩ ــ ٩٠ .
(٣٧) السابق ، ٤/٩٠ وأحصى له الأمين اثني عشر كتاباً في علوم مختلفة .
(٣٨) لؤلؤة البحرين ، ص٢٢٧ .
(٣٩) أمل الأمل عن أعيان الشيعة ، ٤/٨٩ .

ميثم قد أخذ منه أظهر علومه وأبرزها وهو الفقه أولاً وعلوم العربية ثانياً .

ويبدو أن الشيخ ميثم قد التقى به حين زار العراق والحلة خاصة فقد كان « شيخها وفاضلاً كبيراً من فضلائها »[٤٠] .

ورابع الشيوخ وآخرهم أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الأصفهاني المتوفى سنة ٦٣٥هـ وهو عالم محقق ومن شيوخ نصير الدين الطوسي أيضاً[٤١] ، خلف آثاراً كثيرة منها توجيه السؤالات لحل الإشكالات وجامع الدلائل ومجمع الفضائل ومجمع البحرين ومطلع السعادتين وغيرها[٤٢] . وذكر الطريحي[٤٣] وصاحب مقدمة تحقيق شرح نهج البلاغة[٤٤] تلمذة الشيخ ميثم له ولكنهما لم يذكرا العلوم التي درسها عليه ، وليس بمستبعد أن يكون قد قرأ عليه شيئاً من العلوم السائدة في عصره واستفاد منه أشياء على غرار بقية شيوخه .

هذا ما استطعنا العثور عليه من أسماء الشيوخ الذين درس عليهم الشيخ ميثم ، ونود أن ننبه هنا إلى أمرين نراهما ضروريين ، الأول أن الشيخ ميثم عندما اتصل بعلماء العراق وخاصة الطوسي والمحقق الحلي كان قد بلغ مرحلة من العلم عالية تشير إليها شهرته بين علماء بلده وعلماء العراق مثلما أشرنا سابقاً ، وهذا يفيد بأن جلوسه إلى أولئك العلماء لم يكن جلوس

(٤٠) النزعات الصوفية في التشيع ، د . الشيبي ، ص٩٧ .

(٤١) أعيان الشيعة ، الأمين ، ٣/٢٩٧ ، معجم المؤلفين ، كحالة ، ٢/٢٤٧ ، الطوسي ، د . الأعسم ، ص٦١ .

(٤٢) ينظر عن كتبه أعيان الشيعة ، الأمين ، ٣/٢٩٧ ، ومعجم المؤلفين ، كحالة ، ٢/٢٤٧ .

(٤٣) مجمع البحرين ، ٦/١٧٢ .

(٤٤) شرح نهج البلاغة ، ميثم البحراني ، ١/ط .

الطالب المبتدئ بل جلوس العارف الراغب في الاستزادة والمعرفة ، فاذا علمنا – وهو الأمر الثاني – أن أولئك الشيوخ كانوا في أغلبهم من الأعلام العلمية المشهورة في ذلك الوقت أدركنا أنه أخذ منهم خلاصة أفكارهم وعميق منهجهم خاصة ، وأنه اتصل ببعضهم في أواخر حياته مما أنضج تجربته معهم وجعله قادراً على الإفادة منهم بل والمحاورة معهم بغية استخراج خوافي أفكارهم مما لا يقال في مجالس الدرس العادية في أحيان كثيرة .

وقد درس على الشيخ ميثم جملة من العلماء الذين أخذوا واستفادوا منه ، فضلاً عن الذين قرؤوا كتبه وانتفعوا بآرائه وتحقيقاته مما سنفصله في موضع لاحق .

وأول هؤلاء التلاميذ وأشهرهم الطوسي نفسه الذي درس عليه ميثم كما ذكرنا سابقاً ، وتشير المصادر [٤٥] إلى أن الطوسي قد درس عليه الفقه ، وقد شك صاحب لؤلؤة البحرين في أمر هذه التلمذة استناداً إلى مكانة الطوسي ، وعلو هذه المكانة ، فهو يقول : « ... وأنت خبير بأن وصف العلامة – رحمه الله – للطوسي ... بأنه أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية مما يدافع القول بتلمذة على الشيخ ميثم »[٤٦] ، وهذا الرأي له وجاهته من جهتين ، المكانة العلمية السامية التي يتمتع بها الطوسي بحيث تجعله بمنأى عن هذا التلمذة في وقت متأخر من حياته ، والشك الذي يحوم حول قضية اللقاء بينه وبين الشيوخ ميثم مما أشرنا إليه سابقاً . وتبقى لهذه التلمذة دلالتها سواء أكانت قد حدثت أم لم تحدث وهي نبوغ الشيخ ميثم

(٤٥) السلافة البهية ، ٤٧/١ ، أنوار البدرين ، ص٦٤ ، سفينة البحار ، القمي ، ٥٢٦/٢ . والكنى والألقاب للقمي أيضاً ص٤١٩ عن مقدمة تحقيق كتاب الشيخ ميثم شرح المئة كلمة الصفحة ظ .

(٤٦) لؤلؤة البحرين ، ص٢٤٧ .

في الفقه ومباحثه مما جعل بعض العلماء ورواة الأخبار لا يستبعدون جلوس عالم متميز مثل الطوسي بين يديه يأخذ عنه .

وثاني هؤلاء التلاميذ هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ ، وهو من أكبر علماء الحلة وألمعهم ويلقب بالعلامة ، « عالم مشارك في الفقه والأصول والكلام والتفسير والنحو ومعرفة الرجال والمنطق وعلم الطبيعة والحكمة »[٤٧] ، كما « لم يتفق لأحد من علماء الإمامية أن لقب بالعلامة على الإطلاق غيره »[٤٨] ، وقد أحصت له كتب التراجم أكثر من مئة كتاب ورسالة وهي : « تستغرق كل أبواب المعرفة بما في ذلك الفلسفة والمنطق »[٤٩] ، وقد أكد تلمذته للشيخ ميثم غير واحد ممن ترجم لهما ، فقال صاحب أنوار البدرين : « وروى عنه(ميثم) العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن

---

(٤٧) معجم المؤلفين ، كحالة ، ٣/٣٠٣ .

(٤٨) أعيان الشيعة ، الأمين ، ٥/٣٩٦ .

(٤٩) النزعات الصوفية ، د . الشيبي ، ص١٠٠ . ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن واحداً من أشهر كتب ابن تيمية (أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم) المتوفى سنة ٧٢٨هـ وهو (منهاج السنة النبوية) قد ألفه رداً على واحد من كتب العلامة الحلي وهو (منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة) أو (منهاج الكرامة) ، ينظر مقدمة تحقيق كتاب منهاج السنة النبوية للدكتور محمد رشاد سالم ١/٨٨ ، وكلا الكتابين يبحثان في موضوع خطير هو الإمامة ، وإن كان منهاج الكرامة أصغر حجماً من منهاج السنة . فالأول يقع في تسعين صفحة في طبعة طهران ، والثاني في أربعة مجلدات ضخام في طبعة بولاق ، ينظر مقدمة الدكتور محمد رشاد سالم لمنهاج السنة ، ١/٨٨ . ومن المفيد أيضاً أن نشير هنا إلى أن مؤلفات ابن تيمية بلغت خمسمائة مجلد ، ومؤلفات الحلي بلغت هي الأخرى خمسمائة مجلد . وينظر حول هذا الموضوع مقدمة الدكتور محمد رشاد سالم ، ١/٧٧ و ٩٠ .

المطهر كما صرح به الفاضل ابن أبي جمهور في كتابيه »[٥٠] ، وقال صاحب الذريعة عن ميثم : « ... وهو أستاذ العلامة الحلي »[٥١] ، وأكد الأمين هذا الأمر في كتابه أيضاً[٥٢] . ونرى أن الحلي يأخذ من ميثم أثناء زيارة الأخير لمدينة الحلة ونقرأ هذا النص : « ... وورد (ميثم) إلى الحلة السيفية ... واستجاز منه كثير من علمائها كالعلامة »[٥٣] ، ومما يؤكد هذا الأمر أن العلامة قد وصف بأنه « الحلي مولداً ومسكناً »[٥٤] ، كما لم نعرف أنه قد سافر إلى البحرين وأخذ عن علمائها هناك . وتغفل المصادر هنا أيضاً نوع العلوم التي درسها على الشيخ ميثم ، ولكننا نستطيع الاطمئنان إلى أن هذه الدراسة كانت نوعاً من اجازة الشيخ ميثم له براوية كتبه كلها أو بعضها مما يشير إليه النص السابق بكلمة (واستجاز) وهي تلمح إلى الإجازة المعروفة .

وثالث هؤلاء التلاميذ هو السيد غياث الدين أبو المظفر عبد الكريم بن جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن طاووس المتوفى سنة ٦٩٣هـ ، وهو ينتسب إلى آل طاووس وهي أسرة علمية مرموقة في الحلة ظهر منها علماء كثيرون[٥٥] ووصف بأنه « فقيه ، نسابة ، نحوي ، عروضي »[٥٦] ، كما كان عالماً بالسير والآثار والأحاديث والأخبار

(٥٠) أنوار البدرين ، ص٦٤ .

(٥١) الذريعة ، ٦١/٢٥ .

(٥٢) أعيان الشيعة ، ٤٠٢/٥ .

(٥٣) أنوار البدرين ، ص٦٥ .

(٥٤) لؤلؤة البحرين ، ص٢١٢ .

(٥٥) ينظر حول هذا الموضوع النزعات الصوفية ، د . الشيبي ، ص٩٧ وما بعدها مع المصادر .

(٥٦) معجم المؤلفين ، كحالة ، ٣١٤/٥ .

والأشعار »[٥٧] ، وأشار إلى استفادته من الشيخ ميثم صاحب لؤلؤة البحرين حيث قال : « ويروي عن الشيخ ميثم جملة من الأصحاب ، منهم السيد الأجل السيد عبد الكريم بن السيد أحمد بن طاووس »[٥٨] ، وكذلك صاحب أنوار البدرين في قوله : « ... واستجاز منه (ميثم) كثير من علماء الحلة ... كالسيد عبد الكريم بن طاووس »[٥٩] ، ولا شك أنه كالعلامة قد أخذ من الشيخ ميثم خلال زيارة الأخير للحلة ، واستجازه برواية بعض كتبه .

ورابع هؤلاء التلاميذ هو كمال الدين أبو الحسن علي بن الشيخ شرف الدين الحسين بن حماد بن الخير الليثي الواسطي المتوفى بعد سنة ٦٩٠هـ وهو « فقيه ، عالم ، شاعر ، راوية للأخبار »[٦٠] . وينقل الأمين نص إجازة من الشيخ ميثم له برواية جميع تآليفه فيقول : « كمال الدين ... علي بن الشيخ شرف الدين ... يروي عن جماعة عديدة من العلماء ... منهم الشيخ كمال الدين ميثم بن علي البحراني ... أجازه[٦١] ... بجميع مؤلفاته ومقروآته ومسموعاته ومستجازاته في سائر العلوم »[٦٢] ، ويصفه في

(٥٧) تلخيص مجمع الآداب ، لابن الفوطي ، ١٩٤/٤ محقق لؤلؤة البحرين ص٢٦٢ ، هامش رقم(١) . وينظر أعيان الشيعة ، ٨ ـ ٤٢ .

(٥٨) لؤلؤة البحرين ، ٢٦١ .

(٥٩) أنوار البدرين ص٦٥ .

(٦٠) أعيان الشيعة ، ٢٢٦/٨ .

(٦١) من المعروف في علم الحديث وغيره أن الإجازات أنواع ومنها هذا الذي استعمله الشيخ ميثم مع تلميذه وتسمى « إجازة من معين لمعين في معين » ، وهي « أن يقول أجزتك أن تروي عني هذا الكتاب أو هذه الكتب ، وهي المناولة فهذه جائزة عند الجمهور » . الباعث الحثيث ، لابن كثير ، ص١١٩ .

(٦٢) أعيان الشيعة ، ٢٢٦/٨ .

موضع آخر بأنه« تلميذ الشيخ ميثم »[٦٣] ، ولا يستبعد أن يكون الشيخ ميثم قد أجازه أثناء زيارته للعراق على اعتبار أنه « واسطي مولداً ومنشأ »[٦٤] ، ويشير مضمون الإجازة إلى ثقة الشيخ ميثم به واعتماده على حسن أخذه من تآليفه ، إذ إن الإجازة شاملة لهذه التآليف جميعها .

وخامس هؤلاء التلاميذ وآخرهم هو الشيخ مفيد الدين محمد بن جهم الأسدي الحلي ، الذي وصف بأنه « شيخ فقهاء الحلة وواحد المشايخ الأجلة »[٦٥] ، كما أنه « عالم صدوق وفقيه شاعر أديب »[٦٦] ، وقد جعله المحقق الحلي ثاني اثنين هما أعلم علماء الحلة في علم الكلام وأصول الفقه وذلك بعد أن سأله الطوسي عن المبرزين في هذين العلمين بين علماء الحلة[٦٧] ، وأشار إلى تلمذته للشيخ ميثم صاحب لؤلؤة البحرين[٦٨] وصاحب مقدمة تحقيق شرح المئة كلمة للشيخ ميثم[٦٩] ، واكتفى صاحبا هذين الكتابين بالإشارة إلى التلمذة بلا ذكر للعلوم التي درسها عليه .

هؤلاء هم الذين استطعنا العثور عليهم من الذين درسوا على الشيخ ميثم أو انتفعوا بإجازته لهم ، وهم في الغالب من علماء العراق مما يدل الدلالة القاطعة على مكانته العلمية وشهرته التي وصلت إلى هناك فأقبل عليه الطلاب يأخذون عنه .

---

(٦٣) أعيان الشيعة ، ٢٢٧/٨ .
(٦٤) المرجع السابق ، ٢٢٦/٨ .
(٦٥) الفوائد الرضوية ، للقمي ، عن لؤلؤة البحرين ص٢٦٥ ، هامش رقم (٥) .
(٦٦) لؤلؤة البحرين ، ص٢٦٥ .
(٦٧) السلافة البهية ، ٦٤/١ .
(٦٨) لؤلؤة البحرين ، ص٢٦٥ .
(٦٩) شرح المئة كلمة للشيخ ميثم ، ص/ح .

- ٣ -

الشيخ ميثم عالم من علماء الإمامية الاثني عشرية ، وفقيه من فقهائها يشــار إليـه بالبنـان ، وكان لا بد أن تصطبغ ثقافته بهذه الصبغة ويأخذ السمت الفكري للمذهب الذي ينتمي إليه ، ولم يكن بدعاً في هذا إذ لا يخفى أن البحرين كانت من مراكز الشيعة الإمامية منذ زمن قديم ، وقد أشـار ياقوت في معجمه إلى هذه الحقيقة وهو يتحدث عن عمان حين قال : « ... وأكثر أهل عمان في أيامنا خوارج إباضية ليس بها من غير هذا إلا طـارئ غريب ، وهـم لا يخفون ذلك ، وأهل البحرين بالقرب منهـم بضـدهم كلهـم شيعـة ... لا يكتمونه ولا يتحـاشون وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً »[٧٠] ، ويذكر الأمين أن « تشيع أهل البحرين وقصباتها مثل القطيف والحسا شائع من قديم الزمان »[٧١] ، وقد ظهر في البحرين علماء كثر اعتنقوا هذا المذهب ودافعوا عنه وحاولوا عرضه وشرح أصوله من خلال ما ألفوه من كتب ورسائل .

وقد عرف أولئك الذين ترجموا للشيخ ميـثم مكـانتـه في الفكر الشيعي ، فأسبغوا عليه من النعوت والأوصـاف ما يشير إلى تلك المكانة واحتلاله محلاً قلَّ نظيره بين العلماء فهو « شيخ صدوق ثقة »[٧٢] و« العالم الرباني والعـارف الصمداني »[٧٣] و« العـلامة الفيـلسوف المشهور »[٧٤] ، و« الفيــلســوف المحقق والحكيم المدقق قدوة المتكـلمين وزبدة الفقهـاء

(٧٠) معجم البلدان ، ياقوت ، ٤/١٥٠ .

(٧١) أعيان الشيعة ، ١/١٩٧ .

(٧٢) مجمع البحرين ، الطريحي ، ٦/١٧٢ .

(٧٣) أنوار البدرين ، ص٦٢ .

(٧٤) لؤلؤة البحرين ، ص٢٥٤ .

والمحدثين ... غواص بحر المعارف ومقتنص شوارد الحقائق واللطائف »[٧٥] و« هو من العلماء الفضلاء المدققين ، متكلم باهر »[٧٦] ، وهو « العالم الرباني والفيلسوف المتبحر المحقق والحكيم المتأله المدقق جامع المعقول والمنقول أستاذ الفضلاء الفحول »[٧٧] ، وهو « العلامة الأعظم والبحر الخضم[٧٨] ، وهو « الفيلسوف البحراني »[٧٩] و« العارف المتكلم »[٨٠] ، كما أنه « عالم بالأدب والكلام من فقهاء الإمامية »[٨١] ، و« أديب حكيم ، متكلم من فقهاء الإمامية »[٨٢] ، ولاحظنا من خلال هذه الأوصاف اهتمامها بجوانب ثقافية معينة في شخصية الشيخ لعل أظهرها الفقه والفلسفة وعلم الكلام والتصوف والأدب بمعناه الواسع . ونستطيع القول أنه قد أحاط بالعلوم الإسلامية التي عرفها عصره من خلال مذهبه الفقهي وأضاف أموراً في حدود طاقته وما وصل إليه إبداعه واستقلاله الشخصي كما سنرى . ولا ريب في أن الشيوخ الذين درس عليهم كانوا ذوي تأثير واضح في تفكيره وسعة معارفه خاصة وأنه درس على أعلام مشهورين مثلما رأينا ،

---

(٧٥) السلافة البهية ، ٤٢/١ .

(٧٦) روضات الجنات ، الخوانساري ص٥٨١ ، عن مقدمة تحقيق شرح المئة كلمة للشيخ ميثم .

(٧٧) سفينة البحار ، القمي ، ٥٢٦/٢ ، وينظر الكنى والألقاب ص٤١٩ حيث لخص هذا الكلام .

(٧٨) المجلي ، لابن أبي جمهور الأحسائي ، ص١٧٩ ، عن النزعات الصوفية ، د . الشيبي ص٣١٨ .

(٧٩) هدية العارفين ، ٤٨٦/٢ .

(٨٠) الذريعة ، ٢٤ر٦ .

(٨١) الأعلام ، ٢٩٣/٨ .

(٨٢) معجم المؤلفين ، ٥٥/١٣ .

وينبغي أن لا نغفل هنا – ونحن عن ثقافته – مجهوده الشخصي في القراءة ومعاناة طلب العلم بالاعتماد على الذات ، إذ أصبحت القراءة وسيلة مهمة في اكتساب العلوم لا تقل أهمية عن الجلوس إلى الشيوخ إن لم تساوها . وقد استطعنا تلمس هذا الأمر من خلال قراءتنا الدقيقة لكتابيه شرح نهج البلاغة وشرح المئة كلمة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذ حويا نقولاً وفيرة من علماء مختلفي المشارب والمذاهب منهم الفقيه والفيلسوف والمتكلم واللغوي والنحوي والأديب إضافة إلى استشهاده بالشعر من خلال الشروح مما يشير بقوة إلى ما ذهبنا إليه ويدل على المسارب الثقافية المتنوعة التي استقى منها سواء من الشيوخ أم من القراءة .

ويشكل الفقه ومباحثه دعامة رئيسية في ثقافة الشيخ ، ويبدو أنه درسه على شيوخه في البحرين وفق تسلسل التعليم التقليدي من ضرورة اطلاع الطالب على المباحث الفقهية المتنوعة كي تكون له سنداً وهو يعالج القضايا الفكرية الأخرى ، بالإضافة إلى أهميته في نفسه علماً يبين الحلال والحرام ويبصر النفس والآخرين بأوامر الشرع ونواهيه . وتظهر براعته الفقهية في جلوس الطوسي إليه – إن صحت الرواية – ووفرة المباحث الفقهية في كتبه واعتماد العلماء المتأخرين عليه في تحقيقاته وأخذهم من آرائه .

وتحتل الفلسفة وعلم الكلام والتصوف مكاناً رحباً فسيحاً في مجمل ثقافته ، ألف فيها معظم كتبه وضمن مباحثها وقضاياها ومصطلحاتها كتبه الأخرى التي لا تشير في عنواناتها إلى هذه العلوم ، وقد تشابكت عنده حتى أصبح من الصعب التمييز بينها في أبحاث منفصلة أو جهود مستقلة وربما كان لغوصه العميق فيها وشدة اهتمامه بها أثر في ذلك التشابك . ويلاحظ أن الدكتور الشيبي يجعله « نموذجاً لمتكلمي الشيعة في هذه الفترة من حيث

تنـاول الموضوعات الفلسفية ثم تأثره بالتصوف في ختام الأمر تحت تأثير الظروف الجديدة »[٨٣] . ولا شك أن لشخصيـة الطوسـي أثرها البالغ في الشيخ ميثم في بناء شخصيته الفلسفية والكلامية . فقد فتح له آفاقاً رحبة في الفلسفة وعلم الكلام خاصة إذا علمنا أن الطوسي « يعد من أكبر المشتغلين بالعلوم العقلية بعد ابن سينا »[٨٤] ، كما أنه « الشارح والناقد المتمكن لابن سينـا »[٨٥] وغيره من الفـلاسفـة . وقد لاحظنا أن الشيخ ميثم يكثر من الاستفادة من ابن سينا خاصة في كتابه شرح المئة كلمة وينقل منه نصوصاً إما صراحة أو ضمنـاً . ومن الضروري أن نشـير هنا إلى أمر هام يتعلق بالطوسي نفسه وواحد من كتبه المشهورة المتداولة وهو (تجريد الكلام في تحرير عقائد الإسـلام) الذي يصفه الأستاذ الخضري بأنه « يحتوي على معـالجة لجانب كبير من المسـائل الفلسفية في علم ما بعد الطبيعة وعلم النفس وفي نظرية العـلم على الخصـوص وفي الأخلاق ... وإذا بحثنا عن المؤلفين الذبن سبقوا ... لا نجد أحداً قبل الطوسي قد ألف في علـم الكلام على هذا النحو »[٨٦] ، وقد كتـب الطوسـي كتـابه بعبارة موجزة يصعبَ فهمها ولذلك كثر الشارحون والمعلقون عليه[٨٧] ، ويهمنا من هذه الشروح

(٨٣) النزعات الصوفية ، الشيبي ، ص٨٩ .

(٨٤) هذا الرأي للدكتـور علي أكبر فيـاض ، نقـلاً عن كتـاب الطّوسـي ، د . الأعسم ، ص١٣٦ .

(٨٥) هذا الرأي للدكتور روزنثال نقلاً عن كتاب الطوسي ، د . الأعسم ، ١٣٦ .

(٨٦) محاضرات الأستـاذ الخضري عن الدكتـور الشيبي ، النزعات الصـوفيـة ، ص٨٦ – ٨٧ .

(٨٧) أحصى الطهراني في الذريعة اثنين وعشرين شرحاً للتجريد في أوقات متعاقبة حتى العصر الحديث ، ينظر الذريعة ٣/٢٢ و٦ر٣١ ، والنزعات الصوفية ، د . الشيبي ، ص٨٧ – ٨٨ .

شرح محمد بن إبراهيم الشيرازي الملقب بصدر الدين المتوفى سنة ١٠٥٠هـ[٨٨] الذي اعتمد فيه اعتماداً واضحاً على مباحث الشيخ ميثم الفلسفية والكلامية « بحسبان ميثم هو المطلع على معاني وأسرار التجريد مباشرة بالدرس والفحص وعلى يدي الطوسي نفسه »[٨٩] ، وهذا يشير إلى أهمية آراء الشيخ ميثم وقيمتها العلمية وتميزها بين الآراء الكثيرة التي قيلت في التجريد .

أما بالنسبة للتصوف فإن الدارس يرى بوضوح محاولات الشيخ ميثم المتعددة لاضفاء الطابع الصوفي على كلام الإمام علي كرم الله وجهه في شرحه لنهج البلاغة ، وقد لحظ ابن أبي الحديد هذا الأمر وهو يشرح نهج البلاغة المتقدم على شرح الشيخ ميثم إذ يقول عن الإمام علي : « ... وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة »[٩٠] ، ثم يروح يفصل هذا الذي أجمله في كلامه السابق فيقف عند العلم الإلهي والمعتزلة والإمامية والزيدية والفقه والفقهاء والقضاء وتفسير القرآن الكريم والتصوف والنحو والعربية والأوصاف والفتوة وغيرها كثير[٩١] ، ولهذا لم يكن الشيخ ميثم نسيج وحده في هذا بعد أن وجد المناخ الملائم لانتشار التصوف وأفكاره وطرقه ، وقد أشار بعض الدارسين إلى هذا الأمر إذ نجد البحراني في السلافة يقول : « ضم إلى إحاطته بالعلوم الشرعية

---

(٨٨) هو « حكيم من أهل شيراز . رحل إلى أصبهان وتعلم فيها وتوفي بالبصرة وهو متوجه إلى مكة حاجاً له تصانيف كثيرة » . معجم المؤلفين ، كحالة ، ٢٠٣/٨ مع مصادره .

(٨٩) الطوسي ، د . الأعسم ، ص٦٣ .

(٩٠) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ١٧/١ .

(٩١) المصدر السابق ، ١٧/١ ـ ٣٠ .

وإحراز قصبات السبق في العلوم الحكمية والفنون العقلية ذوقاً جيداً في العلوم الحقيقية والأسرار العرفانية »[٩٢] ، والإشارة إلى التصوف واضحة لا تحتاج إلى فضل بيان . ويصف في موضع آخر شرحه لنهج البلاغة بقوله : « .. وفي الحقيقة مَنْ اطلع على شرحه لنهج البلاغة ... شهد له بالتبريز في جميع الفنون الإسلامية والأدبية والحكمية والأسرار العرفانية »[٩٣] ، ويقول القاضي نور عن هذا الشرح أيضاً انه تضمن « الحكمة والتصوف والكلام »[٩٤] ، كما يقول حيدر الآملي عنه أيضاً بأن الشيخ ميثم قد « رجح فيه طرف العارفين الموحدين على طرف جميع العلماء والمتفلسفين ... وأسند علومهم وخرقتهم إلى أمير المؤمنين علي »[٩٥] ، كما اختار الآملي نفسه في كتابه أقوال ميثم « لبيان اتصال المتصوفة بعلي بن أبي طالب »[٩٦] . وقد لوحظ اعتناء الشيخ ميثم بالتصوف ومصطلحاته في شرحه للمئة الكلمة وهو كتابه الثاني في شرح أقوال للإمام علي مما يؤكد سعة ثقافته الصوفية وقدرته على استخدام مصطلحاتها بدقة واتقان .

وتبقى العربية وعلومها الرافد الأخير والمهم الذي تكونت بجمع أطرافه ثقافة الشيخ ميثم . إذ نراه يفتتح شرحه لنهج البلاغة بمقدمة ضافية تضمنت مباحث لغوية وبلاغية ، أما اللغوية فقد وقف عند الألفاظ ودلالاتها والاشتقاق والاشتراك وغيرها ، وعرض في المباحث البلاغية للبلاغة والفصاحة والحقيقة والمجاز ، والتشبيه والاستعارة ، والنظم ، والتقديم

---

(٩٢) السلافة البهية : ١/٤٢ .

(٩٣) المصدر السابق ، ١ر٤٣ .

(٩٤) عن النزعات الصوفية ، د . الشيبي ، ص٩٠ .

(٩٥) جامع الأسرار ، و٣٨٩ ب عن الشيبي ، ص٩١ .

(٩٦) عن الشيبي ، ص١٠٧ .

والتأخير ، والفصل والوصول وغيرها ، وهو في هذه المباحث يستفيد ممن سبقه من علماء العربية ويشير إليهم في بعض الأحيان ويحاول أن يدلي بدلوه في أحيان أخرى . ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى أن له كتاباً مستقلاً في البلاغة هو (أصول البلاغة) حوى عرضاً موجزاً لمباحث بلاغية مختلفة تشبه تلك المباحث التي وقف عندها في مفتتح شرحه لنهج البلاغة ، مما يشير إلى شدة عنايته بالبلاغة واستيعابه لفنونها ومباحثها . ويظهر لنا علم الشيخ ميثم الواسع بالخطابة حين يشرح مبادئها وأقسامها وتحسيناتها في مقدمة شرحه لنهج البلاغة ، وكأنه يجعل من هذا الشرح مدخلاً ملائماً لبيان مكانة الإمام علي كرم الله وجهه في هذا الفن وتميزه عن غيره من الخطباء بوصوله الغاية فيه من خلال التقسيمات السابقة .

ويشكل النحو وأبوابه جزءاً مهما من أجزاء ثقافته ، إذ لوحظ أنه قارئ لهذا العلم قراءة واسعة مطلع على الخلافات بين النحاة ، مستفيد منه غاية الاستفادة في توجيه معنى ما من كلام الإمام علي كرم الله وجهه أو توضيحه وتبيان مشكله . ويبقى جانب واسع من جوانب ثقافته ينبغي التوقف عنده وهو الثقافة الشعرية ومعرفة معاني الشعر .

فقد بدا لنا محيطاً بالشعر العربي قديمه ومحدثه ، عارفاً عصوره المختلفة ، الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي ، وملاحظاً الفروق الدقيقة بين هذه العصور ، إذ يستشهد بالشعر في مواضع كثيرة من كتبه على قضايا نحوية وبلاغية ولغوية ، وربما يستفيد من دوران هذه الشواهد في الكتب قبله ويضيف إليها ما شاءت له الإضافة ، ولكنه في كتابه الذي شرح فيه المئة كلمة للإمام علي كرم الله وجهه بدا مطلعاً على شعر الحكمة والتصوف العربي اطلاعاً واسعاً من خلال الاستشهاد ، ولعله هنا لا يتكئ على كتاب سابق وشاهد جاهز مثل العلوم

السابقة ، ولولا هذه العناية بالشعر ودواوينه لما تكون هذا الاطلاع وهذه الخبرة ، ولا ريب في أن معرفته بمعاني الشعر مرتبطة بهذه الثقافة الشعرية أو الأدبية عموماً ، فنراه يشرح الشعر أو يوجه معناه وفق فهم يقوم على الخيال والصور فيه ، وأهمية هذين الأمرين في الشعر كما يولي عنايته لإبراز المعنى الخفي في الشعر الذي لا ينكشف للوهلة الأولى ، وهذا يشير إلى معرفته بخصائص الشعر الدقيقة ولم تتكون هذه المعارف إلا من خلال التذوق المعزّز بالقراءة في كتب البلاغة والنقد . ولن نترك هذا الحديث حتى نشير إلى أسلوب الشيخ ميثم وطريقته في الكتابة ، ولا شك أن أسلوبه هو نتاج طبيعي لهذه الروافد الثقافية التي تجمعت عنده فأخذ منها وعول عليها وكونت بعد هذا أسلوبه الذي استخدمه في عرض الأمور ومعالجة القضايا ، فنراه يلجأ إلى الأسلوب الفصيح ذي العبارة الرصينة الواضحة التي تؤدي المعنى بلا إخلال بجمال التركيب أو حسن الشكل ، ولا ننسى هنا أنه يعرض لمسائل علمية معقدة ومصطلحات استقرت معانيها ، وعلى الرغم من هذا فإنه استطاع أن يصوغها بأسلوبه الممتع وعرضه الأدبي السهل . إنه يعنى بالحياة داخل النص يبثها بين جنباته فلا نلقى عسراً في الفهم أو عنتاً في الاسترسال ، إنه الأسلوب الذي يجذب قارئه ويعينه على المتابعة ، وليس هذا بغريب على من اعتنى بهذه العلوم المتشعبة وظلت الروح الأدبية طاغية عنده تلون أسلوبه وتميزه عن غيره من المؤلفين في عصره .

— ٤ —

ترك الشيخ ميثم كتباً عدة عالج فيها موضوعات مختلفة كالفقه والفلسفة وعلم الكلام والتصوف والأدب ، وهذا يشير إلى اتساع المعارف التي كتب فيها ، وتمكنه منها مما أشرنا إلى أطراف منه فيما سبق . وسنحاول في هذا العرض لكتبه أن نعين عنوان الكتاب وما قيل بشأنه في كتب

التراجم ومواضع وجوده في هذه الكتب ، مع الإشارة إلى مكان وجوده إذا كان مخطوطاً ومكان طبعه إذا كان مطبوعاً ، والحقيقة أن الشيخ الطهراني في موسوعته (الذريعة) وهو أوسع من تطرق إلى هذا الموضوع من المحدثين قد أغفل أمكنة وجود كتب الشيخ ميثم إلا في القليل النادر مع ذكره لها ودرجه لأسمائها في موسوعته . وقد استعنا بفهارس المخطوطات المتاحة لدينا ولم نعثر فيها إلا على شيء قليل مثلما سنرى . والأمل أن يكون هذا الثبت قريباً من الصورة المثلى لكتب الشيخ ميثم وربما تتكشف في المستقبل مصادر جديدة تضيف إلى هذا الثبت عنوانات أخرى وفوائد جديدة .

أما كتبه التي أحصيناها فهي :

١ – شرح نهج البلاغة :

وهو أهم كتبه وأشهرها ، وقد ذكره جميع من ترجم له ، أو أشار إلى شيء من كتبه وأوسعوه ثناء وتقريظاً ، فهو « حقيق أن يكتب بالنور على الأحداق لا بالحبر على الأوراق »[٩٧] ، كما يشير صاحب أنوار البدرين إلى أنه قد رآه وانتفع به[٩٨] ، ووصفه الطريحي بأنه « لم يعمل مثله »[٩٩] ، وأشار إليه القمي في سفينة البحار[١٠٠] ، وذكره من المحدثين صاحب الذريعة في مواقع كثيرة منسوباً إليه[١٠١] والزركلي في الأعلام[١٠٢] وكحالة في معجم

---

(٩٧) السلافة البهية ، ١/٤٥ ، وتنظر لؤلؤة البحرين ، ص٢٥٥ .

(٩٨) أنوار البدرين ، ص٦٣ .

(٩٩) مجمع البحرين ، ٦/١٧٢ .

(١٠٠) سفينة البحار ، ٢/٥٢٦ .

(١٠١) الذريعة ٢/٣٢ ، ٣/٣٧ ، ١٣/٢٨٧ ، ١٤/١٤٩ – ١٥٠ ، ١٤/٤١ ، ٢١/٦١ ، ٢٣٠د ٢٥/٦١ .

(١٠٢) الأعلام ، ٨/٢٩٣ .

المؤلفين[١٠٣] والدكتور حسين علي محفوظ[١٠٤] والدكتور أبا حسين[١٠٥] في بحثيهما عن البحرين .

ومما يجدر ذكره هنا أن للشيخ ميثم ثلاثة شروح على البلاغة : كبير ومتوسط وصغير ، والذي عنيناه سابقاً هو الشرح الكبير وقد سماه (مصباح السالكين) ، ومنه ست نسخ مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي[١٠٦] لعل أقدمها يعود إلى سنة ١٠٧٧ ، وقد وهم الدكتور عبد القادر حسين حين جعل (مصباح السالكين) كتاباً مستقلاً عن شروح نهج البلاغة وجعل له رقماً خاصاً في ثبت كتبه التي أحصاها[١٠٧] . وهناك نسختان مخطوطتان من الشرح المتوسط في مكتبة المتحف العراقي[١٠٨] . ويشير صاحب الذريعة إلى أن أوله « سبحان من حسرت أبصار البصائر عن كنه معرفته ، وقصرت ألسنة البلغاء عن أداء مدحته »[١٠٩] ، وهذا يفيد برؤيته له ، كما يذكر أيضاً أن الشيخ ميثم « صرح في أوله أنه استخرجه من شرحه الكبير لولدي الخواجة علاء الدين عطا ملك وهما نظام الدين أبو منصور محمد ومظفر الدين أبو العباس علي وقال في آخره : « هذا اختيار مصباح السالكين لنهج البلاغة »[١١٠] ، ويستنتج من هذا أن الشرح الكبير هو مصباح السالكين .

---

(١٠٣) معجم المؤلفين ، ٥٥/١٣ .

(١٠٤) مصادر دراسة تراث البحرين ، ص١٨٣ .

(١٠٥) حركة التأليف في البحرين ، ص٢٨٠ .

(١٠٦) ينظر مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ص٥٩٠ – ٥٩٢ . وأشار إلى هذا العنوان البغدادي في هدية العارفين ٤٨٦/٢ .

(١٠٧) ينظر مقدمة تحقيقه لكتاب أصول البلاغة للشيخ ميثم ، ص١٣ .

(١٠٨) ينظر مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ، ص٤٠٦ – ٤٠٧ .

(١٠٩) الذريعة ، ١٤٩/١٤ .

(١١٠) المرجع السابق ، ١٤٩/١٤ – ١٥٠ .

ويشير أيضاً إلى أن هناك نسخة من هذا الشرح عند مجد الدين بن صدر الأفاضل النصيري ، وهناك نسخ منه في مكتبة الفاضلية بخراسان ومدرسة المروى بطهران ومكتبة الحاج أقا حفيد السيد حجة الإسلام الشفتي بأصفهان[١١١] .

وقد أشار إلى الشروح الثلاثة بعض من ترجم للشيخ ميثم مثل صاحب السلافة البهية الذي يورد ذكر الشروح الثلاثة ويضيف بعد ذكره للشرحين الكبير والصغير قائلاً : « ... وسمعت من بعض الثقات أن له شرحاً ثالثاً على نهج البلاغة متوسطاً »[١١٢] ، ومثل صاحب لؤلؤة البحرين الذي يقول عن الشرح الصغير : « ... فإن هذا الشرح كان عندي وذهب فيما وقع على كتبي في بعض الوقائع وبقي عندي الشرح الكبير »[١١٣] .

وذكر الشروح الثلاثة صاحب الغدير[١١٤] ، كما فصل الحديث عنها الشيخ حسين جمعة العاملي[١١٥] وأورد جزءاً كبيراً من كلام صاحب الذريعة المتقدم .

وقد اعتنت جمهرة من العلماء بشرح الشيخ ميثم تلخيصاً وترجمة وانتقاء مثل تلميذه العلامة الحلي الذي اختصر الشرح الكبير[١١٦] ، ونظام الدين علي بن الحسن الجيلاني وقد اختصر الشرح أيضاً وسماه (أنوار الفصاحة)[١١٧] ، والسيد عبد الله بن محمد بن رضا الحسيني الشبري

---

(١١١) السابق ، ١٤/١٥٠ .
(١١٢) السلافة البهية ، ١/٤٤ .
(١١٣) لؤلؤة البحرين ، ص٢٦١ .
(١١٤) الغدير ، الأميني ، ٤/١٨٨ .
(١١٥) شروح نهج البلاغة ، ص٨٦ – ٨٨ .
(١١٦) ينظر لؤلؤة البحرين ، ص٢١٧ والهامش رقم (٤٧) .
(١١٧) الذريعة ، ١٤/١٤٩ .

الكاظمي الذي شرح النهج شعراً في أربعين ألف بيت انتخب شرحه هذا من شرح الشيخ ميثم وابن أبي الحديد ولذلك سماه (نخبة الشرحين)[١١٨] وعز الدين العاملي الذي ترجم شرح الشيخ ميثم إلى الفارسية[١١٩] . ونقل منه كثيراً الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل في شرحه لنهج البلاغة حيث « استخرج منه تعليقات مفيدة »[١٢٠] ، وطبع الشرح الكبير كاملاً مرتين الأولى في طهران ، مؤسسة النصر سنة ١٣٧٨هـ بخمسة أجزاء ضخام وتولى الإشراف على هذه الطبعة وتصحيحها الشيخ محمد رضا الخاتمي البروجردي . وقامت دار الآثار للنشر ودار العالم الإسلامي ببيروت بإعادة تصويره بالأجزاء ذاتها سنة ١٩٨١م . وتولى الدكتور عبد القادر حسين طبع مقدمة الشرح وحدها وقد حوت الموضوعات البلاغية وفن الخطابة وفضائل الإمام علي وذلك في دار الشروق . القاهرة – سنة ١٩٨٧ .

٢ ـ القواعد في علم الكلام :

ذكر هذا الكتاب مجموعة من العلماء نسبوه إلى الشيخ ميثم وهم يوسف البحراني في السلافة[١٢١] وعلي البحراني في الأنوار[١٢٢] ويعقب قائلاً : « ... رأيته في السنة المذكورة (وهي ١٠٩٥هـ) عند بعض إخواني ولم أتفرغ لتتبعه ومطالعته »[١٢٣] ، والبحراني في لؤلؤته[١٢٤] ، والطريحي في

---

(١١٨) شروح نهج البلاغة ، ص٦٤ .

(١١٩) المرجع السابق ، ص٦٥ – ٦٦ .

(١٢٠) السابق ، ص٩٨ .

(١٢١) السلافة ، ١/٤٥ .

(١٢٢) أنوار البدرين ، ص٦٣ .

(١٢٣) السابق ، ص٦٣ .

(١٢٤) لؤلؤة البحرين ، ص٢٥٩ .

مجمع البحرين ويسميه القواعد في أصول الدين[١٢٥] ، والبغدادي في هدية العارفين ويسميه (قواعد المرام)[١٢٦] ، والعاملي في الأعيان ويضيف قائلاً : « وهو شرح كلمات أستاذه علي بن سليمان البحراني »[١٢٧] ، ولا أعتقد صحة هذا التعليق لأن للشيخ ميثم كتاباً آخر شرح به رسالة شيخه سيأتي كما انفرد العاملي وحده بهذا التعليق . وكحالة في معجم المؤلفين[١٢٨] والزركلي في الأعلام[١٢٩] والدكتور أبا حسين الذي يشير إلى وجود نسخة منه في مكتبة بأصفهان[١٣٠] ، كما يرد ضمن مصنفاته في مقدمة تحقيق شرح نهج البلاغة[١٣١] ومقدمة تحقيق شرح المئة كلمة له أيضاً[١٣٢] . ويفصل صاحب الذريعة الحديث عنه ويسميه (القواعد الإلهية في الكلام والحكمة) ويضيف : « ... قد يسمى قواعد المرام في الحكمة والكلام »[١٣٣] ، ولعل العنوان الأول هو الذي أوهم الدكتور أبا حسين فجعل عنوان الكتاب (القواعد الألبية)[١٣٤] وإنما هو الإلهية وهو يشير إلى

(١٢٥) مجمع البحرين ، ١٧٢/٦ .

(١٢٦) هدية العارفين ، ٤٨٦/٢ .

(١٢٧) أعيان الشيعة ، ١٩٨/٩ .

(١٢٨) معجم المؤلفين ، ٥٥/١٣ .

(١٢٩) الأعلام ، ٢٩٣/٨ .

(١٣٠) حركة والتأليف في البحرين ، ص٢٨٠ .

(١٣١) شرح نهج البلاغة ، للشيخ ميثم ، ١/ح ، ويقول محقق الشرح أن « الفقيه الإمام أحمد بن علي العاملي قرأ هذا الكتاب على السيد الحسن بن السيد جعفر الموسوي الكركي العاملي » .

(١٣٢) شرح المئة كلمة ، للشيخ ميثم صفحة ، ويقول المحقق أن هذا الكتاب قد « طبع بهامش المنتخب للطريحي في بومبي سنة ١٣٣١هـ » .

(١٣٣) الذريعة ، ١٧٩/١٧ .

(١٣٤) لم أجد بين كتب الشيخ ميثم كتاباً يحمل هذا العنوان ولعل (الألبية) تحريف (الالهية) .

وجود نسخة من (القواعد الألبية) في « مكتبة الجوادين بالكاظمية رتبه على ثماني قواعد وكل قاعدة على أبحاث وقع الفراغ من تحريره ٩٤٤هـ »[١٣٥] ... وهو الوصف نفسه الذي قدمه صاحب الذريعة للقواعد الإلهية حين قال : « رأيت نسخة منه بخط حيدر بن المنور كتابتها في رابع ذي الحجة سنة٦٩٦ ... عند محمد رضا المنشي الهندي بالكاظمية . ورأيت نسخة أخرى منه تاريخ كتابتها سنة ٩٤٤هـ عند السيد محمد علي هبة الدين أوله : الحمد لله الولي الحميد ... مرتباً على قواعد أولها المقدمات وفيها أركان وفي أول الأركان أبحاث ، أول الأبحاث التصور والتصديق ... ويوجد نسخة من القواعد هذه عند فخر الدين النصيري بطهران تاريخ كتابتها سنة ٦٩٩هـ[١٣٦] ، ومن الواضح أن الكلامين متطابقان وخاصة عند النسخة الثانية التي ذكرها صاحب الذريعة .

٣ ـ رسالة في آداب البحث :

نسب الطريحي هذه الرسالة ، للشيخ ميثم في مجمع البحرين[١٣٧] والطهراني في الذريعة[١٣٨] والعاملي في الأعيان[١٣٩] والزركلي في الأعلام[١٤٠] . كما نسبها إليه الدكتور أبا حسين[١٤١] وصاحب مقدمة تحقيق شرح نهج البلاغة للشيخ ميثم . واكتفت هذه الكتب بالنسبة إليه بلا

---

(١٣٥) حركة التأليف في البحرين ، ص٢٨٠ .

(١٣٦) الذريعة ، ١٧٩/١٧ .

(١٣٧) مجمع البحرين ، ١٧٢/٦ .

(١٣٨) الذريعة ،١٤/١ .

(١٣٩) أعيان الشيعة ، ١٩٨/٩ و١٥٨/١ .

(١٤٠) الأعلام ، ٢٩٣/٨ .

(١٤١) حركة التأليف في البحرين ، ص٢٨٠ .

وصف لها أو تبيان لمحتواها .

٤ ـ البحْر الخضم :

يذكره صاحب السلافة ويسميه (بحر الخضم)[١٤٢] ، كما يجعله صاحب الأنوار[١٤٣] واحداً من مصنفاته ومثله صاحب اللؤلؤة[١٤٤] ، وجاء في ذيل كشف الظنون : « البحر الخضم من كتب الإمامية لمؤلف استقصاء النظر ميثم بن علي البحراني »[١٤٥] ، ويقول صاحب الذريعة : « البحر الخضم في الإلهيات »[١٤٦] ، وأورده العاملي[١٤٧] منسوباً إليه ، كما ورد في مقدمة تحقيق شرح نهج البلاغة[١٤٨] ومقدمة تحقيق شرح المئة كلمة[١٤٩] .

٥ ـ النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة :

ذكره صاحب اللؤلؤة ونقل عنه شيئاً يسيراً[١٥٠] ، كما ذكره

---

(١٤٢) السلافة البهية ، ١/٤٥ .

(١٤٣) أنوار البدرين ، ص٦٤ .

(١٤٤) لؤلؤة البحرين ، ص٢٥٩ .

(١٤٥) ذيل كشف الظنون ، ١ر١٦٤ ، وذكره البغدادي في هدية العارفين ، ٢/٤٨٦ .

(١٤٦) الذريعة ، ٣/٣٧ .

(١٤٧) أعيان الشيعة ، ٩/١٨٩ .

(١٤٨) شرح نهج البلاغة ، ١/ح .

(١٤٩) شرح المئة كلمة ، صفحة و .

(١٥٠) لؤلؤة البحرين ، ص٢٦٠ . ويقول محقق اللؤلؤة : « ... وقد كتبته بخطي سنة ١٣٦١هـ على نسخة كتبها يوسف بن محمد بن إبراهيم المناني يوم الثلاثاء ١٧ ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ » .

البغدادي في هدية العارفين[١٥١] ، وصاحب الذريعة وسماه (نجاة القيامة في أمر الإمامة) وأورد مفتتحه وهو (الحمد لله مفيض الجود وواهب وجود كل موجود) ، وقال إنه رتبه على مقدمة وثلاثة أبواب[١٥٢] ، ونسبه للشيخ ميثم صاحب الأعيان[١٥٣] وصاحب معجم المؤلفين[١٥٤] وصاحب مقدمة التحقيق لشرح نهج البلاغة[١٥٥] .

٦ ـ أصول البلاغة :

هذا هو العنوان الذي اختاره الدكتور عبد القادر حسين لهذا الكتاب عندما قام بتحقيقه ونشره مع أن اسمه (تجريد البلاغة) وليس (أصول البلاغة) مثلما سنرى . والملاحظ أننا لم نجد لهذا الكتاب ذكراً في أي من الكتب التي ترجمت للشيخ ميثم من المتقدمين ، وهذا ما يشير إليه الدكتور عبد القادر حسين أيضاً في مقدمته ولكننا نقرأ في الأعلام للزركلي ما يلي : « ... تجريد البلاغة مخطوط في المعاني والبيان ، ويسمى أصول البلاغة »[١٥٦] ، وينقل هذا الكلام كحالة في معجمه[١٥٧] . وربما كانا ينقلان من الذريعة في قوله : « تجريد البلاغة في المعاني والبيان للشيخ كمال الدين

---

(١٥١) هدية العارفين ، ٤٨٦/٢ .

(١٥٢) الذريعة ، ٦١/٢٤ ويقول أيضاً : « توجد نسخة منه بخط يوسف بن محمد بن إبراهيم المناني فرغ من الكتابة ١٧ ذي الحجة ٨٥٢هـ عند السماوي » . ولعلها النسخة السابقة التي نسخها محقق لؤلؤة البحرين .

(١٥٣) أعيان الشيعة ، ١٩٨/٩ .

(١٥٤) معجم المؤلفين ، ٥٥/١٣ .

(١٥٥) شرح نهج البلاغة ،٥٥/١٣ .

(١٥٦) الأعلام ، ٢٩٣/٨ .

(١٥٧) معجم المؤلفين ، ٥٥/١٣ .

ميثم بن علي بن ميثم البحراني ... ويقال له أصول البلاغة أيضاً[١٥٨] »
ونجده في مصدر أقدم ، هو هدية العارفين الذي يسميه تجريد البلاغة[١٥٩] ،
ولا نعلم سبب إغفال كتب التراجم لهذا الكتاب وعدم دورانه فيها ،
والمعتقد أن هذا الكتاب هو المقدمة البلاغية التي افتتح بها الشيخ ميثم شرحه
لنهج البلاغة بعد أن أضاف إليها أشياء وحذف منها أخرى ، ويسارع
الدكتور عبد القادر حسين إلى الجزم في هذا الموضوع فيقول : « ...
عندئذ أستطيع أن أجزم بأن كتاب تجريد البلاغة ما هو إلا مقدمة شرح
نهج البلاغة ... غير أن الشيخ ميثم قد عمد إلى فصل هذه المقدمة وأدخل
عليها شيئاً من التعديل والحذف والإضافة حتى أصبحت عملاً
مستقلاً ... »[١٦٠] ، وربما كان هذا وراء إغفال ذكره لجعلهم الاثنين كتاباً
واحداً ، فما داموا قد ذكروا الشرح فلا حاجة لذكر التجريد . ويبقى أمر
مهم نريد الوقوف عنده وهو عنوان الكتاب ، إذ رأينا في النصوص السابقة
أنه يحمل عنوان التجريد مع احتمال كونه أصول البلاغة ولكننا نرى صاحب
الذريعة يضيف إلى ما قال ، النص التالي : « ... ولكن اسمه
التجريد »[١٦١] ، كأنه يؤكد هذا العنوان ويثبته ، كما أشار إلى هذا العنوان
الأمين فقال : « له كتاب تجريد البلاغة في المعاني والبيان »[١٦٢] ، فهذه
تكاد تجمع على أن العنوان هو التجريد ، ونضيف هنا أمراً ثانياً وهو أن
الدكتور حسين قد نشر مع تحقيقه صورة الورقة الأولى من المخطوط وهي

(١٥٨) الذريعة ، ٣/٣٥٢ .
(١٥٩) هدية العارفين ، ٢/٤٨٦ .
(١٦٠) مقدمة تحقيق أصول البلاغة ، ص١٨ .
(١٦١) الذريعة ، ٣/٣٥٢ .
(١٦٢) أعيان الشيعة ، ١/٦٦ .

تحمل العنوان فإذا هو ما يلي : « كتاب تجريد البلاغة تأليف الشيخ ... كمال الدين ميثم ... » ، ولم يشر عن أي المخطوطتين اللتين اعتمد عليها ينشر هذه الورقة ، فهذا دليل واضح على العنوان ولكنه لم يعبأ به . ونضيف أمراً ثالثاً وهو أننا قد وقعنا على شرح لهذا الكتاب قام به المقداد السيوري[١٦٣] المتوفى سنة ٨٢٦هـ سماه « تجويد البراعة في شرح تجريد البلاغة »[١٦٤] ويعتمد صاحب الذريعة على إثبات العنوان وهو (التجريد) على « لحاظ الجناس بين العنوانين »[١٦٥] وكما هو واضح فإن السيوري يشرح كتاباً عنوانه تجريد البلاغة ولم يرد لكلمة أصول ذكر . وربما حدت هذه الأمور بالدكتور حسين إلى إعادة النظر في عنوان الكتاب عند طباعته للمرة الثالثة . ومثلما ذكرنا سابقاً فقد نشره الدكتور حسين عن نسختين مخطوطتين وطبع مرتين الأولى بدار الشروق سنة ١٩٨١ ، والثانية دار الثقافة للنشر والتوزيع بقطر سنة ١٩٨٦ بالرغم من أنه يطلق عليها الطبعة الأولى ، وكأن الثانية تصوير عن الأولى إذ لا نجد فيها تغييراً أو تبديلاً .

٧ ـ رسالة في الوحي والإلهام :

ذكرها غير واحد ممن ترجم للشيخ ميثم وهم صاحب اللؤلؤة[١٦٦] وصاحب السلافة[١٦٧] والبغدادي في هدية العارفين[١٦٨] . ويسميها الشيخ

(١٦٣) هو المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلي الأسدي ، فقيه ، أصولي متكلم ، مفسر ، له مؤلفات كثيرة . ينظر عنه لؤلؤة البحرين ص١٧٢ وما بعدها . ومعجم المؤلفين ، كحالة ، ٣١٨/١٢ مع المصادر التي أثبتها .

(١٦٤) الذريعة ٣٦٠/٣ . وذكر هذا الشرح الأمين في أعيان الشيعة ، ١٦٦/١ ، والبغدادي في إيضاح المكنون ٢٢٩/١ .

(١٦٥) الذريعة ، ٣٥٢/٣ .

(١٦٦) لؤلؤة البحرين ، ص٢٥٩ .

(١٦٧) السلافة البهية ، ٤٥/١ .

(١٦٨) هدية العارفين ، ٤٨٦/٣ .

الطهراني « الوحي والإلهام والفرق بينهما والإشراق ظاهراً »[١٦٩] ، ويشير إليها الأمين في الأعيان[١٧٠] ، ولم يزد هؤلاء على ما تقدم شيئاً ، فجاءت غفلاً من أي وصف أو مكان وجود .

٨- شرح حديث المنزلة :

وهو رسالة في شرح حديث واحد للرسول ﷺ ، ذكرها الشيخ علي البحراني ووصفها بأنها « رسالة عجيبة في شرح حديث المنزلة وأنه وحده كاف في خلافة أمير المؤمنين لم يحتج إلى غيره »[١٧١] ، وذكرها العاملي في الأعيان[١٧٢] هو الآخر وكأنه ينقل عن صاحب الأنوار .

٩- شرح المئة كلمة المرتضوية :

ذكر هذا الكتاب جمع ممن ترجم له . فقد جاء ذكره في أنوار البدرين ويوصف بأنه « شرح نفيس لم يعمل مثله »[١٧٣] ، ولؤلؤة البحرين الذي علق صاحبها بقوله : « كان عندي فذهب مني في بعض الوقائع التي جرت علي »[١٧٤] ، وهدية العارفين[١٧٥] بلا وصف . وأشار إليه صاحب الذريعة وسماه (شرح الكلمات المئة)[١٧٦] ، وذكره بعض المحدثين مثل

(١٦٩) الذريعة ، ٦١/٢٥ .
(١٧٠) أعيان الشيعة ، ١٩٨/٩ .
(١٧١) أنوار البدرين ، ص٦٦ .
(١٧٢) أعيان الشيعة ، ١٩٨/٩ .
(١٧٣) أنوار البدرين ، ص٦٤ .
(١٧٤) لؤلؤة البحرين ، ص٢٦٠ .
(١٧٥) هدية العارفين ، ٤٨٦/٢ .
(١٧٦) الذريعة ، ٤/١٤ .

الأمين في الأعيان[١٧٧] والزركلي في الأعلام[١٧٨] والدكتور أبا حسين في بحثه عن حركة التأليف في البحرين[١٧٩] .

وطبع الكتاب طبعة جيدة محققة قام بها مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ، واعتمد في تحقيقه على أربع نسخ مخطوطة يعود أقدمها إلى سنة ٨٧٠هـ ، وزود طبعته بفهارس مختلفة في آخر الكتاب .

١٠ ـ المعراج السماوي :

أشار إلى هذا الكتاب نفر من العلماء وهم البحراني في السلافة وأضاف بأن الفيلسوف صدر الدين الشيرازي « التقط فرائد التحقيقات التي أبدعها الشيخ ميثم في هذا الكتاب »[١٨٠] ، وصاحب أنوار البدرين[١٨١] وصاحب لؤلؤة البحرين[١٨٢] والبغدادي في هدية العارفين[١٨٣] وصاحب الذريعة وأضاف قائلاً : « إن السيد علي خان المدني ينقل عنه في تصانيفه كثيراً »[١٨٤] ، والعاملي في الأعيان[١٨٥] .

---

(١٧٧) أعيان الشيعة ، ١٩٨/٩ .
(١٧٨) الأعلام ، ٢٩٣/٨ .
(١٧٩) حركة التأليف في البحرين ، ص٢٨٠ .
(١٨٠) السلافة البهية ، ٤٢/١ .
(١٨١) أنوار البدرين ، ص٦٤ .
(١٨٢) لؤلؤة البحرين ، ص٢٥٥ و٢٥٩ .
(١٨٣) هدية العارفين ، ٤٨٦/٢ .
(١٨٤) الذريعة ، ٢٣٠/٢١ .
(١٨٥) أعيان الشيعة ، ١٩٨/٩ .

١١ ـ استقصاء النظر في إمامة الأئمة الاثني عشر :

وصف الطريحي هذا الكتاب فقال : « لم يعمل مثله »[١٨٦] ، وأشار إليه صاحب اللؤلؤة[١٨٧] والبغدادي في هدية العارفين[١٨٨] وفي إيضاح المكنون[١٨٩] ، وكحالة في معجمه[١٩٠] ، والطهراني في الذريعة[١٩١] ، والزركلي في الأعلام[١٩٢] ، والأمين في الأعيان[١٩٣] ، والدكتور أبا حسين في بحثه عن حركة التأليف في البحرين[١٩٤] ، وصاحب مقدمة تحقيق شرح نهج البلاغة[١٩٥] الذي نقل كلام الطريحي السابق .

١٢ ـ شرح إشارات علي بن سليمان البحراني :

هو شرح لرسالة شيخه علي بن سليمان الموسومة بالإشارات وهي « في الإلهيات على طريقة الحكماء والمتألهين »[١٩٦] ، وشرحه هذا « في غاية المتانة والدقة على قواعد الحكماء والمتألهين »[١٩٧] . ووصفه صحاب الأنوار بقوله : « ... وقد أجاد فيه وطبق المفصل وهو عندي »[١٩٨] ، ثم أضاف :

(١٨٦) مجمع البحرين ، ١٧٢/٦ .
(١٨٧) لؤلؤة البحرين ، ص٢٦٠ .
(١٨٨) هدية العارفين ، ٤٨٦/٢ .
(١٨٩) إيضاح المكنون ، ٧٢/١ .
(١٩٠) معجم المؤلفين ، ٥٥/١٣ .
(١٩١) الذريعة ، ٣٢/٢ .
(١٩٢) الأعلام ، ٢٩٣/٨ .
(١٩٣) أعيان الشيعة ، ١٩٨/٩ .
(١٩٤) حركة التأليف في البحرين ، ص٢٨٠ .
(١٩٥) شرح نهج البلاغة ، ص٦١ .
(١٩٦) أنوار البدرين ، ص٦١ .
(١٩٧) السلافة البهية ، ٤٥/١ ، لؤلؤة البحرين ، ص٢٥٩ .
(١٩٨) أنوار البدرين ، ص٦٣ .

« قال بعض مشايخنا المعاصرين : لو لم يكن له إلا هذا الكتاب لكفاه دليلاً على كمال تبحره »[١٩٩] ، وعده صاحب مقدمة تحقيق شرح نهج البلاغة من جملة كتبه[٢٠٠] .

هذه هي الكتب التي أطبقت المصادر والمراجع على صحة نسبتها إلى الشيخ ميثم ، ولم نجد خلافاً بين العلماء في قضية نسبتها إليه .

اختلفت المصادر والمراجع اختلافاً كبيراً في تحديد سنة وفاة الشيخ ميثم ، ومثلما أغفل أغلبها سنة ولادته – كما رأينا – فقد أغفل أغلبها سنة وفاته أيضاً . وسنقوم بعرض آراء القدماء والمحدثين التي عثرنا عليها محاولين وضع سنة تقريبية لوفاته مستعينين بالقرائن وسنوات الوفيات التي ذكرتها تلك المصادر .

ذهب كثير ممن ترجم للشيخ ميثم أو أورد ذكره أن وفاته كانت سنة ٦٧٩ للهجرة[٢٠١] ، وذهب آخرون إلى أنها سنة ٦٨١هـ[٢٠٢] أو

---

(١٩٩) المصدر السابق .

(٢٠٠) شرح نهج البلاغة ، ١/ح .

(٢٠١) ينظر : لؤلؤة البحرين ص ٢٥٩ وينقل عن البهائي في كشكوله ، وروضات الجنات ٢٢٠/٧ ، سفينة البحار ، القمي ٥٢٦/٢ ، فهرست علماء البحرين عن د . محفوظ ص ١٨٠ . الكنى والألقاب ، للقمي ص٤١٩ عن مقدمة تحقيق شرح المئة كلمة للشيخ ميثم الصفحة ط . هدية العارفين ، ٤٨٦/٢ ، إيضاح المكنون مثل : ١٤/١ ، ٣٢/٢ ، ٣٧/٣ ، ٣٥٢/٣ ، ٤١/١٤ ، ٢٣٠/٢١ ، ٦١/٢٥ . وارتضاه صاحب الأعيان ١٦٦/١ و١٩٧/٩ وكحالة في معجم المؤلفين ، ٥٥/١٣ ، والأميني في الغدير ، ١٨٨/٤ ، والدكتور الأعسم في كتابه عن الطوسي ، ص٥٣ .

(٢٠٢) الأعلام ، ٢٩٣/٨ ، حركة التأليف في البحرين ، د . أبا حسين ، ص٢٨٠ .

٦٩٩هـ[٢٠٣] . واختار بعض الدارسين « أن تكون سنة الوفاة ما بين سنتي ٦٧٩هـ و٦٩٩هـ »[٢٠٤] لعدم قدرتهم على تحديد سنة معينة . وحاول صاحب الذريعة أن يقترب من تاريخ الوفاة بالاعتماد على قرينة من واحد من كتبه فقال : « ... توفي سنة ٦٧٩هـ كما في كشكول البهائي ، والصحيح أما ٦٩٩هـ كما في كشف الحجب أو ٦٨٩ على احتمال ذلك لأنه كان حياً سنة ٦٨١هـ ، وقد فرغ في تلك السنة من شرحه الصغير لنهج البلاغة[٢٠٥] ، وهذه قرينة قوية تدل على أنه كان حياً سنة ٦٨١هـ ، ولذلك فإن ما ذكره الزركلي[٢٠٦] من أنه توفي بعد سنة ٦٨١هـ يعتبر قريباً من الصحة ، ولكننا لم نستطع معرفة السنوات التي عاشها بعد هذا التاريخ . ولذلك فإن حصر تاريخ الوفاة بين ٦٧٩ و٦٩٩ – مثلما أشرنا إليه سابقاً – يعد زمناً مقبولاً في ضوء ما تقدم وعدم وجود تاريخ مؤكد الوفاة .

ولا ريب أن الشيخ ميثم قد توفي في البحرين وبها دفن ، وإن ورد في رواية وحيدة أنه توفي ببغداد[٢٠٧] ، فنرى صاحب اللؤلؤة يقول : « وهلتا

---

(٢٠٣) مصادر دراسة تراث البحرين ، د . حسن علي محفوظ ، ص١٨٠ . ولكن الدكتور محفوظ يختار التاريخ الأول وهو ٦٧٩هـ في كتابه (المنتخب من أدب البحرين) ، ينظر بحثه ص٢٥٦ .

(٢٠٤) ينظر لؤلؤة البحرين ص٢١٧ هامش رقم ٤٧ بقلم المحقق ، وشروح نهج البلاغة ، العاملي ، ص٨٦ .

(٢٠٥) الذريعة ، ١٥٠/١٤ وينظر الأعلام ، ٢٩٣/٨ .

(٢٠٦) الأعلام ، ٢٩٣/٨ . ومن المهم أن نشير هنا إلى أن صاحب إيضاح المكنون ذكر أن وفاته كانت « بعد سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة » وهو وهم ظاهر . ينظر ٢٢٩/١ .

(٢٠٧) أعيان الشيعة ، ١٩٧/٩ ، وهو ينقل عن رسالة للكفعمي في وفيات العلماء .

التاء المثناة من فوق بعد اللام ، وبها قبر المحقق العلامة الفيلسوف الشيخ ميثم البحراني »[٢٠٨] .

ويقول أيضاً : « وقبر الشيخ المذكور الآن في بلادنا البحرين في قرية هلتا من إحدى القرى الثلاث من الماحوز »[٢٠٩] ، ويقول صاحب أنوار البدرين :« ... وقبره متردد بين بقعتين كلتاهما مشهورة بأنها مشهده إحداهما في جبانة الدونج والأخرى في هلتا من الماحوز ... وإن كان الغالب على الظن أنه في هلتا لوفور القرائن على ذلك ... »[٢١٠] ، ويقول في موضع آخر : « ...وأما قبره الشريف فالظاهر بل الأظهر لوفور القرائن الكثيرة ... أنه في هلتا من الماحوز في حجرة قدام المسجد مع قبور بعض العلماء ، مبنى مشهور »[٢١١] ، ويشير إلى هذا الموضع صاحب الكنى والألقاب[٢١٢] وسفينة البحار[٢١٣] والذريعة[٢١٤] ، مما يشير صراحة إلى موضع قبره ، ويفصل الدكتور علي عبد الرحمن أبا حسين – وهو خبير الوثائق المخطوطات في البحرين – في هذا الأمر حين يقول : « ... زار (ميثم) العراق، وعاد إلى البحرين وتوفي فيها وقبره اليوم معروف عليه قبة وجدار يقع

---

(٢٠٨) لؤلؤة البحرين ، ص٦ ويقول ياقوت في معجمه ٥/٤٠٩ « هلتا : بالثاء المثلثة والقصر ، بنو صقع من أعمال البصرة بينها وبين البحر » .

(٢٠٩) لؤلؤة البحرين ، ص٢٦١ .

(٢١٠) أنوار البدرين ، ص٦٤ .

(٢١١) المصدر السابق ، ص٦٦ .

(٢١٢) الكنى والألقاب ، القمي ، ص٤١٩ عن شرح المئة كلمة للشيخ ميثم ... طبعة .

(٢١٣) سفينة البحار ، القمي ، ٢/٥٢٦ .

(٢١٤) الذريعة ، ١/١٤ . وينقل من رسالة تراجم علماء البحرين للشيخ سليمان الماحوزي .

في (أم الحصم) من جزيرة المنامة في البحرين »[٢١٥] ، فهذا يشير صراحة إلى مكان وجود قبره في البحرين وانتشار ذكر هذا القبر وصاحبه بين أهلها .

المصادر والمراجع

١ــ الأعلام . خير الدين الزركلي . الطبعة الثالثة . بيروت . سنة ١٩٦٩ .

٢ــ الامتاع والمؤانسة . لأبي حيان التوحيدي . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . سنة ١٩٣٩ ــ ١٩٤٩ .

٣ــ أبو حيان التوحيدي . رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنقد . محمد عبد الغني الشيخ . الدار العربية للكتاب . سنة ١٩٨٣ .

٤ــ أبو العلاء المعري ... ناقداً . د . وليد محمود خالص . الناشر مكتبة المكتبة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٦ .

٥ــ أصول البلاغة . كمال الدين ميثم البحراني . تحقيق الدكتور عبد القادر حسين . نشر وتوزيع دار الثقافة ــ الدوحة ــ قطر . سنة ١٩٨٦ .

٦ــ أصول التفكير النحوي . الدكتور علي أبو المكارم . مطابع دار القلم . بيروت . لبنان . سنة ١٩٧٣ .

٧ــ أعيان الشيعة . السيد محسن الأمين . حققه وأخرجه حسن الأمين . دار التعارف للمطبوعات . بيروت . سنة ١٩٨٦ .

٨ــ أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين . الشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني . أشرف على تصحيحه محمد علي رضا الطبسي . سنة ١٩٨٦ . بلا مكان طبع .

٩ــ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . إسماعيل باشا البغدادي . طبعة مصورة قامت بها مكتبة المثنى ببغداد .

١٠ــ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث . للحافظ بن كثير . تحقيق أحمد محمد شاكر . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٣ .

١١ــ البحرين . الدكتور التوم الطالب محمد يوسف . المطبعة العصرية . دبي . سنة ١٩٨٥ .

(٢١٥) حركة التأليف في البحرين ، ص٢٨٠ .

١٢ـ تاريخ الأدب الجغرافي . كراتشكوفسكي . نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، بلا تاريخ .

١٣ـ تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى . د . فاروق عمر . دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع . الطبعة الثانية . بغداد . سنة ١٩٨٥ .

١٤ـ حركة التأليف في البحرين . د . علي عبد الرحمن أبا حسين . بحث مقدم للندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي . مطبعة الإرشاد . بغداد . سنة ١٩٧٧ .

١٥ـ الخليج العربي في العصور الإسلامية . د . محمد ارشيد العقلي . مكتبة المحتسب . عمان ـ الأردن . سنة ١٩٨٣ .

١٦ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة . آغابزرك الطهراني . دار الأضواء . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٨ .

١٧ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار . الشيخ عباس القمي . دار المرتضى . بيروت . بلا تاريخ .

١٨ـ السلافة البهية في الترجمة الميثمية . الشيخ يوسف البحراني . دار ومكتبة الهلال . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٦ .

١٩ـ شرح المئة كلمة . كمال الدين ميثم بن علي البحراني . عني بطبعه ونشره وتصحيحه والتعليق عليه مير جلال الدين الحسيني الأرْموي المحدث . منشورات جماعة الدارسين في الحوزة العلمية . قم . إيران . سنة ١٣٩٠ .

٢٠ـ شرح نهج البلاغة . كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني . عني بنشره والإشراف عليه الشيخ محمد رضا الخاتمي البروجردي . دار الآثار للنشر ودار العالم الإسلامي . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨١ .

٢١ـ شرح نهج البلاغة . لابن أبي الحديد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٦٥

٢٢ـ شروح نهج البلاغة . الشيخ حسين جمعة العاملي . مطبعة وزنكغراف الفكر . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى . سنة١٩٨٣ .

٢٣ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب . عبد الحسين أحمد الأميني النجفي . دار الكتاب العربي . بيروت . الطبعة الخامسة . سنة ١٩٨٣ .

٢٤ـ فوات الوفيات . محمد بن شاكر الكتبي . تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . لبان . سنة ١٩٧٣ .

٢٥- الفيلسوف نصير الدين الطوسي . الدكتور عبد الأمير الأعسم . دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الثانية . بيروت . سنة ١٩٨٠ .
٢٦- الكشكول . الشيخ يوسف البحراني . وهو المسمى أنيس المسافر وجليس الخاطر . دار ومكتبة الهلال . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٦ .
٢٧- لؤلؤة البحرين . الشيخ يوسف البحراني . حققه وعلق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم . دار الأضواء . بيروت . الطبعة الثانية . سنة١٩٨٦ .
٢٨- مجمع البحرين . الشيخ فخر الدين الطريحي . دار مكتب الهلال . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٥م .
٢٩- مخطوطات الأدب في المتحف العراقي . أسامة نصر النقشبندي ، ظمياء محمد عباس . منشورات معهد المخطوطات العربية . الطبعة الأولى . الكويت . سنة ١٩٨٥ .
٣٠- مصادر دراسة تراث البحرين . د . حسين علي محفوظ . بحث مقدم للندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربي . في جامعة البصرة . منشورات مركز دراسات الخليج العربي . مطبعة الإرشاد . بغداد . سنة ١٩٧٧ .
٣١- معجم الأدباء . ياقوت الحموي . اعتناء أحمد فريد رفاعي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .
٣٢- معجم البلدان . ياقوت الحموي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . سنة ١٩٧٩ .
٣٣- معجم المؤلفين . عمر رضا كحالة . الناشر مكتبة المثنى بيروت ودار إحياء التراث العربي . بلا تاريخ .
٣٤- مقدمة شرح نهج البلاغة . كمال الدين ميثم البحراني . تقديم وتحقيق د . عبد القادر حسين . دار الشروق . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٧ .
٣٥- منهاج السنة النبوية . لابن تيمية . تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . المملكة العربية السعودية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٦ .
٣٦- النزعات الصوفية في التشيع . د . كامل مصطفى الشيبي . دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٨٢ .
٣٧- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . إسماعيل باشا البغدادي . طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية . استانبول . سنة ١٩٥٥ ، منشورات مكتبة المثنى . بيروت .

ديوان المعاني

(القسم الرابع)(*)

تتمة الفهارس

الدكتور محمود محمد الطناحي

(*) نشرت الأقسام الثلاثة السابقة في مجلة المجمع (مج٦٦ ، ج١ ، ج٣) و (مج٦٩ ، ج١).

(١) جاء البيت في المطبوع وفيه بعض التحريف . وصوابه في ديوان العباس ص ٩٠ :

أيـام تقتُـلُ شـوقها بزيـارتي ... كالمـاء يقتـل بردُه عطشَ الصَّـدِي

منتقدِهْ	المنسرح		٢٨٥/١
أمردِ	الخفيفِ	أبو هلال العسكري	٢٤٩/١
وندٌ	الخفيف	ابن الرومي	١٩٠/١
أدٌ	الخفيف	ابن الرومي	١٩٠/١
الدستبندِ	الخفيف	ابن الرومي	٧١/٢
دُرْدِي	الخفيف	الديلمي	٢٠١/١
وادِ	الخففيف	أبو تمام	٦٨/١
نجادِ	الخفيف	أبو تمام	٦٨/١
الميلادِ	الخفيف	ابراهيم بن العباس	٣٥٣/١
الأولادِ[1]	الخفيف	ابن الرومي	٢٦٠/١
الأغمادِ	الخفيف		٥٨/٢
ميعادِ	الخفيف		٥٨/٢
جوادِ	الخفيف		٢٤٤/٢
التَّردادِ	الخفيف		٢٤٤/٢
جيدِ	الخفيف		٢٦٥/١
الصدودِ	الخفيف		٢٦٥/١
الغِيدِ	الخفيف		٢٤/٢
مكدودِ (٥ أبيات)	الخفيف		٣٢٠/١ ، ٣٢١
رعودِهْ	الخفيف	البحتري	٢٠٧/٢
المزرَّدِ	مجزوء الخفيف	ابن طباطبا	٢٣٨/١
منضدِ	مجزوء الخفيف	ابن طباطبا	٢٣٨/١

(١) أنشد أبو هلال عجزه فقط بهذه الرواية : ريحه ريح طيبِ الأولادِ
والذي في ديوان ابن الرومي ص٦٨٤ :
منـــــظـــــرٌ معجبٌ تحيـــــةُ أنفٍ ريحُهـــــــــــا ريحُ طيبِ الأولادِ

(١) هذه النسبة من اللسان (عور – سوم) .

(١) نسبه أبو هلال للأسديّ فقط . وهو الأشعر الرَّقَبان . نوادر أبي زيد ص٢٨٩

(٢) أنشد أبو هلال منه « تيجان كسرى وقيصرا » فقط . ولم أجد في شعره من هذه القافية والرويّ إلاّ قوله :

إذا افتخـروا عـدُّوا الصـبهبـذ منهـمُ وكســرىٰ وآل الهـرمـزان وقيـصرا

ديوانه ص٢٤٢ ، والنقائض ص٩٩٥ .

(١) أنشده أبو هلال :

وصفراء العشيّة كالعراره

وهو على هذه الحال شطرٌ من الوافر . لكنه بتمامه في ديوان الأعشىٰ ص١٥٣ :

بيضـاء ضَحْوتُها وصَفْـــــــراءُ العشيّة كالعرارَهْ

فاستقام من مجزوء الكامل كما ترىٰ .

القافية	البحر	الشاعر	الموضع
منسرا	الرجز	أبو نواس	١٤٠/٢
أعسرا	الرجز	أبو نواس	١٤٠/٢
نَضْرا (١٦ شطرا)	الرجز	أبو هلال العسكريّ	٢٠/٢
مصفًّرا (٤ أشطار)	الرجز		٢٩٦/١
مسرورا	مجزوء الرجز		٣٣/٢
كافورا	مجزوء الرجز		٣٣/٢
قدرا	الرمل	ابراهيم بن العباس	٦٦/١ ، ١٩٥/٢
افتقرا	الرمل	ابراهيم بن العباس	٦٦/١ ، ١٩٥/٢
قَذْرا(٥أبيات)	مجزوء الرمل	أبو هلال العسكري	٢٤٨/١
صفرَهْ	السريع	ابن الرومي	١٩٥/١
طفرَهْ	السريع	ابن الرومي	١٩٥/١
النُّصرَهْ	السريع	ابن الرومي	١٩٥/١
النُّدرَهْ	السريع	الناجم	٣٢١/١
غُرَّهْ (٤ أبيات)	السريع	أبو هلال العسكري	٢٩٠/١
الخاسِرَهْ (٥ أبيات)	السريع	أبو تمام	٢١٤/١
نفرا	المنسرح	الربيع بن ضبع الفزاري	٢٢٤/٢
والمطرا	المنسرح	الربيع بن ضبع الفزاري	٢٢٤/٢
النظرا	المنسرح	أحمدبن إبراهيم بن إسماعيل	٢٣٢/١
قطرا	المنسرح	أحمدبن إبراهيم بن إسماعيل	٢٣٢/١
النهارا	الخفيف	العباس بن الأحنف	٣٤٩/١
وجارا	الخفيف	أبو بكر الصولي	٣٤٧/١
نهارا	الخفيف	أبو بكر الصولي	٣٤٧/١
اصطبارا	الخفيف	أبو بكر الصولي	٣٤٧/١
وقرارا	الخفيف	أبو تمام	١٦٥/٢ ، ١٦٦

(١) البيت الثاني فقط في ديوان حاتم ص٢٧٢

(١) يروى هذا البيت الأول لمنصور النمري ، كما ذكر أبو هلال .

(١) النسبة من المصون ص١٨٩ ، وحواشيه .

(١) في المطبوع « ابن وهب » خطأً . وهو محمد بن وُهَيب الحميري . وقد نُشر شعره ضمن (شعراء عباسيون) ص٧٦ .

(١) لم ينسبه أبو هلال ، وهو لأبي العتاهية كما رأيتَ . وجاء في المطبوع :

وآخره جيفة يفخر

= ظَنَّه من المتقارب ، ولا يَتَّزِن مع صدره . وصوابه : وجيفةٌ آخِرُه يفخرُ والقصيدة من السريع . أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص١٥٢ ، للدكتور شكري فيصل ، رحمه الله ، والكامل ص٥٢٢

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ص٣٩١

(١) في المطبوع « القَذْرِ » خطأ . وأثبت صوابه من ديوان زهير ص٩٥ ، وهو آخر بيت من قصيدة في مدح هَرِم بن سِنان .

(١) نُسِب البيتان في المطبوع إلى الأخطل ، وفي قائمة الاستدراكات بآخر الجزء صُحِّحت النِّسبة إلى المخبّل . وهو خطأ أيضاً ، صوابُه ما ترى . والبيتان من قصيدة شهيرة في الأصمعيات ص٦٠ ، والبيان والتبيين ٣/٣٤٦

(١) جاء في المطبوع : « كأن أيامهن كالبكر » ولا يستقيم . وصحّته وتمامه :

كانت لياليه كلُّها سحَراً وكانَ أيامُهنَّ كالبُكَرِ

ديوانه ص٩٢١ .

(١) في المطبوع : « الجراءِ » ، خطأ ، صوابه في ديوان ابن المعتز ١٠٥/١ .

(١) هكذا بالإقواءِ .

(باب الزاي)

فصل الزاي المضمومة

فصل الزاي المكسورة

(باب السين)

فصل السين المفتوحة

فصل السين المضمومة

فصل السين المكسورة

(١) وانظر « المنزلُ » في الكامل المضموم .

(١) في إعرابه إشكال .

(٢) في المطبوع : « ونسي » بالنون ، تصحيف ، صوابه في ديوانه ص١٥٠ . ويقال : جاء بالأمر من حَسِّه وبَسِّه : أي من حيث كان ولم يكن . وجئ به من حَسِّك وبَسِّك : أي ائت به على كل حال من حيث شئت .

(باب الشين)

فصل الشين المضمومة

فصل الشين المكسورة

(باب الصاد)

فصل الصاد المفتوحة

فصل الصاد المضمومة

فصل الصاد المكسورة

(باب الضاد)

فصل الضاد المفتوحة

فصل الضاد المضمومة

فصل الضاد المكسورة

(باب الطاء)

فصل الطاء الساكنة

فصل الطاء المفتوحة

فصل الطاء المضمومة

فصل الطاء المكسورة

---

(١) هذا وزنٌ لم يذكره الخليل ، وقالوا : إنه وزنٌ نادر من أوزان الشعر ، وبعضهم يرى أنه من مجزوء الرمل . راجع عروض الورقة ص٦٠ ، وشرح تحفة الخليل ص١١١ ، ٢١٢ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص٩١٤ ، وسأكتب عنه في المقدمة إن شاء الله

(باب العين)

فصل العين الساكنة

فصل العين المفتوحة

(١) وانظر ص١٧٥ « تهدَّما » .

(١) في المطبوع « أبو عبد الله بن المعتز » وهو خطأ ؛ لأن كنية ابن المعتز : أبو العباس . وانظر حواشي ديوانه ١٢٩/١ . وقيل : إن هذه الكنية غير حقيقية ، لأنه فيما قيل كان حصوراً ، لم يقرب امرأة قط ، ولم يكن له ولد قط . ديوانه ٢٨/٢ .

فصل العين المضمومة

(١) ويُنسَب إلى غيره . راجع الكامل ص٥١٧ ، وبهجة المجالس ٣٨٠/١ ، وشعره المنشور ضمن (شعراء عباسيون) ص٨٠ .

(باب الغين)

فصل الغين المكسورة

(١) في المطبوع : « في موقعه » وصحَّحته : « إلى موقعه » . كما في ديوانه ص١٥٩ .

(٢) أنشد أبو هلال عجزه فقط ، ولم ينسبه . وهو من مفضلية أبي قيس الشهيرة . وصدره : « أسعى على جُلِّ بني مالك » . ديوانه ص٧٨ ، والمفضليات ص٢٨٤ . ويأتي هذا العجز في الأمثال . راجع المستقصى ٢/٢٢٥ .

(باب الفاء)

فصل الفاء الساكنة

وكَفْ	مجزوء الكامل	أبو هلال العسكريّ	٢٠٥/١
الخزفْ	مجزوء الكامل	أبو هلال العسكريّ	٢٠٥/١
المطارفْ(٤أبيات)	مجزوء الكامل	الحمّاني	١٦/٢ ، ١٧
الأُكُفْ	الرمل	كعب بن الأشرف	٣٩/٢
فوقفْ	الرمل	كشاجم	٢٤٩/١
العجَفْ (٤ أبيات)	الرمل	أبو شراعة	٢٢٩/٢
الشرفْ (٤ أبيات)	السريع	أبو نواس	١٧٩/١

فصل الفاء المفتوحة

وأضعفا	الطويل	ابن المعتز	٢٤٨/١
مُسَيَّفا	الطويل	ابن المعتز	٢٤٨/١
تكلُّفا (٧ أبيات)	الطويل	أبو هلال العسكريّ	١٥٩/٢
الألِفا	البسيط	بكر بن خارجة	٢٤٣/١
منتصفا	البسيط	أبو تمام	١١٥/١
منقطِفا	البسيط	ديك الجن	٢٤٧/١
يكفا	البسيط	ديك الجن	٢٤٧/١
ألِفا	البسيط	ديك الجن	٢٤٧/١
شرفا	البسيط	ديك الجن	١٣٧/٢
ضُعفا	البسيط	الناشِئ	٢٣٥/١
ألِفا	البسيط	أبو هلال العسكري	٢٤٩/١
خَلَفا	البسيط	أبو هلال العسكري	٢٤٩/١
وقذْفا	الوافر	دعبل الخزاعيّ	٢٥٢/٢

للبحث صلة

(١) القافية في هذا الموضع : الصَّدَفُ .

مصطلحات معجم الصيدلة والعقاقير

(٣)

في كتاب القانون لابن سينا

السيدة وفاء تقي الدين

اراسطنحان

اراسطنحان ٢ : ١٨٨

جاء ذكره في الأدوية المحلِّلة المستعملة في أوجاع الأسنان حيث قال ابن سينا : « ومما جُرِّب أن ... يلطخ بالترياق وحده أو الحلتيت وحده أو الشجرنا أو اراسطنحان أو سورطنحان .. » والكلمتان الأخيرتان مما اختلفت أشكال كتابته في مخطوطات القانون ومطبوعاته ؛ ففي طبعة رومة « ارسطنحان أو سورسطنحان » وكذلك في المخطوطة ٢ وأسقطت العبارة كلها من المخطوطة ٣ .

لم أعثر على ما ينير لي سبيل معرفة هذه الأدوية وغالب ظني أنها مجهولة منذ القديم .

أراك*

الأراك ٢ : ١٨٣

نصح ابن سينا من يشكو من البَخَر بأن « يتخذ مساويكه من الأشجار المرَّة المقطَّعة مثل الأراك والزيتون .. » .

الأراك شجر معروف اتخذ العرب منه مساويكهم . قال أبو حنيفة : « أراك الواحدة منها أراكة وهي أفضل ما استيك بفرعه وبعرقه من الشجر وأطيب ما رعته الماشية رائحة لبن .. ومنابت الأراك بطون الأودية » وصفته المراجع العربية طبية كانت أم نباتية ، منها تذكرة داودا الأنطاكي الذي قال : « أراك ويسمى السواك العربي ، لم تذكره اليونان لأنه من خواص الإقليم الأول وما يليه من الثاني يقرب من شجر الرمان إلا أن ورقه عريض سبط لا ينتثر شتاء مشوك له زهرة إلى الحمرة يخلف حباً كالبطم أخضر ثم يحمر ثم يسود فيحلو ... » ، ومعجم الألفاظ الزراعية حيث يقول الشهابي : Salvadora persica أراك ، شجر السواك ، جنبة من الفصيلة الزيتونية تنبت برية في فلسطين وفي جزيرة العرب وتتخذ المساويك من فروعها ومن عروقها » وقد انتقلت الكلمتان العربيتان إلى اللغات الأجنبية ففي المعجم الموحد : أراك **Arac, Mesuak** .

اربعي

ثمر النبات الذي يقال له أربعي ٣ : ٤٣٧ تصحيف انظر اريقي .

(*) النبات ١ : ٢ ، والصيدنة ٣٠ ، والشامل ١٧ ، ومنتخب مفردات الغافقي ١٦ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٠ ، ولسان العرب وتاج العروس (أرك) ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٣٩ ، ومعجم أحمد عيسى ١٦١ ، ومعجم الألفاظ الزراعية للشهابي ٢٥٢ ، والمعجم الكبير ١ : ٢١٤ ، والمعجم الموحد ١٧٤ .

إربيان

انظر : (روبيان) .

ارتد بريد*

ارتد بريد ١ : **٢٦٣**

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة وكل ما قاله فيه : « الماهية : دواء كالبصل المشقوق . أعضاء النفض : ينفع من البواسير » وقريب من هذا ما جاء في الحاوي حيث قال الرازي فيه : « دواء فارسي يجلب من سجستان يشبه البصل المشقوق نافع من البواسير » ، وتكرر المراجع التالية هذا الكلام دون زيادة تذكر إلا ما نقله ابن البيطار عن الغافقي وهو قوله : « غلب على ظني أنه الدلبوث » ، وفي معجم أحمد عيسى نجد كلمتي اربريد ودلبوث مقابل **Gladiolus** وهو زهر من الفصيلة السوسنية ذكره ديسقوريدس باسم « كسيفيون » **Xiphuina** .

اختلف رسم هذه اللفظة في المراجع فهي في الحاوي والقانون ومفردات ابن البيطار : ارتد بريد ، وفي الصيدنة والمساعد اريد بريد ، وفي منهاج البيان ومخطوطتي القانون ١ ، ٢ : اربد بريد ، وفي تذكرة داود ارند يرند ، وفي معجم أحمد عيسى اربريد !

(*) كتاب ديسقوريدس ٣١٧ (كسيفيون) ، والحاوي ٢٠ : ٨٠ (ارتدبريد) ، والصيدنة ٢٨ (آريدبريد) ومنهاج البيان ٢٢أ (اربدبريد) ، والمنتخب ٥٠ (ارتدبرند) ، والشامل ٥٨ (اريد بريد) ، ومفردات ابن البيطار ١ : ١٩ ، وتذكرة داود : ١ : ٤٠ (ارند يرند) ، ومعجم أحمد عيسى ٨٧ أربريد ، والمساعد ١٩٩ الاريدبريد .

أرجوان*

أرجوان	١ : ٣٢٤
أرجوان بحري	٢ : ٢٠٢

عرض ذكره في أثناء كلام ابن سينا على الحيّات ضمن الأدوية المفردة فقال : « زعم جالينوس أنه إن أخذت خيوط كثيرة ، وخصوصاً مصبوغة بالأرجوان ، وخنق بها أفعى ولف واحدة منها على عنق صاحب أورام اللهاة ظهر نفع عجيب » ، وبهذا المعنى نفسه ذكرت في الموضع الآخر من الكتاب .

الأُرْجُوان بضم الهمزة والجيم ، ويمكن فتح الهمزة ، يطلقه العرب على اللون الأحمر عامة ، وقال بعضهم الأحمر الشديد الحمرة خاصة ، ونقلت كتب اللغة عن الجوهري قوله : « ويقال أرجوان معرب ، وهو بالفارسية أرغوان ، وهو شجر له نَوْر أحمر أحسن ما يكون ، وكل لون يشبهه فهو أرجوان . » ومنهم من قال إن الأرجوان كلمة عربية ، وفي جامع المفردات لابن البيطار وصف مفصل للشجر الذي يعرفه الفرس باسم الأرغوان منقول عن التيفاشي . وهو في المعجمات الحديثة ترجمة للاسم الأجنبي Cercis siliqastrum .

اردشيران

اردشيران	٣ : ٣٩٩

ذكره ابن سينا في أخلاط « دهن باريكر وهو دواء هندي » يدخل في تركيبه : « ... أصول السوس وسذاب جبلي ومو واردشيران وكرنب ..

(*) الصيدنة ٣٢ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢١ ، والشامل ٥٨ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٠ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (رجا) ، وتذكرة داود ١ : ٣٩ ، ومعجم أسماء النبات ٤٥ ، والمساعد ١٧٤ ، والألفاظ الفارسية المعربة ٨ ، والمعجم الموحد ١٣ ، ١١٨ ، والمعربات الرشيدية ٢٠١ .

من كل واحد نصف درهم .. » .

كذا في طبعة رومة وطبعة بولاق ، وفي المخطوطة ١ : « ومر واردشيران ... » . لم أعثر على ذكر لهذا الدواء في كتب الأدوية المفردة ، ولا على دهن باريكر في الأدوية المركبة ، ومثل هذا يتكرر كثيراً في الأدوية الهندية ، ويبدو أن مراجعها فقدت منذ زمن طويل .

اردقياني

اردقياني ١ : **٢٦٢**
ثمر اردقياني ١ : ٢٦٢

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة وقال فيه : « الماهية : شجرة مثل الكبر حادة الرائحة جداً ثقيلتها[١] ، لها ثمر في غلف . الطبع : قال الراهب[٢] : إنها أقوى في طبعها من عنب الثعلب والطاكنج . الأورام والبثور : ينفع الأورام الباطنة في قول الراهب .. السموم : إذا طلي على لسع الزنابير أبرأ في الوقت . »

لم أعثر على ذكر لهذا العقار في كتب الأدوية إلا ما وجدته في منهاج البيان وقد لاحظت أن من عادته أن ينقل أقوال ابن سينا دون أن ينسبها إليه ؛ يقول مؤلف هذا الكتاب في الورقة ٢٢ أ : « اردقياقي : شجرة مثل الكبر حادة الرائحة جداً ، لها ثمر في غلف ، ينفع الأورام الحارة طلاء ، وإذا طلي على لسع الزنبور أبرأه في الحال ، غير أنه يقتل بحدة رائحته » ! وفي كتاب ابن الكتبي ما لا يسع الطبيب جهله (ق٣٠)

---

(١) في طبعة بولاق التي اعتمدتها « بقتلها » ، وما أثبته من المخطوطتين ١ ، ٢ .

(٢) هو أبو جريج الراهب من الأطباء الاسكندرانيين الذين تتلمذوا على اليونان ، انظر عيون الأنباء : ١ : ١٠٩ (طـ١ بيروت ١٥٩) .

« اردقياني : روي أنه ثمرة شجرة كالكبر حادة الرائحة ، ويجب أن يجتنب مقاربتها » .

أرز*

أرز	١ : ١٦٨ ، ٢٤٥ ، **٢٦٣** ، ٢٨٨ ، ٣٠٨/ ٢ : ٢٦٠ ، ٢٩٩ ، ٣٣٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٥٤ ، ٤٨٤ ، ٥٤٢/ ٣ : ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٣٥ ، ٣٨١ .
أرز مسحوق	٣ : ١٥٨
أرز مطبوخ	١ : ٢٦٣/ ٣ : ٣٥٦
أرز مغسول	٣ : ٧٢
أرز مغسول أبيض	٣ : ٣٠٢
أرز مقشّر	٣ : ٢٧٩
أرز مقلو	٢ : ٤٣٣ ، ٤٣٩
رز مقلو	٢ : ٤٣٠/ ٣ : ٣٥٩
أرز منقع بماء النخالة	١ : ٢٦٤
أرز مهروس	٣ : ٣٠٣
أحساء أرزية	١ : ٣٦٦
أحساء متخذة من الأرز	٢ : ٤٣٣
حُقَن أرزية	٢ : ٤٤٢

(*) كتاب ديسقوريدس ١٧٩ ، والحاوي ٢٠ : ١١٠ ، والملكي ١ : ١٨١ ، ٢ : ١١٢ ، والصيدنة ٢٨ ، والمختارات ١ : ٢٩٩ ، والمنتخب ٢٠ ، وشرح أسماء العقار ٤ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ١٨ ، ومنهاج البيان ٢١أ ، والشامل ١٦ ، وحديقة الأزهار ٢٧ ، والمعرَّب للجواليقي ٣٤ ، وشفاء الغليل ١٤ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (أرز ، رزز) ، وتذكرة داود ١ : ٣٩ ، ومعجم أحمد عيسى ١٣١ ، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الألفاظ السريانية) ٢٣ : ١٧٤ ، ومعجم الشهابي ٥٦٥ ، والمساعد ١٨٢ ، والمعجم الموحد ١٧٠ Riz

قال ابن سينا في ماهيته « حب معروف » وذكر أنه ذو غذاء جيد يفيد في علاج الإسهال ، وهذا النبات معروف في أنحاء العالم قديماً وحديثاً وهو نبات عشبي من الفصيلة النجيلية يزرع لحبه ينبت في الآجام والمواضع الرطبة لاغنية له عن الماء حتى يُحصد . واسمه مما عرب قديماً ؛ ذكرته معجمات اللغة في مادتي (أرز) و(رزز) ، وفيه لغات كثيرة ؛ قال الجوهري فيما نقله عنه صاحب لسان العرب : « الأُرْز حب فيه ست لغات : أَرُزّ وأُرُزّ وأُرْزٌ وأُرُزٌ ورُزّ ورُنْزٌ وهي لعبد القيس » والظاهر أن هذا النبت من أصل شرقي كما يقول الكرملي في المساعد ، وأكد اغناطيوس افرام الأول في مجلة مجمع دمشق أنه مما عُرِّب من السريانية ، وله أسماء مشابهة للاسم المعرب في معظم اللغات قديمها وحديثها .

نقل ابن سينا عن بعض الأوائل زعمهم أن « من سُقي قشر الأرز اعتراه في الوقت وجع في الفم واللسان .. ثم امتد الوجع إلى مريئه ومعدته وأمعائه والتهب جميع بدنه » ولذلك عده في السموم وعقد فصلاً صغيراً لعلاج من تسمم به (٣ : ٢٢٧) .

أرزة*

الفحم المستطيل الذي يُتخذ من خشب الأرزة ١ : ٣٣٠
ورق الأرزة ١ : ٣٣٥

لم يذكر ابن سينا شجر الأرز في الأدوية المفردة ولكنه ذكره في الموضعين السابقين في معرض التشبيه ففي الموضع الأول كان يتحدث عن بعض أنواع الطين فقال نقلاً عن ديسقوريدس : « .. قد يكون هذا الطين بأرض الشام وهو أسود اللون شبيه بالفحم المستطيل ... » وفي الثاني كان يتحدث عن اليتوع السروي فقال : « ومخرج الورق من نفسه شبيه بورق الأرزة في أول نباته » .

الأَرْز ، وواحدته أرزة ، شجر ذكره أبو حنيفة في كتاب النبات وقال : « وليس من نبات أرض العرب وقد جرى في كلامهم » وذكرته معجمات اللغة وكثير من كتب الطب والنبات ، والمُراجِع لها يرى أن القدماء اختلفوا في تحديد ماهية هذا الشجر ؛ فمنهم من قال : هو الصنوبر أو الصنوبر الذكر ، ومنهم من قال : هو العرعر ، ومنهم من قال : هو التنوب ... وبما أن ما ورد في القانون منقول عن ديسقوريدس[1] وهو نباتي من بلاد الشام[2] ، وبعد العودة إلى كتابه أستطيع القول إنه يريد به

(*) كتاب ديسقوريدس ٦٨ (فيطس) ، والحاوي ٢٠ : ١٧٧ (تنوب) ، والصيدنة ٢٩ ، ومنهاج البيان ٢١ب ، والمعتمد لابن رسول الغساني ٥٥٨ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (أرز) ، ومعجم أحمد عيسى ٤٣ ، ومعجم الأمير الشهابي ١٣١ ، والمساعد ١٨٣ ، والمعجم الكبير ١٩٤ . وانظر مادتي (تنوب) و(صنوبر) في كتابنا هذا .

(١) تجد العبارة التي نقلها ابن سينا في كتاب ديسقوريدس ص٤٤١ .

(٢) انظر مقالة الدكتور مختار هاشم (ديسقوريدس وكتابه) في مجلة التراث العربي العددان ١٣ ، ١٤ ص١٥٠ وما بعدها .

ما اصطُلح اليوم على تسميته بالأرز Cedrus وبالذات نوعه الذي ما يزال معروفاً في جبال لبنان وجبال سورية وهو Cedrus de Liban .

أرسطون*

أرسطون ٢ : ٣٦٦/ ٣ : ٤١١
أرسطون الكبير ، وتأويله الفاضل ٣ : **٣٢٨**
أرسطون الصغير ٣ : **٣٢٨**

هذا المصطلح اسم يوناني لدواء مركّب مشهور ومعناه الفاضل ، كما قال ابن سينا ، وهو مصنوع من الأفيون وعدد كبير من الأفاويه كالزعفران والفلفل وعاقر قرحا والسليخة وغيرها ، وعدد هذه الأفاويه في الصغير أقل منها في الكبير ، تدق العقاقير المذكورة وتنخل وتعجن بعسل .

أرسيمون**

أرسيمون ١ : ٣٩٢

قال ابن سينا في الأدوية المفردة أثناء كلامه على السمسم : « وأرسميون جنس من السمسم كريه الطعم » .

وجدت ما يشبه هذا فيما نقله الرازي في (الحاوي) من كتاب الأغذية لجالينوس في سياق كلامه على السمسم حيث قال : « والبزر

(*) منهاج البيان ٢٢أ ، وتركيب ما لا يسع الطبيب جهله ١٠أ ، والشامل ٥٨ ، وأقرباذين القلانسي ٥١ .

(**) كتاب ديسقوريدس ٢١٤ (اوروسيمن) ، والحاوي ٢٠ : ٦٥ (اورسمون) ، ٢١ : ٣٨ (سمسم) ، والصيدنة ١٢١ (توذري) وصحفت الكلمة فيه فجعلت : هيري سمن ، والمفردات ١ : ١٤٣ (تودري) وصحفت الكلمة فيه مرتين فجعلت في الأولى ارق سمن ، وفي الثانية اروسهن ، وتذكرة داود ١ : ٩٤ (تودري) ، ومعجم أحمد عيسى ١٧٠ Sisymbrium officinale . وانظر مادة (تودري) في كتابنا هذا .

المسمى ارسيمون من جنس السمسم إلا أنه أكثر[1] طعماً ، وأحسن في جميع خصاله ، وأقل غذاء ، وهذان البزران جميعاً حارّان ... » . أما سائر المراجع فلم تذكره في أنواع السمسم ، إنما هو فيها نبت مستقل يستعمل منه البزر ، وصفه ديسقوريدس بقوله : « له ورق شبيه بالجرجير البري وأغصان دقاق ، وزهر أصفر ، وعلى طرف الأغصان [ثمرة] شبيهة في شكلها بالقرون ، دقيقة مثل غلف الحلبة ، فيها بزر صغار شبيه ببزر الحرف يلذع اللسان .. » . والاسم الفارسي لهذا العقار توذري أو توذرنج ، والظاهر أن ابن سينا لم يعرف أن التوذري هو ما يسميه اليونان ارسيمون أو اوروسيمن ، فتعقبه ابن البيطار في كتابه المفردات وخطأه . تجد تفصيل هذا في مادة (توذري) .

أَرَضَة*

الأرضة ١ : ١٥٢/ ٢ : ١٣٧

لم ترد في كتاب الأدوية المفردة من قانون ابن سينا ، إنما عرض ذكرها ضمن أدوية مركَّبة قيل في الأول منها إنه ينفع لتغذية المرضع ، والآخر ينفع في علاج الشعر الزائد في أجفان العين .

الأرضة دويبة معروفة وصفتها كتب اللغة بأنها « دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع ، قال أبو حنيفة : الأرضة ضربان ؛ ضرب صغار مثل كبار الذرّ ، وهي آفة الخشب خاصة ، وضرب مثل كبار النمل ذات

(١) كذا .

(*) الحيوان للجاحظ : ١ : ٣٠ ، ٢٠ : ١٤٧ ، ٣ : ٣٧١ ، ٥٤١ ، ٤ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٦ : ٤٧٧ ، ٧ : ٤٥ ، ٢٤٥ ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ١ : ١٨ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (أرض) ، وقاموس الأطبا ١ : ٢٣٩ (أرض) ، ومعجم الحيوان لأمين معلوف ١١ ، ٢٤٦ ، والمساعد ١٨٦ ، والمعجم الكبير ١ : ٢٠٦

أجنحــة ، وهي آفـة كل شــيء من خشب ونبـات ، غير أنها لا تعرض للرطب ، وهي ذات قوائم ، والجمع أَرَض ، أو هو اسم للجمع » . وقد دونها صاحب معجم الحيوان مقابل كلمة **Termes** وكذلك **White ant** بالإنكليزية ، ونبه على أنه لا يقال « نمل أبيض » أي بترجمة الاسم الانكليزي ترجمة حرفية ، ووصفها بأنها حشرة بيضاء تبني لنفسها أزجاً شبه دهليز ، لها مشفران تنقر بهما الخشب ونحوه ، وتعرف عند العامة بالأرضة ، وهي كثـيرة في البـلاد الحـارة . وللأب انستـانس الكرملي في معجمـه (المســاعد) اجتهاد طويل حول أصـل الكلمة انتهى فيه إلى أنها تعريب للكلمة اليونانية **Terèdôn**

أرطاماسيا*

عصارة الارطاماسيا ٣ : ٣١٦

أرطاماسيا اسم يوناني لما يعرف بالبرنجاسف ، وهو شجر القيصوم بالعربيـة وقيـل الشيح ، ومن هذه الكـلمـة اليونانيـة أخذ الاسـم العلمي **Artemisia** ، وهو كما في معجــم الشـهـابي « جنس الشـيح والعَبَيـثران وغيرها . وهي نباتات من المركبات الأنبوبية الزهر ، بعضها زراعية ومعظمها برية في أنحاء الشام » .

كتبت الكـلمـة بأشكـال مختـلفة في المراجع العربية القديمة منها : أرطاماسيا وأرطميسيا وأرطاناسيا ، وأقربها إلى اللفظ اليوناني أَرْطُماسيه .

(*) كتـاب ديسـقـوريدس ٢٩٠ ، والحـاوي ٢٢ : ٣٩٣ ، والصيـدنـة ٣١ (أرطميسيا) ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٢ ، والشامل ٥٨ ، وتذكرة داود ١ : ٤٠ ، ومعجـم أحمد عيسـى ٢٢ ، ومعجـم الشهابي ٥٧ ، والمعجم الموحد ١٣٩ . وانظر مادة (برنجاسف) في كتابنا هذا .

أرطوسامون

ارطوسامون ٣ : ٤٢١

ذكره ابن سينا في الأقرباذين (الأدوية المركبة) في الصفحة نفسها مرتين : أولاهما قوله : « شياف انطو سامون » كذا في طبعتي رومة وبولاق ، وفي المخطوطة (١) ارطوسامون ، والأخرى قوله : « شياف آخر يقال له ارطوسامون » كذا في طبعة بولاق ، وفي طبعة رومة ارسطوسامون » ،

هذا الاسم يطلق على دواء من أدوية العين يتركب ، حسب ما ورد في القانون ، من الإثمد وبعض المساحيق المعدنية والنباتية معجونة بشراب . وهو اسم يوناني فيما يبدو لكنني لم أعثر عليه في المراجع التي عدت إليها .

أرغالاطيا*

أرغالاطيا ١ : ٣٠١

جاء في كلام ابن سينا على أنواع الوَجّ قوله نقلاً عن ديسقوريدس : « وقال أيضاً أخبرنا يوسف الأندلسي أن النوع الآخر من الوج الذي يقال له أرغالاطيا يجلب من بلاد الأندلس » هكذا وردت العبارة في طبعتي رومة وبولاق ، وحذفت من المخطوطة (١) وكذلك استغنى عنها ابن جزلة في المنهاج حين نقل ما قاله ابن سينا عن الوج .

لم أجد هذه الكلمة في أنواع الوج ، ولما عدت إلى كتاب ديسقوريدس نفسه ، وإلى ما نقله عنه ابن البيطار في جامع المفردات ، وجدت في الأول العبارة التالية ضمن كلامه على أنواع الوج : « والذي من البلاد التي يقال لها غالاطيا ويقال له اسبلينيون هو أيضاً على هذه

(*) انظر كتاب ديسقوريدس ١٣ (الوج) ، ومفردات ابن البيطار ٤ : ١٨٨ (وج) ، وارجع إلى مادة (وج) في كتابنا هذا .

الصفة » ، وفي الثاني : « .. والذي من عالاطيا كذا أيضاً » . ولا أشك في أن لفظة (غالاطيا) هي اسم للبلد لا للنبات تكرر ذكرها في كتاب ديسقوريدس سبع مرات ، وفي مرتين منها قال : « غالاطيا التي بآسيا » وفي أخرى « غالاطيا التي في بلاد البس[1] » وأظن هذه هي المقصودة أي بلاد غالية التي تسمى الآن فرنسة .

أرغاموني*

أرغاموني ١ : ٤٣٣

عرض ذكر هذا العقار في كلام ابن سينا على الشقائق حيث قال نقلاً عن ديسقوريدس : « ومن الناس من يجهل ولا يفرق بين شقائق النعمان البري ، وبين الدواء المسمى لدحمونيا البري ، وبين الخشخاش الذي له رؤوس يشابه زهرها في الحمرة ، والأرغاموني نبات يشبه هذا يخرج منه دمعة[2] لونها لون الزعفران ودمع الرؤوس إلى البياض أقرب[3] ، لكن العلامة بين الشائق وهذا النبات ... »

كذا ورد النص في طبعتي رومة وبولاق إلا أنه محذوف من مخطوطتين جيدتين هما (١ ، ٢) وفيه اضطراب لا يخفى على من يراجع النص الأصلي في كتاب ديسقوريدس (ص٢٢٩) ، ونسخه المنقولة في مفردات ابن

---

(١) كذا في النسخة العربية التي اعتمدتها .

(*) كتاب ديسقوريدس ٢٢٨ (شقائق النعمان) ، ٢٢٩ (ارغاموني) ، والحاوي ٢٠ : ٧٨ ، والصيدنة ٤٠٤ (شقائق النعمان) ، والمفردات ١ : ٢١ ، والشامل ٥٨ ، ومعجم أحمد عيسى ١٣٤ ، ومعجم الشهابي ٥٤ ، وانظر مادة (شقائق) في هذا الكتاب .

(٢) يراد بالدمعة النسغ . انظر مادة (دمعة) في هذا الكتاب .

(٣) في طبعتي رومة وبولاق « لقرب » .

البيطار والصيدنة للبيروني . والأرغاموني كما وصفه ديسقوريدس : « نبات شبيه في شكله بالخشخاش البري وله ورق مشرف شبيه بورق شقائق النعمان وزهر أحمر .. وله أصل مستدير ودمعة لونها إلى لون الزعفران حادة .. » . وقال الشهابي في معجمه إن هذا « الأرغاموني .. نوع من الخشخاش ينبت برياً في بعض أنحاء الشام » وفضل أن يحافظ على التعريب دون الترجمة في هذه الكلمة ذات الأصل اليوناني ومنه الاسم العلمي . Argemone

ارقسمون*

ارقسمون ١ : ٢٥٠

ذكره ابن سينا في كلامه على الأقحوان حيث قال : « قال ديسقوريدس : من الناس من يسميه اماريون ، وآخرون قورينبون ، وآخرون ارقسمون ، له ورق يشبه ورق الكزبرة .. »

وجدت مثل هذا الكلام حرفاً بحرف في الصيدنة للبيروني أيضاً معزواً إلى ديسقوريدس ، والذي في كتاب ديسقوريدس نفسه هو : « الأقحوان ، ومن الناس من يسميه اماراقن ، ومنهم من يسميه لوقنثمن له ورق شبيه بورق الكزبرة .. » ولا وجود للاسم الثالث الذي ذكره كل من ابن سينا والبيروني فيما نقلته المراجع عن ديسقوريدس . فلعل أحدهما نقل عن الآخر أو أنهما كلاهما نقلا من نسخة لكتاب ديسقوريدس فيها هذه الزيادة . ولم أجد لهذا الاسم ذكراً في المراجع الحديثة أيضاً .

(*) انظر (أقحوان) في كتاب ديسقوريدس ٣٠٠ ، والصيدنة ٥٨ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٤٨ . وراجع مادة (أقحوان) في كتابنا هذا .

أرماك*

أرماك	١ : ٢٦٠/ ٢ : ١٩٥
أرمال	٢ : ١٨٣ (في ط . رومة وط . بولاق ، في مخ٥ : أرماك)

هو من العقاقير التي ذكرها ابن سينا في الأدوية المفردة وقال في ماهيته : « الأرماك خشبة يمانية عطرية تشبه القرفة في اللون » .

هذا ما ذكرته معظم المراجع ، وكلها بدأت بالنقل عن يوحنا بن ماسويه الذي وصف الأرماك بأنه دواء هندي يشبه القرفة يجلب من اليمن ، وهي في بعض المراجع أرمال باللام ، ونقل البيروني في الصيدنة عن صهاربخت أن هذا تصحيف والصواب أرماك بالكاف ، وأتى البيروني بما يدعم هذا الرأي ، وجاءت الكلمة بالرسمين في الحاوي في موضعين الأول بالكاف ، والثاني باللام ، وجمع داود الأنطاكي بينهما في كلمة واحدة فقال : « أرمالك وقد تحذف الكاف ... »

أرمانيون**

أرمانيون	٣ : ٤١٨

كذا كتبت في الطبعتين ، وهي في المخطوطة (١) ارماينون ، وقد مر ذكرها عند ابن سينا مرة واحدة في أثناء كلامه على دواء من أدوية العين

(*) الحاوي ٢٠ : ٦٥ (أرمال) ، ٢٢ : ١١(ارماك) ، والصيدنة ٣٠ (أرمال) ، والمنتخب من مفردات الغافقي ١٥(أرمال) ومفردات ابن البيطار ١ : ١٩ ، والشامل ١٧ ، ١٥٨ (أرماك يوحنا) ، وما لا يسع الطبيب جهله ٢٩ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٣٩ (أرمالك) ، ومعجم أحمد عيسى ١٧٦

(**) كتاب ديسقوريدس ٢٩٦ (ارمينن) ، والشامل ٥٨ (أرمنين) ومعجم أحمد عيسى ١٦١ ، ومعجم الشهابي ٣٤١

يتركب من عقاقير معدنية وأخرى نباتية .

وجدت في المراجع نباتاً اسمه ارمينن ذكر ديسقوريدس من منافعه أنه « إذا خلط بالعسل أذهب القرحة التي تكون في العين » ووصفه بأنه « نبات مستأنف كونه في كل سنة .. له ساق مربعة طولها نحو من نصف ذراع ، وعليها غلف شبيهة بغلف اللوبيا مائلة إلى ناحية « الأصل فيها بزر ... » وذكرته معجمات النبات الحديثة باسم **Horminun** .

ارميون*

ارميون ١ : ٤٣٣

كذا في طبعتي رومة وبولاق . ذكره ابن سينا نقلاً عن ديسقوريدس في الكلام على شقائق النعمان فقال : « قال الحكيم الفاضل ديسقوريدس : من الناس من يسميه ارميون وأيضاً عامينون » والذي وجدته في كتاب ديسقوريدس : « اناموني وهو شقائق النعمان ، ومن الناس من يسميه اغرامنيون وهو شقائق النعمان ، هو صنفان ... » ولم أجد هذه العبارة في الكتب التي تنقل كلام ديسقوريدس كالصيدنة ومفردات ابن البيطار ، ولا في مخطوطات القانون التي تيسر لي الاطلاع عليها ، بله سائر المراجع . وكل ما أستطيع قوله هو أن هاتين الكلمتين (ارميون ، عامينون) مع مراعاة ما قد يكون عرض لهما من تصحيف اسمان يونانيان قد يعنى بهما الشقائق .

(*) انظر مادة (شقائق) في كتابنا هذا .

(التعريف والنقد)

شرح المقدمة الجزولية الكبير

لأبي علي الشَّلَوْبِين

مأمون الصاغرجي

الجزوليــة مقـدمـة مختصرة في النحـو ، ألَّفهــا أبو موسى الجزولي عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى البربري المَرَّاكُشيّ المتوفَّى سنة ٦٠٧هـ ، تكلم فيها على أبواب العربية ليضبط قوانينها ، ويقيِّد مسائلها ، ويحكم أصولها بعبارة موجزة يسهل على الطالب حفظها وتدبُّر معانيها ؛ قال ابن خلِّكان عنها (وفيات الأعيان ٣/٤٨٨) : « ولقد أتى فيها بالعجائب ، وهي في غاية الإيجاز ، مع الاشتمال على شيءٍ كثير من النحو ، ولم يسبق إلى مثلها » .

وأُطلق على هذه المقدمة أسماء عدة إيذاناً بأهميتها وشهرتها ؛ فسُميت بالقانون والمقدمة والإملاء والكراس والجزولية وغير ذلك[1] .

ولما كانت هذه المقدمة موجزة العبـارة ، دقيقـة المعنى ، شـديدة التركيز كان أسلوب الجزوليّ فيها صعباً يلفُّه الغموض ، فيه قدر كبير من اصطلاحات المناطقة ، فأولع بها النحاة من بين شـارح ومختصر وناظم ، وكثرت شروحها ، إذْ بلغ عددها زهاء ثلاثين شرحاً ، نذكر من شراحها :

(١) انظر شرح المقدمة ١/٥١ .

مؤلفها الجزولي نفسه ، وابن معطي (ت ٦٢٨هـ) والشريشي (ت ٦٤٠هـ) وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) والأُبَّذي (ت ٦٨٠هـ) والشلوبين (ت ٦٤٥هـ) وغيرهم .

بعض هذه الشروح موجود لا يزال مخطوطاً أو قيد التحقيق ، وبعضها الآخر مفقود له ذكر في بطون الكتب[١] .

وقد امتاز من بين هذه الشروح شرح أبي علي الشَّلَوْبِين عمر بن محمد المتوفَّى سنة ٦٤٥هـ – الذي نعرِّفه في هذه السطور – بالدقة والعمق والغوص على المعاني وتحليلها تحليلاً واسعاً .

والشَّلَوْبِين والشلوبيني : لقب أبي علي ونسبته ، واختُلف فيهما : هل نسبته إلى شَلَوْبينة بلدٍ بساحل غرناطة ؟ أم هو لقبٌ معناه بلسان روم الأندلس : الأبيض الأشقر[٢] ؟ لقد رجَّح المحقق هذا الأخير لعدة أسباب ذكرها في مقدمته للشرح[٣] .

لقد توفَّر على إخراج هذا الشرح وتحقيقه الدكتور تركي بن سهو العتيبي فاختاره ليكون موضوع دراسة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وقد اعتمد فيه على ثلاث نسخ مخطوطة من مكتبات تونس والمغرب وبرلين ؛ وقامت بنشره لأول مرة مكتبة الرشد في الرياض ، وطُبع بمطبعة الخانجي بالقاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م في ثلاثة أجزاء .

---

(١) انظر شرح المقدمة ١/٦٩ – ٧٥ .
(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٠٨ .
(٣) انظر شرح المقدمة ١/١١ – ١٣ .

بنى المحقق عمله على ثلاثة أركان : الأول أطلق عليه اسم « الدراسة » (١/٩ – ١٥٣) وفيها تحدث عن الشارح أبي علي الشلوبين وسيرته وآثاره ، ثم تحدث بالتفصيل عن متن الجزولية وسبب تأليفها وشروحها وأثرها وقيمتها العلمية ، وأفرد فصلاً لتحليل الشرح الكبير للمقدمة (موضوع الكتاب) متحدثاً عن مصادره وشواهده ، وموقفه من المتقدمين ورأيه في إدخال علم المنطق في النحو ، وعنايته بالعلَّة والقياس ، وبيَّن اجتهاداته من خلال هذا الشرح ، ثم عرض إلى قيمة الكتاب العلمية والمزايا والمآخذ التي أخذها عليه . وأفرد فصلاً آخر وازن فيه بين شرحين للمؤلف كبير وصغير ، كما وازن فيه بين شرح الجزولية للأُبَّذي والشرح الكبير للمؤلف .

الركن الثاني : تحقيق النص والتعليق عليه ، وقد بيَّنَ منهجه في المقدمة (١/١٥٥ – ١٨٧) والمخطوطات التي اعتمدها . وأخرج النص المحقق من ١/١٩١ حتى ٣/١١٦٤ .

الركن الثالث : الفهارس الفنية المتنوعة من ص١١٦٥ حتى نهاية الكتاب ١٣٥٨ .

أشار المحقق في مقدمته ص٨ أن أبا علي الشلوبين لم يكن « يشرح متن الجزولية جميعه ، بل كان يجتزئ العبارة اجتزاءً ، ولا يتناول بالشرح إلا ما يراه مُهمّاً ، فيصطفي كلمةً من بين كلمات ، أو جملةً من بين فقرات » .

وقد أشار الأستاذ المشرف على الرسالة د. توفيق محمد سبع إلى ذلك أيضاً بقوله (ص ج) : « لم يكن يتناول المقدمة بالشرح جملة جملة ، بل كان يهتم فقط بالقضايا الكبيرة والمشكلات الصعبة ، فيوسعها تحليلاً وتعليلاً ، ويمرُّ مرَّ الكرام على المسائل السهلة التي لا تحتاج في نظره إلى

توضيح ، ولذا كان يترك كثيراً من سطور المقدمة فلا يتناولها بشرح قليل ولا كثير ... » .

ويتناول المحقق في أثناء تحليله لهذا الشرح طريقة المؤلف ، وكيف أنه يبترُ نصوص الجزولية ، فلا يذكر منها إلا الموضع المراد من الشرح ، وربما يجتزئ من فصلٍ كامل بعبارة واحدة ، ويقول في معرض حديثه عن الاحتمالات العقلية التي يوردها الشارح : « قد أكثر الشارح من الاحتمالات العقلية ، فهو يذكرها ويردُّ عليها ويمزجها بعلم الكلام والمنطق ، مستفيداً من فقهه لقواعد اللغة ، نازعاً إلى تحليل الأحكام ، مما يجعل حديثه مشحوناً بالعِلل لكلٍّ ما يذكره »[١] .

واتسم أسلوب الشارح بالاستطراد والتطويل في كلِّ ما يناقشهُ ويتطرَّق إليه ، وهو يدرك هذه الإطالة ويدافع عنها إذ يقول : « وإنما احتجنا إلى الإطالة في تصحيح هذه العبارة وتكثير الاعتراضات فيها والانفصالات عنها ، لأن بعض الناس يظن أن العبارة الصحيحة في هذا إنما هي عبارة من يقول : ويُفْهَمُ من لفظها أنه ماض أو ليس ماضياً ، لأنها لم تعترض بشيء ... »[٢] .

ومع ذلك فقد كان الشلوبين إماماً من أئمة العربية ، يتمتع بمقدرة لغوية فائقة ، ونظرة دقيقة فاحصة ، يقول في أثناء حديثه عن جمع المذكر السالم (٢/٥٦٧) : « والسبب فيما خرج عن الأصل كما أعطاه كلامي فقد صار اختصار ذلك الكلام الذي أصلحتم به كلامي اختساراً (افتعالاً من الخسران) لما خُسر فيه من الفوائد التي ذكرناها » .

---

(١) انظر شرح المقدمة ١/٨١ .

(٢) انظر شرح المقدمة ١/٢١٥ .

هذا وقد أظهر المحقق قيمة الشرح العلمية الكبيرة التي يتمتع بها (١٣٢/١) بما حوى من جَوْدة العلل ، وكثرة المناقشات والاعتراضات ، ودقة النظر ، والقياس لكثير من المسائل التي جعل منها نظائر لكثير من المسائل وجمع بينها في الأحكام . وذكر أيضاً المآخذ اللغوية والتوثيقية وسواها .

وقد وصف المحقق هذا الشرح (١٣٢/١) بقوله : « وأهم شيء يقال عن الكتاب : إنه أعمق شرح من شروح الجزولية على الإطلاق ، وإن كان غيره قد تقدمه بكثرة الشواهد وإيراد آراء النحاة ، لكن أبا علي تقدَّمهم في جَوْدة مناقشته لما يورده ، وقوة اعتراضاته فيما يعترضه » .

وإن الناظر في هذا الشرح لا يملك إلا أن يُثني على ما بُذل فيه من جهد واضح كل الوضوح ، من ضبط النصوص وتخريجها وربطها بكتب هذا الفن ؛ وكانت لي في الكتاب نظرة سريعة ، طالعتني فيها هناتٌ بسيطة ، غارقة في بحر حسناته ، لا تغضُّ من عمل المحقق ، وربما لا تخفى على القارئ النبيه ، وإنما هي أشياء لا يكاد يخلو منها كتاب صنعه بشر ، وربما كان جلُّها يرجع إلى خطأ الطباعة ، أذكر فيما يأتي شيئاً منها لتستدرك في طبعة لاحقة إن شاء الله :

جاء في (٢٩٨/١) حاشية (١) قول الشاعر :

قـلْ لوالٍ غـادرتُـهُ بعـد بـينٍ سـادمـاً نـادمـاً **يعُضُّ** اليـدينِ

فقد ضُمَّ عين المضارع من « يعضُّ » وحقُّه الفتح لأنه من باب تعب ونفع ، وجاء في التنزيل : ﴿ ويوم يعَضُّ الظالم على يديه ﴾ [الفرقان : ٢٧] .

– ومثله جاء في (١١٦٣/٣) قوله :

ويقـلن شـيبٌ قـد عـلا ك وقـد **كَبُـرْتَ** فقـلت : إنَّـهْ

كذا ضبط بضم الباء من (كبرت) والصواب كسرها ، لأنَّ كَبُرَ بضم البـاء يأتي بمعنى عَظُم ، وليس مراداً هنا ، وأما (كَبِر) بكسر الباء الموحدة فمعنـاه : طَعَنَ في السن ، وهو المراد . ولقد تكرر البيت بالخطأ نفسه في السطر الثاني من حاشية ص١١٦٢ .

– وجاء في (٢٢١/١) قول جرير :

تمــرُّون الديــار **ولن** تعــوجــوا كلامكـــــمُ عــليَّ إذنْ حــرامُ

والمحفوظ من شعر جرير : « تمرون الديار ولم تعوجوا » . تُرى هل هذه رواية أم تصحيف ؟.

– وجاء في (٤٧٨/٢) قول ابن عنمة الضبي :

ارْدُدْ حمــارك لا يـرتعْ بـروضتنــا إذنْ **يُـرَدُّ** وقيــد العــير مكـروبُ

كذا جاء « يُرَدُّ » بالرفع ، والصـواب حسَب الاستشهـاد « يُرَدَّ » بالنصب لأنَّ قوله : « ارْدُدْ حمارك لا يرتع بروضتنا » كلام تامٌّ يستغني عما بعده ، يعني أنَّ ما قبل « إذن » مستغنٍ عما بعدها وغير مفتقر إليه .

وثمة أخطاء في الضبط أدت إلى خلل في العروض ، من ذلك قول أبي الأسود (٢٧٨:١) :

وكأنْ سِيَّــانَ ألا يســرحوا نعمــاً أو يسـرحوه بها واغبرَّت السُّـوحُ

والصواب فيه : « وكانَ سيَّانِ » وتكرر الخطأ أيضاً في الحاشية (٣) من الصفحة نفسها وهو قوله :

وكأنَّ مثــلين ألا يســرحوا نعمــاً حيث اسـترادت مواشيهم وتسريح

والصواب فيه : « وكانَ مثلين .. » .

– وجاء في (٢/٨٠٥) قول العماني :

تخال **أُذُنَيْــه** إذا تشــوّفــا قــادمــةً أو قــلمــاً محرَّفــا

والصواب فيه : « أُذْنَيْه » .

– وقول الشاعر في أول سطر من الحاشية (٢/٨٢٦) :

أوحشت من **سُرُوبٍ** قومي تعارُ فــأرومٌ فشــابَــةٌ فــالسِّتــارُ

كذا بتنوين « سُرُوبٍ » والصواب فيه « سروبِ » حذف التنوين والإضافة .

– وقل العباس بن مرواس في (٣/١٠٩٧ الحاشية) :

السِّــلْمَ **تأخُذْ** منهـا ما **رضيتْ** به والحربُ **تكُفيك** من أنفاسها جُرَعُ

والصواب في ضبطه :

السِّــلْم تأخذُ منهـا ما رضيتَ به والحرب تكْفيك من أنفاسها جُرَعُ

وثمة بعض أخطاء إملائية من مثل قول أبي زبيد الطائي (٢/٥١٩) :

من يكـدْني **بَسْـيّءٍ**[٦] كنتُ منـهُ كالشجَــا بــين حـلْقِـه والوريدِ

كذا ضُبط وكُتبت الكــلمــة بهمزة على السطر « بَسْـيّءٍ » . والصواب في ضبطها وكتابتها «بِسَيِّئٍ » بياءين الأول فوقها شدة مكسورة ، والثانية بما يسمَّى كرسي للهمزة ، أي ياء من غير نقط وفوقها همزة . انظر قواعد الإملاء لعبد السلام هارون ص٩ ، ٦٦ ، والمطالع النصرية ص٥٦ .

–وجاء في قول أبي الأسود في (٢/٦٣٢ للحاشية) :

وإنَّ **امرءاً** قد قال في الحق خُطَّة لمــلتـمسٌ تصــديقهـا ببيــانهـا

كذا رسمت الهمزة على السطر ، والصـواب أن تكون فوق الألف « امرأً » . (انظر المصدرين المذكورين آنفاً) .

– وجاء في (٧٩٩/٢) الشاهد :

.... كأن ظبية تعطوا إلى وارق السَّلَم

كذا « تعطوا » بزيادة ألف بعد الواو الأصلية في الفعل ، والصواب حذفها .

وبعض الأخطاء المطبعية الطفيفة التي لا تخفى على القارئ أسردها فيما يأتي :

ص	س	الخطأ	الصواب
٢١٥	حاشية (٣)	يخذولنني	يخذلونني
٤٧٢	حاشية (٥)	لَخَوْلَة	لِخولة
٦٠١	١	تَزَبُّى	تَزَبَّى
٦٠٣	١١	عمّيْ	عمّيَّ
٨٩٩	٦	وما صاحبْ	وما صاحبُ
صفحة الغلاف	٣	٥٦٢هـ – ٦٥٤هـ	٥٦٢هـ – ٦٤٥هـ

(آراء وأنباء)

انتخاب لجان المجمع الدائمة

نظـر مجلس المجمع في جـلسته الثـانيـة عشـرة المنعقـدة في (١٩/٨/١٤١٤هـ - ١٩/١/١٩٩٤) في لجان المجمع الدائمة وأقر تأليفها على النحو الآتي ذكره :

لجنة المجلة والمطبوعات

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٣٥/ن تاريخ ١٩/١/١٩٩٤م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

الأستاذ جورج صدقني

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المخطوطات وإحياء التراث

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٣٦/ن تاريخ ١٩/١/١٩٩٤م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور مختار هاشم
الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
الأستاذ الدكتور عادل العوا
الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة الأصول

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٣٧/ن تاريخ ١٩/١/١٩٩٤م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
الأستاذ الدكتور مختار هاشم

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المصطلح

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٣٨/ن تاريخ ١٩/١/١٩٩٤م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان
الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم
الأستاذ الدكتور مختار هاشم
الأستاذ الدكتور عادل العوا
الأستاذ جورج صدقني

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المعجمات

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٣٣/ن تاريخ ١٩/١/١٩٩٤م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
الأستاذ الدكتور مختار هاشم
الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

ومن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة النشاط الثقافي

(قرار السيد رئيس المجمع رقم ٣٤/ن تاريخ ١٩/١/١٩٩٤م)

تتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

الأستاذ الدكتور عادل العوا

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

ومن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

التقرير السنوي

عن أعمال المجمع في دورته المجمعية

(١٩٩٢/٩/١ - ١٩٩٣/٨/٣١)

وقد أقره مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في (١٩٩٣/٩/١٥)

أولاً ـ مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في دورته (١٩٩٢ - ١٩٩٣) اثنتين وعشرين جلسة كان مما تم فيها:

أ ـ عرض على المجلس الكتب التي وردت إلى المجمع من مؤسسات علمية مختلفة ، تضمنت إعلام المجمع ضروب نشاطها الثقافي والرغبة في مشاركة المجمع فيه ، وقد أقرَّ ما يجب في شأنها .

ومن تلك الكتب :

١ ـ كتاب من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (في ١٩٩٢/٤/١٧) بشأن إمكان تخصيص يوم للغة العربية.

٢ ـ كتاب من الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس بالرياض (في ١٩٩٢/٨/٤) بشأن التعاون مع المجمع في التوحيد القياسي للمصطلحات الفنية المتداولة في مجال المواصفات والمقاييس ومايتعلق بها من مفاهيم ، وتبادل

المعلومات والمطبوعات الخاصة بعلم المصطلح والمصطلحات في نطاق المواصفات والمقاييس .

٣ - كتاب من الجمعية المصرية للحاسب الآلي (في ١٩٩٢/٨/٨) مشفوعاً بالتوصيات المبدئية للندوة الدولية للغويات الحسابية التي عقدت في القاهرة في (٢٠ - ٢٢) حزيران عام ١٩٩٢ .

٤ - كتاب من مكتب الشويخات للترجمة بالرياض (في ١٩٩٢/٩/٩) بشأن التعاون مع المجمع في مشروع إصدار الطبعة العربية من (موسوعة الكتاب العالمي) (النسخة الدولية) .

٥ - دعوة المجمع (في ١٩٩٢/٩/١٥) لترشيح من يراه من العلماء لجائزة سلطان العويس الثقافية للدورة الثالثة ١٩٩٢ - ١٩٩٣ .

٦ - كتاب من وزارة التعليم العالي (في ١٩٩٢/٩/١٧) بشأن اجتماع مديري المعاهد العربية المتخصصة لإعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها الذي انعقد في تونس عام ١٩٩١ حيث تم عرض تجربة جامعة اليرموك في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

٧ - كتاب محوّل عن طريق وزارة التعليم العالي (في ١٩٩٢/٩/٢٠) بشأن عقد المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة بشباط من عام ١٩٩٣ حول موضوع « التعريب » .

٨ - نشرة مرسلة من مؤسسة فورد التربوية بالقاهرة (برنامج

بحوث الشرق الأوسط في العلوم الاجتماعية) (في ١٩٩٢/٩/٢٩) للمشاركة في تقديم البحوث التي تتناول قضايا حقوق الإنسان في إطار من العلوم الاجتماعية .

٩ - دعوة المجمع (الموجهة من جمعية رباط الفتح بالمغرب) (في ١٩٩٢/١٠/١٢) لمشاركتها احتفاءها بتكريم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

١٠ - دعوة المجمع (الموجهة من مركز الدراسات العربي الأوربي) (في ١٩٩٢/١٠/٢٤) لحضور المؤتمر الدولي حول العالم العربي وتحدياته في ظل النظام العالمي الجديد المقرر عقده في باريس من ٢٥ - ٢٧ كانون الثاني من عام ١٩٩٣ .

١١ - دعوة المجمع (الموجهة من معهد الإنماء العربي) (في ١٩٩٢/١١/٥) للمشاركة في المؤتمر العلمي الأول حول مستقبل تعليم العلوم والرياضيات وحاجات المجتمع العربي المقرر عقده في بيروت من ٢٨ - ٣٠ تشرين الأول من عام ١٩٩٣ .

١٢ - كتاب من مجلة منهل السعودية (في ١٩٩٢/١١/١٨) بشأن الإعلان عن خطتها لإصدار عدد متخصص عن اللغة العربية . وقد دعت فيه المجمع لإبداء رأيه العلمي في عدة محاور تضمنها الكتاب .

١٣ - دعوة المجمع (الموجهة من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط) (إيسيسكو) (في ١٩٩٢/١١/١٩) للمشاركة في ندوة تقام بالقاهرة في شهر آذار عام ١٩٩٣

للاحتفاء بمرور خمسة قرون على وفاة الإمام جلال الدين السيوطي .

١٤ - رسالة من اتحاد المجامع بالقاهرة (في ١٩٩٢/١١/٢٥) بشأن فراغ الاتحاد من طبع كتاب يضم مادار في « ندوة توحيد تعريب المصطلح الطبي » مشفوعة بعدد من نسخ الكتاب المطبوع .

١٥ - دعوة المجمع (الموجهة من مجمع القاهرة) (في ١٩٩٢/١١/٢٦) لحضور الندوة التي دعا إلى إقامتها مكتب تنسيق التعريب بالرباط في القاهرة من ٢٣ - ٣٠ كانون الأول عام ١٩٩٢ وذلك للبحث في مشروعات أربعة معجمات وهي : مشروع معجم السياحة ، مشروع معجم علوم البيئة ، مشروع معجم الزلازل ، مشروع معجم الطاقة المتجددة .

١٦ - نشرة إعلام عن إقامة معرض للمركز العالمي للمعلومات والاتصالات في هانوفر من ٢٤ - ١٩٩٣/٣/٣١ .

١٧ - رسالة من المجمع التونسي (بيت الحكمة) (في ١٩٩٣/٣/١٦) حول نبأ تأسيس المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون مشفوعة بصورة عن قانون إحداث المجمع المذكور .

١٨ - دعوة المجمع (الموجهة من مجمع الأردن) (في ١٩٩٣/٥/١٩) للمشاركة في عقد ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته المقرر عقدها في عمان من ٦ - ١٩٩٣/٩/٩ .

١٩ ـ دعوة المجمع (الموجهة من مؤسسة الدراسات العالمية ـ جامعة مالطة) (في ١٩٩٣/٦/١٤) لحضور حلقة دراسية حول موضوع « البيئة في منطقة البحر المتوسط ، من ٢٢ ـ ١٩٩٣/٩/٢٦ .

ب ـ تم في الجلسة الخامسة المنعقدة بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢٨ تأليف لجنتين جديدتين ، وهما :

١ ـ لجنة النشاط الثقافي ، من السادة الأعضاء :

ـ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
ـ الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
ـ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
ـ الأستاذ محمد بديع الكسم
ـ الأستاذ جورج صدقني
ـ الأستاذ الدكتور عادل العوا

مهمتها تنظيم المؤتمرات وعقد الندوات وإقامة المحاضرات في نطاق أعمال المجمع واهتماماته واختصاصاته .

٢ ـ لجنة المعجمات ، من السادة الأعضاء :

ـ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
ـ الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
ـ الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
ـ الأستاذ الدكتور مختار هاشم
ـ الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

مهمتها تقديم المقترحات بشأن تأليف معجمات عامة أو

متخصصة ، وإعادة النظر في معاجم متداولة وإبداء الرأي فيها وتصحيح ما فيها من أخطاء واختيار متخصصين في اللغة العربية يشاركون أعضاء المجمع في تأليف المعجمات .

جـ – تم في الجلسة الثانية عشرة المنعقدة بتاريخ ١٩٩٣/١/٢٧ انتخاب الاستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيساً للمجمع لمدة أربع سنوات ، وذلك خلفاً للرئيس المتوفى الأستاذ الدكتور حسني سبح .

وتم في الجلسة العشرين المنعقدة بتاريخ ١٩٩٣/٥/١٩ انتخاب الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات .

د – عُقد اجتماع مشترك في الجلسة السابعة عشرة بتاريخ ١٩٩٣/٣/٣١ ضم السادة أعضاء المجلس ومندوبي مركز الدراسات والبحوث بدعوة من المجمع ؛ لبحث توصيات الندوة الدولية للغويات الحسابية التي عقدت في القاهرة من ٢٠ – ٢٢ حزيران عام ١٩٩٢ . وبعد مداولات مطولة خرج المجتمعون بعدد من التوصيات ، من أهمها : ضرورة وجود سلطة أدبية تقوم بالتنسيق بين المراكز العربية المتعددة ، وأن يتم إعداد مشروع إجابة مدروسة من الطرفين بشأن توصيات الندوة .

هـ – ألف المجلس في هذه الدورة عدداً من اللجان المؤقتة ، وهي :

١ – لجنة في (١٩٩٢/٩/٢) من السادة الأعضاء :

– الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
– الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان
– الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة
– الأستاذ الدكتور عادل العوا

مهمتها الإعداد لإقامة حفل تأبين عضو المجمع الراحل المهندس وجيه السمان رحمه الله .

٢ ـ لجنة في (١٩٩٢/٩/١٦) من السادة الأعضاء .

ـ الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
ـ الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
ـ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
ـ الأستاذ الدكتور عادل العوا

مهمتها الوقوف على اقتراح المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الجامعة العربية) إمكان تخصيص يوم للغة العربية ودراسته ومعرفة أبعاده وتقديم المقترحات بشأنه .

٣ ـ لجنة في (١٩٩٢/١٠/٢٨) من السادة الأعضاء :

ـ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
ـ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
ـ الأستاذ جورج صدقني

مهمتها مقابلة السيد وزير المالية وعرض الزيادات المقترحة لموازنة المجمع .

٤ ـ لجنة في (١٩٩٢/١٢/٢٣) من السادة الأعضاء :

ـ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
ـ الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان
ـ الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
ـ الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم
ـ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
ـ الأستاذ جورج صدقني

مهمتها النظر في وضع نظام داخلي للمجمع ودار الكتب الظاهرية .

٥ - لجنة في (١٩٩٣/٢/١٠) من السادة الأعضاء :

- الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
- الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان
- الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
- الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
- الأستاذ جورج صدقني

مهمتها صياغة مذكرة بشأن استصدار قرار التعويضات الجديد .

٦ - لجنة في (١٩٩٣/٤/١٤) من السادة الأعضاء :

- الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
- الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
- الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان
- الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

مهمتها البحث في عدد من النقاط الواردة في الخطة العاجلة للمجمع .

ثانياً - لجان المجمع

١ - اللجنة الإدارية :

عقدت اللجنة الإدارية في هذه الدورة المجمعية ثماني عشرة جلسة بحثت فيها شؤون المجمع ودار الكتب الظاهرية ، وأصدرت جملة من القرارات الإدارية والمالية . وقررت إهداء مجلة المجمع وعدداً من مطبوعاته النادرة إلى عدد من المؤسسات العلمية العربية والأجنبية وإلى بعض الباحثين والدارسين . ووافقت على شراء مجموعة من الكتب الجديدة لمكتبة المجمع .

وأقرت تعيين عدد من العاملين الوكلاء للعمل في المجمع ودار الكتب الظاهرية .

٢ ــ لجنة المجلة والمطبوعات :

عقدت لجنة المجلة والمطبوعات في هذه الدورة تسع عشرة جلسة تدارست فيها عدداً كبيراً من المقالات الواردة إلى مجلة المجمع ، وقررت نشر ما رأته صالحاً منها . وأشرفت على طباعة عدد من كتب التراث . المحققة .

٣ ــ لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة :

عقدت هذه اللجنة في هذه الدورة المجمعية ثلاث عشرة جلسة تم فيها ما يأتي :

ــ بحثت اللجنة في بضع جلسات في التقرير الذي قدمه السيدان الأستاذان الدكتور مختار هاشم والدكتور محمد زهير البابا عن مشاركتهما في ندوة بيت الحكمة ، في مدينة قرطاج في تونس (من ٣ إلى ٥ أيار ١٩٩٢) عن « توحيد تعريب المصطلح الطبي » وفيما ألحقاه بالتقرير من ملاحظات ومقترحات واتخذت في شأن ذلك قراراً يبحث وضع خطة لدراسة المصطلحات الطبية .

ــ درست اللجنة كتاب السيد وزير الدولة لشؤون البيئة ، المؤرخ في ١٩٩٢/١٠/٢٩ ، إلى مجمع اللغة العربية بدمشق في شأن المصطلحات العلمية التي وردت في النشرة الدورية الأولى من « الماب » (الإنسان والمحيط الحيوي) ووضعت مشروع الجواب الذي رأت أن يرسل إلى السيد الوزير في هذا الشأن .

ــ بحثت اللجنة في عدة جلسات في مشروعات معجمات السياحة وعلوم الزلازل والطاقة المتجددة التي أعدها مكتب تنسيق التعريب بالرباط

والتي كان من المقرر أن تعقد لدراستها ندوة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة دعي لحضورها ممثل عن مجمع اللغة العربية بدمشق . وقد عُهد إلى ثلاث لجان فرعية في دراسة مشروعات هذه المعجمات الثلاثة وإبداء الملاحظات حولها . وقد أنجزت هذه اللجان مهماتها .

– درست اللجنة الكتاب المؤرخ في ١٩٩٣/٥/٢٣ والموجه من السيد رئيس مجمع اللغة العربية الأردني إلى السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ الدكتور شاكر الفحام والذي يدعوه فيه للمشاركة في اجتماعات « ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العلمي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته » المقرر عقدها من ٩/٦ إلى ١٩٩٣/٩/٩ . واقترحت اللجنة بضعة محاور يمكن أن تتم فيها المشاركة في هذه الندوة .

– شرعت اللجنة في دراسة معجم النفط الذي وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعهدت إلى لجنة فرعية في دراسته ووضع تقرير عنه .

٤ – لجنة النشاط الثقافي :

عقدت لجنة النشاط الثقافي في هذه الدورة المجمعية خمس جلسات بحثت فيها :

– الإعداد للموسم الثقافي المتضمن إلقاء محاضرات وعقد مؤتمرات تتصل بأهداف المجمع . وقد رشحت السادة : الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد والأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم والأستاذ الدكتور عادل العوا لإلقاء محاضرات ضمن الموسع الثقافي لعام ١٩٩٣ . فألقى الدكتور حومد محاضرة بعنوان « اللجوء السياسي » والدكتور الكسم « لغة الفلسفة » والدكتور العوا « الثقافة الرباعية » . وقد ألقيت في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد ، في المدة (٤/٨ – ١٩٩٣/٥/٨) .

ـ نظرت اللجنة في الإعداد لإقامة ندوة ثقافية في الدورة المجمعية القادمة تحت عنوان « ملامح الحاضر وتطلعات المستقبل » فأقرتها وأقرت المحاور المتعلقة بها .

ـ بحثت اللجنة في إعداد موسم المحاضرات للعام المقبل في الأشهر التي تبدأ من أول تشرين الأول ١٩٩٣ إلى نهاية نيسان ١٩٩٤

ثالثاً ـ مشاركات المجمع خارج القطر

ـ لبّى الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام الدعوة التي وجهت إليه للاشتراك في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته التاسعة والخمسين التي عقدت في المدة بين الثاني عشر والخامس والعشرين من نيسان ١٩٩٣

ـ شارك الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام أثناء الدورة التاسعة والخمسين المشار إليها آنفاً في اجتماع مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

رابعاً ـ انتخاب أعضاء مراسلين :

انتخب مجلس المجمع في جلسته الحادية والعشرين المنعقدة بتاريخ ١٤١٣/١٢/١٩هـ الموافق ١٩٩٣/٦/٩ السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين في المجمع :

من جمهورية مصر العربية :

الأستاذ مصطفى حجازي

الأستاذ محمود فهمي حجازي

الدكتور محمود علي مكي

الدكتور أمين علي السيد

من جمهورية السودان :

الأستاذ سر الختم الخليفة

الدكتور حسن فاتح قريب الله

من الجمهورية العراقية :

الدكتور إبراهيم السامرائي

الدكتور حسين علي محفوظ

من المملكة المغربية :

الأستاذ محمد المكي الناصري

الأستاذ عبد الوهاب بن منصور

الدكتور عباس الجراري

من الجمهورية التونسية :

الأستاذ أبو القاسم محمد كرو

الدكتور إبراهيم شبوح

الدكتور إبراهيم مراد

الدكتور سليم عمار

الدكتور سعد غراب

من الجمهورية اللبنانية :

الأستاذ عبد الله العلايلي

الدكتور محمد يوسف نجم

من ليبيا :

الدكتور علي فهمي خشيم

الدكتور محمد أحمد الشريف

من فلسطين :

الأستاذ أحمد صدقي الدجاني

الدكتور إدوارد سعيد

من الكويت :

الدكتور عبد الله غنيم

الدكتور خالد عبد الكريم جمعة

من باكستان :

الدكتور أحمد خان

من فرنسة :

الأستاذ جورج بوهاس

الأستاذ نيكيتا إيلييسيف

الأستاذ جيرار تروبو

الأستاذ جاك لانغاد

من أزبكستان :

الدكتور نعمة الله إبراهيموف

خامساً ـ مطبوعات المجمع :

أ ـ الكتب التي طبعت

١ ـ المجلد الثاني والأربعون من تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر (عبد الرحمن بن مصاد ـ عبد العزيز بن عمر) . تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

٢ ـ بقية الخاطريات ، لابن جني . تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي .

٣ – ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث . تأليف الدكتور صالح الأشتر .

ب – الكتب التي يجري طبعها

١ – كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ، لجامع العلوم الأصبهاني . تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي .

٢ – المجلد الثالث والأربعون من تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر . (عبد العزيز بن عمير – عبد الواحد بن زيد) . تحقيق الاستاذة سكينة الشهابي .

سادساً – مشاركة المجمع في معارض الكتب :

شارك المجمع بالاتفاق مع مؤسسة دار الفكر في المعارض التالية :

١ – معرض صنعاء	٩/٢٤ – ١٩٩٢/١٠/٥
٢ – معرض عمان	١٠ – ١٩٩٢/١٠/٢٠
٣ – معرض الرياض	١٧ – ١٩٩٢/١٠/٢٢
٤ – معرض مسقط	٢١ – ١٩٩٢/١٠/٣٠
٥ – معرض المغرب	٣ – ١٩٩٢/١١/٨
٦ – معرض الشارقة	٣ – ١٩٩٢/١١/١٤
٧ – معرض الكويت	١١/٢٥ – ١٩٩٢/١٢/٨
٨ – معرض الدوحة	٧ – ١٩٩٢/١٢/١٦
٩ – معرض القاهرة	١/٢٦ – ١٩٩٣/٢/٧
١٠ – معرض أبو ظبي	٣/٢٧ – ١٩٩٣/٤/١٠
١١ – معرض طهران	٤ – ١٩٩٣/٥/١٤

سابعاً ـ مكتبة المجمع الخاصة :

دخل إلى مكتبة المجمع في هذه الدورة المجمعية (٣٢٧) كتاب إضافة إلى (٢٦١) عدد من المجلات والدوريات أهدتها دور النشر والمؤسسات .

ثامناً ـ ميزانية المجمع :

بلغت الاعتمادات التي رصدت للمجمع في ميزانية الدولة العامة لعام ١٩٩٣ مبلغ (٨,٠١٥,٠٠٠) ليرة سورية ، ورصد له من الميزانية الاستثمارية للعام نفسه مبلغ (١,٠٠٠,٠٠٠) ليرة سورية .

صرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية العامة حتى تاريخ ١٩٩٣/٨/٣١ مبلغ (٢,٥٠٠,٠٠٠) ليرة سورية .

تاسعاً ـ دار الكتب الظاهرية

١ ـ بلغ عدد الكتب الواردة إلى الدار إهداء وتبادلاً في الدورة المجمعية المذكورة (٣٦) كتاباً باللغة العربية . وأصبح مجموع ما في الدار من المكتبة العربية (٧١٩٤٣) عنوان .

٢ ـ وورد إليها (١٢٥) عدد من المجلات والدوريات باللغة العربية والأجنبية .

٣ ـ بلغ عدد المطالعين في هذه الدورة نحو (٣٥٠٠٠) مطالع .

٤ ـ وبلغ عدد الكتب المعارة (٤٠٠٠) كتاب ، وعدد الدوريات (٣١٩) .

مجلة

« العالم العربي في البحث العلمي »

مأمون الصاغرجي

تلقت خزانة المجمع مؤخراً العدد الأول من « العالم العربي في البحث العلمي » حزيران (يونيو) ١٩٩٣ ، وهي نشرة نصف سنوية تعنى بشؤون الإعلام عن البحوث الجارية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية المتعلقة بالبلدان العربية ، يصدرها معهد العالم العربي بدعم من المجموعة الأوربية في باريس ، وتصدر باللغات الثلاث مجتمعة : العربية والإنكليزية والفرنسية .

تطرح هذه النشرة فكرة القيام بمهمة تعريف الغرب الأوربي بحضارة العالم العربي وتاريخه وواقعه ، وإيصال ما جُهل منه أو أسيء فهمه لغرض ما ، هادفة إلى جَرْد البحوث والدراسات والأطروحات والمؤلفات الفكرية حول العالم العربي ، متطلعة في ذلك – على الرغم من الإحساس بصعوبة وضعها في متناول الباحثين – إلى ثراء المادة وتنوعها ، سواء في العالم العربي نفسه أو في أوربة[١] .

وعلى ما يحمل هذا المشروع من سمو في الفكر وبُعد في النظر ، وضخامة في الجهود المبذولة فإن النشرة لتعترف – منذ عددها الأول بجرأة

---

(١) انظر كلمة رئيس المعهد ص٢ .

أدبيـة – بالنواقص والإغفالات بله الأخطاء التي تعترض هذه الانطلاقة. وهي تتـوّق إلى استـدراك النـواقص عن طريق من يتداول هذه المجلة من الباحثين بالكتابة والنقد[٢] .

افتتح هذا العدد بكلمة إدغار بيزاني مدير النشرة (ص٢) بيَّن فيها بعد الهدف وبداية الطريق . وكلمة أخرى لـ محمد بنّونه مدير التحرير (ص٣) أوضح فيها العقبات المختلفة حول هذه الانطلاقة الجديدة ، وحث الباحثين على كسر طوق العزلة عن العلم ، ومد أواصر التعاون للوقوف من جديد ضد الأحكام المسبقة والأفكار الجاهزة والتعميات المضلّلة[٣] .

ويبدو أن هذه الدورية أطلَّت – أو سوف تطل – على الباحثين من أبواب أربعة :

الأول : **أعـلام وحوار** (ص٧ – ٢١) : يتعرّف فيـه القراء على شخصيات فكرية ، كان لها أثر بارز في تكوين صورة العالم العربي ، إذ كرَّمت في هذا العدد شخصيـة ســاهمت في إبراز ملامح العالم العربي ، فترجمت لـ « ألبـير حوراني » المتوفى في كانون الثاني ١٩٩٣ (ص٧) ، أعقبهــا حوار أُجري معــه حول الدراســات العـربيـة في سنـة ١٩٩١ (ص١٠ – ٢١) .

الثاني : **مؤسسات البحث** (ص ٢٥ – ٣٤) : تسعى المجلة من خلال هذا الباب إلى تعميق معرفة القارئ في كل عدد بإحدى مؤسسات البحث بتقديم فكرة عن تاريخها وأعمالها ومشاريعها « انطلاقاً من حقيقة أن

---

(٢) انظر ص٢ .

(٣) انظر كلمة المدير العام ص٣ .

المعرفة هي صنيع المؤسسات مثلما هي صنيع الأشخاص[1] » .

الثالث : **تقارير وإعلانات** (ص ٣٧ – ٦٩) : وهو باب واسع في المجلة ، مخصص للتعريف بالمؤلفات والاصدارات وبرامج البحث والتعليم والأطروحات ، ويغطي هذا الباب في كل عدد سنةً من النشاطات والمشاريع العلمية . وقد عرَّف هذا العدد بخمسة وأربعين كتاباً في موضوعات مختلفة حول العالم العربي وشعوبه وثقافته ودياناته ماضياً وحاضراً . وقد قامت النشرة (المجلة) بالتعريف بكل كتاب تعريفاً وافياً مركزاً ، وجل هذه الكتب مما صدر حديثاً في عام ١٩٩٣ .

الرابع : **باب ملفّات** : وهو يشكّل جزءاً من هيكل المجلة ، وقد غاب عن هذا العدد نظراً للأولوية المعطاة للجانب الإعلامي[2] .

ومما امتازت به هذه المجلة أنها تعرِّف الباحثين بمؤسسات البحث التي تشاركها في الأهداف والتي أشرت إليها آنفاً في الباب الثاني . وقد عرَّفت في هذا العدد بـ « معهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي بفرنسة » (ص ٢٥ – ٣٤) . وقد رأينا أن نلم به إلمامة سريعة نكشف بها للسادة القراء عن مدى اهتمام الغرب بموقعنا وثقافتنا العربية .

تأسس هذا المعهد عام ١٩٨٦ بهدف تغطية مجموع العالم العربي والمناطق الإسلامية الواقعة في أطرافه ضمن حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية واللغة والأدب والجغرافية وعلم السكان . وهو يعنى برصد معرفة العالم العربي والإسلامي من قناتين : تحولات المجتمعات الراهنة من جهة ، والخلفية الثقافية والتاريخية من جهة أخرى .

---

(١) من كلمة رئيس التحرير ص٤ .

(٢) انظر ص٤ .

ويساهم المعهد في دروس حلقة الدكتوراه ، فيستقبل حاملي دبلوم الدراسات المعمقة في ميادين الدراسات العربية والإسلامية ، والعلوم السياسية المقارنة والتنمية والتغير في النماذج الثقافية . يتوزع الباحثون في المعهد ضمن نشاطات تندرج في التقاليد العلمية والإقليمية حول أقطاب (محاور) متعددة . منها التشكل القانوني والسياسي الذي يساهم في وضع لائحة مقارنة للحقول والنظم القانونية للأقطار العربية والتغيرات التي طرأت وتطرأ على العالم العربي ، ومنها أنثربولوجيا المغرب العربي والمناطق الصحراوية ؛ والحياة المادية والمجتمعات المدينية ؛ والعلاقات الأوربية – العربية سياسياً وقانونياً واقتصادياً ؛ وغيرها .

من هذه الأقطاب ما يهتم بتحليل النصوص العربية ومعالجتها آليًّا ، اعتماداً على تقدُّم اللسانيات وما تتيحه أنظمة الإعلام في هذا المجال ، إذ يتوفر لديه « جهاز للتحليل من وجهة نظر مزدوجة في صرفها وبنائها في آن معاً . وتتمثل وظيفة هذا الجهاز في أنه يشخِّص ويستخلص جذور الكلمات آلياً من غير الرجوع إلى مفردات موضوعة في ذاكرته مسبقاً ، يمكّن هذا من تجاوز صعوبة اللغة العربية : إذ يلزم معرفة بنية الكلمة للعثور عليها في المعاجم[1] » .

وفي مجال لغات الشرق الأوسط وتاريخه وحضارته يهيّئ المعهد برنامجاً لوضع ذاكرات حاسوبية للنقوش والكتابات الأثرية العربية يهدف إلى مدّ الباحثين بجميع المعلومات التاريخية والحضارية .

وللمعهد منشورات يصدرها في ثلاث سلاسل : الأولى أرشيفات مغربية تصدر عن إيديسود ؛ والثانية سلسلة معرفة العالم العربي ، الثالثة

---

(١) انظر ص٢٩ .

سلسلة المجتمعات الإسلامية . وثمة أعمال وثائق معهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي ، منها لوائح بالأطروحات في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي قدمت في الجامعة الفرنسية .

وللمعهد مكتبته التي تضم ستين ألف كتاب وأطروحة ، وتتغذى سنوياً بثلاثة آلاف كتاب نصفها باللغة العربية .

ومما يسترعي الانتباه أن للمعهد « بنكاً » للمعلومات التي يضعها تحت تصرف المجتمع العلمي ، وهي ثروة وثائقية ببليوغرافية اختصاصية ؛ يحتوي هذا « البنك » على المصنف العربي الذي يضم ستة وأربعين ألف مرجع ببليوغرافي في العلوم الاجتماعية حول العالم العربي الإسلامي المعاصر ، ويزوِّد هذا المصنف كل سنة بخمسة وعشرين ألف مرجع جديد ، أتاح المعهد للباحثين الاطلاع المباشر على هذه المراجع بفضل نظام استشارة يسمح بطلب المعلومات بحسب البلدان أو المفاتيح المختارة .

ويرتبط المعهد بشبكات وثائقية عديدة ذات صلة بالمراكز الفرنسية المقامة في العالم العربي منها « معهد البحث حول المغرب العربي الكبير المعاصر » في تونس ، و« مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية » في القاهرة ، و« مركز الدارسة والبحث حول الشرق الأوسط المعاصر » في عمان ، و « المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق » .

ولإعطاء فكرة عن نوعية الكتب التي تعرّف بها النشرة (المجلة) .
في الباب الثالث اخترنا من الخمسة والأربعين كتاباً بعضاً منها نعددها فيما يلي ونختم هذا التعريف بها وهي :

– ايكلمان دال أف . « شعوب الشرق الأوسط وثقافته » . تورينتو : روزنبرغ وسلييه ، ١٩٩٣ . ٣٩٦ص .

– بادي برتران . « الدولة المستوردة : تغريب النظام السياسي » . باريس : منشورات فايار ، ١٩٩٢ . ٣٣٤ص .

– بركات حليم . « العالم العربي : المجتمع والثقافة والدولة » . بيركلي ، أكسفورد : منشورات جامعة كاليفورنية ، ١٩٩٣ . ٣٦١ص .

– بورمانس موريزيو . « الإسلام والمسيحية : طريق الحوار » . ميلانو : منشورات باولينه ، ١٩٩٣ . ٢٣٩ص .

– الحريري ، المقامات . ترجمها عن النص الأصلي رنيه خوّام . باريس : منشورات فيبوس ، ١٩٩٢ . ٤٧٩ص .

– دور يجوسيكا توروسيلا ، بارفيت تودور ، تريفيسيا سيمي إيمانولا . « الآخر كما يراه الآخر : الأدبان العربي والعبري وجهاً لوجه » . ميلانو : منشورات مكتبة كورتينا ، ١٩٩٣ . ١٤٥ص .

وتُختتم النشرة بسرد قائمة من الكتب صدرت بلغات أوربية سنة ١٩٩٣ من غير تعريف .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ١٩٩٤م

أ ـ الكتب العربية

سامر الياماني

إجازات الحديث ـ محمد باقر المجلسي الأصبهاني ـ دوَّنها وصنع فهارسها أحمد الحسيني ـ إيران ١٤١٠هـ .

أسبوع العلم الثاني والثلاثون

(الكتاب الأول : كلمات الافتتاح والختام) .

(الكتاب الثاني : دراسات وبحوث العلوم الإنسانية ـ ثلاثة أجزاء) .

(الكتاب الثالث : دراسات وبحوث العلوم الزراعية ـ ثلاثة أجزاء) .

(الكتاب الرابع : دراسات وبحوث العلوم الطبية والصيدلانية وطب الأسنان ـ ثلاثة أجزاء) .

(الكتاب الخامس : دراسات وبحوث العلوم الهندسية ـ ثلاثة أجزاء) .

(الكتاب السادس : الدراسات والكلمات التي ألقيت تخليداً

لذكرىٰ العالم العربي : سبط المارديني) . منشورات المجلس الأعلى للعلوم – دمشق ١٩٩٣م .

أشكال التأسيس للسمرقندي – شرح قاضي زاده الرومي ، تحقيق : د . محمد السويسي – تونس ١٩٨٤م .

أطائب الكلم في بيان صلة الرحم – الشيخ حسن بن علي الكركي ، إعداد أحمد الحسيني – إيران ١٤١٠هـ .

أمل الآمل – محمد بن الحسن الحر العاملي ، تحقيق : أحمد الحسيني – مجلدان – إيران .

أيسر التفاسير – أسعد محمود حومد – جزآن – دمشق ١٩٩٢م .

تبصرة المتعلمين في أحكام الدين – الحسن بن يوسف المشهور بالعلامة الحلّي ، تحقيق : أحمد الحسيني ؛ هادي اليوسفي – إيران .

تتميم أمل الآمل – عبد النبي القزويني ، تحقيق : أحمد الحسيني – إيران ١٤٠٧هـ .

تراجم الرجال – أحمد الحسيني – إيران ١٤٠٤هـ .

تعليقة أمل الآمل – الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني ، تحقيق : أحمد الحسيني – إيران ١٤١٠هـ .

تكملة أمل الآمل – آية الله حسن الصدر ، تحقيق : أحمد الحسيني – إيران ١٤٠٦هـ .

تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه – جمع وتدوين أحمد الحسيني – إيران ١٤١٠هـ .

دائرة المعارف الإسلامية الكبرىٰ – منشورات دائرة المعارف الإسلامية الكبرىٰ – المجلد الأول إيران ١٩٩١م .

دراسات عن تاريخ قفصة وأعلامها ـ أبو القاسم محمد كرّو ، نشر وتقديم جمعية صيانة مدينة قفصة ـ تونس ١٩٩٣م .

دراسات في الأدب والنقد ـ أبو القاسم محمد كرّو ـ منشورات دار المعارف ـ تونس .

دراسات في التاريخ والتراث ـ أبو القاسم محمد كرّو ـ منشورات دار المعارف ـ تونس .

دليل المخطوطات ـ أحمد الحسيني ـ الجزء الأول ـ إيران ١٣٩٧هـ .

الذخيرة في علم الكلام ـ الشريف المرتضىٰ علي بن الحسين الموسوي ، تحقيق : أحمد الحسيني ـ إيران ١٤١١هـ .

رياض العلماء وحياض الفضلاء ـ الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني ، تحقيق : أحمد الحسيني ستة أجزاء ـ إيران ١٤٠١هـ .

شرح المقدمة الجزولية الكبير ـ عمر بن محمد بن عمر الأزدي الشلوبين ، درسه وحققه : د . تركي العتيبي ـ ثلاثة أجزاء ـ الرياض ١٩٩٣م .

الشفاهية والكتابية ـ تأليف والترج . أونج ، ترجمة د . حسن البنا عز الدين ، مراجعة د . محمد عصفور ـ عالم المعرفة ـ الكويت ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

ضيافة الإخوان وهدية الخلان ـ محمد بن الحسن القزويني ، تحقيق : أحمد الحسيني ـ إيران ١٣٩٧هـ .

العلاج السلوكي للطفل ـ تأليف د . عبد الستار ابراهيم ؛ د . عبد العزيز الدخيل ؛ د . رضوىٰ إبراهيم ـ عالم المعرفة ـ الكويت ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

القضيـة اللغوية في الجزائر وانتصـار اللغة العربية (دراسـة) ــ شحادة الخوري ــ دمشق ١٩٩١م .

كشف الأســرار عن علم حروف الغبـار ــ لأبي الحسن علي بن محمد القلصادي ، تحقيق : د . محمد سويسي ــ تونس ١٩٨٨م .

الكون ــ تأليف د . كارل ساغان ، ترجمة نافع أيوب لبّس ، مراجعة محمد كامل عارف ــ عالم المعرفة ــ الكويت ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

لغـة الرياضيـات في العربية ــ ألّفه بالفرنسية ونقله إلىٰ العربية د . محمد السـويسـي ــ منشـورات المـؤسسـة الوطنيـة الترجمـة والتحقيق والدراسات ــ تونس ١٩٨٩م .

مؤلفات الزيدية ــ أحمد الحسيني ــ ثلاثة مجلدات ــ إيران ١٤١٣هـ .

مجمع البحرين ــ الشيخ فخر الدين الطريحي ، تحقيق : أحمد الحسيني ــ ستة أجزاء ــ إيران ١٣٩٥هـ .

مخطـوطـات مكتبـة الحاج هدايتي ــ أحمد الحسيني ــ مستـل من العدد الثالث من نشرة تراثنا ، السنة الأولىٰ ، شتاء ١٤٠٦هـ .

مخطوطات مكتبـة فحول القزويني ــ أحمد الحسيني ــ مستـل من العدد الثاني من نشرة تراثنا ، السنة الأولىٰ ، خريف ١٤٠٦هـ .

مُنية المريد في آداب المفيد والمستفيد ــ زين الدين بن علي العاملي ، إعداد أحمد الحسيني إيران ١٤٠٢هـ .

نهج المسترشدين في أصول الدين ــ الحسين بن يوسف المشهور بالعلامة الحلّي ، تحقيق : أحمد الحسيني ؛ هادي اليوسفي .

ب ـ المجلات العربية المهداة

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب	الجزء الثاني	١٩٩٣	سورية
الأسبوع الأدبي	٣٩٠ ـ ٣٩٤ ، ٣٩٥	١٩٩٣ ـ ١٩٩٤	سورية
الثقافة	تشرين الأول ، تشرين الثاني ، كانون الأول	١٩٩٣	سورية
حمص	٢٠٤٢	١٩٩٣	سورية
دراسات تاريخية	٤٥ ـ ٤٦	١٩٩٣	سورية
صوت فلسطين	٣١١ ، ٣١٢	١٩٩٣	سورية
الضاد	٩ ، ١٠	١٩٩٣	سورية
عالم الذرة	٢٧ (مج٨)	١٩٩٣	سورية
المجلة البطريركية	١٢٧ ـ ١٢٩ ، ١٣٠	١٩٩٣	سورية
المجلة الطبية العربية	١١٩	١٩٩٣	سورية
المعرفة	٣٦٣	١٩٩٣	سورية
الموقف الأدبي	٢٧٠	١٩٩٣	سورية
أنباء (معهد الآثار بجامعة اليرموك)	١٥	١٩٩٣	الأردن
الأنباء (صحيفة جامعة اليرموك)	٥٠١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧	١٩٩٣ ـ ١٩٩٤	الأردن
دراسات	٤(مج ٢٠/أ) + ملحق	١٩٩٣	الأردن
الشريعة	٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧	١٩٩٣ ـ ١٩٩٤	الأردن
المجلة العربية للتربية	١/مج١	١٩٨١	تونس (المنظمة العربية)
	٢/مج٢	١٩٨٢	
	١ ، ٢/مج٣	١٩٨٣	
	١/مج٤	١٩٨٤	
	١ ، ٢/مج٥	١٩٨٥	

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	١ ، ٢/مج٦	١٩٨٦	
	١ ، ٢/مج٧	١٩٨٧	
	١ ، ٢/مج٨	١٩٨٨	
	١ ، ٢/مج٩	١٩٨٩	
	١ ، ٢/مج١٠	١٩٩٠	
	١ ، ٢/مج١١	١٩٩١	
التعريب	٥ ، ٦	١٩٩٣	تونس (المنظمة العربية)
ينابيع	٤ ، ٥	١٩٩٣	الجزائر
مجلة البحوث الفقهية المعاصرة	١٩	١٩٩٣	السعودية
أخبار التراث الإسلامي	٣١	١٩٩٢	الكويت
حوليات كلية الآداب	الحولية الرابعة عشرة	١٩٩٣ – ١٩٩٤	الكويت
علوم وتكنولوجيا	٥	١٩٩٣	الكويت
الشراع	٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩	١٩٩٣ ، ١٩٩٤	لبنان
دراسات يمنية	٤٧ ، ٤٨	١٩٩٢	اليمن
ألمانيا	٢	١٩٩٣	ألمانيا
رسالة القرآن	١١	١٤١٣هـ (١٩٩٣م)	إيران
عالم العمال	٦	١٩٩٣	سويسرا
ثقافة الهند	١(مج٤٤)	١٩٩٣	الهند

ج – الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

– ١ –

1 – Books:

– THE ARAB WORLD/ by Fawzy Mansour. – Unu, Tokyo & zed books, London and New Jersey, 1992. – 135P., – series: Studies in African political economy. (with a contributory chapter by: Samir Amin.).

– BAYT AL – MAQDIS, Abdal – Malik's Jerusalem, part one/ edited by Julian Raby & Jeremy Johns. – Oxford: Oxford University press for the board of faculty of oriental studies, 1992., 162p (with illustrations).

– CATALAN WRITING/ prepared by Institucio de les Lietres Catalanes. Barcelona. – 1992, 1993, nos.:9, 10.

– CONCISE ENCYCLOPEDIA OF THE MIDDLE EAST/ by Mehdi Heravi. – Washingtom, d.c.: public affairs press, 1973. – 336p.

– LE CONSEIL EN MANAGEMENT, GUIDE POUR LA PROFESSION/ publie sous la direction de Milan Kubr. – Geneve: BIT, 1993, 662P.

– COURSE AND PROGRAM SELECTOR, A SELECTION OF COLLEGE PROFILES. – published by Nexus Business communications limited, Kent, U.K. – 1994,

– DIOS Y DIOSES, CRISIS DEL MON OTEISMO/ par Martin Sagera. – Barcelona: laertes, S.A. de ediciones, 1987. – 212p.

– EL EDADISMO, CONTRA JOVENES Y VIEJOS LA DISCRIMINACTION UNIVERSAL/ par Martin Sagera. – Madrid, 1992. – 251p.

– L'EVOLUTION RECENTE DANS LES INDUSTRIES MECANIQUES/ par BIT. – Geneva, 1993. – 181p.

– MUSLIM PEOPLES, A WORLD ETHNOGRAPHIC SURVEY/ by Richard V. Wee KS. – London: greenwood press, 1978. – 546p.

– POUR UNE EDUCATION DE BASE DE QUALITE: COMMENT DEVELOPPER LA COMPETENCE/Par Joan Freeman. – Paris: Unesco, 1993. – 279p.

– STATISTICAL YEARBOOK, 1993/ by Unesco. – Paris, 1993.

2 – PERIODICALS:

– MA'ARIF, MONTHLY JOURNAL OF DARUL MUSANNEFIN SHIBLI ACADEMY, Iran, AUG. 1992, April, aug. 1993.

– ACTA BIOLOGICA CRACOVIENSIA, Warszawa, Series: Zoologia, Vols.: XXXXII, XXXIII; Series: Botanica, Vol. XXXII, XXXIII.

– CATALONIA CULTURE, Barcelona, Spain. Nos.: 30, 1992. 32, 35, 1993.

– EAST ASIAN REVIEW, publ. by the Institute for East Asian Studies. Seoul, Korea.

– ESPANA, REVUE D'INFORMATION DE l'O.I.D., Spain. No. 238, Dec. 1993.

– INTERNATIONAL FAMILY PLANNING PERSPECTIVES, a publication of the Alan Guttmacher Institute, Newyork, U.S.A. No. 2, JUNE 1993.

– JOURNAL OF ASIAN AND AFRICAN STUDIES, INSTITUTE FOR THE STUDY OF LANGUAGES AND CULTURES OF ASIA AND AFRICA, Tokyo. Nos.: 44, 1992. 45, 1993.

– KOREA FOCUS ON CURRENT TOPICS, Korea Foundation. No. 4, Vol. I, 1993.

– LETTERA DALI' ITALIA, Instituto Della Enciclopedia Italiana Fondata Da G. Treccani. Anno. VIII, No. 31, 1993.

– THE MUSLIM WORLD, published by the Duncan Black Macdonald Center at Hartford Seminary, Hartford, Connecticut, U.S.A. No. I, Vol. LXXXIII, JANUARY, 1993.

– NATURAL RESOURCES AND DEVELOPMENT, Institute for Scientific Cooperation, Tübingen. Vol.: 38 (Focus: Geological Deposits).

– ORIENT, Report of the Society for Near Eastern Studies in Japan, Vol.: XXVIII, 1992.

– ORIENS, Moscow. Nos.: 2, 3 1993.

– PERSPECTIVES, Revue Trimestrielle de l'Education, Editions Unesco, Vol. XXII, No. 4, 1992.

– SELF – REALIZATION, founded by Paramahansa Yoganda, published quarterly by Self – Realization Fellowship, Los Angeles, California, U.S.A, Vol. 64, NO. 4, FALL 1993. (Special Issue).

– SOURCES UNESCO, Paris. No. 52, Novembre 1993.

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

ـ مشيخة ابن طهمان	تح د. محمد طاهر ملك
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ج١	تح محمد أحمد الدالي
ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢)	صنعة د. عبد الكريم الأشتر
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢)	لعبد الحي الحسني
ـ شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تح د. نسيب النشاوي
ـ رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا	تح د. طيان ومير علم
ـ نظرات في ديوان بشار بن برد	للدكتور شاكر الفحام
ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي	تح إبراهيم صالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣	وضع محمد رياض المالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢	وضع مراد وسواس
ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	الدكتور حسني سبح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١	وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١	وضع ياسين السواس
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣	تح محمد أحمد الدالي
ـ نوح العندليب	لشفيق جبري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣	وضع صلاح الخيمي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١	تح نشاط غزاوي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد)	تح عبد الغني الدقر
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)	تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

ـ شعر عمرو بن معدي كرب	جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١	تح محمد كامل القصار
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢	تح حافظ وبدير
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١	تح عبد الإله نبهان

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

ـ مشيخة ابن طهمان	تح د. محمد طاهر ملك
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ج١	تح محمد أحمد الدالي
ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢)	صنعة د. عبد الكريم الأشتر
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢)	لعبد الحي الحسني
ـ شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تح د. نسيب النشاوي
ـ رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا	تح د. طيان وميرعلم
ـ نظرات في ديوان بشار بن برد	للدكتور شاكر الفحام
ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي	تح إبراهيم صالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣	وضع محمد رياض المالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢	وضع مراد وسواس
ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	الدكتور حسني سبح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١	وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١	وضع ياسين السواس
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣	تح محمد أحمد الدالي
ـ نوح العندليب	لشفيق جبري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣	وضع صلاح الخيمي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١	تح نشاط غزاوي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد)	تح عبد الغني الدقر
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)	تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

ـ شعر عمرو بن معدي كرب	جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١	تح محمد كامل القصار
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢	تح حافظ وبدير
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١	تح عبد الإله نبهان





المحرم ١٤١٥هـ
تموز (يوليو) ١٩٩٤م



مطبعة الصباح

دمشق ـ هاتف ٢٢٢١٥١٠

كتب الأنساب العربية

— ٩ —

الدكتور إحسان النص

* * *

كتاب
التبيين في أنساب القرشيين

لابن قدامة المقدسي

(٥٤١ — ٦٢٢هـ)

المؤلف*

هـو مـوفّق الدين أبو محمـد عبـد الله بن أحمد بن قُدامـة الجماعيلي المقدسي . ولد بجماعيل — من قرى نابلس بفلسطين — وفي سنة ٥٥١هـ ارتحل أهله وهو معهم إلى دمشق بعد استيلاء الفرنجة على بيت

(*) من مصادر ترجمته :
مرآة الزمان في تاريخ الأعيـان لسبط ابن الجوزي ٦٢٧/٨ ؛ فوات الوفيـات لابن شـاكر الكتبي ٤٠٣/١ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٩/١٣ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٣٣/٢ ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٥٦/٦ ؛ شذرات الذهب لابن العماد ٨٨/٥ .

المقـدس ومـا حوله ، فنزلوا باديْ الأمر بمسجد أبي صـالح ظاهر البـاب الشرقي ، ثم انتقلوا إلى جبل قاسيون (المهاجرين) .

انصرف المقدسي بعد استقراره بدمشق إلى طلب العـلم ، فأخذ الفقه وعلوم القرآن عن والده وعن غيره ، ثم ارتحل إلى بغداد سنة ٥٦١هـ فأخذ العلم هناك عن طائفة من مشايخها ، ولازم الشيخ عبد القادر الجيلي مدة يسيرة وبعد وفاته لزم أبا الفتح بن المنّي فأخذ عنه أصول الفقه حتى برع فيها ، وقد دامت رحلته إلى بغداد أربع سنوات عاد بعدها إلى دمشق ، ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى سنة ٥٦٧هـ ، وربما كانت له رحلة ثالثة إليها ، وأقام مدة بمكة ثم عاد آخر الأمر الى دمشق وبها توفي سنة ٦٢٢هـ .

أخذ ابن قدامة عن شيوخ كثـيرين في دمشق وبغداد ومكـة منهم الشيخ عبد القادر الجيلي وأبو الفتح بن المنّي وأبو زرعة وابن شافع ، وتفقّه في بغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل حتى غدا إماماً في أصول الفقه وعلم الفرائض والخلاف والتفسـير والحديث فضـلاً عن الحسـاب وعلم النجوم السيّارة والمنازل ، وتصدّر للتدريس فأخذ عنه خلق كثير .

عرف ابن قدامة بدماثة الخلق والتواضع والحياء الجمّ ولين الجانب والعزوف عن الدنيا . وكان موضع اعجاب كثير من العلماء الذين أثنوا على سـعـة علمـه ودماثة خلقـه وتديّنـه ، قال فيـه معـاصره ابن تيميـة (ت ٦٢٢هـ) : « ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفّق[1] » ، وقـال فيــه سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) :«من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكأن النور يخرج من وجهه، كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعاً من القـرآن ترتيـلا .. »[2] ، وقال فيـه ضيـاء الدين محمد بن عبد الواحد

(١) ذيل طبقات الحنابلة ١٣٤/٢ .

(٢) شذرات الذهب ٨٩/٥ .

المقدسي (ت ٦٣٤هـ): «كان ــ رحمه الله تعالى ــ إماماً في التفسير، إماماً في علم الحديث ومشكلاته ، إماماً في الفقه بل أوحد زمانه فيه ، إماماً في علم الخلاف ، أوحد زمانه في الفرائض ، إماماً في أصول الفقه ، إماماً في النحو ، إماماً في الحساب ، إماماً في النجوم السيّارة والمنازل . »[٣]

مصنفاته

مصنفات ابن قدامة تربي على الثلاثين في الفقه وعلوم القرآن والحديث والأنساب منها :

١ ــ المقنع في فقه الحنابلة (طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٢هـ) ، وقد اختصره طائفة من العلماء .

٢ ــ الكافي في فقه الحنابلة ، ٤ مجلدات (نشره المكتب الإسلامي بدمشق) .

٣ ــ المغني في شرح الخرقي في الفقه ، عشر مجلدات .

٤ ــ روضة الناظر في أصول الفقه (طبع بالمطبعة السلفية بمصر عام ١٣٤٢هـ) .

٥ ــ مختصر علل الحديث ، وهو اختصار لكتاب علل الحديث لأبي بكر أحمد بن محمد الخلاّل (ت ٣١١هـ) .

٦ ــ قنعة الأريب في الغريب .

٧ ــ البرهان في مسألة القرآن .

٨ ــ كتاب القدر .

٩ ــ فضائل الصحابة .

١٠ ــ كتاب المتحابين في الله .

---

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ١٣٤/٢ ، شذرات الذهب ٩٠/٥ .

١١ – مناسك الحج .

١٢ – رسالة إلى ابن تيمية في تخليد أهل البدع في النار .

١٣ – تحريم النظر في كتب أهل الكلام .

١٤ – لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبل الرشاد . (طبع أكثر من مرة) .

١٥ – التبيين في أنساب القرشيين . وهو الكتاب الذي أتحدث عنه .

١٦ – الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار . طبع بدار الفكر في بيروت ، سأتحدث عنه بعد حديثي عن كتاب التبيين .

وسائر مصنفاته ذكرها الأستاذ محمد نايف الدليمي في مقدمة تحقيقه لكتاب التبيين بالإضافة إلى المصنفات المذكورة هنا .

الكتاب

يبدأ الكتاب بمقدمة وضّح فيها المؤلف نهجه في تأليف الكتاب ، يقول فيها : « هذا كتاب ذكرت فيه نسب رسول الله ﷺ وأصحابه من أقاربه . وذكرت لكل امرئ منهم شيئاً من أخباره وفضائله وبعض من اشتهر من أولاده وأولاد أولاده ، ليعرف الواقف عليه محلّه من الدين ، وموضعه من الفضل ، ولم أطل خشية الإملال . بدأت بذكر رسول الله ﷺ ثم بولده ، وأزواجه ثم بمن يليه من أهله الأدنى فالأدنى ، حتى أتيت على آخر قريش ، مقتصراً عليهم .. »[٤] . ثم ذكر أنه اختصّ الصحابة من قريش بالذكر لمكانهم من رسول الله ﷺ .

فكذلك نرى أن النهج الذي اتبعه المؤلف يخالف نهج سابقيه من علماء

(٤) الكتاب ص ٣٣ .

النسب . فقد جعل مدار حديثه على الرسول عليه السلام وآله وصحبه .

بدأ أولاً بذكر نسب الرسول ﷺ ورفعه الى عدنان . وهذا النسب هو عنده ما اتفق عليه النسّابون جميعاً وقد اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل ، وفيما بين إبراهيم وسام بن نوح .

وانتقل بعدئذ إلى شيء من التفصيل في سيرته عليه السلام منذ ولادته إلى أن بعثه الله نبيّاً وما لقيه من أذى قريش ثم هجرته وغزواته حتى وفاته . وكان حديثه عن هذه الجوانب غاية في الإيجاز .

وانتقل بعدئذ إلى الحديث عن أزواج الرسول ﷺ(٥) فأورد نبذة من أخبار كل منهن بادئاً بالسيدة خديجة فعائشة فسَودة بنت زَمْعة فحفصة بنت عمر بن الخطاب ، فزينب بنت خُزيمة الهلالية ، فأم سلمة هند بنت أبي أمية ، فزينب بنت جحش ، فجُويرية بنت الحارث ، فأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، فصفية بنت حُيَي بن أخطب ، فميمونة بنت الحارث الهلالية ، وعدّتهن إحدى عشرة . وقد حرص المؤلف على تعيين زمن زواج الرسول بكلّ منهنّ وتاريخ وفاتها ، ولم يتحدث عن سائر زوجاته اللاتي اختلف فيهنّ .

ثم تحدّث عن مارية بنت شمعون القبطية التي تسرّى بها رسول الله .

وانتقل بعد إلى أولاد الرسول(٦) الذكور والإناث ، والذكور عنده ثلاثة : القاسم وابراهيم والطيب عبد الله (وهم عند الطبري أربعة(٧)) والإناث أربع لا خلاف فيهن : زينب ، ورقيّة ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

---

(٥) الكتاب ص ٥١ .

(٦) الكتاب ص ٦٧ .

(٧) الطبري ١٦١/٣ وعنده : الطيب وعبد الله .

وذكر نبذة من أخبار ولده .[٨]

ثم أفرد المؤلف فصلاً لكُتّاب الرسول ، وانتقل بعدُ إلى ذكر أعمام الرسول ، – وقد اختلف في عددهم بين تسعة واثني عشر – والصحابة من أولادهم ، فوقف أولاً عند الحارث بن عبد المطلب وولده الذكور والإناث ، فأبي طالب بن عبد المطلب وولده ، ثم الزبير بن عبد المطلب وولده ، ثم ولد أبي لهب بن عبد المطلب ، ثم حمزة بن عبد المطلب وولده ، ثم العباس بن عبد المطلب وولده .

ولّما فرغ من أعمام الرسول وولدهم انتقل إلى عمّاته : صفيّة ، وعاتكة ، وأروى ، وبَرّة ، وأميمة ، وأم حكيم ، بنات عبد المطلب بن هاشم .

ثم أفرد فصلاً لسائر الصحابة من ولد هاشم ، ثم لسائر ولد عبد مناف : هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب . فكذلك نرى أن النهج الذي سار عليه المؤلف هو الانتقال من الأدنى إلى الأبعد نسباً من رسول الله ﷺ . فبعد أن ذكر أبناء هاشم بن عبد مناف انتقل إلى بني عبد شمس بن عبد مناف ، ومنهم بنو أمية ، مازجاً الأنساب بالأخبار . وقد شغل هذا الجانب حيزاً كبيراً من الكتاب . وبعد أن فرغ من بني عبد شمس انتقل إلى المطلب بن عبد مناف ، ثم إلى نوفل بن عبد مناف .

ولّما فرغ من ذكر بني عبد مناف صار إلى سائر ولد قصي بن كلاب : عبد الدار ، وعبد العزّى ، فذكر أنسابهم وولدهم وطرفاً من أخبارهم . وقد وقف وقفة طويلة عند بني أسد بن عبد العزّى آل الزبير بن

---

(٨) الكتاب ص ٦٨ .

العوّام بن خُويلد بن أسد ، ثم استوفى الكلام على بني كلاب بن مُرة بن لُؤي : قصي بن كلاب ، وزُهرة بن كلاب . فكذلك نجد أن النهج الذي التزمه جعله يرتقي من الفروع الى الأصول ، مخالفاً بذلك نهج علماء النسب الأخرين .

فلما انقضى ذكر بني كلاب بن مرة انتقل الى بني تيم بن مُرة ، ومن رجالهم المشهورين أبو بكر الصدّيق ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن جدعان .

ثم انتقل الى بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة متبعاً النهج الذي اتبعه في الحديث عن الصحابة وحدهم فلم يذكر المشهورين من بني مخزوم كالوليد بن المغيرة وانما ذكر الصحابة ومنهم خالد بن الوليد وبنو هشام بن المغيرة ومنهم عكرمة بن أبي جهل بن هشام .

وبعد أن فرغ من بني مخزوم انتقل الى سائر بني كعب بن لؤي بفروعهم الثلاثة : بني مرة ، وبني عدي ، وبني هصيص .

بدأ ببني كعب بن عدي فذكر ولدهم والمشهورين من رجالهم وساق طائفة من أخبارهم ، فوقف عند عمر بن الخطاب وأورد طرفاً من أخباره ثم ذكر ولده وأخاه زيداً وولده وأختيه فاطمة وصفية ثم سائر بني كعب بن عدي .

ثم ذكر بني هصيص والمشهورين من رجالهم ومنهم عثمان بن مظعون وعمرو بن العاص . ثم انتقل إلى بني عامر بن لؤي بن غالب فذكر أشهر رجال هذا البطن من الصحابة ومنهم سُهيل بن عمرو بن عبد شمس وولده وأبو سَبْرة بن أبي رُهم بن عبد العُزّى وعبد الله بن مَخرمة وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح والعلاء بن وهب وبُسر بن أرطأة .

ثم انتقل إلى بني الحارث بن فهر والمشهورين منهم ومنهم أبو عبيدة بن الجرّاح وعِياض بن غَنْم وعُقبة بن نافع ، ثم ذكر بني محارب بن فهر ومنهم ضرار بن الخطّاب شاعر قريش ، ومَسلمة بن مالك ، والضحّاك بن قيس الفهري رأس الزبيرية يوم المرج .

وقد ألحق المؤلف بالقرشيين من كان من الصحابة من بني أسد بن خزيمة لأن منهم بني عمة الرسول ﷺ ولأنهم حلفاء بني عبد شمس ولأنهم من السابقين الأولين الى اعتناق الإسلام وإلى الهجرة إلى المدينة ، فذكر مشهوريهم ومنهم عُكّاشة بن مُحَصِّن وعبد الله بن جحش وولده وضرار بن الأزور وعمرو بن شَأس وطليحة بن خويلد الذي تنبأ بعد وفاة الرسول ثم فاء الى الإسلام ، وخريم بن فاتك وابنه أيمن بن خُريم وسِماك بن مخرمة وعبد الله بن الزَبير الشاعر .

وبذلك تمّ الكتاب .

نهج الكتاب ومصادره وقيمته

وضّح المؤلف في مقدمة كتابه النهج الذي اتبعه في تأليف كتّابه ، فقد بدأ بنسب الرسول عليه السلام ثم ذكر أزواجه وأولاده وكُتّابه وأعمامه وأولادهم ، ثم ذكر من اعتنق الإسلام من بني هاشم ثم من بني عبد شمس ، بادئاً بالأدنى فالأدنى نسباً من رسول الله ﷺ فانتقل الى بني المطلب بن عبد مناف فبني عبد الدار فبني أسد بن عبد العُزّى فبني زهرة بن كلاب فبني تَيْم بن مُرَة فبني مخزوم بن يقظة ، وهكذا حتى فرغ من نسب قريش ، وألحق بقريش من اعتنق الإسلام من السابقين الأولين من بني أسد بن خزيمة للأسباب التي ذكرها .

فكذلك نرى أن النهج الذي اتّبعه المؤلف يخالف نهج علماء النسب

السابقين ، لأن غاية المؤلف ذكر نسب الرسول ﷺ وأصحابه من قريش وليس استيفاء أنساب القرشيين ، وهو لم يتبع طريقة النسابين الآخرين من حيث البدء بالأصول والانتقال منها الى الفروع وكذلك لم يفصّل في بيان الأنساب وإنما بدأ برسول الله ﷺ ثم ذكر الأنساب الأدنى فالأدنى من نسبه عليه السلام واقتصر على ذكر الصحابة المشهورين في كل بطن من بطون قريش .

وقد ضمّن كتابه طائفة من الأخبار المتصلة بالرجال الذين ذكرهم كما ذكر طرفاً من أشعار شعرائهم .

لم يذكر المؤلف في مقدمة كتابه المصادر التي اعتمدها فيه ، وهو من رجال القرن السابع الهجري ، وقد ألفت قبله كثير من كتب الأنساب ، ومن المحقق أنه استفاد منها . وعلى أنه لم يعن بذكر الأسانيد المفصلة للأنساب التي ساقها والأخبار التي أوردها فإننا نجده أحياناً يذكر اسم العالم الذي نقل من كتابه دون ذكر اسم الكتاب . وممّن استمّد منهم مادة كتابه ابن اسحاق في السيرة ، والزبير بن بكّار والزُهري والمصعب الزبيري ، على أنه في أغلب الأحيان يورد الأخبار والأنساب غير مسندة إلى رواتها. ويذكر محقق الكتاب أنه لم يجد مانسب إلى الزبير بن بكّار من أخبار في هذا الكتاب في كتابي الزبير المطبوعين وهما جمهرة نسب قريش والموفّقيات، وقد وجد المحقق كذلك أن في كتاب التبيين أخباراً منسوبة إلى المصعب الزبيري وهي ليست في كتابة المطبوع ويستظهر لذلك أن في كتاب نسب قريش المطبوع للمصعب نقصاً .

وقيمة الكتاب ترجع إلى تمييزه من أسلم من قريش من سائر قريش ، وهو معنيّ بالصحابة دون غيرهم على ما ذكرت ، وقد صحح المؤلف

أنساب طائفة من القرشيين وأورد أشعاراً لا نجدها في مصادر أخرى .

حقَق الكتاب الأستاذ محمد نايف الدُليمي وقدّم له بمقدمة موجزة وضَح فيها نهجه في تحقيق الكتاب وترجم للمؤلف وذكر أقوال العلماء فيه ثم أحصى مصنفاته . وتحدث بعدُ عن النسخ التي اعتمدها في التحقيق ، وقد اعتمد نسختين وجدهما في مكتبة الحاج زكر في الموصل التي ضُمّت إلى مكتبة الأوقاف العامة بالموصل . ورقم المخطوطتين ٢/١٥ و٣/١٥ وإحداهما جعلها الأم ورمز إليها بالحرف (أ) وقد نسخها محمد بن إبراهيم بن خفاجة وفرغ من نسخها سنة ثمانمئة وسبعين للهجرة ورجح المحقق أنها منقولة من نسخة المؤلف ، والثانية منقولة عن النسخة السابقة ورمز إليها بحرف (ب) ولكن بين النسختين بعض الاختلاف . وقد ذيل الكتاب بذكر المراجع والمصادر التي استعان بها وبفهارس للحديث النبوي والأشعار والأمم والقبائل والمواضع والأعلام والموضوعات . ووضع حواشي للكتاب أثبت فيها ما وجده من اختلاف بين المخطوطتين وخرّج أبيات الشعر الواردة في الكتاب وأضاف بعض التعليقات المفيدة .

ويحسن أن أشير هنا إلى ما وقع من الخطأ في إثبات اسم هذا الكتاب على غلاف المخطوطة المحفوظة بمكتبة راغب باشا بمدينة اسطنبول ذات الرقم ٩٩٩ ، في حين أن تلك المخطوطة لا تحوي كتاب التبيين لابن قدامة وانما هي مخطوطة كتاب « مختصر جمهرة النسب » ، وقد تحدثت عن هذا الكتاب وعما وقع من الخطأ في عنوانه في الجزء الثالث من المجلد الخامس والستين من مجلة المجمع .

الكتاب من منشورات المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٢هـ ، الموافقة لسنة ١٩٨٢ ميلادية . ومما يؤسف له أن في الكتاب المطبوع

أخطاءً طباعية لا تحصى لكثرتها ونقصاً في بعض المواضع (انظر مثلاً ص٣٨) ، وبعض الأخطاء في الضبط بالشكل ، من ذلك مثلاً (ص٣٧) : ضبط اسم عدي بن النجار بضم العين والصواب بفتحها ، وضبط فعل انتقع لونه (ص٤٠) بفتح التاء على البناء للمعلوم والصواب بضمها على البناء للمجهول وفي ص٤٨ أثبت العدد احدى عشرة بتذكير لفظ (عشر) والصواب تأنيثه ، ونحوها من الأخطاء التي لم أستقصها . والأمل أن يتلافى المحقق هذه الأخطاء لدى إعادة طبع الكتاب .

كتاب
الاستبصار في
نسب الصحابة من الأنصار

لابن قدامة المقدسي

* *

المؤلف

سبقت ترجمته لدى الحديث عن كتاب « التبيين في أنساب القرشيين » .

الكتاب

اتبع ابن قدامة في كتابه هذا النهج الذي اتبعه في كتاب « التبيين في أنساب القرشيين » فقد تناول أنساب الصحابة من الأنصار فقط ، ولم يتناول أنساب الأوس والخزرج عامة . فبعد حديثه عن الصحابة من قريش

رأى لزاماً عليه أن يتحدث عمّن نصر رسول الله ﷺ من الخزرج والأوس ، وهم الذين نهضوا بالعبء الأكبر في نصرة الرسول وتأييد رسالته ومجاهدة أعدائه وفي تثبيت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة .

وقد وضح المؤلف دواعي تأليف كتابه ونهجه فيه في مقدمته فقال : « هذا كتاب ذكرت فيه أنساب الصحابة من الأنصار وطرفاً من أخبارهم على سبيل الاختصار ، ليعرف به منزلتهم من الإسلام وتأسيسهم للدين وماخصّهم الله تعالى (به) من نصره واظهار دينه وإيواء رسوله وصحابته وسبقهم إلى إجابة دعوته وبذلهم المهج في طاعة ربهم وطاعته ، ليعظم في القلوب محلهم ، ويكثر بالترحّم عليهم فضلهم ، ويزداد الإيمان بمحبتهم . »[٩]

ثم بيّن نهجه فيه فقال : « وقدّمنا ذكر الخزرج لأنهم أخوال رسول الله ﷺ ... »[١٠]

بدأ المؤلف حديثه عن الأنصار بذكر مكانهم عند رسول الله ﷺ وما روي من الأحاديث في بيان فضلهم ومنزلتهم ، ثم تحدّث عن بدء اتصال الرسول بالأوس والخزرج وشهودهم العقبة ومبايعتهم إياه .

وانتقل بعدئذ مباشرة الى الحديث عن بطون الخزرج بادئاً ببني النجّار لأن منهم أخوال الرسول عليه السلام ، وبدأ بأدنى أخوال عبد المطلب إليه نسباً وهم بنو عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار ، ثم انتقل الى سائر بطون بني النجار ، ثم إلى بطون الخزرج الأخرى . ولما فرغ من الخزرج انتقل الى الأوس فعدّد بطونها ورجالها المشهورين ، ووقف خاصة

---

(٩) الكتاب ص ٢٣ .

(١٠) الكتاب ص ٣٠ .

عند أحيحة بن الجلاح ، شاعر الأوس وسيدهم وفارسهم ، ففصّل القول في أخباره وأشعاره[١١] .

ولما فرغ من أنساب الأوس ورجالهم وقف جانباً من كتابه على رجال من الأنصار لم تعرف القبائل التي ينتمون إليها . ومنهم أبو بردة الأنصاري وأبو بشير الأنصاري .

نهج الكتاب ومصادره وقيمته

وضّح المؤلف – على ما قدمت – منهجه في تأليف الكتاب من حيث قصره على الصحابة من الأنصار . وقد جعل المؤلف عنوان كتابه : « الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار » ولكننا في واقع الأمر لا نجد في الكتاب أنساباً على النحو الذي نجده في كتب الأنساب الأخرى ، فليس فيه ذكر لأصول أنساب الأوس والخزرج ولا بيان لتفرّع الفروع من الأصول ، ذلك أن المؤلف لم يكن غرضه بيان الأنساب وتسلسلها وتفرعها وإنما كان غرضه ذكر من اشتهر من الصحابة في كل بطن من بطون الأنصار . وهكذا نجده يضع عنواناً لكل بطن ويذكر تحته أسماء الصحابة المشهورين فيه ، ويورد طرفاً من أخبارهم على وجه الاختصار .

لا يذكر المؤلف أسماء المصادر التي استمدّ منها مادة كتابه – شأنه في كتابه الآنف الذكر – ولكنه يذكر أسماء المؤلفين الذين نقل عنهم . ومنهم : محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) وقد أخذ الكثير من سيرته . والواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) ، في كتابه « المغازي النبوية » ، ومحمد بن سعد الزُّهري . مولى بني زُهرة (ت ٢٣٠هـ) كاتب الواقدي في كتابه « طبقات الصحابة » المعروف بطبقات ابن سعد ، وابن عبد البر

(١١) انظر ص ٣٠٧ من الكتاب وما بعدها .

النمريّ (ت ٤٦٣هـ) مؤلف كتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ، وهو من مصادره الرئيسة . ومن كتب الأنساب التي استقى منها كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي ، واستمد طائفة من الأخبار التي أوردها من تاريخ ابن جرير الطبري .

وهو يسوق الأخبار مسندة إلى رواتها أحياناً وغير مسندة أحياناً أخرى ، وقد يبدأ الخبر بعبارة : « وروي عن فلان » ، أو « روي أن » ، وكثير من أخباره مروي عن أنس بن مالك الخزرجي خادم رسول الله مع إغفال ذكر السند والمصدر الذي أخذ عنه .

ومن الرواة الذين ورد ذكرهم في كتابه محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) مولى أنس بن مالك ومنهم أيضاً حُميد بن مهران (ت ١٤٣هـ) ، مولى طلحة بن عبد الله الخُزاعي الذي سمع أنس بن مالك وروى عنه . ومنهم علي بن المُدينيّ (ت ٢٣٣هـ) من علماء الحديث الأعلام ، أخذ عنه البخاري وأبو داود .

وقيمة الكتاب تعود إلى إفراده الصحابة من الأنصار بالحديث ، فهو من أفضل الكتب في أنساب الأنصار ، وقد حقق أنساب طائفة منهم ، ومن لم يعرف نسبه أفرده بالذكر في نهاية كتابه . وللكتاب ميزة أخرى هي ايراده أخباراً كثيرة حول رجال الأنصار لا نجدها في مراجع أخرى ، فكتابه يجمع إلى الأنساب الأخبار والأحاديث والأشعار .

حقّق الكتاب الأستاذ علي نويهض وقدّم له بمقدمة تحدث فيها عن علم النسب وعرّف فيها بالمؤلف وكتابه وحقق نسبة الكتاب إلى ابن قدامة .

وقد اعتمد في تحقيقه على ثلاثة مخطوطات : أحدها محفوظ في مكتبة

شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، والثاني في مكتبة أحمد تيمور باشا ، وقد نقل إلى المكتبة الخديوية ، والثالث في دار الكتب المصرية . وقد قابل المحقق بين هذه المخطوطات الثلاثة وبيّن ما وجده من اختلاف بينها .

وأضاف إلى الكتاب تراجم لمن ورد ذكرهم من الصحابة والتابعين والمحدّثين من غير الأنصار وشرح في الهوامش الغامض من الألفاظ التي وردت في أبيات الشعر ووضع شجرة لأنساب كل من الخزرج والأوس .

نشرت الكتاب دار الفكر ببيروت سنة ١٩٧٢م .

الحيوانُ في صوره الإنسانية

« محاولة التسلّل إلى باطن الحيوان لتحليل نفسيته وتحديد ذكائه وتفسير طباعه »

الدكتور صالح الأشتر

– ١ –

كان العقاد من الأدباء العلماء المُولعين بمراقبة السلوك الإنساني والسلوك الحيواني والمقارنة بينهما ، وهو يؤكّد أن الإنسان حيوان ، عاقلٌ ناطق فصيح ، ولكنه تعلّم أن يُخفي مشاعره ، وأن الحيوان إنسانٌ بلا عقل ولا نُطق (أعجم) ، ولكنه لا يقدر على إخفاء رغباته فتظهر في سلوكه ، وتتحكّم في طبائعه ، ويدل تأقلمه مع محيطه على مقدار ذكائه (في صالون العقاد لأنيس منصور : ١١٥ و١٥٩) كما تدل محاولاته أحياناً للسيطرة على ميوله ونوازعه ورغباته وأهوائه على حسن تصرّفه لكسب رضا من حوله ، وتآلفه مع الظروف المحيطة به ، ولكن الغريزة غلاّبة ، والطباع الأصيلة لا يمكن إخفاؤها طويلاً ، فيتبدى السلوك الحيواني على علاّته دون أقنعة لأعين المراقبين والدارسين ، وقد حاول الإنسان منذ بعيد أن يتسلّل إلى داخل الحيوان ليحلّل نفسيته ويدرك الدوافع الباطنية التي تُحرّك نوازعه وتحكم طباعه وتُملي عليه تصرّفاته ، وكتاب (الحيوان) لأرسطو يرصد فيه المعلم الأول كثيراً من طبائع الحيوان عن مشاهدة ومعاينة ، وكتاب (الحيوان) للجاحظ يُظهرنا على مراقبته الطويلة بنفسه لأصناف من الحيوان ، لمعرفة طبائعها واكتشاف ميولها وتحليل غرائزها وتصوير

أخلاقها .. وسندع الجاحظ الآن وملاحظاته التي اكتسبها من خبرته العيانية ، وتحقيقاته عن الحيوان ، ورصده لطباعه وعاداته ، لنقدّم عرضاً مُتسلسلاً لما في الأدب العربي في عصوره المتوالية من الجاهلية إلى اليوم ، من محاولات الإنسان العربي لوصف الحيوان من الداخل ، وسنعود إلى الجاحظ وما كتبه عن أخلاق عدد من الحيوانات وطباعها : كالجرذان والبغال والسنانير (القطط) والكلاب والخيول ، لنُفيد مما يقوله عنها في تعليقاتنا على ما كتبه الروائي الأميركي وليم فولكنر (١٨٩٧ – ١٩٦٢) عن ذكاء هذه الحيوانات ذاتها في صفحات ثلاث من روايته (اللصوص) التي نُشرت بعد وفاته !

– ٢ –

في أدبنا القديم بعض المشاهد التي حاولت وصف الحيوان وصفاً داخلياً ، وفيها نرى الإنسان يخلع على الحيوان مشاعره ويُعيره عواطفه ويكاد يدفعه إلى التعبير عن أعماقه ، فيُنطقه بما في طوايا نفسه ، لو كان الحيوان الأعجم قادراً على النطق ، وفي معلقة عنترة العبسي أبيات عجيبة نابضة بالتآلف الوجداني بين الفارس العربي وفرسه ، وهو يخوض به معركة طاحنة ، وقد تكاثر عليه الأعداء ، وأثخنوا جبهة الفرس وصدره بالجراح « حتى تسربل بالدم » فراح يصهل صهيلاً متقطّعاً ، ويُحمحم حمحمةً تضج بالشكوى ، والعبرات تسيل على خديه ، ولو كان الفرس قادراً على النطق والكلام لحاور فارسه ولناشَدَه الكفَّ عن مواصلة الكرّ والإقدام ، والانصراف عن مواجهة الموت ، إبقاءً على حياتهما ، ولكن عنترة لا يعرف الفَرَّ والإحجام ، ولا يلوي وجه فرسه في ميدان القتال إلا بعد أن يحقّق النصر ويقضي على أعدائه :

لّمـا رأيتُ القـومَ أقبـلَ جَمعُهُـمْ   يتــذامـرونَ كَرَرْتُ غـير مُذَمَّـمِ
مـا زلتُ أرميهـم بِغُـرَّةِ وجهِـهِ   ولَبَـانـه حـتى تسـربـل بـالدَّمِ
وازورَّ من وقع القنـا بـلبـانـه   وشـكـا إليَّ بعـبرةٍ وتَحَمْحُـمِ
لو كان يدري ما المُحاورةُ اشتكى   أو كان لو علمَ الكـلامَ مُكـلِّمي

(شرح القصائد السبع الطوال : ٣٥٨ ــ ٣٦١)

ففي هذه الأبيات يخلع الفارس على فرسه جانباً من إنسانيته ، ويُعير الحيوان بعض خوالج نفسه ، وهواجس وجدانه ، والمعركة الدائرة شديدة الهول ، وقد كشّر الموت عن أنيابه الدامية فيها ليكف عن القتال من يريد الابقاء على حياته ، وهذا الحوار الشاكي الباكي بين عنترة وفرسه يمثل أهوال الحرب وإحساس عنترة نفسه بالخطر المحدق به شخصياً بعد أن تسربل فرسه بالدم وأصبح يزورُّ عن وقع الرماح المسدّدة إليه ، ويحاول أن يتحامى مواجهة نصالها بصدره : فالإنسان والحيوان هنا ــ وإن يكن عاجزاً عن الحوار والكلام ــ يمثل كلٌّ منهما طرفاً من شخصية عنترة ونفسيته ، وهما طرفان متناقضان ، ولكن النفس الإنسانية عامرة بالتناقضات ، وقد انتهت المعركة بإصدار عنترة على مصارعة الموت حتى صرعه ، وخرج بفرسه المُثخن بالجراح مُكلّلاً بغار النصر والمجد .

ــ ٣ ــ

وفي فجر الإسلام يُطالعنا القرآن الكريم بمثال نادر عن الحيوان ناطقاً كالإنسان بلغة عربية فصيحة مبينة ، فقد أعطى القرآن للنملة أبعاداً إنسانية ، فهي إلى جانب نطقها في تحذير صويحباتها من الخطر الذي يتعرّض له وادي النمل بوصول سليمان وجنوده إليه ، تبدو كائناً بعيد الغور حسنَ المعرفة والتمييز بين القائد وجنوده ، على قسط وافر من الذكاء وسداد

النظرة وثقوب الفطنة وإصابة الحكم بتعقّل وتفكّر وموضوعية ، فهي في حزمها ومطالبتها للنمل بالحذر والدخول في جحورها تلتمس العذر لسليمان وجنوده إذا سحقوا النمل بأقدامهم ، لأنهم لا يشعرون :

قال تعالى : ﴿ حتى إذا أَتَوْا على وادي النملِ قالت نملةٌ يا أيُّها النملُ ادخلُوا مساكنَكم ، لا يحطمنَّكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعرون * فتبسّم ضاحكاً من قولها وقال رَبِّ أَوْزِعْني أن أشكر نعمتَك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأن أعملَ صالحاً ترضاهُ وأدخلني برحمتكَ في عبادكَ الصالحين ﴾ [النمل : ١٨ - ١٩] . فدلّ القرآن - كما يقول الجاحظ : (الحيوان ٤/٩) - على أنَّ للنملة بياناً وقولاً ومنطقاً يفصل بين المعاني التي هي بسبيلها ، وقد وعى سليمان - وهو الذي أعطاه الله فهم لغة الحيوان ، من بين أنبيائه جميعاً - قولَ النملة في تحذير صويحباتها وأمرَها لهن بما هو أحزم وأسلم ، « فابتسم سليمان ضاحكاً من قولها ، لما رأى من بُعد غورها وتسديدها ومعرفتها » (الحيوان ٤/١٦) وأعجبه فرط ذكائها وفطنتها واحتراسها فسأل الله أن يعينه على شكر النعم الجزيلة التي غمره بها ليكون من الصالحين .

وهكذا يتبدى لنا الحيوان هنا - من خلال نملة سليمان - في صورة إنسانية ناطقة بكل ما يتطلبه العقل والحزم والسّداد والذكاء وحسن التصرف والتدبير ، وقد سمّى القرآن الكريم جحور النمل مساكن لها ، وجعل من (وادي النمل) موطناً لها ، ليتمّ التقارب بين الصورتين الإنسانية والحيوانية ، في عُرف النبوّة والمعجزة التي اختص الله بها النبيَّ سليمان عليه السلام من فهم لغة الحيوان ، كهذه النملة الحكيمة ، وذلك الهدهد الذي عاد من رحلته إلى اليمن ليُخبره بقوله : إني ﴿ أحطتُ بما لم تُحِطْ به ، وجئتُك من سبأ بنبأ يقين ﴾ [النمل : ٢٢] .

– ٤ –

وفي صدر الإسلام يسترعي انتباهنا شاعران مُخضرمان أدركا الجاهلية والإسلام ، وهما لبيد العامري والشمّاخ الغطفاني ، ففي تصويرهما للحيوان لمسات من الحس الإنساني الذي يخلعه الشاعر من ذات نفسه عليه ، ويعيره ألواناً من مشاعره . ومثل هذه اللمسات الوجدانية في الشعر القديم قليلة ونادرة .

ففي معلقة لبيد أوصاف مسهبة لأصناف من الحيوان : الناقة والبقرة الوحشية وولدها والظباء والذئاب والكلاب والفرس ، ولكن وصف الشاعر للبقرة الوحشية التي افترس السبع ولدها ينفرد بتلك اللمسات المؤثرة ، ويُبرز صورة حية من المعاناة الإنسانية في شعور تلك البقرة الأم الثكلى بالوحشة وقسوة القدر عليها ، وهي تبحث عن ولدها مستهينة بالأخطار المحدقة بها ، ومتعرضةً لنبال الصائدين وكلابهم الضارية التي تُلاحقها :

وتَسَمَّعَتْ رزَّ الأنيس فراعَها عن ظهر غيبٍ والأنيسُ سَقَامُها
فَغَدَتْ كلا الفرجَيْن تَحسِبُ أنّه مولى المَخَافَةِ خلفُها وأمامُها

(شرح القصائد السبع الطوال : ٥٦٥)

فهي تسمع صوت الإنسان الذي يحاول تطويقها ليصيدها بنباله وكلابه ، وهي تعدو لذلك مذعورة لا تعرف الطريق إلى نجاتها ، وتحسب الهلاك محيطاً بها من كل جانب ، من أمامها ومن خلفها : وهنا يبدأ الصراع المستميت بين البقرة الوحشية وكلاب الصائدين في مشهد يموج بالحياة والحركة والمعاناة ، فالبقرة أم ثكلى ، وفي تصوير استبسالها في الدفاع عن نفسها ومقاومة الكلاب المهاجمة مشاركة وجدانية تشف عن عاطفة الشاعر وإشفاقه عليها ، فقد أحاط تلك الصورة الرمزية للأمومة الثكلى في تصدّيها

للأهوال والموت في مواجهة أعدائها ، بإطار وجداني من مشاعره الذاتية ، إذ هيّأ للبقرة المحاصرة سبيل النجاة ، وجعلها توقن بأنها هالكة لا محالة إذا لم تدافع بضراوة عن نفسها ، فراحت تبقر بقرونها الحادة بطون الكلاب التي تهاجمها حتى أردتها وتركتها صرعى مضرجة بدمائها ، وانتهى الصراع الدموي بفوزها ونجاتها .

أمّا الشمّاخ الغطفاني فقد كان أوصف النآس للحُمُر الوحشية ، وكان الحطيئة لذلك يعدّه أشعرَ غطفان وأشعر العرب (الأغاني دار : ١٩٦/٢) وينقل أبو الفرج عن ابن الكلبي قوله : « أُنشد الوليدُ بن عبد الملك شيئاً من شعر الشمّاخ في صفة الحمير فقال : ما أوصفه لها ! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمَّاراً ![1] » (الأغاني : ١٦١/٩) .

وقول الوليد بن عبد الملك هذا يُشبه قول تورغنيف الأديب الروسي الكبير لصديقه تولستوي : فقد وقع نظر تولستوي وهو في صحبة تورغنيف على حصان كبير يرعى في أحد المروج ، فراح يصف لصديقه ما عسى أن يكون شعور الحصان ساعتئذ ، وأفاض تولستوي في الوصف إلى درجة رفعت تورغنيف ليقول له مُتعجباً : « إني لعلى يقين ياليونيكولافتش أنك أنت نفسك لا بُدَّ كنت ذات يوم حصاناً ! » .

فالشمّاخ في وصفه للحمر الوحشية ، وتولستوي في وصفه للحصان ، استطاعا أن يتقمّصا شخصية الحيوان ، وأجادا التعبير عن دخائل نفسه ، فأثارا الدهشة والإعجاب ، حتى ظن الوليد أن الشماخ نشأ في كنف أب كان حمّاراً ، فشب على الإلف بهذا الحيوان ومعرفة طبائعه

---

(١) وقرأ الرافعي ، « كان حِماراً » فورث الشمّاخ عنه دقة معرفته بطباع الحمار وصفاته (تاريخ آداب العرب : ١٢٥/٣) .

وعاداته ، فكـان وصفـه للحُمر عن خبرة ومعاينة وتجربة طويلة موروثة ، وحتى حكم تورغنيف بأن قدرة تولستوي على تصوير أعماق الحصان ، من داخله ، تدل يقيناً على أن الأديب الروسي العظيم كان ذات يوم حصاناً ، لكي يستطيع وصف نفسيـة الحصـان بتلك المعاناة الدقيقة التي أذهلت صديقه وجعلته يجمع بين الإنسان والحيوان في واحد !.

ـ ٥ ـ

وفي العصر الأموي يُطالعنا ذو الرمة شاعر الصحراء في عصره ، بل أكبر شاعر يتغنى بالصحراء العربية ، وكأنه يعشق كل ما فيها ، حتى حيوانها الأليف والوحشـي ، وهو مغرم بوصف حيوانات الصحراء ذلك الوصف النفسـي الداخلي ، ولا يكتفي برسمهـا رسماً ظاهرياً يقف فيـه عند وصف جسمها وحركاتها ، وهو يبث فيها مشاعر الإنسان وما يعتريه من وساوس وهواجس ، وفي وصفـه للثور الوحشـي الذي داهمتـه كلاب الصيّـادين وأحدقت به من كل جانب أحس الحيوان المحاصر بالخطر واشتد اضطرابه وقلقه ، وراح يعدو بكل قواه لِيُفلت من طوق محاصريه ، وينجو بالهرب منهم ، لو لم يراجعه شعور بعزته وكبريائه ويدفعه إلى الثبات والصمود :

حتى إذا دوّمت في الأرض راجَعَهُ   كِبْرٌ ولو شـاء نَجّى نفسَهُ الهربُ

فصمد يقاوم الكلاب ويُصارعها حتى صرعها جميعاً وترك أشلاءها الدامية فوق أرض المعركة !

لقد أثار ذو الرمة في نفس الثور الوحشي إحساسه بالكرامة وأنفته من الهزيمـة وخوفـه من الهرب وعاره ، والشـاعر يخلع بذلك على الحيوان أحاسيسـه الذاتية ومشاعره ووساوس نفسه ، حتى غذا الثور الوحشي في شـعوره بالعزة والكرامة رمزاً للبدوي وكبريائه وأنفتـه من العـار ، وإيثـاره

مواجهة الموت على الهرب من المعركة ، وأصبح الحيوان الذي أعاره الشاعر عواطف الإنسان ومشاعره وأحاسيسه يمثل جزءاً من ذي الرمة نفسه ، وهذا يفسّر سرّ إبداعه في وصفه له وقال الدارسون لوصف الحيوان في ديوانه : « إنه حديث نفس قبل أن يكون حديث حس » (التطور والتجديد في الشعر الأموي شوقي ضيف : ٢٧٩) فقد شملت أوصافه لحمار الوحش تلك المشاركة الوجدانية بينه وبين الحيوان التي تركت في شعره تلك اللمسات الإنسانية التي تميّز بها ، والتي أمدّه بها إحساسه العميق بالحيوان وحبه للصحراء وكل ما فيها .

– ٦ –

ومع نهاية العصر الأموي وقيام الدولة العباسية سادت موجةٌ من الارهاب للقضاء على الأمويين وأنصارهم ، وعمد العباسيون إلى تصفية الأمويين في مجازر دموية لتوطيد دعائم ملكهم ، وبالغوا في القسوة والبطش لسحق الحركات المناوئة لهم ، وبسط سطوة الدولة الجديدة وتعميم هيبتها واحترامها ، وفي أمثال هذه الفترات من الاستبداد والكبت يحذر الإنسان من فلتات اللسان ، ويختفي وراء الحيوان ، ويُنطقه بما يخشى أن يُصرّح به ، وهنا يصبح الحيوان رمزاً للشخصية الإنسانية التي تتخذ منه قناعاً ، تخلُّصاً من المسؤولية والملاحقة ، وإيثاراً للسلامة والعافية ، وكتاب (كليلة ودمنة) برموزه الحيوانية العاقلة الناطقة شاهدٌ على ذلك ، فهو يقرّر الحقائق بألسنة الحيوان ، وقد نقله ابن المقفع إلى العربية خلال فترة الانقلاب السياسي والفكري والاجتماعي التي شهدت انهيار الحكم الأموي وقيام الحكم العباسي ، وفي الكتاب تعريضٌ بالسلطان وحملة على بطانته من الفاسدين والمنافقين وتصوير لعيوب المجتمع ، في تلك الفترة العصيبة من حكم المنصور ، الذي « كان لا يُبالي أن يحرس ملكه بهلاك غيره » كما

يقول المسعودي (التنبيه والإشراف : ٢٩٥ – ٢٩٦) وعندما كتب ابن المقفع كتاب الأمان لعمّ المنصور الثائر عليه ، عبد الله بن علي ، امتلأ المنصور غيظاً ، واستشعر الخطر من كتابات ابن المقفع ، فأوعز بقتله !

ويُعد كتاب كليلة ودمنة من أروع ما خلّفه الأدب الإنساني من قصص تشخّص عالم الإنسان بمنطق الحيوان لأسباب كثيرة ، منها ما أشرنا إليه قبل حين من اللجوء إلى الرمز في عهود الجور ، خوفاً وتقيّةً ، ومنها أسباب فنية خالصة لصياغة الأفكار بأسلوب الحكاية والتمثيل ، ومنها أسباب تعليمية لتقديم الحكم في حكايات مُشوّقة للناشئة ، ليستظهروها ويستفيدوا من عِبَرها ومغازيها ، وفي الأدب العربي قبل كليلة ودمنة شذرات من أحاديث وحكايات على ألسنة بعض الحيوانات ، وفي أمثال العرب نماذج منها ، وفي الشعر الجاهلي نماذج أخرى ، مثل ما نجده عند النابغة من حكاية ذات الصفا (يعني الحية) في رسالة الغفران (ص٢٨٨) أو ما نجده عند أمية بن أبي الصلت في ديوانه من حكاية (الغراب الذي خان صديقه الديك) وخَلّفه رهينة في حانة خمّار ، ومثل ما نقع عليه في الشعر القديم من مشاهدة حوارية ، بين الشعراء والحيوانات التي يصفونها ، كهذا الحوار الذي يدور بين النجاشي الشاعر وذئب عرض له في سفرٍ له ، فدعاه إلى مؤاكلته ، فقال الذئب : هداك الله ، لقد دعوتني إلى شيء ولم تفعله السباعُ قبلي من مؤاكلة بني آدم ، وهو شيء لا يمكنني قبوله ، ولا أستطيع أن أفعله ، ولكن إن كان في مائك فضلٌ عما تحتاج إليه فاسقني ، فدلّه على ما بقي في دلوه من ماء ، فشرب الذئب منه ثم راح يعوي والذئاب الكثيرة الأخرى القريبة تجاوبه بعوائها ..

وماءٍ كَلَوْن الغِسْلِ قد عاد آجناً ... قليلٌ به الأصواتُ في بَلَدٍ مَحْلِ
وجدتُ عليه الذئب يعوي كأنه ... خليعٌ خلا من كُلّ مالٍ ومن أهْلِ

فقلتُ له : يا ذئبُ هل لك في فتى ... يُواسِي بلا مَنٍّ عليكَ ولا بُخْلِ
فقال : هداكَ اللّهُ للرُّشد ! إنّما ... دعوتَ لِما لم يأتِه سَبُعٌ قبلي
فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعُه ... ولاكِ اسقني إن كان ماؤكَ ذا فضلِ
فقلتُ : عليك الحوض إني تركتُه ... وفي صفْوِه فضلُ القلوص من السَّجْلِ
فطرَّب يستعوي ذئاباً كثيرةً ... وعدَّيتُ ، كُلٌّ مِن هواهُ على شُغْلِ

(أمالي المرتضى : ٢/٢١١)

فمنطق الحيوان عرفه العرب قبل أن يقرؤوا كليلة ودمنة ، كما تقول بحق الدكتورة بنت الشاطئ في تقديمها لرسالة الصاهل والشاحج للمعري (ص٣٩) الذي عمد فيها إلى تشخيص فني لعالم الإنسان في منطق الحيوان (ص٤٢) والحوار في هذه الرسالة العلائية الفريدة لا يقتصر على الصاهل (الفرس) والشاحج (البغل) بل هناك حيوانات أخرى تتدخل في الحوار الدائر ، فُرادى وجماعات ، كالضبع والفاختة والجمل والثعلب ، « وعلى هذا يعتبر الكتاب ـ كما يقول الدكتور أمجد الطرابلسي في تعريفه برسالة الصاهل والشاحج : فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : ص١٠ ـ حلقة في سلسلة ما صُنّف في الأدب العربي نثراً وشعزاً على ألسن الحيوان » .

غير أن منطق الحيوان الذي تُقدمه لنا بعض الأمثال والحكايات ومشاهد الحوار التي أشرنا هنا إليها ، والذي نجده في سلسلة الكتب المصنفة على ألسن الحيوان ، والتي تبتدئ بكتاب كليلة ودمنة وما تلاه ، لا تصف لنا الحيوان وصفاً داخلياً باطنياً ، وتكتفي من (أنسنة) الحيوان بجعله ينطق بكلام واهي الصلة بنفسيته وطباعه وميوله ، فيجيء الحوار الدائر بين الإنسان والحيوان ، وكانه حوار بين الإنسان ونفسه ، أو كأنه لو من المناجاة

لا دخل للحيوان فيها ، فكيف يكون مثل هذا الحوار وسيلة لتحليل نفسية الحيوان وتحديد ذكائه وتفسير طباعه ، وكيف يمكننا أن نجد فيه لوناً من المشاركة الوجدانية بين الإنسان والحيوان !.

هذا ما نبحث عنه في مقالتنا الحيوان في صوره الإنسانية وقد قدّمنا من قبل ما وجدناه منه ، وهو ما نجده أيضاً في قول ابن هرمة (ت ١٧٠هـ) في مدح قوم كرام ، تعوّد كلبهم رؤية الضيفان الوافدين عليهم ، فلا ينبحهم ، بل هو يرحب بهم ويحبهم ، ويكاد من حبه إياهم أن ينطق بترحيبه ، لو لم يكن حيواناً أعجم :

يكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مُقبلاً يُكلّمه من حُبِّه وهو أعجمُ

(حماسة أبي تمام : ١٥٨١/٤)

فهنا يتسلّل الشاعر إلى داخل الحيوان ، ويصف عواطفه ومشاعره نحو الضيف ، ويصف فرحه باستقباله ، ويصوّر ترحيبه به ، ويكاد يُنطقه بكلمات التأهيل والترحيب تعبيراً عن حبه ، كالإنسان الناطق لولا أنه حيوانٌ أعجم !

– ٧ –

وعندما يصبح الحيوان صورة رمزية للإنسان ، أو (معادلاً موضوعياً) له تنزاح الفروق بين الحيوان والإنسان ، ويغدو الحيوان إنساناً والإنسان حيواناً ، على النحو الذي نجده عند البحتري في وصفه للذئب عندما تصدى له في بعض أسفاره في الصحراء ، في المراحل الأولى من حياته : فقد كان الذئب الذي أنهكه الجوع ولم يُبق فيه غير العظم والجلد ، صورة للشاعر في وحشته وجوعه وبحثه الدائب عن لُقمة العيش ، وتشبثه بالحياة وحب البقاء ، وكان الشاعر ذئباً به من شدة الجوع ما بالذئب الذي

هاجمه ، وكان الجوع لدى الذئبين يزيد في ضراوتهما وصراعهما المستميت على الحياة :

طـواهُ الطـوى حتى استمـرَّ مَريرُهُ   فما فيه إلا العظم والروحُ والجلدُ
سما لي وبي من شدة الجوع ما به   ببيداء لم تُعرَف بها عيشــةٌ رَغْدُ
كلانـا بهـا ذئب يُحَدِّثُ نفسَــه   بصــاحبـه والجِدُّ يتعسُــهُ الجَدُّ

(ديوان البحتري : ٧٤٣/٢)

فهـو إذاً صراعٌ مستميت بـين ذئبـين جائعـين ، في بيداء قاحلة جرداء ، وقد حدّث كل منهما نفسه بأن يفتك بصاحبه ليتبلّغ بِمُضغة من لحمه تهدهد سَوْرة جوعه ، وجَدَّ كل منهما في مواجهة خصمه للفوز بما يُحقق أُمنيته ، ولكنّ الجِد إذا لم يواكبه الحظ أتعس الجادَّ ولم يُجْده نفعاً ، هذا ما كان يدور في داخل كل ذئب منهما : وهذا (المونولوج) الداخلي — أو المناجاة النفسية في باطن كل منهما — يكشف لنا كيف تسلّل الشاعر إلى داخل الحيوان لينقل لنا حديثه مع نفسه ، وهو صورة مماثلة من حديث البحتري مع نفسه أيضاً في تلك الليلة العصيبة التي انتهت بمصرع الذئب ونجاة الشاعر في معركته الضارية مع الحيوان الجائع المستميت في البحث عن فريسة يلتهمها ليسدّ جوعه ويسكّن قَرَمَه ويضمن بقاءه .

وللحديث عن الإنســان والحيوان في البـادية وجهٌ آخر ، ينـاقض ما شهدنا من العداوة والاقتتال بينهما حتى يقضي أحدهما على الآخر ، وهو وجه يحدّثنا عن علاقات الألفة والحب المتبادل بين الإنســان والحيوان في البوادي ، إذ تقوم بين البدوي وجمله في الصحراء علاقة إنسانية حميمة ، تحدّث عنهـا بإعجاب واحدٌ من الأطباء الفرنسيين الذين كانوا في جيش محمد علي المُرسل إلى جيزان ، واسمه تاميزيه ، فقد اتضح له أن شبه جزيرة

العرب من بلدان العالم التي تقوم فيها بين الإنسان والحيوان تلك العلاقات الأليفة :

« فالجمل هناك يلقى معاملة الصديق الحقيقي ، يتحدّث إليه البدوي في الطريق عن أجداده ، ويقطع له عهوداً ، ويُنشد له أناشيد الحب والقتال ، والجمل يُصغي إليه بانتباه كُلّي ، وللتعبير عن اللذة التي يشعر بها يضغط على شدقيه ، ويصرُّ أسنانه ، ويُدير رأسه نحو الحادي ليعيره انتباهاً أكثر ، ثم يبدو – وقد أُخذ بهذه الألحان البدوية – أنه قد نسي حِمْلَهُ [الثقيل] ، فيجتاز مسافات لا يُصدقها العقل ، ينقل أخبارَها السلفُ للخلف » .

(اكتشاف جزيرة العرب : لجاكلين بيرين – ترجمة قدري القلعجي : ٢٥٩)

– ٨ –

وقبل أن نغادر الكلام على الحيوان في العصر العباسي لا بد من وقفة لتفسير تلك الظاهرة التي استفاضت في القرن الهجري الرابع ، والتي تتمثل في اهتمام الشعراء فيه بتأبين الحيوان ورثائه ، وتعددت محاولات الباحثين لتعليل هذه الظاهرة ، وقد هالهم أن ينفق حمار بأصبهان لأبي عيسى المنجم ، فيوعز الوزير الصاحب بن عباد إلى الشعراء أن يتباروا في رثائه وتعزية صاحبه المنكوب بموته ، وقد حفظت لنا اليتيمة (٣/٢١٤ – ٢٢٩) عدداً من تلك البرذونيات التي أقام فيها الشعراء الحداد والمناحات على برذون أبي عيسى ، كقول أبي القاسم بن أبي العلاء (اليتيمة : ٣/٢١٨) :

ففي كل إصطبل أنينٌ وزفرة تَرَدَّدُ فيه بُكرةً وأصيلاً
ولو وَفَتِ الجُرْدُ العتاقُ حقوقَهُ لَما رَجَّعَتْ حتى الممات صهيلا
ولو أنصفتهُ الخيلُ ما ذُقنَ بعدَهُ شعيراً ولا تبناً ومتنَ غليلا

فقدتَ أبا عيسى بِطِرْفكَ مركباً   جليلاً وخِلاً ما علمت نبيلا

وكقول أبي دلف الخَزرجيّ من أرجوزة طويلة (اليتيمة : ٣/٢٢٤) تحدّث فيها عن أخلاق الفقيد الرضيّة وطباعه وتهذيبه :

قد كملت في طبعه الآدابُ   وهُذِّبتْ أخلاقُه العذَابُ
ذو نَسَبٍ تحسده الأنسابُ   ومَيْعَة ينزو بها الشَبابُ
كأنّما غُرّتُه شهابُ   وقد غدا الاصطبل والجنابُ
يبكيكَ والسائسُ والبّوابُ   والسَّرْج واللجامُ والرِّكابُ

وفي هذه المراثي الحيوانية لمسات إنسانية تجعل من البرذون صديقاً (خِلاً) لصاحبه في حياته ، وتصف طباعه المهذّبة وأخلاقه العذبة التي كان يتصف بها ، وتتحدث عن عراقة نسبه ونشاط شبابه وإشراق غرته ، ولكن الشعراء قد غلّفوا تلك اللمسات الإنسانية المؤثرة بروح من السخر والدعابة تفضح غايتهم من رثائهم ، فهم يهزلون ويتماجنون ، ومن هنا فُسّرت الظاهرة كلها تفسيراً يربط بين تيار المجون في العصر العباسي – التيّار الفكاهي الهازل – وهذا اللون من الرثاء ، أما الدكتور طه حسين فيعد البرذونيات من قبيل استفاضة الشعر في ذلك العصر ، وكثرته وانحداره وقوله في كل غرض . (تجديد ذكرى أبي العلاء – المقدمة) . وقد شُهر القاسم بن يوسف بأشعاره في رثاء الحيوان ، فله قصيدة في (٤٧ بيتاً) في رثاء عنزٍ له سوداء ويعدّه الصولي أشعر المحدثين في هذا اللون من الرثاء ويقول إنه « أشعر في فنّه الذي أعجبه من مراثي البهائم من جميع المحدثين ، حتى إنه لرأسٌ فيه مُتقدِّمٌ جميع من نحاه » (الأوراق : أخبار الشعراء : ١٦٤ – ١٦٦) ويروي له القصائد الطويلة في رثاء الهرة (ثلاثون بيتاً : ص١٧٢ – ١٧٣) ورثاء الشاه رُخ (وهو جنس طير ، في ثمانية وثلاثين

بيتـاً : ص١٧٦ – ١٧٨) ورثـاء القُمْـري (في تسعـة وثلاثين بيتـاً : ص١٩٣ – ١٩٥) . ولأبي الفـرج الأصـبهـاني – صـاحب الأغاني – قصيـدة مشهورة في رثاء ديك ، تُعد من أجمل ما قيـل في مراثي الحيوان (نجدها في نهاية الأرب : ١٠/٢٣٠ – ٢٣١) وصف فيها فجيعته بديك كان يألف قُربه ، ويُعجب بشمائله وجمال مظهره وكمال حسنه وبديع وشيه ونعومة صوته ونغمة موسيقاه :

لهفـي عـليكَ أبـا النـذير لو آنّهُ ... دفعَ المنـايا عنكَ لَهْفُ شـفيقِ
وعـلى شمـائـلكَ اللواتي مـا نَمَتْ ... حتى ذَوَتْ من بعدِ حُسْنِ سُمُوقِ

.....

وكُسيتَ كالطاووسِ ريشاً لامعاً ... مُتـلألئـاً ذا رونق وبَـريقِ
وخَطَـرْت مُـلتحفـاً بِبُرْدٍ حبَّرَتْ ... منـه بـديعَ الوشْـيِ كفُّ أنيقِ
وكأنَّ سـالِفَتَيْكَ تِبْرٌ سـائـلٌ ... وعـلى المفـارِقِ منكَ تـاجُ عقيقِ
وكأنّ مجرى الصوتِ منك إذا نَبَتْ ... وجَفَتْ عن الأسمـاعِ بَحُّ حُلُوقِ
نـايٌ دقيـقٌ نـاعـمٌ قُرِنَتْ بـهِ ... نَغَـمٌ مؤلَّفَـةٌ من المـوسـيقي
أبكي إذا أبصرتُ رَبْعَك مُوحِشاً ... بِتَحَـنُّـنٍ وتـأسُّف وشـهيـقِ

وفي حزن أبي الفرج على ديكه وحسن شمائله وبُكائه من وحشته إليه وحنينه إلى ذكراه وأسفه على فقده لمسـات إنسانية ووجدانية تشف عن صدق العاطفة والمشاعر التي كان أبو الفرج يكنها في نفسه للديك الراحل .

ويمكننـا أن نعدَّ قصيدة أبي بكر بن العـلاف (٢١٨ – ٣١٨هـ) الدالية في رثاء الهر أشهر وأطول قصيدة في رثاء الحيوان وصـلت إلينا من العصر العباسي ، وقد أوردها صاعد البغدادي في كتاب الفصوص في (٧٣ بيتاً) وقال ابن خلّكان « هي من أحسن الشعر وأبدعه ، وعددها (٦٥

بيتاً) وطولها يمنع من الاتيان بجميعها ، فنأتي بمحاسنها – واختار منها (٤٣) بيتاً عدها زبدة القصيدة – » وهي الأبيات التي نجدها عند الدميري (حياة الحيوان : ٣٨٦/٢) أما النويري فيورد منها (٥٢ بيتاً) (نهاية الأرب : ٢٩٣/٩) ويورد الصفدي (٤٢ بيتاً) (نكت الهميان : ١٣٩ – ١٤٢) ويُقدّم لها بقوله :

« كان لأبي بكر هرٌّ يألفُ به ، وكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها ، وكثر ذلك منه ، فأمسكوه وذبحوه ، فرثاه بالقصيدة التي اشتهرت ! وقد قيل إنه رثى بها عبد الله بن المعتز ، وخشي من الإمام المقتدر أن يتظاهر بها ، لأنه هو الذي قتله ، فنسبها إلى الهر ، وعرَّض به في أبيات منها لِصُحبة كانت بينهما؛ وقيل إنما كنى بالهر عن المُحسّن بن الفرات أيام محنته ، لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه ؛ وقيل إن جارية لعلي بن عيسى هويت غلاماً لأبي بكر ففطن بهما فقتلا جميعاً ، وسُلخا وحُشيت جلودهما تبناً ، فقال مولاه أبو بكر يرثيه :

يا هرُّ فارقتنا ولم تَعُدِ وكنتَ فينا بمنزلِ الولدِ إلخ... »

وهكذا نقع على تفسير جديد لظاهرة رثاء الحيوان في العصر العباسي ، وهو تفسير رمزي تُقدّمه دالية ابن العلاف هذه التي أمعن الشاعر في إخفاء رمزه حتى غُمَّ على القُراء أمرُه ، وقال الصفدي بعد أن أورد من القصيدة ما أورد : « قلتُ : وأنا شديد التعجب ممّن يزعم أن هذه القصيدة رثى بها غير هرّ ! » وفي مقالة للدكتور عبد الكريم اليافي عن (الرمز في الشعر العربي) تصدى فيها لدالية ابن العلاف ورأى أنه يصعب القطع في صفتها الرمزية ، إذ « لا يظهر فيها إلا أوصاف الهر » (دراسات فنية في الأدب العربي : ٢٥١ – ٢٥٢) .

والحقّ أننا لا نُحس في الدالية بذلك الحزن العميق الصادق على هر كان للشاعر بمنزلة ولده ، وقد رأى جيرانه يمسكون به ليخنقوه ويذبحوه ويحشوا جلده تبناً ، انتقاماً لفراخهم التي كان الهر يُغير عليها في بُرجهم ويلتهمها ، وقد غطى الشاعر جفاف عاطفته وفقر مشاعره بإيراد حكم كثيرة كلها لومٌ وتأنيب للهرّ على بغيه وعدوانه وشرهه الذي أودى بحياته :

ألم تخف وثبـــةَ الزمـــانِ كما ... وثبتَ في البُــرج وثبــةَ الأســـدِ
عــاقبـــةُ البغـي لا تنـــام وإنْ ... تـــأخـــرت مُـــدةً من المُـــدَدِ
أردتَ أن تـــأكل الفـــراخ ولا ... يـــأكُلك الدهرُ أكلَ مُضـــطهـدِ
لا بـــارك اللهُ في الطـعـــامِ إذا ... كان هـــلاكُ النفـــوسِ في المِعَـدِ
كم أكلةٍ خـــامرت حشـــا شَـــرِه ... وأخـــرجت روحَـــهُ منَ الجَسَـــدِ
مـا كان أغنـــاكَ عن تَسَـوُّرِكَ الـ ... ـبُـــرْجَ ولو كانَ جَنّـــةَ الخُلْدِ
قــد كنتَ في نعمـــةٍ وفي رغـدٍ ... من العـــزيـز المهـيـمنِ الصَّمَـدِ
تـــأكلُ من فـــأر بيتـنـــا رغـداً ... إلخ............................

ومع ذلك نالت هرّية ابن العلاف إعجاب معاصريه ، وعارضها ابن العميد بقصيدة لامية نجد في اليتيمة أبياتاً منها (اليتيمة : ١٧٩/٣) ، وعدّها ابن خلكان كما رأينا من أحسن الشعر وأبدعه !

— ٩ —

لقد فاز الحيوان في العصر العباسي بدراسات متفاوتة الحظ من الصبغة العلمية ، وتحدّث أصحابها عن طباع الحيوان وخصائصه ، على أساس الملاحظة والاختبار والمعاينة ، كالذي يُطالعنا به (كتاب الحيوان) للجاحظ ، وإخوان الصفاء في بعض رسائلهم ، والتوحيدي في بعض ليالي (الامتاع والمؤانسة) ، وقد حاول التوحيدي تحديد الصلة بين الحيوان

والإنسان بقوله : « إنّ أخلاق الحيوان الكثيرة مؤتلفة في نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صفو الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوانُ كَدَرُ النوع الذي هو الإنسان » وبسبب هذه العلاقة الأصيلة بين الحيوان والإنسان رأى التوحيدي أن الإنسان يجمع من خصال الحيوان ألواناً ، وصار يستكثر منها بالفطرة والفكر والعقل ، وبمزية العقل فضل الإنسان جميع الحيوان وصار يُسخّره في أعماله ومنافعه وحاجاته (الامتاع والمؤانسة : ١/١٤٣ — ١٤٤) وبعد العصر العباسي وما تلاه من عصور الدول المتتابعة أصبح الاهتمام بموضوع الحيوان كبيراً في الأدب الشعبي وأصبحت العلاقة بين الحيوان والإنسان تخضع لعوامل التسلية والتشويق والوعظ في القصص الحيواني الذي يتخذ الحيوان في بعضه صورة الإنسان عن طريق التشخيص فإذا هو ينطق بلسانه ، ويُبين عما في داخله من أفكار ورغبات ، ومحدّثه يفهم عنه ويحاوره ويكلّمه ، أو يتخذ الإنسانُ في بعضه الآخر صورة الحيوان عن طريق السحر والتعاويذ والقوى الخارقة ، وهنا يصمت المسحور ويقوم الحوار بين الناس حوله عنه ، وهم يعلمون أنه إنسان حوّله السحر إلى حيوان ، وفي كتاب (ألف ليلة وليلة) نماذج كثيرة لهذا القصص الحيواني الشعبي الذي تختلط فيه الفواصل بين الحيوان والإنسان في الصور والمعاملات ، والذي يرفع الخيال فيه الحواجز بين عالم الإنسان وعالم الحيوان ، ممّا يفتن عقول العامة ، ويعدّ الباحثون قصة (الحمار والثور مع صاحب الزرع) خير ما يمثل موضوع الحيوان في (ألف ليلة وليلة) فقد أراد الحمار أن ينقذ الثور من شقائه فيما يلقاه طوال النهار من تعب الحرث ، فإذا به يحِلُّ محلَّه في تحمل الشقاء ، وعادت الحيلة التي علّمها للثور بالشرّ على مُدَبّرها ، وقد سمع صاحب الزرع كلام الحمار والثور وفهم الحيلة التي دبّرها الحمار في نصحه للثور بأن يتمارض ويتخاذل ويمتنع عن تناول عليقه ،

فأراح الزارع ثوره وساق حماره إلى حراثة الأرض بدلاً عنه ، إلى آخر القصة الطويلة ، التي تبرز سِمَتُها الحيوانية الإنسانية المشتركة في تآمر الحيوان على الإنسان وتدبيره الحيلة للتغلّب عليه ، وإحباط الإنسان للمؤامرة بسبب فهمه لغة الحيوان (ألف ليلة وليلة للدكتورة سُهير القلماوي : ٢٠٣ – ٢٠٤) وفهم المزارع للغة الحيوان هنا لا يعني أن الرجل قد عُلِّم منطق الحيوان ، مثل سيدنا سليمان ، بل يعني أن الرجل على وعي بطباع الحيوان وأخلاقه ، وقد تسلّل إلى باطنه ليزداد معرفة بدخائل الحيوان ونوازعه ، ويفهم دوافع رغباته وتصرّفاته ، ويُحبط تآمره عليه .

وفي (حياة الحيوان) للدميري (– ٨٠٨هـ) تصوير لطبائع الحيوان وخصائصه تختلط فيه الحقائق العلمية التجريبية بالخرافات والأساطير والمعتقدات الشعبية ، وتُسند كثير من الأخبار المروية فيه إلى الأئمة الكبار الذين لا يعقل أن تصدر عنهم ، وهذا نموذج يُغني عن ذكر غيره : « روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ البغال كانت تتناسل ، وكانت من أسرع الدواب في نقل الحطب لِنار إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، فدعا عليها فقطع الله نَسلها! » (حياة الحيوان للدميري : ١/١٤٢) .

– ١٠ –

والحديث عن (الحيوان إنساناً) في أدبنا العربي الحديث : شعره ونثره ، حديث يطول إذ لا يكاد يخلو ديوان من دواوين الشعراء الكبار في عصرنا من قصائد عن الحيوان (تؤنسنه) وتمنحه الشخصية الإنسانية الناطقة عما في باطنه من أفكار وميول ورغبات ، أو تتخذ منه رمزاً لما لا تستطيع الإفصاح عنه بحرية وانطلاق ، أو تُدير معه حواراً يُبرز تعدّد

وجهات النظر ، أو تجعل من الحديث عنه حكاية تعليمية فيها الحكمة والعظة والاعتبار لمن يرويها ، وحسبنا أن نشير إلى بعض النماذج التي تمثل هذه الألوان من (أنسنة) الحيوان :

١ – فهذا أمير الشعراء شوقي يتخذ من (الكنار) رمزاً للمرأة في قضية السفور والحجاب التي كانت تشغل المجتمع المصري في أيامه ، ولنُصغ إليه وهو يخاطب الكنار الحبيس في قفصه ، ويتوجّع له : (الشوقيات : ١٧٦/١)

صدّاحُ يا مَلِكَ الكنا ـرِ ويا أميرَ البُلبُلِ

....

يا ليتَ شعري يا أسيـ ـرُ شجٍ فؤادُكَ أم خلي
بالرغم مني ما تُعا لجُ في النحاس المُقفلِ
والقيدُ لو كانَ الجُما نَ مُنظَّماً لم يُحْمَلِ
صبراً لِما تشقى به أو ما بدا لكَ فافعل إلخ...

وقد لجأ شوقي إلى الرمز لأنه لم يكن يملك حرية التعبير عن رأيه بصراحة يوم نظم القصيدة ، وأغلال القصر تكبّله ، فلما تخلّص من تلك الأغلال جأر بالدعوة إلى السفور وحرية المرأة المصرية : (الشوقيات : ٢٠٨/٢ – ٢١١)

قُل للرجال طغى الأسيرْ طيرُ الحجال متى يطيرْ
أوهى جناحيه الحديـ ـدُ وحزَّ ساقيه الحرير
ذهب الحجابُ بصبره وأطال حيرته السفور
حريةٌ خُلق الإنا ث لها كما خُلق الذكور إلخ...

ولا بد من الإشارة إلى حكايات الحيوان التعليمية التي نهج شوقي

فيها نهج لافونتين في خرافاته عن الحيوان (Les Fables) . والناشئة في كل قطر عربي يحفظون الكثير من حكايات شوقي تلك ، ويعدّها المربون ذخيرة ثقافية تعين على تكوين الناشئة وتزويدهم بالحكمة بذلك الأسلوب الرمزي الممتع المُشوّق لهم .

٢ – وهذا ولي الدين يكن يمنح (الديك) لمسة إنسانية فيجعله (شاعر الفجر) الذي يهيج بصياحه الأطيار عند الصباح ، وهو واقف على ربوة « مستقبل دولتَه بالصياح » وهو يختال تيهاً في حلة ريشه ، ويصفّق بجناحيه ، والعُرف على رأسه مثل التاج الملكي ، أحمر كجمرة النار التي تؤج في يد مُقتبسها عند اشتداد هبوب الرياح :

ما هاجَ في الأطيار هذا النُواحْ ... روضٌ أريضٌ وغميرٌ قراحْ
تبكي على أعقاب ملك الدجى ... أم هلّلتْ من فرحٍ بالصباحْ
وشاعرُ الفجر على ربوةٍ ... مستقبلٌ دولته بالصِّياحْ
يختالُ في حُلّةِ أرياشهِ ... يضرب تيهاً بالجناح الجناحْ
يضطرب العُرفُ على رأسه ... كتاج ملكٍ في مجالِ الكفاحْ
أحمر كالجمرةِ يسعى بها ... مقتبس عند اشتداد الرياحْ

وفي ديوانه مرثية لكلبه (جوجو) تصف حزن الأسرة كلها عليه ، ويتعهد الشاعر بموالاة البكاء عليه حتى تجف دموعه ، بلهجة صادقة وعاطفة جياشة :

ترحَّلَ (جوجو) فلا يرجعُ ... وعزَّ العزاءُ فما نصنعُ
سأبكي عليه إلى أن تجفَّ ... بعينيَ من سكبها الأدمعُ إلخ...

(ديوان ولي الدين يكن : ١٠٥ و١١٩)

٣ – ومثل هذه النزعة الإنسانية الحانية على الحيوان (والكلب

خاصـة) نجدها عند عباس محمود العقاد في رثائه المؤثر الحزين لكلبه (بيجو) ، وقد تفجّع عليه تفجُّع الصديق على الصديق : (ديوان أعاصير مغرب : مع العقاد لشوقي ضيف : ١٧٠)

حُزناً على (بيجو) تفيضُ الدُّموعْ   حُزناً على (بيجو) تثورُ الضلوعْ
حُزناً عليهِ جهدَ ما أستطيعْ   وإن حُزناً بعد ذاك الولوعْ
واللهِ – يا بيجو – لحزنٌ وجيعْ

ويرى شوقي ضيف (مع العقاد : ١٤٣ و١٥٨) أن العقاد « يتعاطف مع عالم الطير تعاطف الحي مع الحي ، تعاطفاً يمتزج بالحنان ، على نحو ما نرى في قصيدته (الكروان) وهي من فرائد قصائده التي نظمها في هذا الطير الشادي ليلاً بأغانيه وترنياته الشجية :

هل يسمعون سوى صدى الكروان   صوتاً يرفرف في الهزيع الثاني

ويتجلى في القصيدة امتزاج العقاد بروح الكروان ، وهو يخاطبه بقوله :

أنا لا أراكَ وطالما طرق النهى   وحيٌ ولم تظفر به عينانِ
أنا في جناحكَ حيث غابَ مع الدُّجى   وإن استقرَّ على الثرى جُثماني
أنا في لسانكَ حيث أطلقه الهوى   مرحاً وإن غلبَ السرورُ لساني
أنا في ضميركَ حيث باح فما أرى   سرّاً يُغيبُهُ ضميرُ زماني
أنا منكَ في القلب الصغير مُساجلٌ   خفق الربيع بذلك الخفقانِ
أنا منكَ في العين التي تهبُ الكرى   وتضنُّ بالصَحَواتِ والأشجانِ

(فاتحة قصائد ديوانه « هدية الكروان » : مع العقاد : ١٥٨)

وفي قصيدة (العقاب الهرم) يصور الشاعر عقاباً هرماً استبد به ضعف الشيخوخة فبات لا يستطيع نُهوضاً ، وعجز جناحاه عن حمله ،

وأصبح يأسى على نفسه ، وهو مكبٌّ على الثرى ، يُغمض عينيه حيناً ، وكأنه يرى الموت منقضاً عليه ، أو كأنه يحلم بصولة ماضيه ، وإذا أدفأته الشمس أغفى وربما توهم أنها صيد ميسور يسد بمضغة منه جوعه ، كما كان يتوهمها وهو عقاب صغير (هيثم) ، ولا يكتم الشاعر عطفه وشفقته على مأساته :

يَهُمُّ ويُعييه النهوضُ فيجثُمُ ... ويعزم إلا ريشُه ليس يعزم
ويثقله حمل الجناحين بعدما ... أقلاّه وهو الكاسرُ المُتقحِّمُ
ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى ... مُقضًّا عليه أم بماضيه يحلم
إذا أدفأته الشمسُ أغفى ورُبّما ... توهّمها صيداً له وهو هيثم
لعينيكَ يا شيخ الطيور مهابةٌ ... يفرُّ بغاث الطير عنها ويهزم
وما عجزت عنك العداةُ وإنما ... لكل شباب هيبةٌ حين يهرم

والتصوير النفسي لهذا العقاب الشيخ الذي حطمت قواه السنون ينقل ما في نفس الشاعر من تعاطف مع الحيوان البائس ، فهو يعزيه عن شيخوخته وعجزه بأن مهابته التي لا تزال له تجعل بغاث الطير تخاف سطوته وتخشى بطشه (مع العقاد : ١٤٣ – ١٤٤) .

٤ – وقصيدة (العقاب الهرم) تقودنا إلى قصيدة مماثلة لعمر أبي ريشة عنوانها (نسر) وهو نسر جريح ، أشلاء نسر ، أوْهى الضعف مخلبيه ، وأدمى المقدور منكبيه ، فتناثر ريشه ، وهوى من الذرا التي كان يحلّق فيها ، ويُقيم وكره المنيع ، إلى السفوح الدانية ، وقد تكسّرت أجنحته وانطوت ، وانهارت مطامحه ، وأصبحت عصائب الطير التي تألف السفوح تحوم من حول النسر العاجز ، وتنفّره وتؤذيه ، وهي ترى وهن مخلبيه وجراح منكبيه ، وما تبقى له من وقار موروث عن أجداده النسور من قديم

الدهور : (من عمر أبو ريشه – شعر :١٩٣٠ – ١٩٦) .

أصبح السفحُ ملعباً للنسورِ فاغضبي يا ذُرا الجبال وثوري

....

لملمي يا ذرا الجبال بقايا النْـ نسر وارمي بها صدور العُصور
إنه لم يعد يُكحّل جفن النْـ نجم تيهاً بريشه المنثور
هجرَ الوكر ذاهلاً وعلى عَيْـ نيهِ شيءٌ من الوداع الأخيرِ
هبط السفحَ طاوياً من جناحيـ ـهِ على كُلّ مطمحٍ مَقبورِ
فتبارَتْ عصائب الطير ما بَيْـ نَ شَرُود من الأذى ونَفُورِ
لا تطيري جوّابةَ السفح فالنّسـ ـر إذا ما خبرتِهِ لم تطيري
نَسَل الوهنُ مخلبيه وأدمتْ منكبيه عواصفُ المقدور
والوقار الذي يشيعُ عليه فضلةُ الإرث من سحيق الدهور

وفي البيت الأخير يلتقي عمر أبو ريشة بالعقاد في تصوير (مهابة العُقاب) و(وقار النسر) على ميعاد ، ولكن أبا ريشة يُتابع وصف نسره العجوز : فقد وقف النسر المحطم البائس جائعاً يتلوى فوق أشلاء جيفة ليسدّ جوعه ، وعجاف البغاث تدفعه باستخفاف واستهانة لتفوز لنفسها بتلك الأشلاء ، فجن جنونه ، وثارت كبرياؤه ، وترك لها طعامه ، ومضى يسحب جاهداً أنقاض هيكله المتداعي ، متحاملاً على نفسه ، عائداً إلى الذروة التي كانت تشهد تحليقه ، وهوى على وكره فيها جُثّةً هامدة !

وقف النسر جائعاً يتلوّى فوق شِلْوٍ على الرمال نثيرِ
وعجَافُ البُغاث تدفعه بالـ ـمخلبِ الغضّ والجناح القصيرِ
فسرت فيه رعشةٌ من جُنون الـ ـكِبر واهتزّ هزّة المقرورِ
ومضى ساحباً على الأُفق الأغـ ـبَرِ أنقاضَ هيكلٍ منخورِ

وهوى جُثّـةً على الذورة الشمْـ ـماءِ في حضنِ وكره المهجورِ

ويختم أبو ريشة قصيدته ببيت يكشف عن الرمز الذي يغلّف صورة النسر المُحطّم الجريح : فقد كنى الشاعر بذلك النسر عن نفسه ، وانهيار طموحه وانحداره من القمة التي تليق بعبقريته وموهبته ، إلى السفوح الذليلة التي يلقى فيها الاستخفاف والاستهانة من الصغار ، وهو صابر على هدر كرامته وتحطيم كبريائه ، فيسأل النسر العائد إلى الذروة ، ليموت في وكره فيها ، وهو في الحقيقة يسأل نفسه ، وفي أعماقه موجة عارمة من الحزن على وضعه المُهين :

أيها النسـر هـل أعودُ كما عُدْ تَ أم السفحُ قد أمات شُعوري !

فالنسر هنا هو الحيوان إنساناً ، هو الشاعر نفسه الذي يثور على رضاه بالحياة في السفح ، وهو جدير بأن يحلّق في القمم ، وتؤهله موهبته للحياة في الذرا الشُمّ التي لا تخفق فيها غير أجنحة كبار الموهوبين ، ولم يكشف الشاعر عن رمزية القصيدة إلا في خاتمتها لتخلّف لمسته الإنسانية أثرها في وجدان القارئ : ففي تصوير النسر خلجات نفس ونبضات قلب ومشاعر كبرياء وإحباط ، رسمها أبو ريشة في إطار من الخيال والظلال والألوان ، بطريقته الفنية التصويرية وأسلوبه الرمزي ورؤيته الذاتية المتدفقة بغنى عاطفته وحرارة انفعاله ووقدة إحساسه وجموح خياله وجدّة تعبيره .

٥ – وتعبير الشعراء في الأدب المعاصر عن أنفسهم وتجاربهم بصور رمزية يستعيرونها من عالم الحيوان (ومن عالم الطير خاصة) ظاهرة نقع على نماذج لها في دواوينهم ، ونكتفي بثلاثة شواهد من شعر ثلاثة من الشعراء أولهم خير الدين الزركلي في اتخاذه (عصفورة النيربين) وسيلة لنقل حنينه الذي يذيب شغاف قلبه إلى وطنه وهو مبعد عنه :

عصفورة النيربينِ غَنّي واروي حديث الأنين عنّي
أنا المعنى وما المُعنّى غير حنين أذاب مني
شفاف قلبي وحسن ظني

(الشعر الحديث في الإقليم السوري : ١٨٠)

وثانيهم شفيق جبري في مقارنته نفسه ، وهو في قبضة همومه وأغلال شجونه ، بـ (حمام الزيزفون) الحرّ الطليق السراح : (أنا والشعر : ٣٥)

شتّانَ ما قلبي وقلـ ـبُك يا حمامَ الزيزفونِ
أنت الطليق فما تزا ل من السهول إلى الحُزونَ
وأنا المُبرَّح بالسلا سل مثل تبريح السجين
وتقيكَ أطرافُ الجبا ل أذى النبال فمن يقيني
تطوي السماء فترتوي من كل واطفة هَتُونِ
وأن إذا انقطع السحا بُ رويتُ قلبي من شُؤوني
ما لي خدينٌ مُؤنسٌ كيف الحياةُ بلا خدينِ
وأحنُّ في غسَق الظلا م إلى الهوى دأبي حنيني

وثالثهم محمد محمود الزبيري الشاعر اليمني الثائر الذي شارك في ثورات بلاده وعرف التشرّد عن وطنه والتغرّب في الأرض ، فاستبدّ به الحنين ، إلى وطنه البعيد فانطلق ينوح على نفسه : (ثورة الشعر : ديوان الزبيري)

أنا طيرٌ حطّم المقـ ـدورُ عُشّي وجناحي
ورماني في نُثا ر من دُموعي ونُواحي
وحُطامٍ من بقايا وطنٍ غيرِ صِحاحِ
ذهبت آهاتي السو داءُ أدراجَ الرِّياحِ

لم أجد سمعاً فأفرغـ ـتُ أنيني في جراحي
وتنبَّهْتُ على أنـ ـقاضِ عُشٍ مُستباحِ
واغترابٍ بين غابا تٍ مخيفاتٍ فِساحِ
لا أرى إلاّ ظلاماً في غُدوّي ورَواحي
سُدَّتِ الطرقُ إلى عُشّـ ـيَ من كل النواحي
آهِ ماذا تصنعُ الآ هاتُ في البيدِ الشحاحِ
تَعِسَ الدمعُ إذا لم يستطع فكَّ سراحي
البُكا أعجزُ ما استخـ ـدمتَ في كسب النجاحِ

ولا تحتاج هذه الشواهد إلى تعليق ، وحسبنا أن نُشير إلى النغمة الإنسانية التي تشيع فيها ، وإلى شفافية الرمز التي تمنح الصور تلاوينها المشرقة ولمساتها الغنائية الوجدانية المؤثرة .

٦ – ولا ينفرد الشعراء المحدثون وحدهم بـ (أنسنة) الحيوان ، فقد شاركهم الكتاب الناثرون في تشخيص الحيوان وإنطاقه والتعبير عن طريقه عن أفكارهم ورغباتهم تعبيراً رمزياً يمنح أسلوبهم مزيداً من عناصر الجمال الفني والتشويق والتجديد ، كالذي نجده في (مذكرات دجاجة) للدكتور إسحاق موسى الحسيني ، و(حمار الحكيم) لتوفيق الحكيم ، و(جنة الحيوان) للدكتور طه حسين ، وقد لاقت (مذكرات دجاجة) في أوائل الأربعينيات من هذا القرن شهرة ورواجاً ، وقدّمها الدكتور طه حسين إلى القراء بقوله : « هذه دجاجة عاقلة جد عاقلة ، بل هي دجاجة مفلسفة تدرس شؤون الاجتماع في كثير من التعمّق وتدبّر الرأي » والحق أن هذه المذكرات كتبت قبل وقوع النكبة عام ١٩٤٨ بخمس سنوات ، وكاتبتها الدجاجة العاقلة الحكيمة لها مبادئها ، فهي تكره العنف وتحضّ على

السلم ، وتنشر روح العدل ، وتدعو إلى الحق ونبذ الجور والخصام ، وهي تقف من اجتياح الغرباء لمأواها موقف الفيلسوف المتأمل المفتون بالمثل العليا ؛ وبعد أن حلّت النكبة بالدجاجة الفلسطينية وشاهدت المذابح والمجازر التي أقامها الصهيونيون في وطنها ، تُرى هل بقيت لها فلسفتها المسالمة ، وهي ترى موجات الغرباء المهاجرين الوافدين على فلسطين ليجعلوها وطنهم القومي ودولتهم ، بالحديد والنار ، ويسلبوا الدجاجة العاقلة المسالمة مأواها ويطردوها منه لتصبح مشرّدة في أرجاء الأرض ! لقد كان على الدجاجة الفلسطينية المشرّدة أن تكتب الجزء الثاني من مذكراتها بعد حلول الكارثة ، ولكنها لم تفعل !

ولأحاديث الحيوان عن نفسه ومشاعره طرائف نجدها عند بعض كبار أدبائنا الكتاب ، مثل مصطفى صادق الرافعي الذي تطالعنا بعض مقالاته التي يضمها (وحي القلم) بنماذج مذهلة تدل على مقدرة عجيبة في تقمص الشخصية الحيوانية ، والتغلغل إلى أعماق أسرارها النفسية ، كمقالته حديث قطين : (وحي القلم : ١/٤٠ – ٤٨) التي يُدير الرافعي فيها الحوار بين قطين : قط نحيف هزيل طاوي البطن بارز الأضلاع كأنما همّت عظامه أن تترك مسكنها من جلده لتجد لها مأوى آخر ، وقط سمين تبدو عليه آثار النعمة « وهو يموج في بدنه من قوة وعافية ، ويكاد إهابُه ينشقّ سمناً » أو مقالته حديث خروفين (وحي القلم : ١/٥٤) التي يُدير فيها الحوار بين خروفين من أضاحي العيد : كبش كبير أقرن وخروف صغير مرح ، وقد أنطق الرافعي كل واحد بكلام يصوّر ما يهجس في داخله ليلة العيد : فالكبش مضطرب تركبه الهموم ، وهو يعلم ان شفرة الجزّار ستحزّ عنقه في ضحى اليوم التالي ، فهو لذلك منكمش على نفسه ، ولا يُقبل على التهام علفه ، وقد أطرق برأسه حزناً ، فهو لا يتحرّك ولا يثغو ، أما الخروف

الصغير فكان يتوثب مرحاً ونشاطاً ، ويرسل ثغاءه الذي لا ينقطع مقبلاً على الكلأ يخضمه بشهية ، وهو غرٌّ لا يدري ما ينتظره عند الصباح ، فيقول له الكبش محذراً : « ويحك يا أبلهُ .. إنك لو علمتَ ما أعلم لما اطمأنّت بك الأرض ، ولرجعتَ من القلق والاضطراب كحبة القمح في غربال يهتزُّ وينتفض ! » .

لقد كان الرافعي أقدر كتابنا وأكثرهم موهبة في تصوير (الحيوان إنساناً) ، وله حكايات من قصص الحيوان نهج فيها نهج كليلة ودمنة ، وهي تعبق بروح من السحر الفني والنقد اللاذع والقدرة الخارقة على توليد الأفكار التي يضعها على لسان الحيوان . فتبرز شخصيته وتنم على دخائل نفسه .

(حياة الرافعي لسعيد العريان : ١٣٥ ـ ١٣٦)

ومن طرائف أحاديث الحيوان عن نفسه تلك الابتهالات التي يصور بها الكاتب اللبناني الكبير أمين نخلة (صلاة العنز في الريف) وهي ابتهالات عامرة بالتقوى والخشوع لله ، ربّ الإنسان والحيوان ، وقد تسلل الكاتب إلى باطن العنز لينطق الحيوان بالدعاء ، وصوّره ساجداً على ركبتيه ، خافضاً من التذلل والخشية قرنيه ، منادياً ربه بلهفة وانكسار :

« ربِّ سجدتُ لك على ركبتيّ ، وخفضتُ قرنيَّ هذين من فرط الخشية ، فامسحِ الأرض عُشباً وورقاً أخضر ، وأطلق حياضَ الماء ، واملأ الصهاريج ، ومُدَّ بساط الظلّ في أذى الهواجر !.

ربِّ ، واجعل قلوب الرغيان تخفق من رحمة ، وعِصِيِّهم تملس من ليان ، وقصبات مزاميرهم تسيل من طرب !.

ويا ربِّ أسألكَ بالغمام إذا نهض ، والغيث إذا سقط ، وبهذه

اللُجج من الخضرة ألا تُرسل بي إلى المدينة ! آمين » .

(المفكرة الريفية لأمين نخلة)

فهذه الصلاة الخاشعة للعنزة الريفية ترفع الدعاء إلى الله أن يُنعم على العنز في الريف بالمراعي الخضر والظلال الظليلة والمياه الجارية ، وأن يُلهم قلوب الرعاة أن تلين رحمة وحناناً ، وأن تلين عِصِيُّهم التي يهشّون بها عليها ، وأن يملأ قلوب مالكيها رأفةً بها ، فلا يرسلوا بها إلى المدينة حيث تنتظرها هناك سكّين الجزار !.

– ١١ –

وهكذا نصل الآن – بعد عرضنا الطويل المتسلسل خلال العصور لما في أدبنا العربي من محاولات لأنسنة الحيوان ووصفه من الداخل ودفعه إلى الإعراب عن نفسه بلغة عربية مبينة – إلى ما وعدنا من تقديم نص طريف للروائي الأميركي وليم فولكنر من روايته (اللصوص) يرصد فيه ذكاء البغل ويقارنه بذكاء بعض الحيوانات الأخرى التي تعيش في إحدى المزارع ، ويقع النص في ثلاث صفحات من الرواية (ص١٥٤ – ١٥٦) يخص بها المؤلف بغلاً ولدته فرسٌ قام (ند) الزنجي بتعشيرها من حمار المزرعة ، فصار ذلك البغل « أسطورة من أساطير عائلة » أصحاب المزرعة ، وكان بعض أفراد تلك العائلة يرعى البغل ويُشرف على (تربيته) ويلازمه مع الزنجي الذي استولده ، فعاين من طباعه وتصرفاته ما يؤهله للحكم على ذكائه ، ومقارنته بذكاء غيره من الحيوانات الأخرى في المزرعة ، كالجرذان والقطط والكلاب والخيول ، بنظرة موضوعية وأحكام مُعَلَّلة صادرة عن خبرة عملية طويلة ، ومعايشة يومية للحيوان في تلك المزرعة ، وملاحظة دائبة للسلوك الحيواني عند تلك الحيوانات التي يوازن بين ذكاء كل منها ،

موازنة يُغلّفها سخرٌ ناعم يجعل منها تحفة طريفة حقاً . فهو يُصنّف ذكاء الحيوان في المزرعة في مراتب : فالمرتبة الأولى للجرذان ، والثانية للبغال ، والثالثة للقطط ، والرابعة للكلاب ، والخامسة والأخيرة للخيول ، وليس بدٌّ من أن نقدّم النص بكامله ، ليحتفظ بوحدته ، وتكتمل لدينا أطراف الصورة مجتمعةً عن سلوك تلك الحيوانات وقدرتها على التأقلم مع المحيط والظروف الصعبة من حولها ، ثم نُعقبها بتحليل أجزاء الصورة – حسب المراتب الخمس المذكورة – والتعليق عليها بما كتبه الجاحظ والتوحيدي والدميري عن سلوك تلك الحيوانات وطباعها وأخلاقها وذكائها ، ونحاول من خلال ذلك أن نرصد نقط الاتفاق والاختلاف بين ما يقوله فولكنر اليوم وما قاله الكتاب العرب قبله بأكثر من ألف عام !.

١ – يقول فولكنر على لسان رفيق (ند) زنجي المزرعة :

« إن البغل الذي يركض مسافة نصف ميل في الاتجاه الذي يختاره له راكبُه ، ولو مرة واحدة ، يُصبح أسطورة الجوار ، أما البغل الذي يفعل ذلك باستمرار فيُعتبر ظاهرةً لا تُصدَّق ! لأن البغل أذكى من أن يُرهق قلبه بالركض مسافة ميل طلباً للمجد كما يفعل الحصان ؛ لذلك أصنّف البغال في مرتبة تلي مرتبة الجرذان في الذكاء !

بعد البغال تأتي القطط ، ثم الكلاب ، وأخيراً الخيول ، هذا إذا كنت تقبل تعريفي للذكاء ، وهو كما أراه ، المقدرة على مجابهة البيئة ، أي الاستسلام للبيئة وقبولها كما هي ، مع المحافظة على شيء من الحرية الذاتية !

أُصنف الجرذ في المرتبة الأولى : فهو يعيش في بيتك دون أن يُساعدك على شرائه أو بنائه أو إصلاحه ، وهو يأكل ما تأكل دون أن يُساعدك على زرع طعامك أو حمله إلى البيت أو شرائه ، ولا يمكنك أن تتخلّص منه !

تأتي القطط في المرتبة الثالثة ، وتشترك مع الجرذ في بعض الصفات ، لكنها مخلوقات أضعف من الجرذ وأتفه منه . القطة تتطفّل عليك ، تعيش معك ، وتعتمد عليك اعتماداً كليًّا في المأكل والمأوى ، لكنّها لا تُدافع عنك ، ولا تُحِبُّك !

وأصنف الكلب في المرتبة الرابعة ، فهو شجاع ووفيٌّ وثابتٌ في ولائه ، وهو أيضاً طُفيلي عليك ، يتّضح عجزُه بخدمتك ، أعني تلقائياً وبسرور . إنه يقوم بأية لعبة مهما تكن سخيفة مقابل التربيت على رأسه ، ويتضح عجزُه أيضاً من كونه مُتملّقاً ، فهو يحطّ من كرامته وينتهكها من أجل تسليتك ، ويُحرّك ذيله تذللاً ، جواباً عن رفسة ! وفي المعركة يُضحّي بحياته من أجلك ، ويموت جوعاً وهو يرقد فوق قبرك حُزناً عليك !

أما الحصان فيأتي في المرتبة الأخيرة : إنه كائن لا يستطيع التفكير في أمرين في وقت واحد ! أبرز صفاته الجُبن والخوف ؛ يستطيعُ طفلٌ أن يخدعه ويتملّقه ، فيجعله يحطّم أضلاعه أو قلبه في الركض مسافةً بعيدة وبسرعة كبيرة ، أو في القفز فوق أشياء عريضة أو عالية . إنْ لم يُرْعَ كالطفل يأكل حتى يموت ، ولو كان عنده درهمٌ واحدٌ من ذكاء الجرذ لكان هو الخيّال !

لكنّ البغل يحتلُّ المرتبة الثانية ، أضعُه في هذه المرتبة لسبب واحد ، هو أنه باستطاعتك أن تُشغِّله ، لكن ضمن الأنظمة الصارمة التي حدّدها لنفسه ، فهو لا يسمح لنفسه بالإفراط في الطعام . يجرُّ عربةً أو محراثاً لكنه لا يجري في سباق . لا يقفز فوق أي شيء إن لم يتأكّد مُسبقاً أنه يستطيع القفز فوقه . لا يدخل مكاناً إلاّ إذا عرف ضمنياً ماذا يوجد في الطرف الآخر ! يعملُ لك بصبرٍ مُدّته عشر سنوات على أمل أن تُتَاح له فرصةُ رفسكَ ولو مرةً واحدةً ! وبكلمة صريحة ، إنه مُرتاح من التزامات النسب

ومسؤوليات النسل . لم يقهر الحياة وحسب بل الموت أيضاً ، فهو لذلك خالد : إذا بادَ عن وجه الأرض اليوم فإن التركيب البيولوجي الذي أنتجه بالأمس سينتجه بعد ألف سنة ، دون تبديل أو تغيير ، ودون أن يسري عليه قانون التطور ، وهو يبقى مع ذلك حُرّاً وقادراً على مواجهة وضعه ، وهذا ما جعل بغل ند فريداً من نوعه ، أو قل ظاهرة خاصة ! ضع اثني عشر بغلاً في حلبة سباق ، وعندما تصدر كلمة « انطلق » فإن البغال تتجه في اثني عشر اتجاهاً مختلفاً ، كما تنتشر حشراتٌ خائفةٌ على سطح مستنقع ، والبغل الذي يصادف أن يكون اتجاهه باتجاه المرمح يكون الرابح حتماً ! » .

ولكن فولكنر يُقرر بأن هذا الحكم لا ينطبق على بغل الزنجي (ند) إذ كان يجري كالحصان ، إنما دون هوس الحصان واضطرابه واندفاعاته السريعة المخيفة التي تُضني القلب ، ذلك أنه يركض وكأنه يؤدي عملاً ، بالسرعة الصحيحة الضرورية التي يُقدّرها لنفسه ، وفقاً للمسة من (ند) أو صوته أو أية إشارة منه ، ولم يعرف أحد سر البغل في استجابته تلك التي تجعله يجري بصورة تختلف عن أيّ بغل آخر ، حتى وافته منيته عن اثنتين وعشرين سنة ، دون أن يُغلب مرة واحدة ! (اللصوص : ١٥٦ ـ ١٥٧) .

٢ ـ إذا كان الذكاء عند الإنسان يعني سرعة الفهم ، والقدرة على التصرف بحكمة في الأمر المفهوم (محاورات الفرد نورث هوايتهد : ١٩٤) فتعريف الذكاء الذي يقدمه فولكنر للسلوك الحيواني هو « المقدرة على مجابهة البيئة ، أي الاستسلام للبيئة وقبولها كما هي ، مع المحافظة على شيء من الحرية الذاتية » وهكذا يكون التصرف بحكمة والتأقلم مع البيئة المحيطة بالكائن الإنساني أو الحيواني يحدّدان مقدار ذكاء أي منهما .

وقد صنّف فولكنر الجرذان في المرتبة الأولى من الذكاء : وعلّل ذلك

بأن الجرذ يعيش عالة على صاحب البيت ، دون أن يؤدي له أية خدمة ، وعند الجاحظ نجد ملاحظات تؤكد ما يتمتع به الجرذ من ذكاء كبير في سلوكه وتدبيره لمعاشه وإيثاره السلم والعافية إذا لم يجد نفسه مضطراً للدفاع عن نفسه : فهو في تأمين معاشه ، فيما يأكل أو يحسو ، غاية في الذكاء « فإنه ليأتي القارورة الضيقة الرأس ، فيحتال حتى يدخل طرف ذنبه في عنقها ، فكلّما ابتلّ الدهن أخرجه فَلَطَعَه ، ثم أعاده ، حتى لا يدع في القارورة شيئاً » (الحيوان : ٢٤٨/٥) وهو في سلوكه يؤثر العافية والسلامة والفرار على مجابهة الشر ، فالقتال ليس من طبيعة الجرذ ، وهو أذكى من أن ينهك قواه ويستنزف طاقته في مصارعة جرذ آخر ، فإذا وقعت الواقعة وتلاقى الخصمان راح كل منهما يتوعّد الآخر ، ويضرب بذنبه ، ويرفع صدره ، وهزّ رأسه ، ولكنهما لا يصطدمان أبداً ، ويكتفيان بالصخب والتهديد ، ثم يلوذ كلٌّ منهما بجُحره ، وقد وصف شاهد عيان للجاحظ ما رآه من ذلك بعينه ، وهو ثمامة بن أشرس الذي قصّ على الجاحظ ما رآه في سجنه من جرذان السجن ، فقد كانت زنزانته مسرحاً للصراع الحامي بين جُرَذين متخاصمين . وكان كل منهما يتوعّد خصمه ، ويثيران صخباً شديداً ثم يفرّان المرة تلو المرّة ، دون أن يُصيب أحدهما عضٌّ أو خمشٌ (الحيوان : ١٦٥/٢ و٢٥٠/٥) ولكن الجرذ يتخلّى عن طبيعته المسالمة إذا ألجأته الضرورة إلى القتال ، وقد لاحظ الجاحظ أن الجرذ يقاتل الجرذ أشد القتال إذا شُدّت رِجْلُ أحدهما في طرف خيط ، وشُدت رجل الآخر بالطرف الثاني من الخيط ، فهناك تقع الواقعة حقاً ، فيتوثّب كل منهما على الآخر ، ويكون بينهما من العضّ والخمش وإراقة الدم وفَرْي الجلود ما لا يُرى في غيرهما من أنواع الحيوان التي يُهارَش بها ، حتى ينقطع الخيط المشدود ويلوذ كلٌّ منهما بالفرار في جهة تخالف جهة الآخر !

(الحيوان : ٢/١٦٤ و٥/٢٤٦) فالجرذ يقاتل بشراسة وضراوة إذا أحاق به الخطر ولم يجد بداً من مقارعة خصمه إذا هاجمه ، ويحكي الجاحظ أنه رأى سنّوراً عنده ساور (واثب) جرذاً في بيت الحطب ، فأفلت الجرذ منه وقد فقأ عين السنّور ! (الحيوان : ٥/٢٤٦) أما إذا لم يكن خطر ولم تدع الضرورة إلى مجابهته فالفرار أسلم عاقبة ، ممّا يُفسّر قول التوحيدي : « إن أخذ إنسانٌ جُرذاً فربطه في بيت فرّت منه الجرذان كلُّها » (الامتاع والمؤانسة : ١/١٩٢) .

٣ ـ والبغال تجيء في المرتبة الثانية من الذكاء ، في تصنيف فولكنز ، وقد علّل ذلك بأن البغل أذكى من أن يرهق قلبه بالركض مسافة طويلة ، طلباً للمجد كما يفعل الحصان ، وهو يتأقلم مع الظروف المحيطة به ضمن حدود يرسمها لنفسه ولا يتجاوزها ، فلا يجري في سباق ، ولا يقفز فوق حاجز ، وهو صبور على المشقة التي يتحمّلها من صاحبه إلى أن تتاح له يوماً فرصة سانحة للانتقام منه برفسةٍ قد يقتله بها !.

والجاحظ شديد الاهتمام بملاحظة طبائع البغال ، وقد أفرد لها كتاباً خاصاً بها نجده في الجزء الثاني من (رسائله) وخلاصة ما يقوله عن أخلاقها وسلوكها ، وما يقوله التوحيدي والدميري عن طبائعها وذكائها ، يُعطينا أكثر الخصائص التي حدّدها فولكنز للبغل ، ويبقى الخلاف في الحكم على ذكاء البغل ، فالدميري يقول عن البغل إنه مركّب من الفرس والحمار ، ولذلك صار له صلابة الحمار وعظمُ آلات الخيل ، ولكن ليس له ذكاء الفرس ولا بلادةُ الحمار ! (حياة الحيوان : ١/١٣٨) فالبغل عنده دون الخيول في الذكاء ، ولكنه أذكى من الحمير المعروفة ببلادتها وغبائها ، فهو إذاً قد ورث الحدّ الأوسط عن أبويه ، وهو قبيح الصوت ، فشحيجُه مولّدٌ من صهيل الفرس ونهيق الحمار (حياة الحيوان : ١/١٣٨)

وهو هجين عقيم الصلب لا يولد له ، ولتخففه من مسؤوليات النسل ، ولعدم إفراطه في طعامه ، طال عمره ، فالبغل أطول عمراً من كل شيء من الحيوان (رسائل الجاحظ : ٣٠٤/٢) وذكر فولكنز أن بغل (ند) مات عن اثنتين وعشرين سنة كما رأينا ، وأخلاق البغال - كما يرصدها الجاحظ - ذميمة ممقوتة ، فالبغل كثير التلوّن ، والشعراء العرب يضربون المثل بسوء أخلاقه لذلك ، فابن حازم الباهلي يقول في هجاء صديق متلوّن لا تدوم مودته :

ما لي رأيتُكَ لا تدو مُ على المودة للرجال
خُلُقٌ جديدٌ كُلَّ يو مٍ مثلُ أخلاقِ البغال

والبحتري يهجو قوماً بذلك فيقول :

وأخلاق البغال فكلّ يومٍ يَعنُّ لبعضهم خُلُقٌ جديد

(رسائل الجاحظ : ٢٥٦/٢ وثمار القلوب للثعالبي : ٣٦٤)

والبغل شديد العداوة لرائضه ولراكبه ، وهو قتّال لصاحبه ، ويضرب الجاحظ الشواهد على من قتلته بغلته (رسائل الجاحظ : ٢٥٧/٢ - ٢٦٤) وقد أشار فولكنز إلى خصلة الحقد عند البغل على صاحبه ، فهو يصبر على الأذى حتى تتاح له الفرصة فيسدد رفسة يُفرغ فيها كل غضبه وحقده وعداوته المكبوتة لينتقم من صاحبه شرّ انتقام ، والعجيب أن التوحيدي يجعل الحقد من طبيعة الجمل فيقول إنه يرتصد من ضاربه الفرصة لينتقم منه ، فإذا أصاب ذلك لم يستبق صاحبه ! (الامتاع والمؤانسة : ١٨٦/١) فالبغل مشابه للجمل في طبيعتهما الحاقدة وانتظار الفرصة المناسبة للانتقام الهائل ! والبغل حرون عند الحاجة ، والحِران إليه أسرع ، ودواؤه أعسر ، كما يقول الجاحظ (رسائله : ٣٢٦/٢) وحرانه لونٌ

من تمسّكه بحريته ، وعناده يزيده إصراراً على صاحبه لكي يحتفظ له بفرديّته ، فلا يطالبه بالانتظام في سباق مع كوكبة من البغال ، فإذا أُرغم على دخول الحلبة اختار بعناد اتجاهاً مخالفاً لغيره ، ليخسر السباق ، لكي يدرك صاحبه أن من الخير له ألا يعاود تدريبه وترويضه على ما لا يرضاه ، وهذه الطباع كلها تشف عن ذكائه واعتزازه بشخصيته ، وهو حين يرضى يكون في ذروة ذكائه ، وهنا يحكم المراقبون له بأنه.« أهدى للطريق للناس وأثبت حفظاً » كما يصفه التوحيدي (الامتاع والمؤانسة : ١/١٨٧) .

٤ - ويصنّف فولكنز القطط في المرتبة الثالثة من الذكاء ، وأبرز ما يراه من ذكائها أنانيتُها وتطفّلها على صاحب البيت ، فهو يتكفّل بإيوائها وإطعامها ، وهي لا تفعل شيئاً من أجله ، ولا تدافع عنه ، ولا تحبه !

والحديث عن أنانية القط مألوف ، وكثيراً ما يقارنون بين أثرة القط وإيثار الكلب . يقول هوايتهد في محاوراته : (ص٢٥٩) : « إذا وثب الكلب في حجرك فلأنه مُغرم بك ، وإذا فعل القط ذلك فلأن حجرك أكثر دفئاً ! » ولكن الجاحظ يقدّم لنا عن طباع الهرّة صورة مناقضة ، فهو يعد السنّور آنس الخلق بالناس (الحيوان : ٥/٣٢٤) والهر والكلب عنده حيوانان ألوفان « إن طُردا رجعا ، وإن أُجيعا صبرا ، وإن أُهينا احتملا » (الحيوان : ١/١٩٦) ويقول الدميري عن السنور وأصحاب المنزل الذي يُؤويه : « إذا طردوه تملّقهم وتمسّح بهم ، علماً منه بأنه يُخلّصه التملق ، ويحصل له العفو والإحسان ! » (حياة الحيوان : ٢/٣٦) ويبرز الجاحظ حب الهرة لأولادها ، وإيثارها إياهم على نفسها ، فإذا أُطعمت شيئاً حملته لأولادها وآثرتهم به ، ولذلك يقال (أبرُّ من هرّة) لإيثارها أولادَها على نفسها ، وقد عزا العرب أكل الهرة أولادها إلى شدة حبها لهم (الحيوان : ١/١٩٧) والسنّور يأكل الفأر والجرذان والحيات والعقارب ، وهو بذلك

يقدم خدمة كبيرة لصاحب البيت ، خلافاً لما يراه فولكنر ، ولكن الدميري يشير إلى أنانية السنور فهو إذا ألف منزلاً منع غيره من السنانير من الدخول إليه ، خوفاً من أن يحتل واحد آخر من بني جنسه مكانه عند أهل المنزل إذا رأوا أن يُقدّموا الوافد الجديد عليه ، أو أن يشاركوا بينه وبينه في المطعم . (حيـاة الحيـوان : ٣٦/٢) ولا تخلو مـلاحظـات الجاحظ للسنور من إشـارات إلى لؤمه وشرهه وسرقته للطعام وخيانته ، ويعد أُلفته للمكان لا للناس فيه ، وهو يعدّد بذلك النواحي السلبية في سلوك هذا الحيوان ، وقد أولع الجاحظ بالمقارنة بين الهر والإنسان ، وهو يَراه يناسبه في أمور : فهو يعطس ويتثاءب ويتمطى ، ويغسـل وجهه وعينه بلعابه ، كما أولع الجاحظ بالإنصات إلى أصوات السنانير ومُوائها ، ليميز (الحروف) التي تتداخل في أصواتها ، وقد لاحظ أن القطط قد تهيأ لها من الحروف أكثر مما تهيأ لغيرها من الحيوان ، كالعندليب والببغاء ، وكان الجاحظ يُصغي في جوف الليل إلى تجاوب القطط في داره ، وتوعّد بعضها لبعض ، ويحصي الحروف التي تموء بها والتي لو أُلّفت لكانت لغة للسنانير ، متوسطة الحال ، كما يقول ، ولكنها صالحة للدلالة على مرادها . (الحيوان : ٢٨٩/٥) . وكل هذا يكشف لنـا أن الجـاحظ كان يبـذل مجهـوده لتحديد الجانب الإنسـاني في طبيعة الحيوان ، ومعرفة ما أودع الله صدور صنوف سـائر الحيوان من ضروب المعارف ، وفطرها عليه من غريب الهدايات ، وسخّر حناجرها له من ضروب النغم الموزونة .. وكيف أعطى كثيراً منها من الحسّ اللطيف والصنعـة البديعـة ، من غير تأديب وتثقيف .. فبـلغت بعفوها وبمقـدار قوى فطرتها ، من البدهة والارتجال .. ما لا يقدر عليـه حُذّاق رجال الرأي وفلاسفة علماء البشر ، بيد ولا آلة » (الحيوان : ٣٥/١) .

٥ – ويصنف فولكنر الكلاب في المرتبة الرابعة من الذكاء ، ويُعلل

ذلك بأن الكلب شجاع ووفي وثابت في ولائه لصاحبه ، حتى ليضحّي بنفسه في سبيله فيموت حزناً على وفاته ، وهو يرقد جائعاً فوق قبره ، وهو الذي كان في حياته طفيلياً عليه ، كثير التملّق له ، يستهين بكرامته لإرضاء صاحبه وتسليته ؛ فهو أقل ذكاء من أن يدرك أن لنفسه حقاً عليه وأن عليه أن يخفف من تضحيته وإيثاره ! وعند الجاحظ نجد عناية بالكلب تفوق عنايته بأصناف الحيوان الأخرى . وفي الجزأين الأولين من الحيوان مناظرة طويلة بين (النظّام) صاحب الكلب و(معبد) صاحب الديك حتى قيل « أيُّ شيء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك حتى يتفرّغ لذكر محاسنهما ومساويهما والموازنة بينهما والتنويه بذكرهما شيخان من عِلْية المتكلمين » (الحيوان : ١/٢٠٠) والجواب أن المناظرة تمثل وجهاً من أوجه الصراع ضد الشعوبية ، فالكلب رمز للعرب والديك رمز للفرس ، وكان كلٌّ من صاحب الكلب وصاحب الديك يدافع عن رمزه الحيواني ويهاجم رمز خصمه ، فإذا اتهم صاحب الديك باللؤم والجهل والجبن وراح يعدّد مثالبه وعيوبه ويصفه بالغدر والنتن والقذارة ، وعلّل اتهامه إياه بما يراه في الكلب من هوانه على نفسه ، واتباعه لمن أهانه ، وإلفه لمن أجاعه وأعطشه ، وبما يراه فيه من فزعه من كل شيء ، وشدة صخبه ونباحه وعوائه وتحرّشه وتسرّعه (الحيوان ١/٢٢٢ و٢٨٠) وبما يراه من بخله حتى ليقال : « أبخل من كلب على جيفة » (الحيوان : ١/٢٢٧) راح صاحب الكلب يدافع عن حيوانه المتهم بتعداد محاسنة ومزاياه ورواية القصص والأخبار عن وفاء الكلب طبيعةً وغريزةً من غير تكلّف ولا تصنع منه (الحيوان : ٢/١٢٢ ، ١٢٨) وعن شجاعته في حماية نفسه وحماية غيره ، وعن صبره واحتماله (الحيوان : ٢/١٢٧ و١٧٥) وعن ذكائه ومهارته في الاحتيال للصيد والاهتداء إلى جحور الأرانب وغيرها من أصناف القنيص ، بما لديه من

قدرة على التبصّر والتسمّع والتشمم ، حتى ضربت الأمثال به فقيل « أبصر من كلب ، وأسمعُ من كلب ، وأشـمُّ من كلب » (الحيوان : ١١٨/٢ و٣٥٢) ويُسهب الجاحظ في تفنيد المزاعم التي تحط من قدر الكلب وتجعل من إيثاره لصاحبه ووفائه له وإلفه لبيته وصبره على الجوع والعطش دليلاً على ذلّتـه وهوانه على نفســه : ففي الكـلب أنفةٌ ونُبل فهو « لا يرضى بالنوم والرُّبوض على بيـاض الطريق » و« من نبله في نفســه أن يتخيّر أبداً أنبل موضع في المجلس » (الحيوان : ١٦٢/٢) وهو مع ذلك يؤثر صاحبه على نفسه ، وهو « يعرف صاحبه ، فإذا رآه قادماً اعتراه من الفرح والبصبصة ـ تحريك الذيل ـ والالتواء الذي يدل على السرور وعلى شدة الحنين بما لا شـيء فوقـه » (الحيوان : ١٢٨/٢) ويقرّر التوحيدي أن من طبـاع الكلب الترضي والبصبصة والهشاشة لمن عرفه .. وليس في الحيوان أشد حباً لصـاحبه منه ، فإن أشـار له على صيد وثب ناصباً رأسـه ، رافعاً ذنبه ، مستعداً كالفارس البطل والشجاع النجد ، مع نشاطه في الطلب ، وهو يعـلم أن الصيد ليس بحاضر ، لكن ذلك منـه حسن طاعة لصــاحبه » (الامتاع والمؤانسة : ١٢٨/١ ـ ١٨٣) فهو حيوان ألوف مُطيع « يقبل التأديب والتلقين والتعليم » (حياة الحيوان : ٢٧٩/٢) ولشدة ألفته للناس ووفائه لصاحبه ألّف بعضهم كتاباً في (تفضيل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب) فضّل فيه الكلب الوفي الأمين على كثير من الناس لخيانتهم وتلوّنهم وغدرهم .

بقي أن نشـير إلى ملاحظة الجاحظ للجانب الإنسـاني في سلوك الكلب : فصاحب الكلب يفهم عنه ، كما يفهم عن السنور والفرس كثيراً من إرادته وحوائجه ومقاصده (الحيوان : ٣٢/١) ويقول الجاحظ : « إن باطن الكلب يُشبه باطن الإنسان ، كما يُشبه ظاهر القرد ظاهر الإنسان »

(الحيوان : ١/٢١٥) وتلك ملاحظة تدل على تعمّق الجاحظ في دراسة تكوين هذا الحيوان وطبيعته من ظاهره وباطنه وخارجه وداخله ، تعمقاً يجعل الصورة الجاحظية للكلب غنية بخطوطها وألوانها ، وعند مقارنتها بصورة فولكنز يبرز فقر الصورة الأخيرة بخطوطها السطحية السريعة وألوانها الباهتة .

٦ – والمرتبة الخامسة والأخيرة في تصنيف فولكنز للذكاء عند حيوانات المزرعة تعطى للحصان أدنى حظ من المقدرة على مجابهة البيئة والاحتفاظ بشيء من الحرية الذاتية ويُعلل فولكنز حكمه الصارم على غباء الحصان بأنه محدود التفكير ، لا يستطيع أن يفكّر في أمرين في وقت واحد ! وبأنه غرٌّ ساذج يستطيع طفلٌ أن يخدعه ويتملّقه ويجعله يحطّم أضلاعه أو قلبه في الركض لمسافة بعيدة وبسرعة جنونية أو في القفز فوق الحواجز العريضة والعالية ، ولو كان له ذكاء الجرذ لم يدع أحداً يمتطيه ، وكان هو الخيّال !

هذا حكم صارمٌ ساخر على طبيعة الحصان وذكائه ، وهو يساير المفهوم الذي حدّده فولكنز للذكاء عند الحيوان ، وهو القدرة على التأقلم مع المحيط دون التفريط الكامل بالحرية الذاتية ، ولهذا كان البغل عنده أذكى من الفرس ، خلافاً لما يراه الدميري تماماً ، فالبغل عنده أذكى من الحمار ولكنه دون الفرس ذكاء ! (حياة الحيوان : ١/١٣٨) والعتاق من الخيل عند الجاحظ تُجيد الركض إذا أُجيد إضمارها ، وتشارك راضية في ميادين السباق وتقفز فوق الحواجز العريضة والعالية ، لتؤمّن لصاحبها الفوز ولنفسها المجد ، ولكن ذلك لا يعني ضعف شخصيتها واستسلامها لطفل يخدعها ويسوقها إلى هلاكها ، « فالخيول العتاق – كما يؤكد الجاحظ – ربّما قتلت الفرسان بالحران مرةً ، وبالإقدام مرةً ، وبسوء الطاعة وشدة

الجزع ، وربّما شبّ الفرس بفارسه حتى يُلقيه بين الحوافر والسّيوف » (الحيوان : ١٨٣/٧) ومن طباع الفرس الزهو كما يقول التوحيدي (الامتاع والمؤانسة : ١٨٣/١) وكيف يزهو كائن هزيل الشخصية ومعدوم الثقة بنفسه ، يتلعَّبُ به الطفل الصغير ويدفع به إلى الموت ! وكيف يعد فولكنر الخوف والجبن من أبرز صفات الفرس ، وهو السلاح النبيل الذي له في المعارك ، وهو تحت فارسه ، غَناء لا يُشبهه غناء (الحيوان : ١٤٤/٧ – ١٤٥) وقال الله للمؤمنين : ﴿ وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ، ومن رِباطِ الخيلِ تُرهبونَ به عَدوَّ الله وعدوَّكم ﴾ [الأنفال : ٦٠] ويؤكد الجاحظ أن الإنسان يفهم عن الفرس – كما يفهم عن الكلب والسنّور – كثيراً من إرادته وحوائجه ومقاصده ، وأن للفرس عند رؤية المخلاة حمحمةً تخالف ما تدل عليه حمحمتُه عند رؤية أنثاه (الحِجْر) . (الحيوان : ٣٢/١) .

– ١٢ –

وهكذا نصل إلى نهاية عرضنا المطوّل للجهود التي بذلها الأدباء العرب – شعراء وكتاباً – خلال العصور في تصوير السلوك الحيواني ، وللمحاولات التي قاموا بها للتسلّل إلى باطن الحيوان ، لتحليل نفسيته ، وتفسير طباعه ، وتحديد ذكائه ، وتقديمه في إطار إنساني يعبر عن مشاركة وجدانية حميمة بين الإنسان والحيوان ، وقد ختمنا العرض بموازنة مطوّلة بين ما كتبه الجاحظ والتوحيدي قبل ألف عام ، وما كتبه الدميري قبل سبعة قرون ، بما كتبه الروائي الأميركي المعاصر فولكنر عن سلوك بعض الحيوانات وذكائها في إحدى رواياته ، وقد تبين لنا أن العرب قد تعمّقوا رؤية الحيوان من داخله ، وفسّروا سلوكه وتصرّفاته ، وحلّلوا ميوله ونوازعه ، إلى حد يستدعي الإعجاب والتقدير والإكبار ، ولو أن الروائي الأميركي اطّلع

على ما يحويه التراث العربي من دراسة للحيوان وتصوير لطبائعه وذكائه قبل أن يكتب ما كتب لأغنى اللوحة الرائعة التي قدّمها عن حيوانات المزرعة غنىً عظيماً ، ولجاءت لوحته بإطارها الساحر الذي تقتضيه طبيعة فنه الروائي تحفة خالدة ، وأثراً لا مثيل له في الأدب الإنساني الذي يجهد أصحابه لتقديم الحيوان في سمت إنساني عاقل ناطق ، والذي يخلعون فيه على الحيوان مشاعرهم وخوالج نفوسهم وعواطفهم ، ويعيرونه ألسنتهم لينطق بها عنهم ، حتى ليغدو الحيوان رمزاً للإنسان ، أو معادلاً موضوعياً له ، تنزاح عنده الفروق الفاصلة بين الإنسان والحيوان ، وتبرز الصلة الجامعة بينهما ، حتى لكأن الإنسان كان في بعض مراحل تطوره حيواناً لا يعوزه غير النطق الفصيح والعقل والتفكير ليستوي إنساناً كامل الإنسانية ، يُعبّر عن ذات نفسه وأفكاره بلفظ مفصح مُبين .

ما أجمل أن يتم التقارب بين الإنسان والحيوان ، فيتعاطف الإنسان مع الحيوان تعاطفاً وجدانياً على النحو الذي يعبر عنه كيتس بقوله : « عندما يأتي إلى جواري عصفور ينقر الحصى يُخيّل إليَّ أني أنقر معه وأني أشاطره حياته ! » ويقترب الحيوان من الإنسان بلمسة فنية تجعله قادراً على أن يستعير لغة الإنسان ليعبر بها عما في داخله ، وينقل إلى الآخرين دخائل نفسه ، وما يعتلج في باطنه من أفكار وهواجس .. والأدباء القادرون على أن يُحيلوا (الحيوان إنساناً) بلمساتهم الفنية السحرية لهم الخلود والمكانة الأدبية الرفيعة في تاريخ الأدب الإنساني خلال العصور .

- ١٣ -

المصادر والمراجع

١ - ابن خلّكان - وفيات الأعيان : نشره محمد محي الدين عبد الحميد مصر ١٩٣٨ .

٢ - الأغاني (دار) لأبي الفرج الأصفهاني : طبعة دار الكتب المصرية .

٣ - اكتشاف جزيرة العرب : لجاكلين بيرين ، ترجمة قدري القلعجي .

٤ - ألف ليلة وليلة - المطبعة السعيدية (٤ مجلدات) .

٥ - ألف ليلة وليلة : للدكتورة سهير القلماوي ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

٦ - أمالي المرتضَى : تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٥٤ .

٧ - الامتاع والمؤانسة للتوحيدي ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين مصر ١٩٣٩ - ١٩٤٤ .

٨ - أنا والشعر : لشفيق جبري ، معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ١٩٥٩ .

٩ - الأوراق - قسم أخبار الشعراء للصولي ، نشره هيورث دن - مطبعة الصاوي بمصر ١٩٣٤ .

١٠ - تاريخ آداب العرب للرافعي ، مطبعة الاستقامة ط٢ ، مصر ١٩٤٠ .

١١ - تجديد ذكرى أبي العلاء : لطه حسين ، دار المعارف بمصر ط٦ ، ١٩٦٣ .

١٢ - تحت راية القرآن : المعركة بين القديم والجديد للرافعي ، مطبعة الاستقامة ط : ٤ ، ١٩٥٦ .

١٣ - التطور والتجديد في الشعر الأموي : للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ط : ٢ ، ١٩٥٩ .

١٤ - تعريف برسالة (الصاهل والشاحج) للمعري : للدكتور أمجد الطرابلسي (فصلة من مجلة المجمع ١٩٧٤) .

١٥ ــ تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب : لابن المرزبان ، تحقيق زهير الشاويش : المكتب الإسلامي .

١٦ ــ التنبيه والإشراف : للمسعودي ، طبعة الصاوي ــ القاهرة ١٩٣٨ .

١٧ ــ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : للثعالبي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٦٥ .

١٨ ــ ثورة الشعر : ديوان الشاعر اليمني الثائر محمد محمود الزبيري .

١٩ ــ جنة الحيوان : للدكتور طه حسين : كتب للجميع ــ مصر (مطابع جريدة المصري) دون تاريخ .

٢٠ ــ حمار الحكيم : لتوفيق الحكيم .

٢١ ــ حماسة أبي تمام : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٥١ .

٢٢ ــ حياة الحيوان الكبرى للدميري ، مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٥٨ .

٢٣ ــ حياة الرافعي : لمحمد سعيد العريان ط : ١ مطبعة الرسالة بمصر ١٩٣٩ .

٢٤ ــ الحيوان (لأرسطو صاحب المنطق) عن (الحيوان) للجاحظ .

٢٥ ــ الحيوان : للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مصر : ١٩٣٨ ــ ١٩٤٥ .

٢٦ ــ دراسات فنية في الأدب العربي : للدكتور عبد الكريم اليافي ، دمشق ١٩٦٣ .

٢٧ ــ ديوان أعاصير مغرب للعقاد (عن : مع العقاد للدكتور شوقي ضيف) .

٢٨ ــ ديوان البحتري : تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف مصر .

٢٩ ــ ديوان هدية الكروان للعقاد (عن : مع العقاد للدكتور شوقي ضيف) .

٣٠ ــ ديوان ولي الدين يكن ــ مطبعة المقتطف والمقطم بمصر : ١٩٢٤ .

٣١ ــ رسائل إخوان الصفاء .

٣٢ ــ رسائل الجاحظ (كتاب البغال) المجلد الثاني : ٢١١ ــ ٣٧٨ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون ــ مكتبة الخانجي مصر : ١٩٦٥ .

٣٣ ـ رسالة (الصاهل والشاحج) للمعري ، بتحقيق بنت الشاطئ : دار المعارف بمصر ١٩٧٥ .

٣٤ ـ رسالة الغفران للمعري : بتحقيق بنت الشاطئ ـ ذخائر العرب : مصر ١٩٥٠ .

٣٥ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف بمصر : ١٩٦٣ .

٣٦ ـ الشعر الحديث في الإقليم السوري للدكتور سامي الدهان ، معهد الدراسات العربية العالية بمصر : ١٩٦٠ .

٣٧ ـ الشوقيات لأحمد شوقي .

٣٨ ـ في صالون العقاد كانت لنا أيام : لأنيس منصور ـ دار الشروق بيروت ١٩٨٣ .

٣٩ ـ القرآن الكريم .

٤٠ ـ قصص لافونتين (خرافاته بالفرنسية : **Les Fables de Lafontaine**) .

٤١ ـ كتاب الفصوص لصاعد البغدادي (نسختان خطيتان منه في المغرب : واحدة في مكتبة القرويين بفاس (رقم ٥٨٧ ل) والثانية في الخزانة العامة بالرباط (رقم ١٦٦٨ ك) .

٤٢ ـ كليلة ودمنة ط٤ مصر ١٩٣٤ (بعناية محمد حسن نائل المرصفي) .

٤٣ ـ اللصوص : لوليم فولكنر ـ تعريب خالدة سعيد : دار مجلة شعر بيروت : ١٩٦٣ .

٤٤ ـ محاورات الفرد نورث هوايتهد : سجلها لوسيان برايس ـ ترجمة محمد محمود ، دار المعرفة بمصر : ١٩٦١ .

٤٥ ـ مذكرات دجاجة : للدكتور إسحاق موسى الحسيني (اقرأ) دار المعارف بمصر : ١٩٤٣ .

٤٦ ـ مع العقاد : للدكتور شوقي ضيف (اقرأ) دار المعارف بمصر : ١٩٦٤ .

٤٧ ـ المفكرة الريفية : لأمين نخلة .

٤٨ – من (عمر أبو ريشة) شعر : دار مجلة الأديب ببيروت : ١٩٤٧ .

٤٩ – نكت الهميان في نُكت العميان : للصفدي ، تحقيق أحمد زكي مصر ١٣٢٩هـ .

٥٠ – نهاية الأرب في فنون الأدب : للنويري (طبع دار الكتب بمصر : ١٩٢٣) .

٥١ – وحي القلم : لمصطفى صادق الرافعي ، ط : ٢ (مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٤١) .

٥٢ – اليتيمة = يتيمة الدهر للثعالبي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر (دون تاريخ) .

- ١٤ -

الفهرس

ديوان المعاني
(القسم الخامس)(*)
تتمة الفهارس

الدكتور محمود محمد الطناحي

(*) نشرت الأقسام الأربعة السابقة في مجلة المجمع (مج٦٦ ، ج١ ، ج٣) و(مج٦٩ ، ج١ ، ج٢) .

(١) وقيل : جَمِيل . انظر الموضع .

(١) انظر « الصَّدَفَة » في الكامل المفتوح . ثم انظر ما ذكرته في مقدمتي ، عن هذه الظاهرة العروضية .

(٢) وقيل : إن قائل هذين البيتين هو منصور بن إسماعيل ، الفقيه الشافعي . راجع =

لا يُنصفُ	الكامل	ابن الرومي	١٧٢/٢
يطوفُ	مجزوء الرمل		٢٠٦/١
سيُذْنفُهُ	المنسرح	ابن الرومي	١٩٥/١
فيعرفُهُ	المنسرح	ابن الرومي	١٩٥/١
الأعفُّ (٨ أبيات)	الخفيف	البحتري	٢٣٢/٢
أحرفُ	المتقارب	ابن أبي عون	٣٢٨/١
الصيرفُ	المتقارب		١٢٦/٢

فصل الفاء المكسورة

المعطَّفِ	الطويل	عنترة	٦٤/٢
الموقّفِ	الطويل	عنترة	٦٤/٢
يشتفي	الطويل	البحتري	٣٢٩/١
حرفِ	الطويل		١٦٠/١
كفِّي	الطويل		١٦٠/١
المتالفِ	الطويل	الحِمّاني	٨٥/١
السَّدَفِ	البسيط	أبو هِفّان	٨٠/١
الصَّدَفِ	البسيط	أبو هِفّان	٨٠/١
السَّوافي	الوافر	ديك الجِنّ	٢٥١/٢
المعافِي	الوافر	ديك الجِنّ	٢٥١/٢
صافِي	الوافر	ديك الجِنّ	٢٥١/٢
السُّجوفِ	الوافر	أبو هلال العسكريّ	٣١٠/١
لطيفِ[1]	الوافر	أبو هلال العسكريّ	٣١٠/١

=العُزْلة ص٩١ ، والتمثيل والمحاضرة ص٤٠٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٤٧٨/٣ ، ٤٨٣ ، والبيتان في ديوان ابن الرومي ١٦٢٥/٤ ، من زيادات إحدى النُّسَخ .

(١) في المطبوع « نصيف » وصحَّحْتُه من الاستدراكات بآخر الجزء . وهذان =

(باب القاف)

فصل القاف السّاكنة

=البيتان مما أخلّتْ بهما طبعة الدكتور جورج قنازع لديوان أبي هلال . وثبتا في طبعة الدكتور محسن غياض ص١٢٣ .

فصل القاف المفتوحة

فصل القاف المضمومة

(١) هكذا جاء اسمه فقط . ولم أجد الشعر في ديوان قيس بن الملوح ، المجنون ، ولا في شعر قيس بن الخطيم .

(١) في ديوانه ١٤١/١ : بُرَقُ .

(٢) في ديوانه : الفَرِقُ .

(١) في المطبوع : « الكندي » وصُحِّح في الاستدراكات . وانظر له الأصمعيات ص١٩٩ .

فصل القاف المكسورة

(١) هكذا في المطبوع ، بتقديم البـاء الموحدة على الثاء المثلثة . وجاء عكسُـه في ديوان أبي نواس ص٥١٩ « ثبق » وكلاهما صواب ، بمعنى إسراع الدمع من العين .

(باب الكاف)

فصل الكاف الساكنة

فصل الكاف المفتوحة

---

(١) راجع لهذا الوزن : شرح المضنون به على غير أهله ص ٤٨٩ .

(١) جاء في المطبوع : ذقتُ منه واللهِ أطيبَ منكَ

وهو مضطرب الوزن ، كما ترى ، مع ما فيه من ضبط الكاف بالفتح . وصواب إنشاده وضبطه :

ذقتُ واللهِ منه أطيبَ منكِ

ديوانه ٣٢٣/١ .

(باب اللام)

فصل اللام الساكنة

(١) القافية في ديوانه ٧٦/٣ مطلقة بالضمّ « الجبالُ » وهو خطأ . وراجع ما ذكرته في المقدّمة عن الإطلاق والتقييد ، في الرويّ .

(١) يروى بكسر الميم الأولى وفتحها . فالكسر على أنه الكساء تُجمع فيه مَقْدَحةُ النار بآلاتها ، والفتح على أنه مهب الشَّمال . وانظر تفسيراً أوسع في مجمع الأمثال ١٣٩/١ ، في تفسير المثل : « تَعِست العجلة » . ثم انظر كتب الأمثال في « أبطأ من فِنْد » .

فصل اللام المضمومة

(١) النِّسْبة من تاج العروس ، ترجمة (حلل) ، ولم ينسبه سيبويه وأبو عليّ . راجع الكتاب ١/٤٠٥ ، وكتاب الشعر ص٣٤٧ .

(١) في قصة هذا الشعر زيادة وتحرير ، فانظرها في الكامل ص٧٤٩ .

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ص١٣٨٣

(٢) النّسبة من الكامل ص٤٤٠ ، وقافية البيت الأول هناك : « وسائلُهْ »

(١) وانظر « المجلسُ » في الكامل المضموم

(٢) المحفوظ في قافية هذا البيت : فهي الشهادة لي بأني كامِلُ
وكذلك هي في ديوان أبي الطيب ٢٦٠/٣ ، والذي هنا مثله في التمثيل والمحاضرة ص١١١

(١) وقيل غيره . راجع شعره ص٤٠٠ ، ضمن (شعراء إسلاميون)

(١) النِّسبة من شعره المنشور بالجزء الأول من المجلد الثاني والعشرين من مجلة معهد المخطوطات ص١١٨

(٢) لم أجده في شعر أبي زبيد الطائي ، الذي جمعه الصديق الدكتور نوري القيسي

(١) لم ينسبه أبو هلال ، وهو لأبي كبير الهذلي . والبيت الذي أنشده أبو هلال ملفق من بيتين وردا في شرح أشعار الهذليين ص١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، هكذا :

ولقد سريت على الظلام بمغشم ... جلد من الفتيان غير مهبَّلِ

فأتت به حوش الجنان مبطنا ... سُهُداً إذا ما نام ليل الهوجلِ

(باب الميم)

فصل الميم السَّاكنة

(١) سهاب ، بالسين المهملة ، كما قيده صاحب القاموس . قال : « وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . وانظر تحقيقاً جيداً حوله في حواشي المفضليات ص٣٠٧

أمَمْ (٧ أبيات)	المتقارب	بشار	٥٩/١ ، ٦٠
ثُمَّ نَمْ	المتقارب	بشار	٦٠/١
العدَمْ	المتقارب	إبراهيم بن العباس الصولي	١٩٥/٢
النِّعمْ	المتقارب	إبراهيم بن العباس الصولي	١٩٥/٢

فصل الميم المفتوحة

سُقْما	الطويل		٢٢٢/١
ليعلما	الطويل	المتلمس	١٣٥/١
تهدَّما	الطويل	عَبْدة بن الطبيب	١٥٢/١، ١٧٥/٢
يترحَّما	الطويل	عَبْدة بن الطبيب	٢١٦/٢
أتقدَّما	الطويل	حُصَين بن حُمام المرّيّ	١١٥/١
الدَّما	الطويل	حُصَين بن حُمام المرّيّ	١١٥/١
تبسَّما	الطويل	حاتم	٢٤٣/١
فما	الطويل	حميد بن ثور	٣٢٦/١
وأكلما	الطويل	حميد بن ثور	٣٢٦/١
أعجما	الطويل	حميد بن ثور	٣٢٦/١
خثعما	الطويل	امرأة من بني سليم	٦٩/٢
فألجما	الطويل	امرأة من بني سليم	٦٩/٢
فأتْهَما	الطويل	امرأة من بني سليم	٦٩/٢
مُعْلَما	الطويل	ابن المعتز	٣٤٤/١
المسلَّما	الطويل	البحتري	٢٩/١
أشأما (٢٣ بيتا)	الطويل	البحتري	٢١٩/١ ، ٢٢٠
أنجُما	الطويل	البحتري	٣١٧/١
تكرُّما	الطويل	البحتري	٣١٧/١
نُوَّما	الطويل	البحتري	٢٣/٢

(١) هكذا نسب أبو هلال البيتين إلى جميل ، والمعروف أنهما لكُثَيِّر .

فصل الميم المضمومة

(١) هكذا ، وفيه من الإقواء ما ترى !

(٢) البيت الأول من هذه الأربعة نسبه ابن منظور في اللسان (لحن – قذى) لمحمد بن سلمة . وقد تابع في ذلك ابن بري في حواشيه على الصحاح . ومحمد بن سلمة هو راوي الشعر . ذكر ذلك البغدادي في الخزانة ٣٥٣/١٠ ، ثم انظر مجالس ثعلب ص٩٣ ، وسر صناعة الإعراب ٣٧١/١

أمُّ	البسيط	الأحوص	١٧٣/١
شمُمُ	البسيط	الأحوص	١٧٣/١
قسمُ	البسيط	الأحوص	١٧٣/١
يبتسمُ	البسيط	الفرزدق. وقيل غيره[1]	١٤٣/١
الدِّيمُ (٤ أبيات)	البسيط	أبو تمام	١٦٢/١
خدمُ	البسيط	ابن الرومي	٧٧/٢
صممُ	البسيط	المتنبي	٧٦/٢
عظُموا	البسيط		٧٤/١
ملزومُ	البسيط	علقمة الفحل	٢٥٠/١
محمومُ	البسيط	بشار	٣٢٩/١
شومُ	البسيط		٢٤٦/٢
محرومُ	البسيط		٢٤٦/٢
ميمُ	البسيط	ذو الرمة	١٢٠/٢
نجُمُ	مخلّع البسيط	ديك الجن	١٨١/٢
تسمو	مخلّع البسيط	ديك الجن	١٨١/٢
أُمُّ	مخلّع البسيط	ديك الجن	١٨١/٢
الحرامُ	الوافر	النابغة	٢٧/١ ، ٢٨
سنامُ	الوافر	النابغة	٢٧/١ ، ٢٨
تؤامُ	الوافر	بشر بن أبي خازم	١٣/٢
شامُ	الوافر	بشر بن أبي خازم	١٣/٢
لجامُ	الوافر	أحمد بن أبي طاهر	١١٨/٢
نظامُ	الوافر	أحمد بن أبي طاهر	١١٨/٢
تمامُ	الوافر	أحمد بن أبي طاهر	١١٨/٢

(١) انظر الخلاف في نسبة القصيدة في شرح أبيات المغني ٥/٣١١ – ٣٢١ .

إمامُ	الكامل	أبو نواس	١٢١/٢
الإلمامُ	الكامل	أبو تمام	١٢٠/٢
حِمامُ	الكامل	أبو تمام	١٢٠/٢
قُدَّامُ	الكامل		٢٤٥/٢
حرامُ (٤ أبيات)[1]	الكامل		٢٤٥/٢
قيامُ	الكامل		٢١٣/٢
يهيمُ	الكامل	ابن الرومي	٢٣٦/١
أليمُ	الكامل	ابن الرومي	٢٣٦/١
ضميمُ (١١ بيتا)	الكامل	أبو هلال العسكري	٩٩/١ ، ١٠٠
وسجامُهُ (١٧ بيتا)	الكامل	أبو هلال العسكري	٧٣/١
قلاَّمُها	الكامل	لبيد	١٢/٢
حلومُ	مجزوء الكامل		٢٦٢/١
العريمُ	مجزوء الكامل		٢٦٢/١
النسيمُ	مجزوء الكامل		٢٦٢/١
وخيمُ	مجزوء الكامل		٢٤٩/٢
الأقلامُ (٧ أشطار)	الرجز	أبو هلال العسكري	٨٣/٢ ، ٨٤
متَّهمُ	المنسرح	المتنبي	١٠٠/٢
وزمزمُها	المنسرح	سيف بن ذي يزن	٦٢/٢
ومُبْرمُها	المنسرح	سيف بن ذي يزن	٦٢/٢
أكامُ	الخفيف	أبو دُواد الإيادي	١٢٨/٢
آطامُ	الخفيف	أبو دُواد الإيادي	١٢٨/٢

(١) هذه الأبيات الأربعة وفيها البيت السابق تنسب إلىٰ رجل من بني تميم . راجع الكامل ص٨٢ ، والبيان والتبيين ٣٠٦/٣ ، والبخلاء ص١٩٧ ، وأمالي ابن الشجري ٣٢٩/١ ، ٢٦٣/٢

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ص٦٠٢ ، ١٠٠٧

(١) لم ينسبه أبو هلال . والبيتان للعملَّس وأخته الجرباء ، في قصة تراها في طبقات فحول الشعراء ص٧١٥ ، وأمالي المرتضى ٣٧٣/١ ، وأمالي ابن الشجري ١٣٦/١

(٢) هكذا جاء في المطبوع . وقد حقق الأستاذ حسن كامل الصيرفي — رحمه الله رحمة واسعة — أن البيت لأبي حية النميري ، وإنما وقع تصحيف بين « البحتري » و« النميري » . ملحق ديوان البحتري ص٢٦٥٧

(١) في بعض أبيات هذه المقطوعة تصحيف وتحريف ، صوابها في ديوان الشاعر ص١٢٩ – ١٣١

(٢) أنشد أبو هلال عجزه فقط ولم ينسبه . وهو لعديّ بن الرقاع . انظر صدره في ديوانه ص٧٥ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ص١١٤ وحواشيه .

للبحث صلة

مصطلحات معجم الصيدلة والعقاقير

(٤)

في كتاب القانون لابن سينا

السيدة وفاء تقي الدين

أرنب بحريّ*

أرنب البحر ، أرنب بحري	١ : **٢٣٦** و٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥٨ ، ٤١٣ ، ٤٢٠ ، ٤٤٠ ، ٣ : ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢١٣
دم الأرنب البحري	١ : ٢٦٣
(دواء هو) ترياق الأرنب البحري	١ : ٢٦١
(دواء هو) علاج الأرنب البحري	١ : ٢٦١
(دواء) للأرنب البحري	١ : ٤١٣
(دواء) لشرب الأرنب البحري	١ : ٤٤٠
(دواء) نافع في الأرنب البحري	١ : ٢٧٩
(دواء) نافع من شُرب الأرنب البحري	١ : ٣١٢ ، ٣٥٨
(دواء) يُسقى لِسَقْي الأرنب البحري	١ : ٤٢٠
(دواء) يقذف الأرنب البحري في الحال	١ : ٣٢٨
رأس الأرنب البحري محرقاً	١ : ٢٦٣
رماد رأس الأرنب البحري	١ : ٢٥٩

(*) كتاب ديسقوريدس ١٣٤ ، والحاوي ٢٠ : ٩٨ ، والملكي ٢ : ١٣٧ ، والصيدنة ٢٩ ، ومنهاج البيان ٢١ب ، ومفيد العلوم ١ ، والمنتخب ٥٤ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٢ ، والشامل ١٨ ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ٢١ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٤٠ ، ومعجم الحيوان ١٩ ، ٢٢١

قال ابن سينا في ماهيته : « هو حيوان صدفي إلى الحمرة ماهو ، بين أجزائه أشياء تشبه ورق الأُشْنان » ثم ذكر أنه « يعد في الأدوية السُمّية ؛ يقتل بتقريح الرئة » وعقد في القانون (٣ : ٢٣١) فصلاً خاصاً لعلاج هذا السم .

نقل العلماء العرب والمسلمون القدماء وصف هذا الحيوان عن اليونان ، وكلامهم في جملته يشبه ما قاله ابن سينا وهو يوحي إلى القارئ بأنهم لم يروا هذا الحيوان ، ونص بعضهم على ذلك صراحة كابن الحشاء الذي قال في مفيد العلوم : « والأرنب البحري صنف من السمك فيه سمية غير معروف بالمغرب » ومؤلّف (الشامل) الذي قال : « لم يتفق لنا مشاهدته ، فلذلك رأينا أن نكتب فيه ما قاله الأولون ، ولا علينا صحّت أقوالهم أو فسدت ، وقد قالوا : ... » ثم نقل كلام ابن سينا . أما كتب الحيوان الحديثة كمعجم الفريق معلوف ، فتفيدنا أنه « حيوان صدفي كبير ، بطني الرجل كالحلزون ، ذكره كثيرون من أطباء العرب وغيرهم ، وسماه بعضهم بالمغناطيس الحيواني ، ومغناطيس اللحم ، وزعموا أنه سام » .

أرنب برّيّ*

أرنب ، أرانب ، أرنب بري	١ : **٢٥٩**/ ٢ : ٨٣ ، ١٠٤ ، ٤٧٠ /٣ : ٤٣٨
أحشاء الأرنب	١ : ٢٥٩

(*) كتاب ديسقوريدس ١٣٤ ، والحاوي ٢٠ : ٩٨ ، والحيوان ٦ : ٣٤٩ وما بعدها ، والصيدنة ٢٩ ، والمخصص ٨ : ٧٦ وما بعدها ، ومفيد العلوم ١ ، والمنتخب ٥٤ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢١ ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ١٨ ، وتذكرة داود ١ : ٤٠ ، ومعجم الحيوان ١٥٠ ، وغيرها كثير من كتب الطب واللغة كاللسان والتاج (رنب) ...

مرقة لحم الأرنب ١ : ٣٥٩
وبر الأرنب ١ : ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧/ ٢ : ١٦٤ ، ٤٨٤/ ٣ : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨

الأرنب حيوان بري معروف ، أكثرَ القدماءُ من التداوي بإنفحته ولحمه ودماغه ، واستخدموا وبره ... وصفته معجمات اللغة والحيوان بأنه يشبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين .. يطأ الأرض على مؤخر قوائمه . والأرنب اسم جنس للذكر والأنثى ؛ وفي المخصص نقلاً عن صاحب العين أنه يقال : أرنبة للأنثى ، وذكروا لها اسماً آخر هو العِكْرِشة ، والذكر هو الخُزَز ، والخِرْنِق ولدهما . ويقول الجاحظ في كتابه الحيوان (٦ : ٣٥٧) « تقول العرب : هذه أرنب كما يقولون هذه عُقاب ولا يذكّرون » أما ابن سينا فاعتبره مذكراً دوماً فقال : دماغه ، رأسه ، انفحته .. الخ ، ونبه أمين معلوف في معجم الحيوان إلى أن العرب لم يَفُتْهم الفرق بين النوع الكبير من الأرنب ، وبين النوع الصغير منها ؛ فسموا النوع الكبير ذكراً ، وجعلوا له أسماء خاصة ، والنوع الصغير أنثى ، وسموه بأسماء خاصة .

اريبوعيون

ثمرة أريبوعيون ١ : ٤١٣

عقار نباتي ، انظر تحقيقه في مادة (فيلن) من كتابنا هذا .

اريقى*

اربعى [كذا] ٣ : ٤٣٧

(*) كتاب ديسقوريدس ٨٧ ، والحاوي ٢٠ : ١٢ ، ٦٣ ، ومفردات ابن البيطار ٢ : ٦٨ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٢١٥ أ ، ومعجم أحمد عيسى ٧٦ Erica arborea ، والمساعد ١٩١ (الأَرَيْقي) ، ومعجم الشهابي ١٠٧ خلنج Bruyère (Erica) .

ذكرهـا ابن سـينـا في جمـلة أدويـة تـدخـل في تركيب دواء نقـله عن جـالينـوس يُنْتفع به من خروج المقعدة فقـال : « تؤخذ ثمرة النبـات الذي يقـال له أربعى » كذا في طبعتي رومة وبولاق ، وهي بغير إعجـام في المخطوطة (١) ، وجاءت في مفردات ابن البيطار (ارتقي) ، والصـواب (اريقىٰ) كما في الحاوي لأنها من اليونانيـة Erika وهي اسم الشجـر الذي يعـرفـه العـرب بـاسـم الخَلَنج ، والخلنج معرَّب قديماً من الفـارسية[1] . وصف هذه الشجرة ديسقوريدس بقوله : « شجرة صغيرة شبيهة بالطرفاء ، غير أنها أصغر منها بكثير ، يعمل النحل من زهرتها عسلاً ليس بمحمود .. » ونقـل ابن البيطـار عن أبي عبيد البكري وصفـاً أكثر تفصيـلاً ، وهو قوله في الخلنج : « هذا الاسم يقع عندنا بالأندلس على الشجرة التي يصنع من أصلها فحم الحدادين ، وتسمى باليونانية أريقى[2] ، لها أغصان طوال مقدار قامة الإنسان ذات هدب أصغر من هدب الطرفاء بين اللدونة والخشونة ، وزهرة صغيرة إلى الحمرة وفيها غبرة ، وهي لطيفة في شكل المحجمة ، في جوفها شُعَيرات من لونها ، في رأس كل شعيرة حبة هينـة لطيفـة ألطف من حب الخردل فرفـيرية اللون قد فرعهـا واحدة في وسطهـا حتى خرجتْ من كِمام الزهرة ، ومنه صنف آخر أبيض النَّوْر إلا أنه ألطف من نور الأول مقداراً والشكل واحد » .

ازاد

ازاد ١ : ٣٣٦

ذكره ابن سينا نوعاً من أنواع الكافور . فانظر مادة (كافور) في معجمنا هذا .

---

(١) انظر المعرب للجواليقي ص١٣٦ .

(٢) في المفردات : ارتقى .

آزاد درخت*

آزاد درخت	١ : **٢٥٥**/ ٢ : ٤٧٧/ ٣ : ٢٢٧
ثمرة الآزاد درخت	١ : ٢٥٥
شجرة الآزاد درخت	١ : ٢٥٥
خشب الأزاد درخت	٣ : ٢٢٧
طبيخ الأزاد درخت	٣ : ١٧٣ ، ٢٧٦
طبيخ لحاء الآزاد درخت	١ : ٢٥٥
عروق الأزاد درخت	١ : ٢٥٥
عصارة أطراف الأزاد درخت	١ : ٢٥٥
عصارة ورق الآزاد درخت	٣ : ٢٦٤
فقاح الأزاد درخت	١ : ٢٥٥
ماء ورق الأزاد درخت	١ : ٢٥٥/ ٣ : ٢٦٥
ورق الأزاد درخت	٣ : ٢٢٧ ، ٢٣٩ ، ٢٦٥

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال في ماهيته : « شجرة الازاد درخت معروفة لها ثمرة تشبه النبق ، ويسمونه بالري شجرة الإهليلج وكُنَار ، وبطبرستان يُسَمَّى بطاخك[1] ، وهي شجرة كبيرة من كبار الشجر .

الآزاد درخت كلمة معربة قديماً من الفارسية (آزاد دِرَخْت) أي

(*) الحاوي ٢٠ : ٥٩ ، والصيدنة ٣٢ ، ومنهاج البيان ٢٢ب ، ومفيد العلوم ٦ ، والمنتخب من مفردات الغافقي ١٩ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٢ ، والشامل ١٨ ، وما لا يسع ..٣٢ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (ققب) ، وتذكرة داود ١ : ٤٠ ، والألفاظ الفارسية المعربة ٢ ، ومعجم أحمد عيسى ١١٦ ، والمساعد ٢٠١ ، ومعجم الشهابي ٦٨ ، والصحاح في اللغة والعلوم ١٧ ، والمعجم الموحد ٢٠

(١) في طبعتي رومة وبولاق (طاحك) بالمهملة ، وما أثبته من المخطوطة ١ ومعجم أحمد عيسى والمساعد . وانظر مادة (طاخك)

شجر حر . جاء في اللسان والتاج : « القيقب شجر .. كالقيقبان .. قال ابن دريد : وهو بالفارسية آزاد درخت » . كتبت هذه الكلمة – كغيرها من المعرَّبات – بأشكال مختلفة منها : أزاذ درخت ، وآزاذ درخت ، وأزاد درخت ، وآزاد دَرَخت وأزادرخت . ومن هذه الكلمة المعرّبة أخذت التسمية الفرنسية : **Azédarach** ، ولعل القدماء قد استعملوا هذا الاسم للدلالة على عدة أشجار من جنس واحد ، وخصص الآن بما يسمى بالشام ومصر (الزنزلخت) وهو الشجر الذي يزرع في الشوارع للتزيين ، يحمل عناقيد من زهر بنفسجي اللون ينعقد حباً صغيراً كالزعرور ، زعم القدماء أن هذا الشجر سام ، وعقد ابن سينا في القانون (٣ : ٢٢٧) فصلاً خاصاً بعلاجه ، وجاء في الصيدنة : « قال صهاربخت : حب الأزاد درخت الشبيه بالنبق قتّال . وقال يوحنا بن ماسويه في كتابه في الأبدال : رب شجرة ثمرتها قاتلة وأغصانها نافية للسم كالآزاد درخت ... » لكن ابن سينا قال في هذا الشجر عكس ذلك : « ورقه يقتل البهائم ، وخشبه ربما قتل ، علاجه قريب من علاج الدفلى[١] .

أما عن أسمائه الأخرى التي ذكرها ابن سينا ، ففي الصيدنة يقول البيروني أيضاً إن أهل الري يعرفونه بالهليلج ، وفي الألفاظ الفارسية المعربة أنه يسمى في فارس طاق وطغك ، وفي معجم أحمد عيسى : طاخك ، طاق ، طغك ، وزاد الكرملي في المساعد : (تاق وتاخ) ، ولم تُذكر (كنار) في هذا الموضع في أي من المراجع إنما هي اسم من أسماء النبق كما سيأتي في مادة (كنار) .

---

(١) القانون (٣ : ٢٢٧)

آس*

آس	١ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٨٢ ، **٢٤٥** ، ٢٤٦ ، ٢٩٤ ، ٣٢٠ ، ٣٣٤ ، ٣٩٢ /٢ : ٣٨ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٧٦ ، ٣٤٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٧٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩٢ ، ٥٩٦ ، ٦١٠ /٣ : ٦٦ ، ٧١ ، ١٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ .
آس بري	١ : ٣٧٠ [نبات مستقل انظر المادة التالية]
آس جبلي	١ : ٢٤٥
آس خسرواني[١]	١ : ٢٤٥
آس طري	٣ : ٥٥
آس مسحوق	٣ : ٢٩٧

(*) كتاب ديسقوريدس ١٠٩ (الآس البستاني) ، ٤١ (دهن الآس) ، ٣٨٧ (شراب الآس) ، والنبات ١ : ٢٥ ، والحاوي ٢٠ : ١٤ وما بعدها (آس .. بنكه .. خبه .. دهنه .. شرابه) ، والملكي ١ : ٢٠٨ (الآس) ، ٢ : ١١٤ (حبه) ، ٢ : ٥٨٥ (دهن الآس) ، ٥٩٢ (رب الآس) ، ٥٨٩ (شراب الآس) ، والصيدنة ٣٣ (آس .. بنك الآس) ، ومنهاج البيان ٨١ أ (حب الآس) ، ١٢١ب (دهن الآس) ، ١٣١ب (رب الآس) ، ١٦٦ أ(شراب الآس) ، ومفيد العلوم ٤ ، وشرح أسماء العقار ٥ ، والمنتخب ١٧ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٧ ، والمعتمد ١٦١ (دهن الآس) ، والشامل ٢٢ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٥ أ ، وحديقة الأزهار ٩ ، وتذكرة داود ١ : ٤٢ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (أوس) و(بنك) ، ومعجم أحمد عيسى ١٢٢ Myrtus communis ، ومعجم الشهابي ٤٤٥ Myrtus commun ، والمعجم الكبير ١٢ ، ومجلة مجمع دمشق مج٢٣ : ١٧٦ الألفاظ السريانية في المعاجم العربية للبطريك ماراغناطيوس أفرام الأول . والألفاظ الفارسية المعربة ٢٨ (بنك) .

(١) لعله منسوب إلى خُسْرَوابَة وهي قرية من قرى واسط كما في معجم البلدان ، وكثيراً ما يقحم ابن سينا هذه النون في الاسم المنسوب .

(١) انظر مادة (قيروطي)

قال ابن سينا : « الآس معروف ، وفيه مرارة مع عفوصة وحلاوة ... » ، ذكره أبو حنيفة في كتابه النبات فقال : « آس ، والواحدة منها آسَةٌ ، وهو بأرض العرب كثير ينبت في السهل والجبل ، وخضرته دائمة أبداً ، يسمو حتى يكون شجراً عظاماً .. وللآس بَرَمة[1] بيضاء طيبة الريح ، وثمرة تسودّ إذا أينعت وتحلو ، وفيها مع ذلك عُلَيْقمة وتسمى الفَطْس » . هذا الشجر كثير في بلاد الشام ، يؤكل ثمره ، ويسمى فيها (حَبْلاس)[2] أي حب الآس أدغمت الكلمتان وسهلت الهمزة ، يزين أهل الشام القبور بأغصانه في الأعياد الإسلامية ، وتسميه عامة المغرب

(١) كذا في كتاب النبات ، وفي مفردات ابن البيطار الذي نقل عبارة أبي حنيفة نفسها : (زهره) . والبَرَمة (وجمعها بِرَم) هي ثمرة العضاه ، وثمرة الطلح ، وحبة العِنَب إذا كانت فوق الذر ، أي أنها يمكن أن تطلق على الزهرة أول انعقادها ثمراً . انظر لسان العرب ، وتاج العروس (برم) .

(٢) وليس (حبلاس) كما جاء في معجم أحمد عيسى .

الريحان ، كما في مفيد العلوم ، وحديقة الأزهار .

لكلمة الآس أشباه في اللغات السامية ، ولهذا زعم البطريرك اغناطيوس افرام أن الكلمة معربة عن السريانية ، بينما ردها المعجم الكبير لمجمع القاهرة إلى Asu الأكدية .

وأما بُنْك الآس فهو – كما يقول ابن سينا – « شيء على ساقه في لون ساقه ، وفي صورة الكف وشكلها » ، وجدت مثل هذا في الحاوي ، والصيدنة ، ومفردات ابن البيطار ، وغيرها نقلاً عن ديسقوريدس الذي قال : « وأما المرطيذانون[٣] فإنه شيء ينبت في ساق شجرة الآس مضرس كأن فيه بنكاً[٤] لونه شبيه بلون ساق الآس ، وفي شكله مشابهة[٥] بالكف » ، وأكد البيروني هذا الوصف بقوله : « ونحن نرى أمثال هذه الزوائد تبرز من الأشجار » . وفي معجمات اللغة : البُنك – بالضم – أصل الشيء أو خالصه . قال الجوهري : هو معرّب ، وقال الأزهري : فارسي – وهذا ما أكده اديشير في الألفاظ الفارسية المعربة (ص ٢٨) – وقال ابن دريد : كلام عربي صحيح .

وقد أكثر القدماء من التداوي بحب الآس ودهنه وربه وشرابه ، وشرحوا طرق صناعتها وفوائدها إما في أثناء كلامهم على الآس ، أو في كلامهم على الربوب والأدهان والأشربة .

(١) في مفردات ابن البيطار (الميطيذانون) .
(٢) في الأصل (بنك) وجاءت على الصواب في مفردات ابن البيطار .
(٣) في الأصل (متشابه) وما أثبته من مفردات ابن البيطار .

آس بري*

آس بري ١ : ٣٧٠

في الكلام على (موردداسفرم) قال ابن سينا : « قال ابن ماسه هو الآس البري » ، وتابعه ابن جزلة في منهاج البيان فقال : « آس بري : هو مرداسفرم » . والآس البري كما وصفه ديسقوريدس « نبات له ورق شبيه بورق الآس البستاني إلا أنه أعرض منه ، وطرفه حاد[1] شبيه بطرف سنان الرمح ، وله ثمر مستدير فيما بين الورق ، وإذا نضج كان لونه أحمر .. وله قضبان .. كثيرة مخرجها من أصل واحد .. طولها نحو من ذراع ، مملوءة ورقاً[2] .. وأصلٌ إذا ذيق كان عفصاً .. »

هذا النبات كما وصفه ديسقوريدس كثير معروف ببلاد الشام رأيته في منطقة رأس البسيط بسورية . ثم أفادني د . زهير البابا أنه يدعى هناك (صُرم الديك) .

اسارون**

أسارون ، آسارن ، آسارون ١ : ٢٤٥ ، **٢٤٨** ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣٨٠ ، ٤٦٩/

(*) كتاب ديسقوريدس ٥٥٦ (مرسين اغريا) ، ومنهاج البيان (٢٣ب) ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٣٠ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٥ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٤٢ ، ومعجم أحمد عيسى ١٥٩ **Ruscus aculeatus** ، ومعجم الشهابي ٢٨٦ **Eragon épineux** ، والمعجم الموحد ١٢٠ . وانظر مادة (موردداسفرم) في كتابنا هذا .

(١) في الأصل « حد »

(٢) في الأصل « ورق »

(**) كتاب ديسقوريدس ١٨ (أسارون) ، ٣٩٥ (الشراب الذي يتخذ بالأسارون) ، والحاوي ٢٠ : ٥ ، والصيدنة ٣٤ ، ومفيد العلوم ٥ ، ومنتخب جامع مفردات الغافقي ١٣ ، وشرح أسماء العقار ٦ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٣ ، ومنهاج البيان ٢٤ أ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٢ ، والشامل ١٨ ، وحديقة الأزهار ٢٨ ، =

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال : « أسارون : الماهية : حشيشة يؤتى بها من بلاد الصين ، ذات بزور كثيرة ، وأصول كبيرة ، ذوات عقد معوجة تشبه الثيل ، طيبة الرائحة ، لذاعة للسان ، ولها زهر بين

= وتذكرة داود ١ : ٤١ ، ومعجما أحمد عيسى ٢٣ ، والشهابي (Asarum europoeum ٥٩) ، والمعجم الموحد ١٥ (Asaret) . وانظر مادة (ناردين) في كتابنا هذا .

الورق عند أصولها ، لونها فرفيري شبيهة بزهر البنج ، وأصولها أنفع ما فيها .. »

هذا الوصف منقول فيما يبدو عن ديسقوريدس ، وعنه أخذت سائر المراجع ، وذكرت أن منه نوعاً أندلسياً يجلب من الجزيرة الخضراء ، ولكن ابن الحشّاء قال في مفيد العلوم : « أسارون : هو أصول رقاق جعد تجلب من بلاد الروم ، والمسمى منه بالأندلسي وبالجزيري غير صحيح » ، ومن أسماء الأسارون الناردين البري ، والناردين الإقليطي . صنفته معجمات النبات في الزراونديات ، ويصنع منه شراب مشهور يُتداوى به لأوجاع الكبد .

كتبت هذه اللفظة في المراجع العربية (أسارون) بالهمز ، و(آسارون) ممدوداً وكلاهما تعريب للاسم اليوناني ، ومنه أيضاً المصطلح اللاتيني Asarum .

استرغان

استرغان ١ : ١٧٥

قال ابن سينا في بعض معالجاته : « وخل الكبر ، وخل الثوم ، وخل الاسترغان وأجرامها .. » كذا وردت الكلمة في طبعة بولاق ، وفي ط . رومة : اشترغان ، وهي على الصواب في مخ١ (اشترغار) انظر مادة (اشترغاز) في كتابنا هذا .

استرنجبين

استرنجبين ٣ : ٣٩٢

ذكره ابن سينا بين العقاقير التي تدخل في تركيب حب النجاح ،

وأردفه بقوله : « هو دواء هندي » . وردت هذه الكلمة في المخطوطة ١ : استرمجبين .

لم أجد هذا العقار ولا حب النجاح في كتب الأدوية المفردة والمركبة ، فلم أستطع أن أعرف شيئاً عنه زيادة على ما قاله ابن سينا ، ولعله نقل تركيب هذا الحب من مرجع هندي قديم لم يصل إلى من بعده .

أَسَد*

شحم الأسد ١ : ٤٤٠/ ٢ : ١٠٣ ، ٤٩٦ ، ٥٤١/ ٣ : ١٣٥
مرارة الأسد ٢ : ٥٦٦

الأسد حيوان مفترس معروف ، له أسماء كثيرة جداً في لغة العرب ، معظمها صفات له ، ذكر كثيراً منها ابنُ سيده في المخصص ، والظاهر أن أعداداً كبيرة من الأسود كانت تعيش في شبه جزيرة العرب وما يدانيها من بلادهم فقد تردد ذكره كثيراً على ألسنة الشعراء ، أما الآن فقد انقرض من هذه المناطق .

استخدم الأطباء القدماء في علاجاتهم شحم الأسد في الضمادات والمروخات ، أي للعلاج الخارجي حسب التعبير المعاصر ، ومرارته في الحمولات ، فهو ليس من الأدوية المأكولة .

أُسْرُب**

أُسْرُب ١ : ٧٧ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣/ ٢ : ٤١ ، ٧٤ ، ٥٢٢ ،

(*) المخصص ٨ : ٥٩ وما بعدها ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٣٤ ، ومنهاج البيان ١٦٣ أ (شحم الأسد) ، و٢٤٨ أ (مرارة الأسد) ، والشامل ٣٠ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٩ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٤٣ ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ٣ ، ومعجم الحيوان ١٥١ وغيرها .

(**) الملكي ٢ : ١٣٣ : والجماهر ٢٥٨ ، والصيدنة ٦٩ (أبار) ، ومفيد العلوم =

٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٩٩/ ٣ : ١٣٢ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٩٢ ، ٢٧٤ .

أسرب قلعي ١ : ٤٣٢
أسرب محرَق ٢ : ١٧١/ ٣ : ٤٣٨
أسرب محرَق مغسول ٢ : ١٧١/ ٣ : ٤١٧
أسرب ميت ١ : ٢٥١
إبرة من أسرب ٢ : ١٧٢
اسفيداج الأسرب ٣ : ١٣٧
إناء من أسرب ٢ : ١٧٣
بُرادة الأسرب ٢ : ٦٢٦
حُكاكة الأسرب ٢ : ٥٥٣
حُلالة من أسرب ... ٣ : ١٣٧
خبث الأسرب ٢ : ١٧١/ ٣ : ٢٩٨
صدأ الأسرب ٣ : ٢٧٢
صفائح الأسرب ٢ : ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨
مِيْل من أسرب ٢ : ٥٦٦
هاون من أسرب ٢ : ٢٨٣

لم يذكره ابن سينا في الأدوية المفردة . أجمعت المراجع القديمة سواء منها كتب اللغة ، وكتب العقاقير ، وكتب الحجارة على أنه الرصاص الأسود الرديء ، وأوضح البيروني في كتابه الصيدنة أن الأسرب هو نفسه الأُبَار ، وإنما يُسمى أباراً في أدوية العين ، ويدعى أيضاً الآنك كما في (الجُماهر) . ومنه نلاحظ أن القدماء خلطوا بين المسميات الثلاثة : الأبار ، والاسرب وهما الرصاص ، والآنك وهو القصدير . انفرد الأب

= ٩ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٣٣ ، ومنهاج الدكان ١٧٧ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (سـرب) ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٤٤ . وانظر مواد : (أبار) ، و(آنك) ، و(رصاص) في كتابنا هذا .

انستاس الكرملي بالقول إن الأسرب هو الرصاص الأبيض ، ذكر ذلك في (المساعد) وفي (نخب الذخائر ص٢٢ ح٣) ولعل السبب في هذا أن البيروني قال في الجماهر : « الأسرب وهو الآنك » والآنك يعني القصدير أي ما سماه القدماء بالرصاص الأبيض .

ضُبطت الكلمة بضم الهمزة والراء وتخفيف الباء أو تشديدها أي : أُسْرُبّ وأُسْرُبٌّ وهما تعريب للفارسية (سُرْب) ومعناه الرصاص .

إسْرِنج

ويقال سرنج انظر مادة (سرنج) في باب السين .

(التعريف والنقد)
نظرة في القصيدة الأولى
من ديوان النابغة الشيباني

الأستاذ يوسف الصيداوي

كنت أرسلت هذه المقالة من قبل إلى مجمع اللغة العربية بدمشق ، ليرى رأيه في نشرها في مجلّته . وهتف إليّ مِن بَعدُ ، الأستاذ أحمد راتب النفاخ – رحمه الله رحمة واسعة ، وجعل جنّة الخلد مأواه – يعلمني أنْ قد ووفق على نشرها في المجلة ، وأنه يحب أن يدارسني أشياء فيها قبل نشرها . فشكرت له اهتمامه ؛ وتحدثنا بالهاتف مرّات ، ثمّ لقيته في بيته مرّتين ، وكان حاضرَ ذلك الأخ الأستاذ عزّ الدين البدوي النجار .

ولبث بعد ذلك زمناً ، كلما عنّت له خاطرة ، هتف إليّ يذكرها ، أو يحضّني على التنقيب عمّا يتعلّق بها ، لعل مرجعاً يسعف برواية تقطع الظن باليقين ، أو قولٍ لإمامٍ يقيّد شاردةً تكون على ذلك عوناً .

ويتتالى ذلك مرة ومرة ومرة ؛ لا توهُّج قلبه يخمد ، ولا إجلالي له يعيد المقالة إلى المطبعة . حتى لقد رأيتني بعد حين منصرفاً إلى تأمّل هذا الشغف النبيل ، الذي تجاوز الهوى إلى الهيام ، لعلّي أدرك سرّ تدفّقه ، من قلب ذلك الرجل الفذّ .

وكنت على أن أعيد النظر فيما أثاره من ملاحظات ؛ ثمّ تصرفني شؤون الحياة عن ذلك زمناً فأغفل . ثمّ أفتح عينيّ على زلزالٍ فقده ؛ وأنظر ، فأجد بين يديّ من ملاحظاته كنزاً ، لا أجيز لنفسي إمساكه

ولا إنفاقه . وأبـدئ وأعيد ، ثم أصل من بعد إلى قرارة ، أطمئن فيها إلى أن مال « قيصر » لا يتلبّس به مال .

فأمّا ملاحظاته – رحمه الله – فمشارٌ إليها ، منوّه بها ، لم يمنعني من إيرادها أن تكون عليّ . فلا مساس .

وأمّا الذي أجريت القلم فيه من المقالة ، زيادة أو نقصاً ، فمحكوم باستيلاء النقص على جملة البشر ، مستظل بخلود مقوّلة العماد الأصفهاني : [إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه ، إلاّ قال في غده : لو غُيّر هذا لكان أحسن – ولو زِيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل – ولو تُرك هذا لكان أجمل] . فالذي في المقالة لفظاً ومعنى ، يمثلني إذاً وحدي ، بما له وعليه .

كان الأستاذ أحمد نسيم حقّق ديوان [النابغة الشيباني] ، فصدر مطبوعاً بالقاهرة سنة ١٩٣٢م .

ثمّ عمد الدكتور عبد الكريم إبراهيم يعقوب إلى إعادة تحقيقه . ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق سنة ١٩٨٧م .

وقد قدّم الدكتور المحقّق لعمله هذا بنحو سبع وعشرين صفحة ، أدار فيها الحديث حول نسخ الديوان الخطّية ، ومنهجه في التحقيق الخ ... ثم أتبع ذلك شعر الشاعر .

ولقد قرأتُ الديوان ، ودوّنت ملاحظات . وكادت مكانة الشاعر تغريني فأبسط القول في ذلك كلّه . ولكنني رأيت أنّ هذا محتاج إلى حيّز قد تشرق المجلّة به[1] ، وأن القليل قد يجزئ فيدلّ على الكثير . فعزمت أن

(١) علّق الأستاذ النفاخ – رحمه الله – على قولي هذا ، فقال : إن المجلة لا تشرق بذلك . وحضّني على العودة إلى قراءة الديوان ، والنظر في رواياته ، وفيما أورده المحقّق من شروح وآراء ، وأن أكتب في كل ذلك ؛ فاعتذرت .

أقف عند قصيدة واحدة من الديوان . وكدت أختار ، ثم عزفت عن ذلك ، لما في الانتقاء من مظنّة الميل والانحياز ، وآثرت أن أقصر الحديث على القصيدة الأولى من الديوان ، فذلك أقرب إلى العدل ، وأحرى أن يدفع شبهة الهوى .

ولقد حرصت أن تكون أرقام الأبيات هنا ، هي أرقامَها نفسَها في الديوان ، وأن يكون ضبْط المفردات هو ضبْط المحقّق حرفاً حرفاً ، ليكون من يقرؤها هنا ، كأنه يقرؤها في الديوان .

يتقدّم القصيدةَ نسبُ الشاعر ؛ والأستاذ المحقق يجشّم نفسه عناء تخطئة خمسة عشر مرجعاً ، قال إن نسب الشاعر ورد فيها محرّفاً ، أو مصحّفاً . غير أن الذي أضعف حجّةَ الأستاذ الدكتور ، أنه لم يذكر سبب اجتزائه بتخطئة هذه المراجع وحدها ، ولِمَ لَمْ يزد من ذلك أو ينقص . ولا ذكر المصدر الذي اعتمده في التخطئة والاستصواب . بل اكتفى بأن قال : [وهو خطأ] ، [وهو تحريف] ، [وكلّها تصحيفات وتحريفات] . فكان ذلك – حتى لو صحّ – دعوى بغير دليل .

وتسير القصيدة :

١ – أَرقتُ وشـرُّ الداءِ هـمّ مؤرَق كأني أسيرٌ جانَبَ النومَ مُوْثَق

والصواب : [مؤرِّق] بكسر الراء . اسم فاعل من [أَرَّق – يُؤَرِّقُ] وقد أغفل المحقّق وجهاً آخر لـ [جانب النوم] ، كان أحمد نسيم قد نبّه عليه ، بأن أورد ضبْط الوجهين ، فتحاً وكسراً : [جانِبَ النومَِ] ، وقال : [هذا الشكل كما هو في الأصل ، والمراد به احتمال الوجهين] .

ومع أننا نرجّح الرواية التي أخذ بها الأستاذ المحقّق ، إنّ إغفالَه الوجهَ الثاني ، والإعراضَ عنه كأنه لم يكن ، تضييع وتحكّم .

٢ ـ تذكّر سلمى أو صريعٌ لصحبه　　　يقـول إذا مـا عزّت الخمرُ : أَنْفِقوا

ضبَط أحمد نسـيم كلمـة [تذكر] بضم الكـاف وفتح الراء : [تذكُّرَ] ، وأمّا المحقّق فأغفل ضبطها ، إلا الكاف فشدّدها : [تذكّر] ، مع أن الكلمة تحتمل وجوهاً .

أ ـ تذكَّرَ : فعلاً ماضياً ، يرجع ضميره إلى [أسير] .

ب ـ تذكُّرُ : بضم الكاف والراء ، على البدلية من [هَمٌّ][٢] .

جـ ـ تذكُّرَ : وهو ما اختاره أحمد نسيم ، فكأنه انتصاب على نزع الخافض ، وأن الأصل : [هَمٌّ مؤرِّقٌ مِن تذكُّر سلمى] .

٤ ـ يقول الشُّروبُ : أيُّ داءٍ أصابه　　　أَتخبيـلُ جِنٍّ أم دهـاه المُرَوَّقُ

قال الأستاذ المحقّق في الشرح : [أتخبيل : من الخبل والخبال ، وهو الفســاد في العقول والأفعال والأبدان ، وهو هنا الفساد في العقل ، أي الجنون] اهـ .

قلت : الصواب أن يقال : [هو الإفساد] لا [الفساد] . وذلك أن تفسير [التخبيل] بـ[الفساد] فيه إلغاء لما تجلبه همزة النقل من معنى التعدية ، وحرمان [التخبيل] من معنى الفعل ، فيصير المعنى بالإضـافة المحضـة : [أجنون جنّ] ؛ ولم يقـل أحد إن للجن جنوناً ، وإنما الذي يقال ، إن الجن تصيب الإنس بالجنون ، فتخبّلهم تخبيلاً ، فتفسد عقولهم إفساداً .

---

(٢) رحمه الله ، لم يرتح لاحتمال أن يكون [تذكُّرُ] بدلاً من [همٌّ] في البيت الأول ، وذلك لبعد ما بين البدل والمبدل منه ، وإن كان لم يتذكّر حكماً نحوياً يحول دون البدلية ، في هذه الحال .

٦ – وأعجبَ سـلمى أنّ سلمى كأنّها من الحُسْـنِ حوراءُ المَدامعِ مُرْشِقُ

ضبط الأستاذ المحقّق كلمة [أعجبَ] بفتح الباء ، فهي على ذلك فعل ماض . فاعله المصدر المؤوّل : [أنّ سلمى ...] ، وهو وجهٌ ترضى به النفس ؛ غير أن الأستاذ المحقّق أغفل الرواية التي أخذ بها أحمد نسيم وهي : [وأعجبُ سـلمى أنّ سـلمى ...] ، على أن [أعجبُ] اسم تفضيل . منظوراً في ذلك إلى أنّ في سلمى فنوناً من العجب تتفاضل ، وأن الأصل : [وأعجبُ أمورِ سلمى ...] ، ثمّ حذف المضاف .

وذلك وجهٌ كان جديراً بأن يُذكَر مصدرُه ، وأن تُضاء جوانبه ، وأن يُقْبَل أو يُردّ .... وأما إغفال كلِّ ذلك ، والاقتصارُ على ضبط الباء بالفتح ، فهوى نَفْس .

٧ – دعـاها إلى ظلٌّ تُزجّي غزالَهـا مع الحَرِّ عُمْرِيٌّ من السِدْرِ مُوْرِقُ

قال المحقّق في ترجمة السـدر : [واحدته سـدرة وجمعهـا سدرات وسـدرات وسدرات] ، فأورد للسدرة – كما ترى – ثلاثة جموع متماثلة ، خالية من الشكل ، وهو يريد : [سِدْرات وسِدِرات وسِدَرات] .

وما إيرادُه [السدرةَ] إلا استطراد، ولا إيرادُه [السدراتِ ...] إلا استطرادٌ على استطراد . وحتى لو ضَبَطَ هذه الجموعَ بالشكـل لما فَعَل شيئـاً . فجمْع [سِـدرة] على [سِـدْرات وسِـدِرات وسِـدَرات] جمع قياسيّ . وإذا كان الأستاذ المحقّق رأى المعاجم تورد هذه الجموع فسار في هديها ، فإن المعـاجم لا توردها – وهي قياسية – عبثاً . وإنما توردها في خلال ذِكْر جموع [السِدرة] سالمةً ومكسّرة . وفي كل حال إنّ بين عمَلِ المحقّق وعمـلِ المعجمي فرْقاً لم يلتفت إليـه الأستـاذ المحقق ، لا في هذا

البيت ، ولا في كثير من الأبيات الأخرى . يَدُلُّك على ذلك شرحُه للبيت الثامن :

٨ – تَعَطَّفُ أحيـانـاً عـليـه وتـارةً
تكادُ – ولم تَغْفُلْ – من الوجد تَخْرَقُ

فالبيت واضح المعنى ، ولكنّ الأستاذ المحقّق أفاض في شرح [تخرق] فكتب فيه ثلاثة أسطر ، منها ما يناسب معنى البيت ، ومنها ما لا يناسبه ، ومنها ما لا ينظر إليه بحال . وإليك شرح المحقّق كما جاء حرفيّاً :

أ – [تخرق : تدهش وتتحيّر فلا تدري ماذا تفعل] .

قلت : هذا مناسب لمعنى البيت .

ب – [يقال : خرق الظبي أي دهش ولصق بالأرض إذا رأى الصائد فلم يقدر على النهوض من خوف ، ويقال : أخرقه الفزع أي أدهشه] .

قلت : هذا لا يناسب معنى البيت ، لأن المعنى فيه ، هو حَيْرَة مَنْ بِه الحُبُّ والوجد ، لا اللصوق بالأرض من الخوف .

جـ – [ويقال : ناقة خرقاء ، أي لا تتعهد مواضع قوائمها] .

قلت : هذا لا ينظر إلى معنى البيت بحال ، وإنما هو استمدادٌ من المعاجم مفتقر إلى التبصّر .

١٠ – إذا قَتَلَتْ لم يُؤْدَ شيئاً قَتيلُها
بَرَهْرَهَةٌ رَيّا تُوَدُّ وتُعْشَقُ

أثبت الأستاذ المحقّق الهمزة فوق الواو : [لم يُؤْدَ] ، فحالَ المعنى

عمّا أراد الشاعر . وذلك أنّ [لم يؤد] إمّا أن يكون مِن [أَدَى فلاناً] – وِزان فَعَلَ – إذ اختله ، واللبنَ إذا مخضه] ، وهذا ليس مقصوداً . وإمّا أنْ يكون من [آداه] – وِزان أَفْعَلَ – إذا أعانه] ، وهذا ليس مقصوداً كذلك .

والصوابُ البَيِّن حذفُ الهمزة : [لم يُودَ] لأنه مِن [وَدَى القاتلُ القتيلَ – يَدِيهِ ، دِيَةً] إذا أعطى وَلِيَّه المالَ الذي هو بدل النفْس .

١١ – وَتَبْسِمُ عن غُرٍّ رُواءٍ كأنها
أقاحٍ بريّانٍ من الروض مشرق

ضبَط الدكتور المحقّق كلمة [رواء] بكسر الراء وضمّها ، ليدلّ بذلك على صحّة الوجهين – في اعتقاده – وقال في الحاشية : [الرواء بضم الراء تعني حسنة المنظر ، وبكسر الراء : جمع ريا وريانة وهي المرتوية] اهـ .

قلت : هذا شرح مرتجل ، فالرُّواء كلمة لم تستعملها العرب في معنى [حَسَنَةِ المنظر] أو [حَسَنِ المنظرِ] كما وَهِمَ الأستاذ المحقّق ، وإنما استعملتْها في معنى [المنظرِ الحَسَنِ] . وشتّان ما بين [حَسَنَةِ المنظر] و[المنظرِ الحَسَن] . يقال : [فلان له رُواءٌ] ، أي له منظرٌ حَسَن . ولا يقال : [الأسنان رُواءٌ] وأنت تعني : الأسنانُ حَسَنَةُ المنظر ، وإنما يقال : [في الأسنان رُواء] ، أي فيها حُسْنٌ . فكما أنّك لا تقول : [الأسنانُ جَمالٌ] ، لا تقول : [الأسنان رُواءٌ] . قال أوس بن حجر – ديوانه/١٣٠ :

إذا الحربُ حَلَّتْ ساحةَ القومِ أَخْرَجَتْ
عُيوبَ رجالٍ يُعْجِبونكَ في الأَمْنِ

وللحـربِ أقـوامٌ يُحـامُونَ دُونَهـا
وكَمْ قد تَرَى مِنْ ذِي رُواءٍ ولا يُغْنِي

ثم إن [الغُـرّ] جمعٌ لمـؤنث ، و[الرُّواء] مفـردٌ لمذكر ، وكيف يوصف الجمع المؤنث – هنا – بالمفرد المذكّر ؟ .

الصواب ضبْط الراء بالكسر [رِواء] ليس غير . إذِ [الرِواء] جمع [رَيّا] . ففي اللسان : [امرأةٌ رَيّا مِن قومٍ رِواء] . فإذا قلت : [الأسنانُ الرِواء] فالمعنى : الأسنان المرتوية ، أي التي ظَهَر الريق فيها ، فكأنها ارتوت – ضد عطشت – وهو مما تحبّه العرب وتمتدحه .

١٤ – تكـون وإنْ أعطتـكَ عهـداً كأنهـا
إذا رُمْـتَ منهـا الودَّ نجمٌ مُحَـلِّقُ

١٥ – فـبرَّحَ بي منهـا عُـداةٌ فصرمُهـا
عـلَيّ غـرامٌ وادِّكارٌ مُشَـوِّقُ

وإنما أُوردْتُ البيتين معاً لِاتّصال معناهما ، وبناءِ ثانيهما على أوّلهما .
وقد ضبط المحقق كلمة [عُداة] بضم العين ، وجَعَلَ التاء مربوطة وإنّما [العُـداة : الأعداء جمع عَدُوّ][3] ، والمعنى – على مـا ضبطـه الأستـاذ المحقّق – هو : [فبرّح بي منها أَعْداء] وهو وَهَمٌ بيّن . وإنما الصواب :

(٣) علّق على قولي : [والعُداة الأعداء جمع عدوّ] ، فقـال : [العـدوّ جمعـه الأعداء] . قلت : إنني لا أدفع عن نفسي ، ولا أدّعي لها العصمة ، ولكن للحجّة حقّها من البيان ، فعبارتي لا تنصرف – كما قرّر رحمه الله – إلى أن العدوّ بالضرورة جمع للعُداة . ومهما يدر الأمر ، فقد أراد بملاحظته هذه أن [العُداة] وإن كان معناها – كما ذكرتُ – هـو [الأعـداء] ، فـإن العـدوّ لا يجمع على [عُداة] بـل يجمع على [أعداء] . وأمـا [العُداة] فمفرده [عادٍ] ، ومثله : [قاضٍ وقُضاة ، ورامٍ ورُماة ، وداعٍ ودُعاة ...] .

[عِدات] بكسر العين ، وبالتاء المبسوطة ، لأنّه من [وَعَد - يَعِد ، عِدَةً] والجمعُ عِدات .

يدّلك على ذلك قولُ الشاعر في البيت الأول /١٤/ : [تكون وإنْ أعطتك عهداً كأنها ...] ، ويريد به أنها - وإن وعدتك وأعطتك عهداً - لا تفي بما وعدت ، ولذلك برّح بالشاعر عِداتٌ منها لا تتحقّق . ولا التفاتَ إلى قائل يقول : إن الذي برّح بالشاعر أعداءٌ حالوا بينه وبينها ؛ وذلك أن الشاعر قال : فبرّح بي منها عدات ، أي عدات كائنة منها . والجار والمجرور هنا أبانا عن أنّ العِدات منها ؛ ولا معنى لـ[أعداء منها] ، فأنت لا تقول : عاداني أعداء من زينب أو خديجة ... والذي ذهب إليه المحقّق وَهمٌ بيّن .

١٩ - وزرعٌ وكلُّ الزّرعِ يُشبِه أصلَه
هُمُ وُلِدوا شتّى مُكِيسٌ ومُحْمِقُ

عَرَضَ الشاعر لصنوف الناس فقال في البيت /١٨/ : [وللناس أهواء ...] ثم أتبعه البيت /١٩/ . وقد ضبط الأستاذ المحقّق [وُلِدُوا] بضمّ الواو ، وكسر اللام ، بالبناء للمجهول . ولا أرى ذلك معيناً على بيان إرادة الشاعر . ذاك أنّ قوله : [مُكيسٌ] هو مِن [أكاسَ] أو [أَكْيَسَ] ، إذ وَلَدَ أولاداً أكْياساً ؛ وقوله : [مُحْمِق] هو مِن [أَحْمَقَ - يُحْمِق] ، إذا وَلَدَ أولادًا حَمقى .

فالناس عند الشاعر كالزُرّاع ، فهؤلاء يزرعون بَذْرَهم في الأرض ، وأولئك يزرعون أولادهم في أرحام أمهاتهم . فمنهم أبٌ وَلَدَ أكياساً ، فهو مُكِيس ، ومنهم أبٌ وَلَدَ حمقى فهو مُحْمِق ، فهمْ على ذلك قد [وَلَدُوا شتّى] ، فكانوا مُكِيساً ومُحْمِقاً .

ولو قبلنا ما اختاره الأستاذ المحقّق من بناء الفعل للمجهول ، لكان ما يتحصّل من المعنى ، دائراً حول الآباء وحدهم ، أي : الآباء وُلِدُوا ، ولَضاع ما قصد إليه الشاعر مِن زارع ومزروع ، ووالد ومولود ، في قوله : [وكلُّ الزرع يشبه أصله] . والذي يدلّك على إرادة الشاعر هو قوله : [زَرْعٌ] بالضمّ والتنوين . فإنه إتمامٌ لقوله : [وللناس أهواءٌ] ، أي : [للناس أهواءٌ وللناس زَرعٌ] .

وعلى ذلك يكون الضبط المعبِّر عن إرادة الشاعر هو : [وَلَدُوا] بالبناء للمعلوم[٤] .

٢٣ – ولم يأته عنّي من الشتم عاذرٌ   خلا أنّ أمثالي تُصيبُ وتَعْرُقُ

جاء في شرح الأستاذ المحقّق : [العاذر : أثرُ الجرح أو غيره] .

قلت : صحيح أنّ من معاني [العاذر] أثرَ الجرح ، ولكنْ ليس هذا موضعَه . وذاك أن الذي يأتي من الهاجي ليس أُثَرَ الجرح ، بل الجارح نفسه ، وهو الهجاء . وعلى ذلك ، إن العاذر في البيت اسم فاعل من [عَذَرَه – يَعْذِرُه] إذا رَفَعَ عنه اللوم . ويريد الشاعر : أنّ مَن يحقد عليّ لم يأته مني هجاء يكون عاذراً له في حقده عليّ . وكل الذي كان مني أنّ أمثالي تصيب وتعرق . فما ذَنْبي إذا كان الأمر كذلك ؟ .

٢٦ – وغيّرها جون رُكامٌ مُجَلْجِلٌ
أجشُّ خصيفُ اللون يَحبو ويَبْرُقُ

٢٧ – يلالي وميضٌ مستطيرٌ يَشُبُّهُ
كما جال في دُهْمٍ من الخيل أَبْلَقُ

---

(٤) ذكر – رحمه الله – أن ما أخذ به المحقّق غير ممتنع . قلت : وإننا لنسلّم بأنه غير ممتنع ، ولكنْ بين ما لا يمتنع وبين إظهار إرادة الشاعر فَرْق .

٢٨ ـ تَنوءُ بأحمالٍ ثِقالٍ ، وكلُّها
ـ وقد غرقتْ بالماء ـ ريّانُ مُتْأَقُ

لقد أوردتُ الأبيات الثلاثة معاً ، لترابطها ، وأمّا همّي فالبيت الأخير . وهو قول الشاعر : [تنوء بأحمال ..../٢٨] ، فقد أَوْرد فيه المحقّق فِعْلَ [تَنُوء] بالتاء ، وهو على هذه الرواية ، لا مرجع لضميره المؤنث ، لا مفرداً ولا جمعاً .

والوجه التذكير : [ينوء] بالياء ، ويهدي إلى ما نذهب إليه قولُ الشاعر :

٢٩ ـ كأنّ مصابيحاً غذا الزيتُ فُتْلَها
ذُبالاً به باتت إذا الْتَجَّ تَذْلَقُ

فالضمير في قوله : [ذبالاً به] ، إنما يعود إلى [الجون] ، إذ الأصل في نظم التركيب : [كأنّ مصابيحَ به غذا ...] .

كما يهدي إليه قولُه في البيت/٣٠ : [كأنّ خلايا فيه] ، أي : في الجَوْن .

٣٠ ـ كأنّ خلايا فيه ضلّتْ رِباعُها
ولَجّةُ حُجّاجٍ وغابٌ يُحَرَّقُ

فأما شارح الديوان ـ في المتن ـ فقد شرح كلمة [خلايا] فقال : [خليّة النحل ، تجمع على خلايا] .

وأما الأستاذ المحقّق فقد صرف وجهه عن هذا الشرح ، فلم يقف عنده ، ولا علّق عليه . بل تخطّاه فقال : [خلايا : جمع خليّة ، وهي الناقة المُطْلَقَة من العِقال . الرباع جمع ربع ـ كمضر ـ وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أوّل النتاج] اهـ .

قلت : هذا الذي قاله الدكتور المحقّق يُرى في المعاجم ، ولكنّه غير مقصود هنا ، وأبيّن لك الأسباب :

أولاً : لقد ضبط الدكتور المحقّق كلمة [رباعها] بضمّ العين ، كأنها فاعل [ضلّت] . وكأن الشاعر أراد إلى أن الرباع ضاعت ، فحنّت أمّهاتها ، فهمهمة الرعد في السحاب ، كحنين النوق المولّهة ، إذ تنزع إلى أولادها .

وهو معنى جيّد ، قد طالما تعاوره الشعراء ، ومنه قول الشاعر :

فما وَجَدَتْ كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ الحَنِينَا

غير أن الأستاذ المحقّق ، إذ ضبط كلمة [رباعها] بالضمّ ، قد أضاع سَمْتَ الشاعر ، وفَصم عُرى الصلة العاطفية بين النوق وضلالِها أولادَها ، وترك التعبيرَ مجوَّفاً مَنْخوباً .

هذا ، على أنّ تأمُّل العبارتين التاليتين ، قد يوضح ما جلبته هذه الضمة من آثار ، وذلك أن البون شاسع .

بين قولك : [الناقةُ ضاع ولدُها] وقولك : [الناقةُ أضاعَتْ ولدَها] فالعبارة الأولى ليس فيها إلا أن ولد الناقة ضاع ، على حين ترى في العبارة الثانية أُمّاً أضاعت ولداً . فكم بين أن يَضِيع وَلَدٌ ، وبين أن تُضِيعَه أُمُّه من البون ؟! ولو أن الأستاذ المحقّق ضبط [رباعها] بالفتح ، على أنها مفعول به لِـ[ضَلَّت] ، لظلّت الصلة قائمةً بين النُّوق وبين ما أضلّته من الأولاد ، فرأيتَ أمهاتٍ فَقَدْنَ فَتَوَلَّهْنَ فَحَنَنَّ .

وكان للمحقّق سبيل ثالثة : أن يهمل ضبط الكلمة ــ كما أهمل ضبطَها من قبله أحمد نسيم ــ فيترك للقارئ أن تدلّه ثقافته ، ويرشده إحساسه ؛ ولكنه لم يفعل .

ثانياً : إن الذي نراه : أن المعنى هو ما ذهب إليه شارح الديوان في المتن ، من أن الخلايا هي خلايا النحل ، تَضِلُّ رباعَها [أي الأماكن التي تعسّل فيها] . وقد يكون ذلك في كُوّارات ، أو في صخور الجبال ؛ فتطير آلافاً : مجتمعةً متلاحقةً ، وتَحُطُّ آلافاً مجتمعةً متلاحقةً ، فَتَسْمع لها دويّاً وهديراً ، لا يشبهه شيء ، كما تشبهه همهمة الرعد ، ولقد كان من النِّعَم التي لا تُنسى أنْ رأينا ذلك مصادفةً وسمعناه ، ويا له من منظر !! ويا له من صوت !! .

هذا ، ومع أن تشبيه همهمة الرعد بحنين النوق ، أو العكس ، واردٌ مِن حيثُ المبدأ – كما يقال اليوم – فإن الشاعر إنما يجلو إرادته بصُوَرِه ، ويُفْصِح عنها بألفاظه ، والنابغة الشيباني لم يترك في هذا البيت لمتقوّل أن يتقوّل . فقد جلا إرادته وأفصح عنها ، إذ حرص على تقريب تلك الأصوات إلى الآذان والأذهان ، فقال : [ولَجّةُ حُجّاجٍ وغابٌ يُحَرَّق][٥] .

وذاك أن أصوات لجّة الحجاج والغاب الذي يحرّق عظيمةُ الشَبَه بأصوات خلايا النحل وقد ضلّت كوّاراتِها ، لا حنين الناقة الملتاعة الذي قد يبلغ من الرقّة والشجو أن يقول فيه الشاعر القديم :

يُعارِضْنَ مِلواحاً كأنّ حَنِينَها قُبَيْلَ انْفِتاقِ الصُبْحِ تَرْجيعُ زامِرِ

٣١ – تَمَرَّض تَمريه الجَنوبُ مع الصَّبا تَهامٍ يمانٍ أنجدٌ وهْو مُعرِقُ

نبّه شارح الديوان في المتن ، على ما في البيت من الإخلال فقال :

(٥) رجّح – رحمه الله – أن يكون ضبط العجز : [ولجةَ حجّاجٍ وغابٍ يحرّق] ، مِن عطف [لجة] على خلايا ، وعطفِ [غاب] على حُجاج . وإنها لملاحظة يحوطها السداد ، وقد كنت عنها غافلاً حتى نبهني عليها .

[فيه زحاف] . وأما الدكتور المحقّق فقال ما نصه : [تهام يمان أنجد أو منجد : نسبة إلى الأقاليم الثلاثة المعروفة : تهامة واليمن ونجد . قول الشارح : « وهو معرق : فيه زحاف » غير صحيح] اهـ .

وفي شرح الأستاذ المحقّق ، وضبْطِه مفردات البيت أمور ، منها :

أ – ضَبَطَ كلمةَ [أنجد] بالتنوين : [أنجدٌ] فجعلها اسماً مصروفاً . لكن هذه الكلمة ، لم تجيء اسماً في حدود ما بين أيدي الناس اليوم من المعاجم ، وإنما هي فعلٌ ماض : [أَنْجَدَ] إذا ارتفع أو أخذ في بلاد نجد .

ب – قال الأستاذ المحقّق : [أنجد أو منجد : نسبة إلى ....] فجعل الكلمتين بمعنى واحد ، فسوّى بين الفعل والاسم ، ظاناً أن [أنجد] اسم ، وليس الأمر كذلك . .

جـ – أنكر الأستاذ المحقّق على شارح الديوان أن يرى في البيت زحافاً ، فنَسَبَ قولَه إلى عدم الصحة ، فقال : [قول الشارح : « وهو معرق فيه زحاف » ، غير صحيح] .

قلت : طبيعيّ أنّ مَنْ يجعلُ [أنجد] اسماً ، فيضبطه منوناً : [أنجدٌ] لا يرى في البيت زحافاً . لكنه لو قرأه [أَنْجَدَ] لرأى زحافاً منكراً ، جعل فيه الشاعرُ [فَعُوْلُنْ = فَعِلُنْ] .

كلّ هذا ، مع أن الشارح لم يُرِد إلى أن يقول : [وهو معرق فيه زحاف] كما وَهِمَ الأستاذ المحقّق ، وإنما فسّر بعض مفردات البيت ، حتى إذا تمّ له ذلك ، استأنف القول فقال : [فيه زحاف] . وقد عنى أن في البيت زحافاً منكراً ، لا يليق عدم التنبيه عليه ، وفيه ما فيه مِن النُكْر . هذا ما عناه الشارح ، ولم يعن أنّ : [وهو معرق] فيه زحاف[٦] !! فالذي قاله

(٦) وقف رحمه الله – عند كلمة [زحاف] ، ورغب في أن أنبّه على أن هذا =

الشارح في المتن إذاً ، صحيح لا يعاب . وفضلاً على ذلك ، هاهنا مسألة ، هي أن الرواية عند أحمد نسيم هي : [فيه زحاف] وهذا يعني أنه يقبل استعمال [أزحف – يزحف] . وكان على الأستاذ المحقّق أن ينبّه هنا على أن ذلك سهو من الأستاذ نسيم ، أو أنه وارد في إحدى مخطوطات الديوان الخمس ... ولكنه لم يفعل ؛ وذلك تفريط .

٣٥ – وأضحتْ جبال البُحتريين كلُّها – وما قَطَنٌ منها بناجٍ – تُغَرَّقُ

وَصَف الشاعرُ قبل هذا البيت ، هطلان المطر ؛ الذي أتى به ذاك السحاب الجون المتراكم ، وكيف سحّ وسال وسقى ... وغرّق جبال البحتريين .

وقد شرح الأستاذ المحقّق مِن هذا البيت كلّه كلمةَ [قطن] . فقال : [القطن : القاطن المقيم] .

ولكنه لم يذكر ما يُؤول إليه معنى البيت ، إذا كان القطن فيه هو القاطن . ونرى مِن حقّ النابغة الشيباني أن نقول : البحتريون – بنو بحتر – طائيّون . كانت اليمن منازلَهم . لكنّهم نزحوا عن اليمن فجاوروا بني أسد ، وغلبوهم على جَبَلَيْهم : [أجأ وسلمى] ، فاستقرّوا فيهما ، وورثوا منازل بني تميم بأرض نجد ، ومنازلَ غطفان مما يلي وادي القرى . فإذا قال الشاعر : [جبال البحتريين] فلأنّ البحتريين طائيون . وإنما يعني بجبالهم الجبالَ التي كانت لبني أسد ، ثم غلبتهم طيئٌ عليها .

وأمّا [قطَن] في البيت ، فليس هو القاطن المقيم ، وإنما هو جبل

= المصطلح العروضي ، قد اختلف مؤدّاه في حقبة من الزمن بعد حقبة . وعلى ذلك ، فإن شارح البيت في المتن قد استعمل كلمة الزحاف هنا بمعنى انكسار الوزن لا بمعنى التغيير ، الذي يعتري ثواني الأسباب خفيفةً أو ثقيلةً .

لبني أسد . ففي معجم ما استعجم ١٠٨٣/٣ : [قطن : بفتح أوّله وثانيه .... وقال أبو حنيفة : قطن جبل بنجد في بلاد بني أسد ، على يمينك إذا فارقت الحجاز وأنت صادر عن النقرة] . وفي معجم البلدان لياقوت ٣٧٤/٤ : [وقَطَنٌ : جبل لبني أسد في قول امرئ القيس يصف سحاباً :

أصاحِ ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبيّ مكلّلِ

ثم يقول بعد أبيات :

على قَطَنٍ بالشَيْم أيْمَنُ صوْبه وأيْسَرُه على الستار فيذبُلِ

.... وقال بعض الأعراب :

سلّمْ على قَطَنٍ إن كنت نازلَه سلام من كان يهوى مَرّةً قَطَنَا]

ويقول ياقوت : [وقال الواقدي : قطن ماء ، ويقال جبل من أرض بني أسد بناحية فيد ، وغزوة قطن قتل بها مسعود بن عروة ، وأمير جيش رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد] .

فـ [قَطَن] إذاً في البيت ، ليس القاطنَ المقيم ، كما وهم الأستاذ المحقّق ، وإنّما هو جبل بنجد . والعجب أن الأستاذ المحقّق لم يتنبّه لمرجع الضمير في قول الشاعر وهو يذكر تلك الجبال : [وما قطن **منها**] .

٣٧ - فأقلعَ - إذ خفَّ الرَبابُ فلم يَقُمْ - رُكامٌ تُزَجّيه الشَمالُ وتَسْحَقُ

ضبَط الأستاذ المحقّق كلمة [يقم] بضمّ القاف ، فهو عنده إذاً من [قام - يقوم] ، ولا معنى له في البيت ، إذ لا قيامَ هنا ولا قعود ، وإنما هو مضارع مجزوم ، من الرباعي : [أقام - يُقِيم] ، ثم بالجزم : [فلم يُقِمْ] ، بضم الياء وكسر القاف .

٤٥ ـ ترى جِزَقَ الثيران يحمينَ حائلاً فكلٌّ له لَدْنٌ سلاحٌ مُذَلَّقُ

قال الدكتور المحقّق في شرحه : [الحائل : الأنثى التي لا تحمل] .
فنفى عنها أن تحمل ، وكان الصواب أن يقول : [التي لم تحمل] ، إذ الحائل ـ وإن لم تحمل ـ خليقةٌ أن تحمل . ومن هنا كانت إضافةُ الثيران بها ، وحمايتُها لها . ولو كانت لا تحمل ، على معنى عُقْم رحِمها ، لم تُطِف بها الثيران ولم تَحْمِها .

٤٩ ـ وكلُّ مِسَحٍّ أخدريٌّ مُكَدَّمٍ له عانةٌ فيها يظلّ ويَشهَقُ
٥٠ ـ بأكفالها من ذَبِّهِ بشباته خدودٌ وما يلقى أَمَرُّ وأَعْلَقُ

يصف الشاعر حمار وحش يحدو أتنه ، وذاك في تاريخ الشعر العربي كثير كثير ، لا تكاد تفتقده عند شاعر ، فصورة الحمار يعضّ أكفال الأتن ، وصورتها وهي ترمحه وتعدو أمامه ، تمتلئ بهما دواوين الشعراء . غير أن الجديد هو أن يكون لحمار الوحش قرن يطعن به أكفال إناثه . وهو ما ذهب إليه الأستاذ المحقّق في شرحه ، إذ قال : [الشباة : حدّ كل شيء والمراد بها هنا حدّ قرنه] . فجعل للحمار قرناً على الحقيقة ، كما ترى .

ولقد أوردت البيتين ٤٩ ـ ٥٠ معاً لكيلا يذهب بك الظن إلى أن الأستاذ المحقّق إنما أراد ثوراً ذا قرن حادّ . ولترى بنفسك ، أن ذلك راجع إلى [المسحّ الأخدريّ المكدّم] الذي له عانة فيها يظل ويشهق ، والذي من ذبّه بشباته خدود بأكفالها ، والذي يلقى من رمحها ما هو أمرّ وأعلق . ثم لتقرن كلّ ذلك بقول الأستاذ المحقّق : [شهيق الحمار : آخر صوته وهو ينهق] .

وأقول : لقد كان على المحقّق أن يقف عند هذا البيت ، فيعرض رواياته في المخطوطات الخمس التي ذكر أنها بين يديه ، ثم يختار منها ـ إذا

اختلفت – ما يليق بمعنى البيت ، وأن يذكر – إذا هي اتّفقت – أنه لم يهتد في النص إلى رأي يرضاه . وفي كل حال ، كان عليه أن يقف عند هذه الناجمة ولا يتخطّاها(٧) .

٥٣ – فمنهنَّ نُؤْيٌ خاشعٌ ومُشَعَّثٌ وسُفْعٌ ثلاثٌ قد بلينَ وأَوْرَقُ

قال الدكتور المحقق : [النؤي : حفير أو حاجز من تراب أو رمل يضرب حول الخيمة] .

قلت : إنما تُضرب الخيامُ ، وأما ضَرْب النؤي فلم يُسمَع . يقال : النؤي حفرة حول الخيمة ، والنؤي يُعْمَل ويُسوّى حول الخيمة ، والنؤي يكون حول الخيمة الخ ... وأما ضَرْب النؤي حول الخيمة فمرتجل ، لم يقله مِن قبلُ أحد في حدود علمنا .

٥٨ – كأن مُلاءَ المَحْضِ فوق متونِها ترى الأُكْمَ منه ترتدي وتُنَطَّقُ(٨)

يصف الشاعر في أربعة أبيات صحراءَ قطعها . والبيت/٥٨ آخرها . والدكتور المحقّق يشرح من هذا البيت كلمةَ [المحض] فيقول : [المحض ما تحلّب من العرق] .

ولو أخذنا بهذا الشرح لكان معنى البيت : كأنّ العرق المتحلّب من

(٧) لقد مال الأستاذ – رحمه الله – إلى أن الشاعر ، قد يكون أراد موضع القرن [الشباة] من رأس الحمار . قلت : هذا التخريج – الذي لا يمكن أن يمرّبه المرء إلا معجَباً – مبني على أن أثر عض الحمار أكفالَ الأتن ، يشبه أثر الطعن بقرن الثور ؛ وهو تخريج يُميط الغموضَ عن البيت ، وإن ظلّ في النفس منه شيء . وسواء أقبلته النفس أم لم تقبله ، لقد كان على المحقّق أن يقف هاهنا وقفة المعالج المتدبّر ، وألاّ يجعل للحمار – مهما بدر الأمر – قرناً يطعن به على الحقيقة .

(٨) رجّح الأستاذ – رحمه الله – أن يكون فِعْل [تُنَطَّقُ] مبنياً للمعلوم . أي [تَنَطَّقُ] .

الحيـوانات في تلك البوادي ، ملاءةٌ تغطّي الآكام ، فيكون لها منـه أرديةٌ ونُطُق !! هذا إذا لم نـأخذ بما جاء في القـاموس المحيط ـ مادة نطق ـ وفيه : [ونَطَّق الماءُ الأكمةَ وغيرها : بلغ نصفها] ، ولو أخذنا به لكان المعنى : أن العرق غطّى الآكام مرةً ، وبلغ نصفها مرةً أخرى !! .

وإنما أُتِيَ الدكتور المحقّق من المَيل إلى الدَعَة ، فآثر النقل عن أحمد نسيم ، على الجد في طلب معنى الكمة . ولقد بحثت في عشرة من المراجع الأمّهـات عن أن المحض هو ما تحلّب من العرق ، فلم أجد ذلك . منها اللسان والقاموس والصحاح والمجمل والمقاييس والتاج ... فما أدري من أين نقل الأستاذ المحقّق هذا المعنى .

هذا ، على أن المحض من معانيه [القَتّ] وهو نبات عشبيّ كلئيّ ترعاه السائمة . والعرب تقول : أمحض فلان دابّته ، إذا علفها المحض . ولو أخذ المرء بهذا المعنى من معاني الكلمة ، ووَجَّه البيتَ في ظلّه ، لخلص إلى معنى ارتداء الآكام أثواباً منه ، وتَنَطُّقِها به نُطُقاً . ولكان لَمَحَ ما رمز إليه الشاعر من أنه رجل مشيّع ، مِن شمائله قطع مهامه تنأى عن أن تسومها ماشية أو ترعاها ، فتظل مكتسيةً أثوابَ هذا النبات ونُطُقَه[٩] .

(٩) لقد شغلت كلمةُ [المحض] في البيت بال الأستاذ ـ رحمه الله ـ أياماً وأسابيع ، ولولا شيء من التحرّز والتورّع ، لقلت شهوراً . فكان يهتف إلي مرة بعد مرة يذاكرني فيما اهتدى إليه من معانيها ودلالاتها ، في الصور الشعرية ، وتراكيبها ، ثم في توجيه معنى البيت في هدي ذلك . ولكنه ظلّ دوماً يرجّح أن الشاعر أراد في البيت معنى اكتساء الآكام أردية السراب . وأيّد ذلك عنده أن النابغة الشيباني قد ألحّ على هذه الصورة الشعرية مرات في شعره . وكنت أقول له : إن دون الأخذ بهذا الوجه عقبةً ، هي أن كتب اللغة لا تذكر أن [المحض] من معانيه السراب ، وأن تردّد اكتسـاء الآكام أردية السراب في ديوان شاعرنا لا يكفي لقيام حجة قاطعة على صحة هذا التوجيه ، إذ ليست هذه الصورة الشعرية مقصورة عليه ، بل هي منتشرة متفشية في الشعر القديم قصائد وأراجيز .

٦٩ - وخَطْمٌ كَسَتْه واضحاً من لُغامِها نَفَاه من اللَّحْيَيْن دَرْدٌ وأَرْوَقُ

يقول الشاعر ذلك في وصف ناقته . وقد وقف الدكتور المحقّق عند كلمة [دَرْد] فقال : [الدّرد : الذي سقطت أسنانه أو تحاتّت من الكبر فلحقت بمغارزها] . قلت : إن كتب اللغة لا تذكر كلمة [الدَرْد] بتسكين الراء . وإنما تذكر أنّ الرجل يوصف بـ [الدَّرَد] بفتح الحرف الثاني ، فيقال : [أَدْرَد بَيِّنُ الدَّرَد] ويجمع على [دُرْد] ، والأنثى [دَرْداء][10] .

٧٤ - متناسمٌ رجليها إذا ما تقاذفتْ يَدَاها وحُثَّتْ بالدوائر تَلْحَقُ

شرح الأستاذ المحقّق معنى [الدوائر] فقال ما نصّه : [الدوائر : واحدتها الدائرة ، وهي في الخيل ثماني عشرة دائرة ، منها دائرة القالع تكون تحت اللبد ، ودائرة اللطاة تكون في وسط الجبهة ، ودائرة الناخس تكون تحت الدبرين إلى نقرتي الورك ، ودائرة الهقعة تكون في عرض الزور ، ودائرة أخرى تكون تحت الأنف] اهـ .

قلت : هذا عمل المعجميّ ، فأين عمل المحقّق ؟ ولقد كنّا نقنع بأن يختار من هذه المعاني كلّها معنى واحداً يناسب ما في البيت ، ويوضح قصْدَ الشاعر ، والصورةَ التي أراد إليها . ولكن الأستاذ المحقّق لم يفعل .

وأرى أن الدوائر في البيت جمع دائرة ؛ والدائرة ما أحاط بالشيء ، ودائرة الحافر ما أحاط به . وعلى ذلك يكون المعنى : إذا حُثّت هذه الناقة

(١٠) علّق - رحمه الله - على تسكين الراء ، فقدّر أن الشاعر قد يكون بنى الوصف من [دَرِدَ] على [دَرِدٍ] ثم سكّن الراء فقال : [درْد] ، وتسكين عين الكلمة في قبيلة ربيعة كثير . قلت : مهما يدر الأمر ، فقد كان على الأستاذ المحقّق أن يعلّق على المسألة أو يبدي فيها رأياً ، أو يعتذر بأنه لم يهتد فيها إلى وجه .

فأسرعت ، لحقت مناسمُ رجليها بدوائر يديها ، وذلك أشدّ ما يكون من سرعتها .

هذا ، على أن الدوائر وإن كانت للخيل في الأصل ، فإن مثل ذلك في الشعر يُستعار . قال علقمة الفحل يصف عَدْوَ الظليم :

يكـاد منسمُـه يَخْتَـلُّ مقـلتَـه كأنـه حـاذِرٌ للنَّخْس مَشْـهـومُ

ومعروفٌ أن ذكرَ النعام [الظليم] له ظلف ، وإنما المنسم للبعير . ولكنه استعاره له . ومثل ذلك في الشعر كثير[11] .

وبعد ، فقد بلغت القصيدة اثنين وثمانين بيتاً ، فيها ما قصّر عن أن يكون جميلاً ، وفيها ما لحِق ، وأما ما يروع ، فالأبيات الخمسة التي ختم بها الشاعر قصيدته . ويصف فيها منزلاً نزله ليرتاح ويريح ناقته . وما أظن كثيراً من الشعراء المجيدين يبلغون ما بلغه شاعرنا فيها[12] . وإن مّما يؤلم أن هذه الأبيات الخمسة قد أساء الشرح والرواية إلى أربعة منها أيَّ إساءة !! وإليكها[13] وما أساء إليها لترى ذلك بنفسك :

٧٨ – إذا حُلّ عنهـا كُوْرُهـا خرَّ عنده طَليحـان مجْترٌّ وأشْعَثُ مُطْرِقُ

(١١) رجّح – رحمه الله – أن تكون الكلمة مصحّفة ، وأن صوابها [الدوابر] ، جمعاً لـ [دابرة] ، وهي مؤخّر الحافر .

(١٢) علّق – رحمه الله – على قولي هذا فقال : بل هناك كثيرون منهم بلغوا ذلك وتجاوزوه .

(١٣) عاب قولي [إليكها] بمعنى [دونكها] ، فقال إن بعض نحاة العصر قد استحدثوا هذا الاستعمال . فقلت : بل أُراه استعمالاً قديماً . ثم لقيت الأستاذ النجار بعد أيام فرجوته أن ينقل إليه ، أن هذا الاستعمال ورد في قصيدة رائية للشاعر ابن منير الطرابلسي المتوفى سنة/٥٤٨هـ . يقول فيها مفتخراً بنظمها :

وإليـكـهـا بـدويـة رقّت لرقتهـا الحضرْ
شـاميّـة لو شـامهـا قسّ الفصـاحـة لافتخرْ

٧٩ - ومـاءٍ كأن الزيتَ فوق جِمـامـه متى مـا يَذُقْهُ فُرَّطُ القوم يَسْبِقُ

يريد الشاعر أنّ ما وجده من الماء في طريقه ، كان في بئر عميقة ، فهو راكد ، كأنّ الزيت يعلوه . فإذا شرب منه المسافرون مرضوا أو كادوا ، لما فيه من سوء الطعم والرائحة .

هذا ما نرى أن الشاعر أراد إليه ؛ وأما الدكتور المحقّق فكان له في معاني المفردات ودلالاتها آراء أخرى ، أُوردُها لك ، مع التعليق عليها فيما يلي :

أولاً : قال : [يسبق : كذا في (الأصل) أي يتقدم ، وهو الأصح عندنا ، وفي (ش) : يبسق ، ومعناه يطول ويتمّ طوله ، وهو تحريف مع صحة المعنى ، وفي (م) : يسنق ، ومعناه يبشم ويتخم ، وهو تحريف مع صحة المعنى] اهـ .

قلت : كيف يصحِ المعنى وهو مرةً سَبْقٌ ، ومرةً طُولٌ ، ومرةً تُخمة ؟! بل كل ذلك غير صحيح ؛ وسأبيّن لك ذلك بعد قليل .

ثانياً : قال : [الفُرَّط : المتقدم من القوم إلى الورود] .

قلت : قول الأستاذ المحقّق مبتدَع مرتجل . فالفُرَّط ليس مفرداً . بل هو جمعُ [فارط] وهو المتقدم . إذ وزْنُ [فُعَّل] جمعٌ لصفةٍ صحيحةِ اللام وزْنُها فاعِل أو فاعِلة . فهو : لراكعٍ : رُكَّع ، ولصائم : صوّم ، ولنائم : نوّم ، ولفارط : فُرَّط .

والعجيب أن الأستاذ المحقّق لم ينتبه لـ[متى] وعملِها الجزمَ في [يذقْه] ، فأورد فِعلَ [يسبقُ] مرفوعاً ، وكان حقّه الجزم . وأورده مفرداً ، لإعراضه عن معنى الجمع في [فرّط] ، وكان حقّه الجمع .

ثم إن الأستاذ المحقّق لم يقل للقارئ ما معنى : [متى يذقْه المتقدمُ يسبقُ] . والذي نراه أن في [يسبق] تصحيفاً وتحريفاً . والصواب : [يسنقُوا] بالنون لا بالباء ، وبالجمع لا بالإفراد . وإليك البيان :

أ ـ هو للجمع ، لأن الضمير فيه يرجع إلى [فرّط] ، وهو جمع [فارط] .

ب ـ هو مجزوم بأنه جواب الشرط : [متى ما يذقه .... يسنقوا] .

جـ ـ هو من مادة [سنِق ـ يسنَق] إذا بشم . يقال : [أَسْنَقَه ـ يُسْنِقه] ، بمعنى : داناه من المرض . والشاعر إنما أراد أن الفرّط من القوم ، إذا سبقوا إليه فذاقوه ليعرفوا أصالحٌ هو للشرب أم لا ؟ أصابهم من مذاقهم له ، ما يكاد يمرضهم . ففي « البارع » للقالي/٤٧٧ ما نصّه : [وقال الخليل : تقول سَنِقَ الحمار وكلُّ دابّة ، سَنَقاً ، إذا أكل من الرطب حتى كاد يصيبه كالبشم] ، ثم شرع يفصّل فقال : [والفصيل إذا أكثر من اللبن حتى **يكاد يمرض** ، تقول سنق][١٤] اهـ .

٨٠ ـ فَوَصَّلْتُ أرماثاً قِصاراً وبعضها
ضَعِيفُ القُوى بِمحْمَلِ السيفِ موْثَقُ

كأنّ الشاعر يريد هنا أن يقول : الحاجة أمّ الاختراع ، فلقد وَجد الماءَ بعيداً تناوله ، فعمد إلى ما وجد في رَحْله من قِطَعِ حِبال [أرماث] فوصّلها ليجعل منها حبْلاً . فلمّا تبيّن له أنها قصّرت عن أن تبلغ الماء ، عمد إلى حمائل سيفه فوصّلها بها ، فتمّ له ما أراد .

(١٤) ذكر ـ رحمه الله ـ أن الأرجح عنده أن تكون الرواية : [متى ما يذقه فرّط القوم يصقوا] .

ولقد ذكّرني هذا ما كنت قرأته يوماً في رحلة ابن بطّوطة ، فقد اشتدّ به الظمأ وهو مسافر ، وأفضى به سَيْره إلى بئر ، ولم يجد ما يستقي به منها ؛ قال : [فربطت خرقة كانت على رأسي بالحبل وامتصصت ما تعلّق بها من الماء ...] .

فانظر – بعد الذي بينته لك – إلى ما قاله الدكتور المحقّق في شرح [الأرماث] قال : [الأرماث : جمع رمث – بفتح الميم – وهو خشب يضّم بعضه إلى بعض ويركب في البحر] .

قلت : أيّ بحر هذا ؟! إنما الأرماث في البيت ، جمع الرِّمث ، وهو الحبْلُ الخَلَق .

٨١ – إلى سَفْرَةٍ ، أمّا عُراها فَرَثّةٌ ضعافٌ ، وأما بَطْنُها فَمُخَرَّق

يريد الشاعر أن يقول : فلمّا تمّ لي ما أردت من إعداد الحبل ، وصلتُه إلى سُفْرة (بضم السين – لا بفتحها – وهي وعاء طعام السفر) قد رثّ أديمها لطول العهد بها ، وكثرة استعمالي لها في أسفاري . فهي بالية الأطراف ، مخرّقة الوسط ، لا تكاد تمسك من الماء إلا وَشَلا . فجعلتُها بمنزلة الدلو ؛ وعلى هذا فإن الجار والمجرور : [إلى سُفرة] متعلّقان بـ [وصّلت] في البيت السابق/٨٠ ؛ قال ثعلب في شرح ديوان زهير/٢٦٠ : [إذا لم يكن لهم دلوٌ ، استقَوا بالسُّفرة التي يأكلون عليها] .

وفي اللسان : [والسُّفرة بالضم طعامُ يتّخذ للمسافر ، وبه سمّيت سُفرة الجِلد] . ثم قال : [السُّفرة : طعامٌ يتّخذه المسافر ، وأكثر ما يُحمل ، في جلد مستدير ، فنُقل اسمُ الطعام إليه وسمّي به] .

أمّا الآن ، فانظر إلى شرح المحقّق . قال : [السَّفرة : الناقة التي تعوّدت على « كذا » الأسفار] .

قلت : أيّ ناقة هذه ؟! فالبيت لا علاقة له بالناقة من قريب ولا من بعيد . وإنما هو وصفٌ لما استقى به الشاعر ، فجعله بمنزلة الدلو ، وهو وعاء طعام السفر ، ليس غير .

وهاهنا – في كل حال – مسائل :

الأولى : لفظية : وهي أن [السَّفرة] بفتح السين خطأ ، والصواب الضمّ : [السُّفرة] .

والثانية : معنوية : وهي أن [السفرة] مهما يكن ضبطها ، ليس لها معنى الناقة التي تُركَب في السفر . إذ الناقة : [مِسْفَرة ، ومِسْفار] . ففي اللسان : [وبعير مِسْفَر : قويّ على السفر ؛ وأنشد ابن الأعرابي للنمر بن تولب :

أَجَزْتُ إليكَ سُهوبَ الفلاةِ   ورَحْلِي على جَمَلٍ مِسْفَرِ

وناقة مِسْفَرة ومِسْفار كذلك] اهـ .

ثم هَبْنا قبلنا جَدَلاً ما ذهب إليه المحقّق ، من أن السفرة هي الناقة ، فكيف يُخرِّج للقارئ قولَ الشاعر في وَصْفِها : [... أما عراها فرثّة ضعاف ، وأمّا بطنها فمخرق] ؟ .

والثالثة : نحوية : وقد أنشأها شرحُ الأستاذ المحقّق لمفردات البيتين [٨٠ و٨١] . وحصيلتُها أن الأرماث عنده خشبٌ يُضم بعضُه إلى بعض فيُركَب في البحر ، والسفرة ناقةٌ ، وَصَفَها الشاعر بأنها مخرّقة البطن . فالمعنى إذاً هو : وصّلت خشباً إلى ناقة مخرّقة . وإذ قد كان هذا التوصيل مستحيلاً عقلاً ، فقد غَدَا تعليق الجار والمجرور : [إلى سفرة] بغير متعلَّق ، وانفصمت بذلك العروة بين البيتين [٨٠ و٨١] .

والرابعة : لغوية: وهي أن [تعوّد] إنما يتعدّى بنفسه ، ففي

الحديث : [تعوّدوا الخير فإن الخير عادة ...] . فقول الدكتور المحقّق في الشرح : [السفرة : الناقة التي تعوّدت على الأسفار] استعمال عاميّ لا أصل له . ثم إن البيت الآتي :

٨٢ – أَلُدُّ بما آلتْ من الماءِ جَسْرَةً تَكادُ إذا لُدَّتْ من الجهدِ تَشْرَقُ

فيه ضمير هو فاعلُ [آلت] ، راجعٌ بالضرورة إلى تلك [السفرة] – إذ ليس له مرجع سواها . ولقد علمتَ أن الأستاذ المحقّق قال : السفرة ناقة . وهو بقوله هذا قد هدم معنى البيت ، لأنه يُؤوْل – على حسب تخريج الأستاذ – إلى أن للشاعر ناقتين ، لا ناقة واحدة : ناقة تجلب الماء ، وأخرى تُسقى به . وذاك أن حَلَّ البيت – بناء على أن الناقة هي مرجع الضمير – يصبح كما ترى : [أسقي بما رجعتْ به الناقةُ من الماء ، ناقةً جسرةً تكاد تشرق] . وذلك غير مستقيم ، ونظم البيت لا يعين عليه .

أمّا حاقّ المعنى فأنّ الشاعر أراد : لقد سقيتُ ناقتي المجهدة العطشى ، ما أمسكتْه ورجعتْ به سُفْرتي – الباليةُ المخرقة – من الماء . وعلى أنه وَشَلٌ لا يُشْرق به في العادة ، لقد كادت تَشْرق به من جهدها ولهاثها .

ولقد تخطَّى الأستاذ المحقّق كل ذلك – وهو كثيرٌ تَخَطِّيه كما ترى – واكتفى بأن تابع أحمد نسيم ، فنقل عنه شرحه لمفردات البيت حرفاً حرفاً ، فقال : [ألدّ : أسقي ، مأخوذ من اللدود وهو ما سقيه الإنسان في أحد شقّي الفم] . ثم تابع النقل فقال : [آلت : حلت] . ولقد نظرت في قولهما : [آلت : حلت] فلم أتبيّن ما أرادا ، ولا رأيت له وجهاً اللهمّ إلا أن يكون أحمد نسيم قد أراد بـ [حلت] ما يراد بقولهم : [حلا منه بخير] ، إذا أصاب منه خيراً ، أو ظفر منه بنصيب ، ثم تابعه الأستاذ المحقّق ، مطمئناً إلى علمه ، وجزالة إيجازه .

وفي كل حال ، لقد أحسن الأستاذ المحقّق صنعاً إذ لم يستمرّ في الاستفادة من شروح أحمد نسيم ، فظلّ مستمسكاً بأن الشاعر يصف ناقة ، إذ قال : [آلت : حلت . الجسرة : الناقة الضخمة الطويلة والماضية] ، على حين رآها أحمد نسيم سفينة . إذ قال : [آلت : حلت . والجسرة : الماضية ، والمراد بها هنا السفينة]!! .

وبعد ، فلقد اجتزأتُ بالتعليق على ما أصاب ألفاظَ الشاعر ومعانيَها .... وأما ما تعهّد الأستاذ المحقّق به في الصفحة /٦/ ، من إجراء [المقابلات والمقارنات الدقيقة الوافية] بين المخطوطات الخمس التي قال إنها كانت عمدتَه في التحقيق ، فلم أُعرض له ؛ وذلك أن المحقّق لم يذكره ولا عرّج عليه .

ولم أتمكن كذلك من النظر فيما قال عنه في الصفحة /١٨/ إنه أخطاء [ارتكب الشنقيطي نفسُه جزءاً منها] !! وذلك أن الأستاذ المحقّق لم يعرض لها ولا ذكرها .

ومهما يدر الأمر ، فإن المرء يخطئ ويصيب ، فما كان مّما قلناه صواباً فقربان من قرابين الحقيقة ، وما كان منه خطأً فمِن عثرات مضمارها .

(آراء وأنباء)

ندوة معجم النفط

المنعقدة في دمشق (٩ - ١٢/١/١٩٩٤م)

والتي نظمها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالمشاركة مع مجمع اللغة العربية بدمشق

برعاية الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي

التقرير والتوصيات

١ - التقرير :

جلسة الافتتاح :

افتتحت الندوة بجلسة عامة في الساعة العاشرة من يوم الأحد ٩ كانون الثاني ١٩٩٤ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد بحضور الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي وعدد من الوزراء والمسؤولين والسفراء العرب وثلة من العلماء والمثقفين ، وقد حضرها المشاركون في الندوة من الأقطار العربية ، ومن القطر العربي السوري وهم السادة :

أ - من جمهورية مصر العربية :

الأستاذ إبراهيم الترزي	الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة
الدكتور محمد يوسف حسن	عضو مجمع القاهرة ومقرر لجنة النفط فيه

الأستاذ عبد العاطي عطية	مدير إدارة التحرير بمجمع القاهرة وأمين (سكرتير) اتحاد المجامع العربية
الأستاذ أحمد حامد حسين	المدير المالي بمجمع القاهرة والمراقب المالي للاتحاد

ب – من الأردن :

الدكتور عادل جرّار	ممثل مجمع اللغة العربية الأردني

ج – من تونس :

الدكتور محمد الهادي بن إسماعيل	ممثل المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون

د – من الجمهورية العربية السورية :

الدكتور شاكر الفحام	رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور محمد إحسان النص	نائب رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور عدنان الخطيب	الأمين العام لمجمع اللغة العربية
الدكتور عبد الكريم اليافي	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور عبد الحليم سويدان	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور محمد بديع الكسم	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور مختار هاشم	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور محمد زهير البابا	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور عادل العوا	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور عبد الوهاب حومد	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ جورج صدقني	عضو مجمع اللغة العربية

الدكتور ميخائيل معطي — الأستاذ بقسم الجيولوجية بجامعة دمشق

الأستاذ عوض جرجور — المستشار بالشركة السورية للنفط

....

افتتحت الجلسة بكلمة ألقاها رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور شاكر الفحام رحب فيها بالضيوف المشاركين في الندوة ، ثم تحدث عن تاريخ المجامع العربية والمهمات التي نهضت بها منذ إنشائها ، وتحدث عن اللغة العربية وشأنها العظيم في حياة الأمة العربية ، وعن اتحاد المجامع العربية وما قام به منذ إنشائه ، وعن ندوة معجم النفط ، ونوّه بفضل رئيس الجمهورية العربية السورية القائد الأمين حافظ الأسد في رعاية اللغة العربية والعناية بها وتكريم العلماء والباحثين .

وألقى الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة كلمة نقل فيها تحيات الدكتور إبراهيم مدكور رئيس اتحاد المجامع العربية ، والدكتور شوقي ضيف الأمين العام لاتحاد المجامع إلى المشاركين في الندوة ، ثم تحدث عن النفط وما ورد بشأنه في كتب التراث العربي ، وعن معجم النفط والجهود التي بذلت في إخراجه ، وعن ندوة معجم النفط والمهمة المنوطة بها ، وشكر الجمهورية العربية السورية على استضافتها للندوة كما شكر مجمع اللغة العربية بدمشق لتنظيمه هذه الندوة .

ثم ألقى ممثل المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب الدكتور محمد الهادي بن إسماعيل كلمة باسم الوفد التونسي والوفود المشاركة في الندوة شكر فيها مجمع اللغة العربية بدمشق على استضافته للندوة ، وتحدث فيها عن إنشاء المجمع التونسي ومهماته ، وعن أهمية التعريب والخطوات التي خطتها الجمهورية التونسية في هذا المجال .

وكانت كلمة الختام للدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي بالجمهورية العربية السورية ، فرحبت بالوفود المشاركة في الندوة ومن حضروا حفل الافتتاح ، وأثنت على جهد اتحاد المجامع العربية ومجمع اللغة العربية بدمشق في عقد هذه الندوة ، وأشادت برعاية رئيس الجمهورية حافظ الأسد للغة العربية والثقافة ، وبنضاله الوطني ومواقفه القومية وحنكته السياسية .

وبعد انتهاء حفل الافتتاح اجتمعت الوفود المشاركة في الندوة في رحاب مجمع اللغة العربية لانتخاب رئيس الندوة ومقررها ولجنة الصياغة ، فانتخب الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق رئيساً للندوة ، والأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن مقرراً لها ، كما انتخب الدكتور محمد إحسان النص رئيساً للجنة الصياغة ، وألفت هذه اللجنة من السادة : الأستاذ إبراهيم الترزي والدكتور محمد يوسف حسن والدكتور عادل جرّار والدكتور محمد الهادي بن إسماعيل .

الجلسة الأولى : الأحد ١٩٩٤/١/٩ الساعة ٤,٣٠ مساء

عقد المشاركون في الندوة جلسة برئاسة الدكتور شاكر الفحام بمجمع اللغة العربية ألقى فيها الدكتور محمد يوسف حسن بحثاً حول منهجية وضع المصطلح النفطي تحدث فيه عن خصوصيات مصطلح النفط وأهمية النفط في اطار التقدم العلمي والتقني ، وعن المخزون النفطي في العالم اليوم واحتياطي المستقبل ، وعن علوم النفط .

ثم تحدث عن النهج الذي اتبعه مجمع القاهرة منذ نشأته في الثلاثينات في العناية بالعلوم المختلفة وتأليفه اللجان العلمية في مختلف المجالات ، ووجه الباحث العناية إلى أمرين : أولهما إقرار منهجية صالحة

لتعريب العلوم يُتفق عليها في جميع أرجاء الوطن العربي ، والثاني جمعُ مصطلحات العلوم من مختلف مظانها ونقلها إلى العربية . ولتحقيق الهدف الأول جرى مجمع اللغة العربية بالقاهرة على عقد المؤتمر السنوي الذي يُدعى إليه المجمعيون من مصر ومن مختلف البلاد العربية وكذلك المختصون بالتعريب . ولتحقيق الهدف الثاني اتجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى اصدار المعجمات المتخصصة في شتى المجالات .

ثم تحدث عن المعاجم التي أصدرها مجمع القاهرة وبدء التوجه إلى إصدار معجم النفط ، فألفت لجنة متخصصة لهذا الغرض يعاونها متخصصون علميون ولغويون من أعضاء المجمع ومن الخبراء من خارج المجمع ، وكانت حصيلة جهودها هذا المعجم الذي بين أيدينا ، وقد التزمت اللجنة بالقرارات التي اتخذها مجمع القاهرة بشأن منهجية وضع المصطلحات والتعريب ، وذكر الأستاذ الباحث أهم الأسس التي قامت عليها سياسة مؤتمر مجمع القاهرة في التعريب ووضع المصطلحات . ووضح مميزات معجم النفط الذي تقوم هذه الندوة بدراسته ، ومنها العناية بشرح المصطلحات النفطية ووضع كشاف هجائي بالعربية لألفاظ المعجم التي تناهز أربعة آلاف لفظ .

وختم كلمته بطلب آراء المشاركين في الندوة ومقترحاتهم حول هذا المعجم ليصار إلى دراستها ثم اصدار طبعة منقحة وافية من المعجم .

وبعد أن فرغ الأستاذ المحاضر من إلقاء بحثه عقب عليه بعض المشاركين في الندوة ثم ذكر المشاركون ملاحظاتهم العامة حول المعجم على أن يتم في الجلسات المقبلة دراسة المعجم دراسة مفصلة باستعراض صفحاته واحدة تلو الأخرى .

الجلسة الثانية الاثنين ١٠/١/١٩٩٤ صباحاً

الجلسة الثالثة الاثنين ١٠/١/١٩٩٤ مساءً

الجلسة الرابعة الثلاثاء ١١/١/١٩٩٤ صباحاً

درس المشاركون في الندوة في هذه الجلسات الثلاث معجم النفط صفحة بعد صفحة وأوردوا ما لديهم من ملاحظات حول بعض الألفاظ الواردة فيه وقام الدكتور محمد يوسف حسن بالتعليق على هذه الملاحظات ، وقد تمت في هذه الجلسات الثلاث دراسة ما يقارب نصف المعجم ، وتم الاتفاق على أن ترسل سائر الملاحظات إلى مجمع القاهرة للنظر فيها وإقرار ما يراه ملائماً منها . وقد زوّد الدكتور محمد يوسف حسن بورقة بحث حول ألفاظ المعجم من قبل ممثل المجمع الأردني وبورقة مماثلة أعدتها لجنة معجم النفط السورية المشاركة في الندوة .

٢ ـ التوصيات :

أقرّ المشاركون في ندوة معجم النفط في اختتام جلساتهم التوصيات الآتية :

١ ـ أن يصدر معجم النفط ثلاثي اللغة (بالعربية والانكليزية والفرنسية) ، مع شرح للمصطلحات باللغة العربية ، وأن تطبق هذه التوصية على سائر المعاجم العلمية التي تصدر فيما بعد .

٢ ـ أن يستفاد مما ورد في كتب التراث من مصطلحات على ألا يتعارض هذا مع القواعد والكشوف العلمية الحديثة .

٣ ـ أن تضبط ألفاظ المعجم العربية بالشكل دفعاً لكل لبس .

٤ ـ أن تخزن مواد المعجم في الحاسوب (الحاسب) ، ثم تدخل

التعديلات التي يتم التوصل إليها ، تمهيداً لاستخراج نسخة معدلة تكون أساساً لطباعة المعجم النهائية . وقد تقدم ممثل مجمع اللغة العربية الأردني بعرض لتزويد اتحاد المجامع بنسخة معدلة في صورتها النهائية بعد أن ترد فيها التعديلات التي تم إقرارها .

٥ - أن تنجز طباعة المعجم بعد الخطوة السابقة ، وبعد أن تكون قد اعتمدت في صورتها النهائية في مجمع القاهرة طبقاً للأصول المرعية .

٦ - أن يصار إلى توحيد المصطلحات النفطية بين الأقطار العربية وسائر المصطلحات .

٧ - أن يتكرر عقد مثل هذه اللقاءات العلمية اللغوية تحت مظلة اتحاد المجامع العربية كلما ظهر عمل معجمي جديد ، لما لمسته الندوة من فائدة جليلة في إغناء العمل المعجمي من عقد هذه اللقاءات .

٨ - تؤكد الندوة رسالة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها ، والعمل على تنسيق الجهود في الأمور المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي .

كلمات جلسة الافتتاح

(١)
كلمة الأستاذة الدكتورة صالحة سُنْقُر

وزيرة التعليم العالي

أيها الحفل الكريم

يسعدني أن التقي معكم اليوم في هذه الندوة اللغوية المتخصصة يجمعنا هدف مشترك هو محبتنا للغتنا العربية واهتمامنا بنمائها وتطورها ويسعدني أن أرحب بكم لغويين وباحثين ومثقفين جئتم من أقطار عربية إلى دمشق الأقدم بين المدائن ، عاصمة الفكر العربي ، دمشق التي ازدادت ألقاً وتطوراً في عصر حامي عرين الأمة والمدافع عن كرامتها وعزتها القائد العربي المناضل حافظ الأسد كما ويسعدني أن يتم هذا التعاون بين مجمع اللغة العربية في دمشق واتحاد مجامع اللغة العربية فمثل هذا التعاون بين الاختصاصيين يحفز إلى المزيد من العمل المثمر ويشجع للمضي قدماً نحو انماء الثروة اللغوية وانتاج المفيد والمبدع بتعريب المصطلحات الأجنبية والقيام بدراسات قيمة تفيد في تطور اللغة العربية وازدهارها .

السادة الحضور :

يقول السيد الرئيس حافظ الأسد :

لغتنا العربية هي عنوان هويتنا وهي الرابطة بين الناطقين بالضاد وهي

أهم صلات الماضي بالحاضر والمستقبل ، بها نعبر عن ذاتنا وننشر في الوطن والعالم نتاج الفكر العربي وننقل إلى أبناء الأمة العربية النتاج الفكري للشعوب الأخرى ، وجميعنا مسؤولون عن الحفاظ عليها وعلى قواعدها فلا عجمة ولا ركاكة بل تركيب سليم وفصاحة ، مما اشتهرت به أمة العرب .

بهذا القول وجه سيادة الرئيس حافظ الأسد . ذلك أن اللغة هي مقوم وجودنا وعلى أساس اتقاننا لها يتحدد من نحن ؟ وماذا نريد ؟ ومن هذا المنطلق يعد تأليف المعاجم والاهتمام بها مطلباً وطنياً قومياً يمليه انتماؤنا إلى الأمة العربية وهو نمط من البحث العلمي يحرص على التمثل السليم للمعطيات مما يساعد على الإبداع والابتكار واللحاق بركب النهضة العلمية الحديثة .

ولهذا حرصت مجامع اللغة العربية والمنظمات العربية والإقليمية على ايجاد معاجم في العلوم الأساسية والتطبيقية والاجتماعية والفنية . وأخذت المعاجم المتخصصة حيزاً كبيراً من اهتمام خبراء مجامع اللغة العربية في الوطن العربي الذين حرصوا على مجاراة العصر والاطلاع على التطورات العلمية والمستجدات الحديثة في عالمنا المعاصر . واجتهدوا في التمكن من اللغات الحية وعملوا على تحقيق شروط الدقة العلمية والصحة اللغوية فيما أوجدوه من مصطلحات ومسميات ودلالات ولما كان النفط على درجة قصوى من الأهمية في شتى نواحي الحياة حتى أصبحنا غير قادرين على تصور الحياة بدونه ، إنه المادة الأساسية التي يتولد عنها مواد لا حصر لها ذات أهمية في المجالات الزراعية والصناعية والطبية وسواها .

ونحن في الوطن العربي ننعم بحظ وافر من النفط وإن مسايرة التقدم التقني في استخراجه والاستفادة منه وتطوير الصناعة النفطية قد تطلب

نشر الثقافة النفطية بما يفي متطلبات العصر ويلبي حاجة العاملين في هذا الميدان على اختلاف تخصصاتهم وتوفير معجم نفطي شامل عصري يضع المصطلحات باللغة العربية مع مقابلاتها من المصطلحات الأجنبية .

وما كان لمعجم النفط أن يتحقق إلا بجهاد العاملين في هذا المجال وما تميزوا به من صبر وثبات وإيمان بالدور الحضاري الكبير الذي أنيط بهم وإيمانهم بأهمية هذه المعاجم . مستفيدين من أحدث المعاجم المستعملة في منظمات النفط العالمية .

أيها السادة الحضور

ونحن نفتتح هذه الندوة حول معجم النفط لا بد من أن نذكر بما تتعرض إليه الأرض العربية من عدوان وانتهاك للحرمات .

فإسرائيل لا تريد السلام إلا بشروطها وبما يضمن تحقيق أهدافها كاملة وهي ماضية في تكريس الاحتلال والنشاط الاستيطاني الذي يتناقض جذرياً مع العملية السلمية .

ونحن في سورية الأسد نسعى إلى السلام العادل والشامل ، السلام الحقيقي الذي يبنى على الالتزام بقرارات مجلس الأمن والتمسك بالشرعية الدولية وبمبادئ ميثاق الأمم المتحدة .

ونأمل أن يحقق لقاء القمة المرتقب بين السيد الرئيس حافظ الأسد والرئيس بيل كلينتون دفعاً لعملية السلام الشامل في الشرق الأوسط ورغم ما تسعى إليه إسرائيل من ضغط بغية إرباك القرار الأمريكي إلا أن ما يتمتع به سيادة الرئيس حافظ الأسد من قدرات قيادية استثنائية قادر على اجلاء الحقائق واظهار زيف إسرائيل والمطالبة بحقوق أمتنا المشروعة .

أيها الجمع الكريم

إن وزارة التعليم العالي تأمل للمشاركين في الندوة من السادة الاختصاصيين وأساتذة الجامعات والخبراء العاملين في الوزارات في ميدان اعداد المعاجم العلمية والتقنية أن يوفقوا في إيجاد مصطلحات موحدة التداول وأن تسفر ملاحظاتهم وتوصياتهم إلى ايجاد المسمى العلمي الأفضل والأدق استعمالاً والأكثر مطاوعة . وأن تكون حصيلة الندوة الوصول إلى معجم نفطي عربي جامع متكامل ، سهل المأخذ ، قريب التناول يساعد العاملين في مجال النفط ودراسة جيولوجيته وتكونه وأصله والكشف عنه واستخراجه وأدواته وناقليه والمنتفعين به .

معجم نفطي عربي يسهم في تطوير الكتاب الجامعي في مجال الهندسة النفطية ، فقد أكدت اليونسكو أنه لا يوجد عائق في نظام لغة يحول بينها وبين جعلها لغة حضارة حديثة إذا كانت اللغة الأم كفيلة بأن تكون لغة التعليم الجامعي والتقني . وهذا ما تحرص عليه سورية في جعل اللغة العربية هي لغة التعليم الجامعي .

أيها الأخوة الأشقاء

بوركت جهودكم وأنتم تدققون بالمصطلح وتثبتون للعالم أن لغتنا العربية كما وصفها السيد الرئيس حافظ الأسد العنصر الأساسي في هويتنا الثقافية والحضارية ومقوم رئيس من مقومات الأمة العربية ، وتبرهنون على أن للغة العربية من القابلية والمرونة والاتساع والغنى ما جعلها لغة العلم والفلسفة والفن والأدب في الشرق والغرب في الماضي وما يؤهلها لأن تتبوأ سلم التطور والتكامل وأن تسهم في بناء الحضارة المعاصرة .

أيها الجمع الكريم

أشكر لكم حضوركم حفل افتتاح هذه الندوة وفي مشاركتكم دليل على ما تكنونه من حب للغة العربية وتقدير لجهود أعضاء مجامع اللغة العربية ، والشكر موصول إلى كل من ساهم وشارك بجهده العلمي في إيجاد هذا المعجم . وإلى كل من عمل على تنظيم هذه الندوة واعدادها حتى كانت على هذه الصورة المرضية وأخص بالشكر رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق ورئيس وأعضاء اتحاد مجامع اللغة العربية في مصر . على ما بذلوه من جهد ، ونتمنى لهم النجاح كله واطراد التقدم وتحقيق الأهداف النبيلة التي قدموا من أجلها .

كما أقدم الشكر إلى كل من وزارات النفط والإعلام والسياحة لما قدموا من تسهيلات ساعدت في نجاح الندوة .

وإنه لمن حسن الطالع أن ترعى وزارة التعليم العالي مع اطلالة السنة الجديدة هذا النشاط اللغوي الهام آملة أن تحفل السنة الجديدة بنشاطات وفعاليات علمية متنوعة تسهم في تطوير البحث العلمي . وتطوير تعليمنا الجامعي الذي تفخر سورية الأسد بريادتها هذا التعليم باللغة العربية تأليفاً وتدريساً ، ويكفي أن نذكر أن المؤلفات الجامعية باللغة العربية قد زادت عن الخمسمائة وسبعة آلاف كتاب جامعي يفيد منه الدارسون في الجامعات السورية والجامعات العربية الأخرى .

والشكر والامتنان إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد راعي العلم والعلماء الذي قدر اللغة العربية وأعطاها ما تستحقه من مكانة واهتمام ، وأنزل المعنيين بها منزل الرعاية والتكريم ، ولم يأل جهداً في سبيل الحفاظ على اللغة العربية لتظل لغة الميادين العلمية المعاصرة كلها . ووجد في اتقانها

وتعلمها السبيل لتحقيق ذاتيتنا ونهضتنا والمنطلق السليم نحو وحدة الوطن العربي .

باسمكم جميعاً أرفع أسمى آيات الولاء والوفاء لبطل الحكمة والشجاعة ، القائد الرمز الذي يؤدي الأمانة ويرسي دعائم المجد السيد الرئيس حافظ الأسد وعهداً منا على الالتزام بتوجيهاته الحكيمة في الحفاظ على اللغة العربية وصونها والمضي قدماً في مسارات البحث العلمي المتنوعة .

(٢)
كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي راعية الندوة

السادة الوزراء – السادة السفراء – السادة العلماء

أيها الحفل الكريم

أرحب بكم أجمل الترحيب وأكرمه ، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور ، وأزجي الثناء خالصاً للأساتذة المشاركين القادمين الذين تجشموا عناء السفر وبُعد الشُّقة ، يحفزهم حبُّ العربية ونداء الأخوّة ، كي يُغنوا ببحوثهم وآرائهم ندوة معجم النفط التي يعقدها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالمشاركة مع مجمع اللغة العربية بدمشق ، وأرجو لهم طيب المُقام .

وأراني في غنى عن افتتاح حديثي ببيان ما للغة من شأن كبير في حياة الأمة ، فقد أفاض العلماء والباحثون في ذلك ، وكشفوا عما تنهض به اللغة من توحيد أبناء الأمة فكراً وعاطفةً وقِيَماً ، وما لها من آثار بعيدة في بنيان الأمة الثقافي . وخلصوا إلى أن اللغة هي روح الأمة وهويتها ، وهي العاصم لها من أن تعصف بها ريح التفرق والشتات .

ثم إن اللغة ، وهي وعاء الفكر وأداة التعبير والتواصل ، مرآة الأمة الصادقة ، تعكس صورتها ، فهي ترتقي برقيها ، وتضعف بضعفها .

ولقد بلغت العربيةُ أوج رقيها في العصور الماضية الزاهرة حين استبحر العمران ، وبسطت الحضارة ظلها الوارف ، فكانت لسان العالم المتمدن آنذاك ، وكانت لغةَ العلم الأولى التي سادت البلاد ما بين سور الصين إلى جبال البرانس .

ولما ضعفت الأمة واستكانت في عصور التخلف أَوَت العربيةُ إلى عزلة قاسية ، ففرض العثمانيون على البلاد العربية التي دانت لهم اللغة التركية ، فجعلوها لغة الدواوين ولغة التعليم ولسان الدولة ، ثم جاء المستعمرون الأوربيون الطغاة بغطرستهم وعنجهيتهم ففرضوا على البلاد العربية التي سيطروا عليها لغاتهم الأجنبية بغية محو اللغة العربية ، وطمسِ القومية .

وحين بزغت أنوار النهضة العربية الحديثة كانت الدعوة إلى استعادة العربية مكانتها وسلطانها في حياة الأمة أول شعار رفعه دعاة النهضة والاصلاح للصلة الوثيقة بين نهضة الأمة وازدهار لغتها . ولقد جاهدوا وجهدوا لتحقيقه ، ولقيت دعوتهم الاستجابة والترحيب .

ولما قامت الدولة العربية بدمشق بعد زوال الهيمنة العثمانية (تشرين الأول ١٩١٨م) كان تعريب الدولة وتعريب التعليم بجميع مراحله من أكبر المهام التي أولتها عنايتها ، وصرفت جلّ اهتمامها إليها . فأنشأت شعبة الترجمة والتأليف ، ثم ديوان المعارف ، لتؤسس في الثامن من حزيران ١٩١٩م المجمع العلمي العربي ، ووكلت إليه تعريبَ الدواوين والمدارس ، وتقويمَ لغة الكتابة والصحافة والتأليف ، وإزالةَ ما علق بالعربية من شوائب عصور

التخلف والتسلط الأجنبي ، ونشرَ آداب العربية وإحياءَ تراثها ، ووضعَ ما تتطلبه الحياة العصرية من ألفاظ الحضارة والمصطلح العلمي ، فنهض المجمع بالمهمة على خير وجه ، وأصبحت الدولةُ عربية الوجه واللسان . ثم شارك المجمعُ أساتذةَ الجامعة السورية في تعريب التعليم العالي ، وانتظم التدريس باللغة العربية . وهكذا أحيت الجامعةُ السورية ورسّخت السنّةَ الحميدة التي كانت بدأتها مصر في فجر النهضة حين كان التدريس في مؤسسات التعليم العالي بالعربية ، إلى ان اجتاح المستعمر أرض الكنانة ، وفرض التدريس بالانكليزية .

ثم تأسس مجمع القاهرة (١٩٣٢م) منارةً هادية ، وتلاه مجمع بغداد (١٩٤٧م) ، وتعاونت المجامعُ الثلاثة وتلاقت جهودها للنهوض بالعربية وجعلها وافيةً بمتطلبات العلم والحضارة . فدعت إلى التعليم بالعربية في جميع مراحل التعليم ، لأن اللغة إنما تغنيها الممارسة ، ويصقلها الاستعمال ، وقامت بوضع المصطلحات التي تتطلبها النهضة العلمية ، وشاركت المشاركة الجادّة في مختلف المناشط اللغوية والثقافية التي تؤدي إلى استعادة العربية وجهها المشرق النضير ، فبحثت قضايا العربية ، وسبل تيسير تعلمها ونشرها ، ونظرت في الطرائق التي تُسعف في تضييق الشقة بين العربية السليمة وأختها المحكية ، لتصبح العربيةُ السليمة لغةَ الحياة اليومية ، وعُنيت بنشر نفائس التراث ، ووضعت المعجمات المختلفة ، غايتُها من وراء ذلك أن تواكب العربيةُ تطور العلم الحديث ، ومبتغاها أن تهيّئ لأجيال العلماء الأرض الطيبة للتأليف والبحث العلمي بالعربية ، تمهيداً لاستنبات العلم العربي ونمائه ، ومشاركةِ الأمة العربية في المسيرة الحضارية الإنسانية ، إذ لا ازدهار للعلم في وطننا إلا إذا كانت اللغة التي نصطنعها هي لغتنا القومية .

ولئن كانت المجامع الثلاثة قد خدمت العربية الخدمات الجلّى في مناح مختلفة ، لقد فطن القائمون عليها إلى ضرورة تنظيم الاتصال بينها ، وتنسيق جهودها التي تبذلها لتكون أقدر على جمع طاقاتها للنهوض بالعربية ونشر تراثها اللغوي والعلمي ، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرّها ، فلا يجوز أن يوضع للمعنى العلمي الواحد أكثر من لفظة اصطلاحية واحدة ، لما يحدثه اختلاف المقابلات العربية للمعنى الواحد من بلبلة .

وكانت الخطوة الأولى انعقاد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية في دمشق (٩/٢٩ – ١٩٥٦/١٠/٥م) ، وكان من أبرز توصياته تأسيسُ اتحاد المجامع اللغوية ينظمُ الاتصال بينها وينسّقُ أعمالها ، ويكون المرجع الذي يوحّد المصطلحات التي تضعها المجامع والمؤسسات العلمية والعلماء[١] .

لم تكن الظروف مسعفةً لتأسيس الاتحاد على أثر هذه الاجتماعات ، ولكن الصبر والعمل الدؤوب أنجحا القصد ، وتأسس الاتحاد عام ١٩٧١م ، وكان من أبرز مهامه تنظيم عقد مؤتمرات وندوات غايتها :

– العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها .

– والنهوض بالدراسات المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي وعوامل نمائها وازدهارها .

وقد عقد اتحادُ المجامع منذ تأسيسه حتى الآن سبع ندوات ، وندوتُنا اليوم هي الثامنة . ودرج الاتحاد على أن يكون لمعجمات المصطلح التي

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٣١ ج٤ ص٦٨٧ – ٦٨٨ ، مج٣٢ ج١ ص٣ – ٢٢٦ ، ج٢ ص٣٩٥ – ٣٩٩ ، ج٣ ص٥٥٣ – ٥٥٦ .

تعدها المجامع والمؤسسـات العلمية جانب كبير من اهتمامه وعنايته ، لما لذلك من شأن في تيسير تعريب التعليم العالي . وسارع الاتحادُ إلى إصدار حصيلة هذه الندوات في كتيّبات خاصةٍ ، ليسهل نشرها وتوزيعها في الجامعات والمراكز العلمية ، فتغدوَ قريبة المتناول لطالبيها .

ضمَّت ندواتُ الاتحاد الأولى ممثلين عن المجامع الثلاثة ، مع مشاركة ثُلّة طيبة من كبار العلماء واللغويين ، فلما تأسس مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٧٦م انضم إلى الاتحاد (١٩٧٧م) وحضر ندواته . وقد أصبحت المجامع اللغوية العربية اليوم ستة مجامع بتأسيس مجمعي تونس (١٩٩٣م) والخرطوم (١٩٩٣م) . ونأمل أن تسارع الدول العربية الأخرى لتأسيس مجامعها اللغوية . ويحسن أن نشير هنا إلى تأسيس الاكاديمية الملكية المغربية التي تولي اللغة العربية جانباً كبيراً من عنايتها .

عقد الاتحادُ أولى ندواته بدمشق (١٩٧٢م) ، وعُني فيها بتوحيد مصطلحاتٍ في القانون المدني والتجاري والبحري والإداري والتأمين بلغت (١٨١١) مصطلح ، وتلتها ندوة بغداد (١٩٧٣م) التي عُني فيها بالمصطلح النِّفطي ، وبلغ عدد المصطلحات التي انتهى الاتحاد إلى توحيدها (٩٩٧) مصطلح . أما ندوة الجزائر (١٩٧٦م) فقد عالجت موضوع (تيسير تعليم اللغة العربية) ، وتلتها ندوة عمّان (١٩٧٨م) التي خُصصت لدراسة (تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير) ، وعُنيت ندوة الرباط (١٩٨٤م) ببحث موضوع هام هو (تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير) ، ونوقش في ندوة عَمّان (١٩٨٧م) موضوعُ الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية . وكانت عودةٌ إلى المصطلح في ندوة تونس (١٩٩٢م) فنوقش توحيد تعريب المصطلح الطبي ، وقُدّمت بحوث تناولت موضوع توحيد المصطلح ، ومنهجية التوحيد .

وقد صدرت عن هذه الندوات توصياتٌ هامة ، منها ما يساعد على تيسير تعليم اللغة العربية ، وبيان الطرق المسعفة لنشر اللغة الصحيحة بين الطلاب والجماهير ، والتخفّف من العامية . ومنها ما يدعو إلى العناية بوضع المعجمات التعليمية المدرسية ، والمعجمات المتخصصة في مختلف الموضوعات العلمية والفنية والحضارية ، على أن تكون ثلاثية اللغة : بالعربية والانكليزية والفرنسية ، والتوسع في وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها وإشاعتها ، والاهتمام بترجمة الكتب العلمية ، واستخدام الحاسوب لجمع كل ما صدر من مصطلحات في العصر الحديث توطئة لتوحيد المصطلح ، وتأليفِ المعجم الموسوعي الشامل .

وهذه التوصيات هي المنارات الهاديات في طريقنا إلى الاصلاح ، ولا بد من المثابرة والمتابعة والجهد لتصبح التوصيات أعمالاً وحقائق منجزة .

وها نحن أولاء نعقد اليوم الندوة الثامنة (كانون الثاني ١٩٩٤م) ، ومحورُها النظرُ في معجم النِّفْط الذي أعدته لجنة مصطلحات النِّفط في مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وقد عكفت اللجنة على عملها نحو سبع عشرة سنة حتى استوى لها المعجم على الوجه الذي ارتضته ، وهو يضمُّ نحو أربعة آلاف مصطلح(٢) . ووُزّع المعجمُ على المجامع والجهات العلمية المعنيّة للنظر فيه ، وإعداد تقاريرها حوله .

ونجتمع اليوم لمناقشة حصيلة هذه الجهود المباركة ، والعمل على إقرارها ، توحيداً للمصطلح ونشره وإشاعته . ويصاحب هذا العمل الجليل

---

(٢) معجم النفط (مجمع اللغة العربية – القاهرة ١٩٩٣م) من مقدمة الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن .

إلقاءُ بحوث ودراسات في قضايا من علم المصطلح .

إن توحيد المصطلح أمر هام وأساسي لأنه يوحّد لغة العلم العربيّ ، فيتمُّ التفاهم بين الباحثين والعلماء العرب في سهولة ويسر . وهو الخطوة الأولى التي لا بدَّ منها للتأليف والبحث بالعربية ، وتبادلِ المعارف بين العلماء العرب في شتى أقطارهم ، مما يهيّئ لتكامل البحوث وجمع الطاقات العلمية ، وإسقاط التكرار والهدر .

لقد كان المصطلح العلمي العربي موحّداً في عصور العربية الماضية الزاهرة ، على تنائي المسافات ، وتباعد الأقطار ، وضعف المواصلات ، وقلة الأدوات المسعفة ، فبلوغُ هذا الهدف في العصر الحاضر أيسرُ وأدنى ، ونحن في عصر الثورات الثلاث : ثورة تفجر المعرفة ، وثورة تقدم التقنيات ، وثورة انتشار وسائل الاتصال . وإن التطور الهائل لتقنيات وسائل الاتصال يجعل من الميسور استيعاب كل ما تطالعنا به ثورة تفجر المعرفة .

إن مما يسهّل الوصول إلى توحيد المصطلح هو الاتفاق على منهجية واضحة لوضع المصطلح العربي . وكانت ندوةُ الرباط (١٨ – ١٩٨١/٢/٢٠م) قد أقرت منهجية لوضع المصطلح عدَّدَتْ فيها المبادئ الأساسية التي يحسن اتباعها والتهدّي بها في اختيار المصطلحات العلمية[٣] . ثم عُقدت ندوةُ تطوير منهجية وضع المصطلح في مجمع اللغة العربية الأردني (٦ – ١٩٩٣/٩/٩م) ، فقُدّمت جملة مقترحات لاستكمال المنهجية التي أقرتها ندوة الرباط . وإن الخبرة التي اكتسبها اتحاد المجامع في توحيد المصطلح تؤهله أن يشارك المشاركة المجدية للوصول إلى المنهجية المثلى التي

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٥٦ ج٤ (١٩٨١م) ص٨٨٧ – ٨٩٠ ، مجلة اللسان العربي ١/١٩ : ١٨٨ ، ٢٧ : ٨٤ – ٨٦ .

نتشوف إليها في وضع المصطلح ، ونرجو أن يتمّ ذلك قريباً .

لقد أعدَّ مجمع اللغة العربية بدمشق (على قصر المدة) العدة لاستكمال أسباب نجاح هذه الندوة الهامة . وقامت لجنة من الأساتذة المجمعيين والجامعيين والمتخصصين في وزارة النِّفط والثروة المعدنية بدراسة المعجم دراسة متأنية معمقة ستعرض في جلسات الندوة . فإذا ضممنا إلى ذلك ما قدمه الأساتذة المشاركون من تقارير غنية مفيدة ، رجونا أن تؤتي ندوتُنا ثمارها الجنيّة ، وأن نمضي خطوة جديدة في سبيل توحيد المصطلح ونشره ، وأن تكون الندوة ، بأعمالها وتوصياتها قوة تشدّ من أزر الاتحاد ، وتزيده نشاطاً وحيوية ، فيطرد سيره ، وترتفع وتيرة انجازاته ، ويتابع عمله لتحقيق ما نادى به ودعا إليه ، ويقوم بعقد ندوة في كل عام لمواصلة خططه في التوحيد ، وإعداد الدراسات المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي .

إن الهدف العظيم الذي نتطلع إلى بلوغه لَيستأهلُ منا أن نجهد ونداْب دون ملل أو كلال . وإننا بعملنا الحثيث المتواصل إنما نرنو إلى اليوم الذي تصبح فيه العربية لغة العلم والمعرفة في الوطن العربي ، وتغدو إحدى اللغات العلمية العالمية كما كانت في سابق عهدها . وما ذلك على الله بعزيز .

أيها الحفل الكريم

لقد اختارت سورية التعليم باللغة العربية وارتضته نهجاً لها منذ زوال الهيمنة العثمانية عام ١٩١٨م ، ولقد زادتها التجربة والخبرة إيماناً بصدق ما ذهبت إليه ، وصواب ما أخذت به عن علم وبصيرة . وهي اليوم أشد محافظة على اتجاهها وأكثر تمسكاً به وإصراراً عليه ، تُهيّئ له كل ما يقوّي

مساره ، ويرسّخ دعائمه .

وإنّ الفضل كل الفضل في هذا التأكيد الجازم على التمسك بالتعليم بالعربية ، وتثبيت قواعدها إنما يعود إلى القائد الأمين السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي رعى العربية ورفع منارها وأعلى رايتها ، وكان له في الحفاظ على العربية ، والتوجيه للعناية بها وإتقان تعلمها الأيادي المشكورة ، والمآثر المعدودة .

لقد وجّه السيد الرئيس إلى تعليم اللغة العربية في جميع كليات الجامعة ، ليتخرج الطالب الجامعي ، مهما يكن اختصاصه ، وقد أتقن العربية ، وأحسن التعبير بها ، وتزود من نفيس تراثها .

ولقد أكّد على عروبة التعليم العالي التأكيد القاطع بموقفه الحازم من قضية التعليم بلغة أجنبية .

ذلك أن جامعة حلب كانت قد اختارت حين إنشائها أن يكون تدريس الطب باللغة الانكليزية ، وكان هذا الاختيار نكسة قاتلة لدعاة العربية ، ووجد فيها أعداءُ التعريب في البلاد العربية الحجج التي تذرعوا بها لمقاومة التعليم بالعربية ، ولم تفلح كلُّ الجهود التي بُذلت لتعدل جامعة حلب عن خطتها .

فلما قامت الحركة التصحيحية المباركة بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد ، ردّ السيد الرئيس الأمور إلى نصابها ، فجعل التدريس بالعربية ، وأصدر التشريعات التي توجب أن يكون التعليم بالعربية في جميع جامعات القطر .

فللسيد الرئيس راعي العروبة والعربية نرفع آيات الحمد والثناء .

ولعله يحسن أن نذكر هنا أن العناية بالعربية لا تعني الابتعاد عن اللغات الأجنبية ، بل لقد زاد الاهتمام بها ، والحث على تعلمها ، وأصبحت مادةً يطالب الطلاب الجامعيون في كل الكليات بتعلمها وإتقانها لأنها النافذة التي نطلُّ منها على العالم . أما الدراسات العليا بكلّ فروعها واختصاصاتها فقد أوجبت الأنظمة الجامعية ألا يسمح للطالب بالتسجيل لمتابعة الدراسة فيها حتى ينجح باللغة الأجنبية .

أشكر للدكتورة وزيرة التعليم العالي رعايتها للندوة واهتمامها بها ، وما بذلت من جهود لاستكمال أسباب نجاحها . وأشكر للسادة الوزراء والسادة السفراء والسادة الحضور تفضلهم بمشاركتنا في حفل إفتتاح الندوة .

(٣)

كلمة الأستاذ إبراهيم الترزي

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة
وعضو مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

الأستاذة الجليلة الدكتورة صالحة سُنْقر وزيرة التعليم العالي :

الأستاذ الجليل الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع :

أيها السادة الأساتذة الأجلاء :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد فقد شَرَّفني شيخُ المجمعيِّين ، أستاذي الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيسُ اتحاد المجامع ، وأستاذي الجليل الدكتور شوقي ضيف أمينُه العام ، بأن أنُوب عنهما في هذه الندوة التي شَرُفَتْ بأن ضَيَّفَها – مشكوراً – مجمعُكم العريق ، حيث تُعقد في دمشقَ الفيحاء إحدى العَواتِكِ من أُمهات بلادنا العربية.. كم شُدَّتْ إليها رواحل العلماء والأدباء ، وكم خَفَقَتْ فوق رُباها أجنحةُ الشعراء ، تَنْثُرُ عليها نَديَّ الأغاريد ، فَوّاحةً بأريج الأُمنيات ، صَدَّاحةً بهوى قلوبٍ تهفو إلى رحابها الغَنّاءِ الغَرّاء .. فالبحتريُّ يَصْدَحُ مَتَغنِّياً بجمالها ويقول :

أمّا دمشقُ فقد أَبْدَتْ محاسِنَها ... وقد وَفَى لك مُطرِيها بما وَعَدا

إذا أردتَ مَلأْتَ العينَ من بلدٍ ... مُسْتَحْسَنٍ .. وزمانٍ يُشْبِهُ البلدا

يُمْسِي السحابُ على أجبالها فِرَقاً ... ويُصْبِحُ النَّبْتُ في صحرائها بَدَدا

فلستَ تُبصر إلاَّ واكفاً خَضِلاً أو يانعاً خَضِراً ، أو طائراً غَرِدا

وفي عصرنا الحديث يتغنَّى بها أحمد شوقي أمير الشعراء ، ويقول :

لولا دمشقُ لَمَا كانت طُلَيْطلةٌ ولا زَهَتْ ببني العباسِ بَغْدانُ
قال الرِّفاقُ وقد هَبَّتْ خمائلُها الأرضُ دارٌ لها الفيحاء بُستانُ
جَرَى وصَفَّقَ يلقانا بها بَرَدَى كما تَلَقَّاك دُونَ الخُلْدِ رِضْوانُ
يا فِتْيَةَ الشامِ شكراً لا انقضاءَ له لو أنَّ إحسانَكم يَجْزِيه شُكرانُ

أيها السادة :

كان انطلاقُ الشرارةِ الأولى بدايةً لانطلاقِ حضارة الإنسان .. ثم كان اكتشافُ النِّفْطِ تجديداً لانطلاق هذه الحضارة ، وتطويراً لها في مختلف مجالات العلم بكشوفه ومخترعاته ؛ حتى صار النفطُ سَيِّدَ مصادر الطاقة ، وامتلك صولجانَ القوةِ والرخاء !

وقد أفاء اللهُ على وطننا العربيِّ من كُنُوز هذا الذهب الأسود ما يبلغ نصفَ ما في العالم كلِّه . وقد كان جديراً بنا أن نتحدَّث بنعمة اللهِ علينا ؛ فتنهض عزائمنا للإفادة منه ، علماً وصناعة ، وقوةً ومَنَعة ، لا استيراداً لذلك من بلادٍ أخرى لا تُضْمِرُ أرضُها مثلَ هذه الكنوز ، وقد تُضْمِرُ لنا العَداوة والبغضاء !

فلنتحدَّثْ بنعمة الله علينا ، فنجعل كُنُوزَ ذهبِنا الأسودِ مصدراً لطاقاتٍ خَلاَّقةٍ في العلم والصناعة ؛ لتكونَ حضارتُنا عربيةَ الوجه واليد واللسان ، وتَتَبوَّأ من جديد مكانتَها الجديرة بها ؛ من العزةِ والشرفِ والسِّيادة !

أيها السادة :

قُمتُ برحلةٍ كشفيةٍ لغوية ؛ للتنقيبِ عن مادة « النِّفط » ، في المعجمات والموسوعات ، وكتب البلدان والرحلات . فوجدتُها تضربُ بجذور عريقةٍ عميقةٍ في لغتنا العربية ، تعود إلى العصر الجاهلي ، وهي في القديم لا تَبْعُدُ في مدلولها العامِّ عن معناها في عصرنا الحديث .

فمما ورد في المعجمات اللغوية القديمة : نَفَطَ فلان : احترق غضباً والنُّفَطة : سريع الغضب . ونَفَطَتِ القِدْرُ : غَلَتْ حتى رَمَتْ بالزَّبَد .

والنَّفاطة : موضعُ استخراجِ النفط ، وضربٌ من السُّرُج يُسْتَصْبَحُ وأداةٌ تُعْمَلُ من النحاس يُرمَى فيها بالنفط والنار ، وقارورةُ النفطِ التي يُرْمَى بها . والنَّفاط : الرامي بالنفط ، جمعُه النَّفاطة .

وقد خَطَّأَ الأصمعيُّ مَنْ فَتح نُونَ النِّفط ، ورَوَى قولَ الراجز :

كأَنَّ بينَ إبْطِها والإبْطِ ثَوْباً من الثُّومِ ثَوَى في نِفْطِ

وقد كان العرب في جاهليتهم يَطْلُون إبلَهم الجَرْبَى بالكِبْريت والخَضْخاض وهو نوعٌ من النِّفط أسودُ رقيق .

وذكر الطبريُّ في تاريخه أن الخليفةَ المنصورَ العباسيَّ لما عزم على بناء بغداد أَحَبَّ أن ينظر إليها عياناً . فَأَمَرَ أن يخطَّ بالرماد ، ثم أقبل يدخلُ من كل باب ، ويَمُرُّ في فُصْلانها وطاقاتها ورحابها ، وهي مخطوطة بالرماد ... فلما فعل ذلك أمر أن يُجْعَلَ على تلك الخطوط حَبُّ القطن ، ويُصَبُّ عليه النِّفط ، فنظر والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر بأن يُحفر أساس ذلك على ما رسم ، ثم ابتدى في بنائها .

وقال الحسن الوزّان في كتابه « وصف إفريقيا » :

« القَطِرانُ نوعان : نوع طبيعي يُلْقَط من فوق أحجار تُوجَد في قلب بعض العيون التي يَنْشُرُ ماؤها رائحةً كريهةً جدّاً ... » وهي يعني بذلك النفط .

وورد في صبح الأعشى :

«وبها – أي بالديار المصرية – معدنُ النفط على ساحل بحر القُلْزُم، يَسيلُ دهنُه من أعلى جبلٍ قليلاً قليلاً ، وينزل إلى أسفله ، فيتحصَّلُ في دَبَارٍ – أو قنوات – قد وضعها له الأَوَّلُون ، وتأتي العربُ فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية » .

وقد وردت إشاراتٌ عديدةٌ في كتب الرحلات العربية إلى النفط ؛ منها ما ذكره ابن جبير حين مرَّ بمدينة تكريت :

« مررنا بموضع يُعرف بالقيّارة من دجلة ، بالجانب الشرقيِّ منها ، عن يمين الطريق إلى الموصل ، فيه وَهْدة من الأرض سوداء ، كأنها سحابة ، قد أَنْبَطَ اللهُ فيها عيوناً كباراً وصغاراً تنبع بالقار ، وربما يقذف بعضها بحبابٍ منه كأنه الغَلَيان ... » .

وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن العرب اهتموا بزيت البترول الخام وخاصة بتقطيره للاستعمال في الإنارة ، كما تذكر أن صناعة تقطير البترول الخام قد انتقلت من العرب إلى أوربا من القرن الثاني عشر ، عن طريق إسبانيا ... حيث تَوَسَّعُوا في عمليات التقطير ، وتطوير صناعة الإنارة في أوربا في بداية عصر النهضة .

وقد غزا لفظ « النفط » عالم الأسماء ؛ فلُقِّبَ بـ « نفطويه » عالم من علماء النحو البارزين ، هو إبراهيم بن محمد بن عرفة ، وقد لُقِّب به على

مثال سيبويه ؛ لأنه يجري على طريقة سيبويه في النحو ، ويؤيد مذهبه ، ولأنه كان ساذجَ الثياب ، لا يُعْنَى بإصلاح نفسه وهيئته ، وكانت فيه دمامة وأدمة وفي نفطويه قال أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطيّ :

أحرقه الله بنصف اسمه وصَيَّر الباقي صُراخاً عليه

ونفطويه — إلى علمه بالنحو — شاعر رقيق ، ومن شعره في الرَّدِّ على مَنْ عابوا دمامته :

وقالوا : شانَه الجُدَرِيُّ فانْظُرْ إلى وجهٍ به أَثَرُ الكُلُومِ
فقلتُ : ملاحةٌ نُثِرَتْ عليه وما حُسْنُ السماءِ بلا نُجُومِ ؟

أيها السادة :

لمجمعكم في القاهرة جهود متواصلة في مصطلحات النِّفط ، منذ سنين عديدة ، ولجنته برئاسة مقررها زميلنا الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن قد جمعت حصادها في معجم ضخم لمصطلحات النفط ، هو الذي بين أيديكم ، والذي يُعَدُّ أساسَ البحث في هذه الندوة ، وقد سبقها من قبلُ ندوةٌ للنفط عقدها اتحاد مجامعنا في بغداد عام ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف ، ونرجو أن تكون هذه وتلك الركيزةَ الأُولى لتوحيد المصطلح النفطيِّ في عالمنا العربيّ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٤)

كلمــة الأستــاذ الدكتور محمد الهادي بن إسماعيل

ممثل المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون

السيدة الدكتورة صالحة سُنْقر وزيرة التعليم العالي : راعية المؤتمر

السادة الوزراء والسفراء

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

حضرات الأساتذة المشاركين في الندوة ، السلام عليكم ورحمة الله وبعد ، فإنه ليسعدني أن أنقل لكم تحيّات إخوانكم أعضاء المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون – بيت الحكمة – وأشكرَكم على الدعوة الكريمة لحضور هذه الندوة التي ينظمها إتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالمشاركة مع مجمع اللغة العربية بدمشق حول توحيد مصطلحات النِّفط وإشاعتها في العالم العربي .

إن مشاركتي في ندوتكم هذه تتنزّل في إطار الاهتمام الذي توليه تونس « العهد الجديد » للّغة العربية عامة ولحركة تعريب العلوم خاصّة ، إذ ورد في الفصل الأول من قانون الإصلاح التربوي الصادر سنة ١٩٩١ بتونس

أن النظام التربوي يهدف إلى تمكين المتعلمين من إتقان اللّغة العربية ، بصفتها اللغة الوطنية ، إتقاناً يمكّنهم من استعمالها — تحصيلاً وإنتاجاً — في مختلف مجالات المعرفة الإنساني منها والطبيعي والتكنولوجي .

ويعتبر التعريب في تونس اليوم مطلباً حضارياً متأكداً يُحتّمُ السعيَ إلى تطوير اللّغة العربية والارتقاء بها حتّى تنهض بقضايا العلم والتكنولوجيا والفكر المعاصر خلقاً وإبداعاً . لكنّ الضرورة تقتضي ، أيضاً ، التفتُّح على الحضارات واللّغات الأخرى ، خاصّة لغات العلم والتقنية حتّى نحصي تحديث ثقافتنا من الانغلاق وحتّى لا نحرم من الاطّلاع المباشر على إنتاج الفكر العالمي .

حضرات الإخوة الكرام ،

إن المعاجم مهمّة جدّاً في حركة التعريب ولحسن الحظّ أن هناك جهوداً تبذل في سبيل إصدار المعاجم ، التي على الرغم من تنوعها وافتقارها للتنسيق ، تساعد على الدفع بحركة التعريب إلى الأمام . لكنّ المطلوب الآن — أكثر من أيّ وقت مضى — التفكير بجديّة في التنسيق بين جهود المجامع والمنظمات والاتحادات ، كما أنّه لا بدّ من أن تأخذ هذه المؤسسات ، إن لم تفعل ذلك بعد ، في خزن أرصدة المعلومات التي لديها حتّى يتيسّر التنسيق بينها عبر ربط الشبكات بعضها ببعض وتبادل المعلومات . أمّا في صورة استمرار الحال على ما هي عليه اليوم ، فإن المشكلة قد لا تقتصر على وضع المصطلح العلمي وإشاعته بل تَكْمُن في تعدُّدِ المناهج وتباينها مّما يؤدي حتماً إلى تعدّد المصطلح للمفهوم الواحد وبالتالي فقدانه الدّقة والخصوصية .

ونظراً لأهمية الجامعات العربية في مجال تعريب العلوم ، وجب تنشيط الباحثين ولجانهم ودعمهم مادّياً ومعنوياً . وفي هذا الباب شرعت

تونس منذ بضع سنوات في تمويل ترجمة الكتب العلمية وفي إعداد كتب المدرسة الأساسية وكذلك المشاركة في توحيد المصطلحات في هذه المرحلة التعليمية بالتنسيق مع الدول العربية .

ولا يسعني في نهاية كلمتي هذه ، إلاّ أن أذكِّرَ بأنّه على الرغم من أهميـة الترجمة والتعريب فإنّه لا بدّ من الإنتـاج والتأليف باللغة العربية في مختلف مجالات العلوم حتّى يتسنّى للأمّة العربية أن تتجاوز دور المستهلك لإنتاج غيرها وأن تصل إلى دور المنتج في مجالات تتطوّر باستمرار يعسُر ، في بعض الأحيان ، على المترجم والمعرّب مسايرة تطوّرها .

وختـامـاً أجدّد شـكـري ، عن المجمع التـونسـي للعـلوم والآداب والفنون ، كما أشكر باسم الوفود العربية المشاركة ، مجمع اللّغة العربية بدمشق على إستضـافته هذه الندوة وإتحاد المجامع اللغوية العربية على تنظيمها في القطر السـوري الشقيق ومجمع اللّغـة العربية بالقاهرة على جهوده القيّمة وأشكر كذلك جميع الحاضرين على مشاركتهم في الندوة التي أتمنّى لها كل التوفيق والنجاح .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

توصيات
مؤتمر مجمع القاهرة
في دورته الستين

١ – يؤكّدُ مؤتمرُ المجْمَعِ توصياتِهِ السَّابِقَةَ بتعريب التعليم الجامعيّ والعالي في الوطن العربي ، تلبيةً لطموح الأمة العربية في أن يعود إليها مجدها العلمي على أيدي علمائها المعاصرين ، وهي قضية قومية لها مقوماتها وأسانيدها وقضية تعليمية ، حتى يستطيع الشباب العربي – بلغته الأم – تمثلَ ما يدرسون من العلوم البحتة والتطبيقية تَمَثُّلاً عِلْمياً قَوِيماً .

٢ – تعريب تدريس العلوم في المرحلة الجامعية الأولى مطلبٌ علمي ولغوي ، ومطلب قومي واجتماعي ، وقد أصبح ضرورة ملزمة لا تحتمل مزيداً من التسويف ، والمؤتمر يهِيْبُ بالسادةِ وزراءِ التعليم في البلاد العربية والإسلامية أن يحيلوا دراسات مجامع اللغة العربية في هذا الشأن إلى الجامعات لكي تجعلها موضع الدراسة الجادة الناجزة – في غير تباطؤ أو تعجّل – توطئة لاتخاذ قرار التعريب عن بيِّنةٍ واقتناع ، ثم يُشرع بلا توان في تنفيذه مع دفعة جديدة من الطلاب ، مع مواصلة تعريف هؤلاء الطلاب بالمصطلحات العلمية العالمية ورفع مستواهم في اللغات الأجنبية .

٣ – حَثُّ المجامعِ اللُّغَوِيَّةِ على ان يُشَكِّلَ كُلٌّ مِنها لَجْنةً دَائِمَةً مِنْ بَيْنِ أَعْضَائِهِ للإعْلامِ والنَّشْرِ والتَوزِيْعِ ، تكون مُهِمَّتُها الإعْلامُ عن النشاط

المجمعيّ اللُّغَوِي والعِلْمِي والتعريف بمنشورات المجمع وقراراته ، والعمل على إيصال هذه المنشورات والقرارات إلى الجهات التي تفيد منها ، على أن تزوَّد هذه اللجانُ بالمساعدين الإداريين والفنِّيين ، وأن تُخَوَّلَ لها الصلاحياتُ اللازمةُ لأداءِ مهمتها .

٤ – حَثُّ المجامعِ اللُّغوية على إنشاء جوائز سَخِيَّةٍ للكتب المؤلَّفة أو المترجمة في العلوم البحتة أو التطبيقية المناسبة لمستوى التعليم الجامعي ، على أن يشترط فيها الالتزام بما أَقَرَّتْهُ مؤتمرات المجمع السنوية بالقاهرة من مصطلحات في باب الكتاب المؤلَّف أو المترجم ، وذلك بالإضافةِ إلى أن يكون تحكيمُ هذه الكتب من قِبَلِ لِجَانٍ عِلْمِيّةٍ ذات مستوى رفيع ، وأن يوصي كلُّ مَجْمَعٍ وزارةَ التَّعْليم في قُطْرِهِ بأن تكون هذه الكتب المجازة من المراجع التي يوصي بها القائمون بالتدريس في الجامعات .

٥ –إنَّ التَّعْرِيْبَ لا يعني بحال من الأَحْوالِ التهاونَ في مجال تعليم اللغات الأجنبيَّة ، فإتقان لغة أجنبيَّة واحدة على الأقل بمستوى رفيع ضرورة حضارية تواكب مسيرة التعريب وتَدْعَمُها ، إذ يَتَطَلَّبُ التَّعْرِيْبُ أَنْ يَكُوْنَ المُهَنْدِسُ أو الطَّبِيبُ أو العَالِمُ ضليعاً في لغةٍ أجنبيَّة عالميَّة يتواصلُ فيها وبها مع العلماء ومنجزاتهم في البلدان المتقدمة .

٦ – تعريب التدريس في الكليات العلمية العربية يستلزم إنشاءَ هَيْئةٍ كُبْرى للتَّرْجَمَةِ في مصر تَضُمُّ صفوة من العلماء تنهض بوضع خُطَّةٍ قومية للترجمة تحدد الأولويَّات في ترجمة العلوم والتكنولوجيا وتلاحق التطورات العصرية فيهما خدمةً للتَّعْرِيبِ وإسراعاً به نحو تحقيق الغايات العلميَّةِ – وتُنَسِّقُ الهيئةُ جهودَها في الترجمة مع مراكز الترجمة في البلاد العربية .

٧ –إنشاء مَعْهَدٍ ملحق بهيئة الترجمة لتدريب وتخريج طبقة من المترجمين

الأَكْفَاء تترجم العلوم والتكنولوجيا الغربيتين على أعلى مستوى ، ويُخْتارون من كلية الأَلْسن ومن أقسام الترجمة في الجامعات .

٨ – إلزام القائمين بالتدريس في الجامعات العربية وكافة مؤسسات التعليم العالي باستعمال الفصحى في التدريس .

٩ – يوصي المؤتمرُ باستخدام الفصحى في جميع وسائل الإعلام وفي المسارح – وخاصة مسارح الدولة – وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية ، وبخاصة في المسلسلات التليفزيونية .

١٠ – يوصي المؤتمرُ وزاراتِ الإِعْلام وهيئات الإذاعتين المسموعة والمرئية بإعداد العاملين فيهما إعداداً لُغَوِيّاً سديداً ، وأن تهيئ لهم دوْراتٍ تدريبيَّة على الضبط الإعرابي والنطق السليم ، مع تنبيههم على ما يشيع على ألسنتهم من أخطاء لغوية .

١١ – يؤكد المجمع ما سبق له من التوصية بالعناية بالخط العربي والإملاء ويزكّي ما قاله سيادة وزير التعليم في هذا الصدد .

١٢ – يؤكد المؤتمر – اعتزازاً بهويتنا العربيّة – ما أوصى به مِراراً من حَظْرِ كتابة اللافتات على المحال التجارية والشركات وغيرها بأي لغة غير العربية ، كما يوصي بحظر كتابة الأسماء الأجنبية بحروف عربية ، ويدعو جميع الدول والحكومات العربية إلى إصدار تشريعات تَحْظُرُ استخدامَ هذا الأسلوبِ وتُجَرِّمُ من يستخدمه .

مسألة في كلمة الشهادة

تلقينا من الأستاذ الفاضل هلال ناجي كلمة جاء فيها :

« قرأتُ في الجزء الأول من المجلد الثامن والستين من مجلتكم نصاً محققاً عنوانه : « مسألة في كلمة الشهادة » بتحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي (ص٧٧ – ٩٩) وهذا النص سبق نشره بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد الخامس عشر ، الصادر في بغداد ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م ، محققاً على المخطوطة ذاتها » .

– إن إدارة المجلة تشكر للأستاذ الفاضل هلال ناجي كلمته التي أشار بها إلى نشر للمسألة سابق . وهي تأمل أن تتحقق أمنية رددتها في مناسبة سابقة (مجلة المجمع ، مج٦١ ج٢ ص٤٣٠ – ٤٣١) تدعو إلى إنشاء مركز لتسجيل كل ما ينشر من موضوعات التراث العربي في المجلات العربية والغربية ليكون في متناول الباحث الدارس ، مما ييسر عليه مهمته العلمية ، ويتيح له أن يقدم على ما ينهض به من تحقيق نص ، أو إنشاء دراسة بقدم مطمئنة ، ونفس واثقة ، قد ألمَّ بكل ما أنجزه سابقوه ، فيضيف بعمله جديداً ، ويكمل ما بدأه من تقدمه .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثاني من عام ١٩٩٤م

أ ـ الكتب العربية

سامر اليامالي

ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين ـ تأليف أحمد عبد الكريم حلواني ـ دمشق ١٩٩١م .

الأبواب مسرحيات عالمية (٣٠) ـ تأليف نظار نظاريان ـ منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

أحاديث القُصَّاص ـ تأليف ابن تيمية ـ تحقيق : د. محمد بن لطفي الصباغ ـ الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٨٥م .

الإدارة البيئية في الوطن العربي ـ إعداد د. محسن عبد الحميد توفيق ـ منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٩٣م .

أرض الديس قصص وروايات عربية (٤٠) ـ تأليف أنيس إبراهيم ـ منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

أروع ما قيل في الموشحات ـ تأليف د. يحيى شامي ـ بيروت ١٩٩٣م .

أروع ما قيل في الهجاء ـ تأليف د. يحيى شامي ـ بيروت ١٩٩٢م .

أساليب دعم قدرات أجهزة التطوير الإداري في الدول النامية – ترجمة : د. علي عبد الهادي مسلم ، إبراهيم محمد محمود – منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية – عمان ١٩٩٤م .

استراتيجية عربية للتكنولوجيا الحيوية منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

الاستشعار عن بُعد وتفسير المرئيات –ترجمة: د. حسن حلمي خاروف– منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – دمشق ١٩٩٤م .

أسماء من يُعرف بكنيته من أصحاب رسول الله ﷺ – تأليف الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسن الأزدي – تحقيق : اقبال بن محمد إسحاق سكوهري – بومباي ١٩٨٩م .

إصلاح إدارة الخدمة المدنية بالدول النامية – إعداد : باربرانبرج – ترجمة : فيصل عادل زواتي – منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية – عمان ١٩٩٤م .

أفكار خريفية – مسرحيات عالمية (٣٢) – تأليف بي فنغسي ترجمة : ظاهر عبد الواحد – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

أيام الثقافة الإسبانية في دمشق – ترجمة : رفعت عطفة – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

إيليا كازان يتحدث – الفن السابع (٦) – إعداد : ميشيل سيمان – ترجمة : محمد جمّول – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

بحث مقارن عن الاتجاهات السائدة في الواقع التربوي في البلاد العربية

– تحرير : د. عبد الله عبد الدائم – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

البرنامج التلفزيوني العربي في تدريب معلمي الكبار – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

البيبليوغرافيا الجزائرية – النصف الثاني لسنة ١٩٩١ – الجزائر ١٩٩٣م .

بصمات عربية ودمشقية في الأندلس – تأليف سلمى الحفار الكزبري – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

تاريخ مساجد الكوفة – تأليف محمد سعيد الطريحي – الجزء الأول – حيدر أباد ١٩٨٢م .

تجارب واتجاهات الدول العربية في إدخال العمل اليدوي والتربية التكنولوجية في مرحلة التعليم الأساسي – إعداد : عبد القادر فضيل – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

تحقيق حول ابن عباس ومكانته في التفسير والمعارف الأخرى – تأليف : د. محمد باقر حجتي – بيروت ١٩٩٠م .

التعليقات والنوادر – ترتيب : حمد الجاسر – القسم الرابع .

تعليم الكبار اتجاهات وقضايا عالمية – تأليف هـ. س بولا – ترجمة : د. عبد العزيز سنبل ، صالح عزب – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية – منشورات أكاديمية المملكة المغربية – مكناس ١٩٩١م .

الثورة السورية الوطنية – مذكرات د. عبد الرحمن الشهبندر – تحقيق : محمد كامل الخطيب – الطبعة الثانية – قضايا وحوارات النهضة العربية (١١) – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الثورة الفرنسية – دراسات اجتماعية (٩ ، ١٠) – جزآن – تأليف فرانسوا فوريه – ترجمة : صيّاح الجهيم ، زياد العودة – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

جبل البنفسج – رحلة الحظ (مسرحيتان للأطفال) – تأليف نور الدين الهاشمي – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

جبل الشوح – قصص وروايات عربية (٣٦) – تأليف حسن صقر – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الجزر العربية الثلاث في الخليج العربي ومدى مشروعية التغيرات الإقليمية الناتجة عن استخدام القوة – تأليف : عبد الوهاب عبدول – إصدار مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة .

جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر – الجزء الثالث – القسم الثاني تأليف أندريه ميكيل – ترجمة : إبراهيم خوري – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي – تأليف عبد المعين الملوحي – بيروت ١٩٩٣م .

حكايا السجن – مسرحيات عالمية (٣١) – تأليف أزفالدو دراغون – ترجمة : صالح علماني – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

حلب في مائة عام – تأليف محمد فؤاد عيتاني ، نجوى عثمان – ثلاثة أجزاء – حلب ١٩٩٣م .

حلقة دراسية عن التنسيق بين التعليم العالي المتوسط والتعليم الجامعي في الوطن العربي – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – دمشق ١٩٩٤م .

خليل مردم بك – تأليف فادية عبد اللطيف المليح – دمشق ١٩٩١م .

دراسات تاريخ الجزيرة العربية :

الكتاب الأول : مصادر تاريخ الجزيرة العربية – جزآن – منشورات جامعة الرياض – ١٩٧٩م .

الكتاب الثاني : الجزيرة العربية قبل الإسلام – منشورات جامعة الملك سعود – ١٩٨٤م .

الكتاب الثالث : الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين – جزآن – منشورات جامعة الملك سعود – ١٩٨٩م .

دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية – تأليف د. أمين توفيق الطيبي – تونس ١٩٨٩م .

دراسات في القراءة السريعة – تأليف جفري أ. ددلي – ترجمة : د. عبد اللطيف الجميلي – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

دراسة مقارنة حول تدريس اللغات الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي في البلاد العربية – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

دليل الكتب ـ سبعة مجلدات ـ المعرض الدولي الثاني للكتاب ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤١٢هـ .

دنيا ـ (رواية) ـ ديميتير ـ محمود طرشونة ـ ١٩٩٣م .

الذرية الطاهرة ـ لأبي بشر محمد بن حماد ـ حققه : محمد جواد الحسيني ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٨م .

الرؤية المزدوجة ـ الفن السابع (٨) ـ تأليف أندريه فايدا ـ ترجمة : صلاح صلاح ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

الرواية الألمانية الحديثة ـ دراسات نقدية عربية (٨) ـ د. عبده عبود ـ منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

سلسلة الإبريز بالسند العزيز ـ تأليف الحسن بن علي بن أبي طالب ـ علق عليه : محمد جواد الحسيني ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٩٤م .

السينما فناً ـ الفن السابع (٩) ـ تأليف رالف ستيفنسون ، جان دوبري ـ ترجمة : خالد حداد ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

الصحة في العالم الثالث ـ تأليف عدد من المؤلفين ـ ترجمة : عيسى عصفور ـ دراسات اجتماعية (١١) ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

الصداقة من منظور علم النفس ـ عالم المعرفة (١٧٩) ـ تأليف د. أسامة أبو سريع ـ الكويت ١٩٩٣م .

الصناعات الإعلامية والاتصالية في الوطن العربي ـ منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٩٣م .

صـور من بلادي ـ شعر د. وليد قصـاب ـ الطبعة الثانية ـ الإمارات العربية المتحدة ١٩٨٦م .

الصيد الثمين ـ الغـابة الخضراء ـ (مسرحيتان للأطفال) ـ تأليف نور الدين الهاشمي ـ منشورات وزارة ـ الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

ضباب ـ روايات عالمية (٤١) ـ تأليف ميكال دي أو نامونو ـ ترجمة : علي جابر ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

الطائر المتوحد (قصص للأطفال) ـ تأليف كولين تيل ـ ترجمة : نور الحلاق ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

العجـلة المكسـورة ـالقصـة القصـيرة العـالميـة (١٥) ـ تأليف وليـام سارويان ـ ترجمة سميرة بريك ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

العرب وعصر المعلومات ـ عالم المعرفة (١٨٤) ـ تأليف د. نبيل علي ـ الكويت ١٩٩٤م .

العصفور الذهبي ـ تأليف فيصـل الحجلي ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

على عتبـة العـالم الأسطوري ـ سـلسـلة العلوم (١١) ـ تأليف يوري أفدييف ـ ترجمة : صفوان ريحاوي ، مظفر شعبـان ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

عين اليقين في سيرة سيد المرسلين ـ تأليف محمد سيد كيلاني ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٧٨م .

فارس الأحلام القديمة ـ شعر : د. وليد قصاب ـ الدوحة ١٩٩٠م .

فرانسوا تروفو والموجة الفرنسية الجديدة –الفن السابع (٧) – تأليف عدد من المؤلفين – ترجمة : إسماعيل جمول – وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الفساد في الحكومة – ترجمة : د. نادر أبو شيخة – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – نيويورك ١٩٩٠م .

قصة ولد – روايات عالمية (٣٨) – تأليف الفونس دوديه – ترجمة : عيسى عصفور – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي – تأليف د. عبد الرحمن الشهبندر – تحقيق : محمد كامل الخطيب – قضايا وحوارات النهضة العربية (١٠) – منشورات وزارة الثقافة – الطبعة الثانية – دمشق ١٩٩٣م .

قضايا إحصائية حول التعليم الابتدائي – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

اللورد الصغير فونتلوري – (رواية) – تأليف فرانسيس هودغسون برنت – ترجمة : موفق شقير – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

المارانا – **السوق** – **السياف** – روايات بلزاك (٨) – ترجمة : صلاح الدين برمدا – منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

مجنونة الشموس – قصص وروايات عربية (٣٩) – تأليف جمال سعيد - منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

محضر أحد الاجتماعات – مسرحيات عالمية (٢٨) – تأليف ألكسندر

غلمان – ترجمة : ضيف الله مراد – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

مدخل إلى قراءة بلزاك – دراسات نقدية عالمية (١٩) – ترجمة : ميشيل خوري – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

مذكرات وخطب – قضايا وحوارات النهضة العربية (١٣) – تأليف د. عبد الرحمن الشهبندر – تحقيق : محمد كامل الخطيب – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

مذكراتي عن الثورة العربية – قضايا وحوارات النهضة العربية (٩) – تأليف د. أحمد قدري – منشورات وزارة الثقافة – الطبعة الثانية – دمشق ١٩٩٣م .

المعرفة والتكنولوجيا – منشورات أكاديمية المملكة المغربية – الدار البيضاء ١٩٩٣م .

المقالات – قضايا وحوارات النهضة العربية (١٢) – تأليف د. عبد الرحمن الشهبندر – تحقيق : محمد كامل الخطيب – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الممثلون الغافلون – روايات بلزاك (٩) – ترجمة : صلاح الدين برمدا – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

من أجل أنطولوجيا إسلامية –دراسات فكرية (٩)– تأليف محمد مزوز – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

من كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – تأليف عبد الملك بن محمد الثعالبي – المختار من التراث العربي (٥٦) – جزآن – تعليق :

منير كنعان – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية – تأليف محمد بن عيسى الصالحي – تحقيق : د. حكمت إسماعيل – إحياء التراث العربي (٩٢) – منشورات وزارة الثقافة – جزآن – دمشق ١٩٩٣م .

الموسوعة العلمية الميسرة – تأليف نخبة من المؤلفين – المجلد الخامس : الجزء الثاني . منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

مي زيادة وأعلام عصرها (رسائل مخطوطة لم تنشر) – تحقيق : سلمى الحفار الكزبري – بيروت ١٩٨٢م .

الهروب – تأليف بيوتركر أبو تكين – ترجمة : عبد الكريم البني – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الهروب من الضباب – قصص وروايات عربية (٣٨) – تأليف حامد ضرار – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

هكذا مات تقريباً – قصص وروايات عربية (٣٧) – تأليف علي عبد الله سعيد – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الهلاك تأليف جيم آلن – ترجمة : فاضل جتكر – مسرحيات عالمية (٢٩) – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

وداعاً – النزل الأحمر – روايات بلزاك (١٠) – ترجمة صلاح الدين برمدا – منشوزات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

ب ـ المجلات العربية المهداة

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٦	١٩٩٣	سورية
الأسبوع الأدبي	٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣	١٩٩٤	سورية
بناة الأجيال	٢ ، ٣ ، ٤ ،	١٩٩٢	سورية
	٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ،	١٩٩٣	
	٩	١٩٩٤	
الثقافة	كانون الثاني ، شباط ، آذار	١٩٩٤	سورية
الحياة التشكيلية	٤٩ ـ ٥٠	١٩٩٢ ـ ١٩٩٣	سورية
الحياة الموسيقية	٣ ـ ٤	١٩٩٣	سورية
دراسات تاريخية	٤٧ ـ ٤٨	١٩٩٣	سورية
رسالة معهد التراث العلمي العربي	٦٢	١٩٩٤	سورية
صوت فلسطين	٣١٣ ، ٣١٦	١٩٩٤	سورية
الضاد	١١ ، ١٢	١٩٩٣	سورية
	١	١٩٩٤	
عالم الذرة	٢٨	١٩٩٣	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١١ (هندسية)	١٩٩٠	سورية
	١٢ (أساسية)	١٩٩٠	
	١٤ (زراعية)	١٩٩٠	
	١٧ ، ١٨ (إنسانية)	١٩٩٠	
المجلة البطريركية	١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤	١٩٩٤	سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة جامعة دمشق	١٦ – ١٧	١٩٩٣	سورية
المجلة الطبية العربية	١٢٠، ١٢١	١٩٩٣	سورية
المعرفة	من ٣٦٤ – ٣٦٨	١٩٩٤	سورية
الموقف الأدبي	٢٧٢	١٩٩٣	سورية
	٢٧٣ – ٢٧٤ – ٢٧٥	١٩٩٤	
النشرة الاقتصادية	١	١٩٩٤	سورية
أخبار الإدارة	٦	١٩٩٤	الأردن
الأنباء	٥٠٩، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٦، ٥١٧	١٩٩٤	الأردن
دراسات	١، ٢ (مجلد ٢١/سلسلة أ)	١٩٩٤	الأردن
	١ (عدد خاص)	١٩٩٣	
الدواء العربي	٢	١٩٩٣	الأردن
الشريعة	٣٣٨، ٣٤١	١٩٩٤	الأردن
المجلة العربية للإدارة	١	١٩٩٤	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	٢، ٣ (مجلد ٨/سلسلةب)	١٩٩٣	الأردن
	٢، ٣، ٤ (مجلد ٨/سلسلةأ)	١٩٩٣	
اليرموك	٤٢	١٩٩٤	الأردن
آفاق الثقافة والتراث	١	١٩٩٣	الإمارات المتحدة
المجلة العربية للتربية	١	١٩٩٣	تونس (المنظمة العربية)
المجلة العربية للمعلومات	٢	١٩٩٢	تونس (المنظمة العربية)
الدارة	٤	١٤١٤هـ	السعودية
عالم الكتب	١، ٢	١٩٩٤	السعودية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة جامعة أم القرى	٤ ، ٥ ، ٦ ،	١٤١١هـ - ١٤١٢هـ	السعودية
مجلة جامعة الإمام	١ ، ٢	١٩٨٩م	السعودية
محمد بن سعود الإسلامية	٤ ، ٥	١٩٩١	
	٦ ، ٧	١٩٩٢	
مجلة جامعة الملك سعود	١ ، ٢ (مجلد ٥/الأدب)	١٩٩٣	السعودية
أخبار التراث العربي	١٢	١٩٨٤	الكويت
	١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١	١٩٨٥	
	٢٣	١٩٨٦	
حولية كلية الآداب	الرسالة ٩٣ ، ٩٤ (حولية ١٤)	١٩٩٣ - ١٩٩٤	الكويت
علوم وتكنولوجيا	٨	١٩٩٤	الكويت
الشراع	٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨	١٩٩٤	لبنان
الفكر العربي	٧٤	١٩٩٣	لبنان
الأكاديمية	٩	١٩٩٢	المغرب
اللسان العربي	٣٠ ، ٣١	١٩٨٨	المغرب
	٣٢ ، ٣٣	١٩٨٩	
	٣٤	١٩٩٠	
	٣٥	١٩٩١	
	٣٦	١٩٩٢	
المنتخبون العرب	٢	١٩٩٤	المغرب
ألمانيا	٣	١٩٩٣	ألمانيا
	١	١٩٩٤	
الدراسات الإسلامية	٤	١٩٩٢	باكستان
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية	٥١	١٩٩٤	كوريا

ج - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

1- Books:

-Ermoni Olaylari tarihi/ by Huseyin Nazim Pasa.- Ankara, 1994.- 2.Vols.- (Series: Osmenli Arsivi Daire Baskanligi; No. 15).

-OSMANLI BELGELERINDE ERMENILER (1915-1920). 6-Ankara, 1994.- 222P.- (Series: Osmanli arsivi daire baskanligi, No. 14.

-THE VOCABULARY OF SASANIAN SEALS/by K. Yamauchi.- Tokyo: Institute for the study of Languages and cultures of Asia and Africa, 1993.- 129 P.- (Series: Iranian studies, No. 5).

-IRANIAN STUDIES/by Institute for the study of languages and cultures of Asia and Africa.- Tokyo, 1993.- (Series: Studia Culturae Islamica No. 47).

-ZIONISM AND ARABISM IN PALESTINE AND ISRAEL/ edited by Elie Kedourie and Sylvia G. Haim.- Britain, 1982.- 255 P.

-SYRIA, A COUNTRY STUDY/ edited by Richard F. Nyrop.- Washington: The American|University|1979.- 268 P., with illustrations.

-ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES, 1993/by Japan Association for Middle East Studies.- Tokyo, 1993.- 458P.

-TRIPOLOGIA DEI SISTEMI E ORIGINE DELLA LORO UNITA/ Par Vittorio Mathieu.- Roma, 1994.- (Series: Atti Della Accademia Nazionale dei Linceli, Methorie, serie IX- vol. IV- Fas. 2.

-LA BIBBIA DI FRRRARA 450 ANNI DOPO LA SUA PUBBLICAZIONE/ Par MARGHERITA MORREALE.- Roma, 1994.- Series: Atti Della Accademia Nazianale dei |lincei , Memorie: Serie IX- vol. IV- Fascicolo 3.

- CONTRIBUTO ALIO DTUDIO DELL'EDITTIO DE TRIBUTORIA ACTIONE/ Par TIZIANA J. CHIUSI.- Roma, 1993.- Series: Atti Della Academia Nazionale dei Lincei, Memorie, Serie IX - Vol.III - Fascicolo 4.

- NUOVI STUDI SULL'IDENTITA FENCIA/ Par SABATINO MOSCATI.- Series: ATTI DELLA ACCADEMIA NAZIONALE DEI LINCEI, Memorie: Serie IX - Vol. IV - Fascicolo I.

2- JOURNALS:

- AWRAQ/published by INSTITUTO DE COOPERACTION CON EL MUNDO ARABE, Vol. XIII (1992) MADRID.

- BOLETIN DE LA ACADEMIA ARGNTINA DE LETRAS, BUENOS AIRES, Tomo LVII - Enero - Junio de 1992 - No 223-224.

- BULLETIN D'ETUDES ORIENTALES, Publ. by: INSTITUT FRANCAIS DE DAMAS, Tome XLV, Annee 1993.

- CATALONIA CULTURE, BARCELONA. No. 36, January, 1994.

- DURHAM UNIVERSITY JOURNAL, Publ. by: THE AUTHORITY OF THE SENATE OF THE UNIVERSITY OF DURHAM, ENGLAND. January, 1994.

- EAST ASIAN REVIEW, Publ. by: THE INSTITUTE FOR EAST ASIAN STUDIES, SEOUL, KOREA.

- ENERGIES, LE MAGAZINE INTERNATIONAL DE TOTAL, PARIS. No. 17 NOV./DEC. 1993.

- IBLA, REVUE DE L'INSTITUT DES BELLES LETTRES ARABES. TUNIS. No. 173, 57 eme Année, 1994.

- MEMORILE SECTILOR STINTIFICE, Publ. by ACADEMIA ROMANA, BUCURESTI?, Seria: IV, tom: IXI No. I, 1988. No. I 1989. No. I, 1991. No: I, 1990, No. 2, 1991.

- THE MIDDLE EAST JOURNAL, Publ. by: MIDDLE EAST INSTITUTE, WASHINGTON, No. 3, VOL. 47 Summer 1993.

- MUSLIM EDUCATION QUARTERLY, Publ. by: THE ISLAMIC ACADEMY, CAMBRIDGE, ENGLAND. No. 3, Vol. 10, 1993, Spring issue.

- THE MUSLIM WORLD, Publ. by: THE DUNCAN BLACK MACDONALD CENTER AT HARTFORD SEMINARY, U.S.A. APRIL 1993, VOL. LXXXIII, NO. 2.

- ORIENS, MOSCOW, Nos.: 4,5;6, 1993.
- ORIENTALIA SUECANA, STOCKHOLM, SWEDEN, Vol. XLI – XLII (1992 – 1993).
- STUDIA ISLAMICA, edited by A.L. VDOVITCH AND A.M. TVRKI, PARIS. VOL. LXXVII.
- SOURCES UNESCO, PARIS. Nos.: 55,56,57, 1994.

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج٢ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ـــ شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول) ،
تحقيق د. محمد يوسف . مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ .
ـــ شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢ ، وضع صلاح الخيمي .
ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر ـــ عبد الله بن زيد) ،
تحقيق د. شكري فيصل ، شهابي ، طرابيشي .
ـــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج٢ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى ـــ عبد الله بن ثوب)
تحقيق د. فيصل ، نحاس ، مراد .
ـــ كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط٢) ، تحقيق عبد المعين الملوحي .
ـــ التاريخ المنصوري ، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي ،
تحقيق د. أبو العيد دودو ، مراجعة د. عدنان درويش .
ـــ شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، مراجعة قدري الحكيم .
ـــ كتاب الأفضليات ، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي ،
تحقيق د. وليد قصاب ، د. عبد العزيز المانع .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج١ ، وضع رياض مراد وياسين السواس .
ـــ زجر النابح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري ، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي (ط٢) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان — تح د. محمد طاهر ملك
- سفر السعادة وسفير الإفادة ج١ — تح محمد أحمد الدالي
- شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢) — صنعة د. عبد الكريم الأشتر
- الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢) — لعبد الحي الحسني
- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي — تح د. نسيب النشاوي
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا — تح د. طيان وميرعلم
- نظرات في ديوان بشار بن برد — للدكتور شاكر الفحام
- التوفيق للتلفيق للثعالبي — تح إبراهيم صالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣ — وضع محمد رياض المالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢ — وضع مراد وسواس
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات — الدكتور حسني سبح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١ — وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١ — وضع ياسين السواس
- سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣ — تح محمد أحمد الدالي
- نوح العندليب — لشفيق جبري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣ — وضع صلاح الخيمي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١ — تح نشاط غزاوي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد) — تح عبد الغني الدقر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان) — تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدي كرب — جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١ — تح محمد كامل القصار
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢ — تح حافظ وبدير
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١ — تح عبد الإله نبهان



مطبعة الصباح

دمشق - هاتف ٢٢٢٦٥١٠





ربيع الآخر ١٤١٥هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٤م



مطبعة الصباح

دمشق ـ هاتف ٢٢٢٦٥١٠

كتب الأنساب العربية
١٠

الدكتور إحسان النص

كتاب الإكليل

للسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد الهَمْداني
المعروف بابن الحائك
٢٨٠ - بعد سنة ٣٥٠هـ

المؤلف(*) :

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني المعروف بابن الحائك . وقد أطلق المؤلف على نفسه لقب « لسان اليمن » فعرف بذلك . وقبيلة همدان تنتمي إلى كَهْلان ، أحد جذمي قحطان . وهي قبيلة ضخمة

(*) من مصادر ترجمته : مقدمة كتاب الإكليل تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع وكتابه عن المؤلف « لسان اليمن » ؛ معجم الأدباء لياقوت ٢٣٠/٧ ؛ روضات الجنّات للخوانساري ص٢٣٨ ؛ تلخيص ابن مكتوم ص٥١ ؛ طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص٥٨ ؛ طبقات ابن قاضي شهبة ٣١٩/١ ؛ ترجمة مفصلة للمؤلف في كتاب إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ وفي كتابه أخبار الحكماء ص١١٣ ؛ بغية الوعاة للسيوطي ص٢١٧ ؛ بحث للأستاذ حمد الجاسر حول الجزء العاشر من الإكليل في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٥ الجزء الأول ص٦٢ .

كثيرة البطون وتتفرع إلى فرعين كبيرين هما : حاشد وبَكِيل ، وإلى بكيل ينتسب المؤلف .

وقد علّلَ القفطي سبب تلقيبه بابن الحائك فقال : « فأما تلقيبه بابن الحائك فلم يكن أبوه حائكاً ولا أحد من أهله ولا في أهله ولا في أصله حائك ، وإنما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر ، وكان جدّه سليمان بن عمرو المعروف بذي الدمينة شاعراً ، فسُمّي حائكاً لحوكه الشعر »[1] .

ولد المؤلف بصنعاء عام ٢٨٠هـ ــ حسبما حققه الأستاذ الأكوع بعد أن وقف على المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة »[2] ــ وفيها انكبّ على طلب العلم ، فأخذ الفقه والأدب وعلم النسب والجغرافية والتاريخ عن جلّة من الشيوخ ، وكان شيخه في علم النسب أبا نصر البهري نسّابة حمير ، ومن شيوخه أيضاً محمد بن أحمد الأوساني الحميري . وكان إلى ذلك يتجوّل في البلاد فدخل حضرموت واتّصل بعلمائها وتعرّف معالمها وجاب بلاد الحجاز ونجد وجاور بمكة زمناً وأخذ عن مشايخها وأخذ الناس عنه . وكانت صلته قوية برجالات اليمن وملوكها وأمرائها .

استقرّ بمدينة ريدة مدة من الزمن واتصل بسلطانها أبي جعفر الضحّاك سيّد همدان في زمنه ، ثم غادرها إلى مدينة صَعْدة فأقام بها عشرين سنة ، قال : « وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خَولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ... »[3]وقد تعرض الهمداني للسجن مرتين ــ حسبما حقق الأستاذ الأكوع ــ أولاهما بصَعدة ، سجنه

(١) إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ .

(٢) انظر : مقدمة كتاب الإكليل ٥١/١ في الحاشية .

(٣) الإكليل ٢٧٥/١ .

الناصر لدين الله أحمد بن يحيى العلوي ، ولا يعرف سبب سجنه على وجه التحقيق ، ذكر بعضهم أنه لهج بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان وحقّر ما عظّم الله وتجاسر على انتقاص من اصطفاه الله[٤] .

واضطر الناصر إلى اطلاق سراحه لأن قبائل خولان تألّبت عليه بسببه ، ويشير الهمداني إلى سجنه واطلاق سراحه بصعدة فيقول في سياقة نسب سعد بن خولان : « فأولد عبدُ الله يحيى بن عبد الله سيّد أكيل ، وأُمّه بنت عبد الله بن محمد بن عبّاد ، وهو – أي يحيى بن عبد الله – أحد من قام في فكّ الهَمْداني من سجن العلوي بصَعدة وأوجب فيه ، وكان رجل خولان ولسانها وذا رأسها[٥] . »

وبعد اطلاق سراحه انتقل الهمداني إلى صنعاء ، وهناك تعرض للسجن مرة ثانية ، سجنه ملك حمير أبو حسّان أسعد بن أبي يُعفِر الحوالي بإيعاز من الناصر أحمد العلوي . ومن الأسباب التي أوردها الأخباريون عن سبب سجنه بصنعاء أنه قال شعراً يهجو فيه الناصر ويثلبه ، فكتب هذا إلى أسعد بن أبي يعفر ، وهو بصنعاء ، أن يسجنه . فأوعز إلى أخيه أبي الفتوح أمير صنعاء فسجنه[٦] ، وقيل أيضاً إن مهاجاة وقعت بينه وبين شعراء مدينة صعدة فلما أوجعهم بهجائه دسّوا له عند الناصر فكتب إلى أسعد بن أبي يعفر يطلب إليه سجنه[٧] . والسبب الأخير هذا قد يعلل سبب سجنه بصعدة أما سجنه بصنعاء فسببه ، فيما يبدو لي ، هجاؤه الناصر لحبسه إياه بصعدة . وقد مكث الهمداني في سجن صنعاء ست سنوات من سنة ٣١٥هـ حتى سنة ٣٢١هـ .

(٤) الإكليل ٦٢/١ .

(٥) الإكليل ٣١٢/١ .

(٦) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٦ .

(٧) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٧ .

وقد تحدّث الهمداني عن سجنه في صنعاء في سياقة نسب صُحار بن خولان فقال : « حتى سجن الهمداني بيد أسعد بن أبي يعفر ، فطلبوا فيه ، فأعلمهم أنه لم يسجنه ، وأن أسعد سجنه في جرم أجرمه إليه ، فركب منهم الحسن بن محمد بن أبي العباس إلى أبي حسّان طالباً فيه ، فاعتذر وقال : إنما كتب إليّ فيه الناصر أن أسجنه له ، فهو في سجنه عندي ، فاطلبوا إليه ، فإذا أنعم ، فيكتب إليّ حتى أطلقه . فانصرف وعادوا جماعة العشيين الناصر في الطلب ، وأعلموه بما قال أسعد ، فأبعدهم وأغلظ لهم ، فأغلظوا له وتباعدوا أمرهم ، وأظهروا له الخلاف ، وقاد له الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتله بمصنعة كَتفى ، فسأل الناصر وجوه خولان أن يصرفوه ويعلموه أنه قد فتح له الهمداني – أي أطلق سراحه – »[٨] . فكذلك نرى أن قبيلة خولان القضاعية – وهي ليست قبيلة المؤلف – كان لها فضل إطلاق سراحه من سجنه في صعدة وصنعاء ، وكان الهمداني مدّاحاً لرؤسائها وأشرافها . وقد انتقم الهمداني من أبي حسان أسعد بن أبي يعفر بهجائه بقصيدة مطوّلة سمّاها « قصيدة الجار » وقد أوردها المحقق في الإكليل[٩] .

يذكر القفطي أن الهمداني كان رجلاً محسَّداً في أهل بلده وارتفع له صيت عظيم وصحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم ، ومن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، وأبو عمر النحوي صاحب ثعلب ، وأبو عبد الله الحسين بن خالويه . وممن كان يكرمه من ملوك اليمن ويرعى حقّه إسماعيل بن إبراهيم النَبْعي الحميريّ »[١٠] .

(٨) الإكليل ١/٤٢٦ .
(٩) انظر : الإكليل ١/٦٣ .
(١٠) انباه الرواة ١/٢٨٠ – ٢٨١ .

ويصفه القفطي ويثني على علمه وسعة اطلاعه فيقول : « نادرة زمانه ، وفاضل أوانه ، الكبير القدر ، الرفيع الذكر ، صاحب الكتب الجليلة ، والمؤلّفات الجميلة . لو قال قائل : إنه لم تخرج اليمن مثله لم يَزِلّ ، لأن المنجّم من أهلها لاحظ له في الطب ، والطبيب لا يدَ له في الفقه ، والفقيه لا يدَ له في علم العربيةِ وأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، وهو قد جمع هذه الأنواع كلّها وزاد عليها »(١١) .

ووصفه الخزرجي(١٢) بقوله : هو الأوحد في عصره ، الفاضل على من سبقه ، المبرّز على من لحقه ، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ، ولساناً وشعراً ، ورواية وفكراً ، واحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والمناقب والمثالب ، مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة والفلك »(١٣)

عرف الهمداني بعصبيته الغالية للقحطانية وقد جرّت عليه هذه العصبية عداوة النزارية ، وقيل إنه عرّض بالرسول عليه السلام أثناء تعرضه للعدنانية وأنه سجن بسبب ذلك . وهو أمر مستبعد ، وربما كان في الأمر دسيسة من قِبل شعراء صعدة الذين هاجاهم الهمداني . وبدافع هذه العصبية قال قصيدة طويلة سمّاها « الدامغة » يفاخر فيها بالقحطانية ويعارض قصيدة الكميت التي فخر فيها بالعدنانية والتي أوّلها :

ألا حُيّيتِ عنا يا مَدينا   وهل بأسٌ نَقُول مُسَلِّمينا

---

(١١) إنباه الرواة ١/٢٧٩ .

(١٢) الخزرجي هو علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي (ت ٨١٢هـ) من أعلام المؤرخين اليمنيين . من كتبه : « طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن » و« العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولةالرسولية » و« العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن » .

(١٣) بغية الوعاة للسيوطي ١/٤٩٨ .

ومطلع قصيدة الهمداني :

ألا يـــا دارُ لولا تنـــطـــقـــيـــنـــا فـــإنـــا ســـائـــلوك فخبّـــرينـــا

كما أنه وقف الجزء الثالث من كتاب الإكليل على ذكر مفاخر قحطان .

لا تعرف سنة وفاة الهَمْداني ومكانها على وجه التحقيق ، فقد ذكر القاضي صاعد في « طبقات الأمم » ما نصّه : « وجدت بخط أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموي أن أبا محمّد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة »[١٤] . وقد تابع صاعداً في هذه الرواية طائفة من الباحثين القدامى والمحدثين . وأغفل آخرون ذكر سنة وفاته . على أن القفطي الذي أورد خبر صاعد ذكر ما يناقض هذا الخبر وهو قوله : « وسار في آخر زمانه إلى رَيْدة من البَون الأسفل من أرض هَمْدان ، وبها قبره وبقية أهله »[١٥] ، فهذا الخبر يناقض خبر صاعد أنه توفي في السجن بصنعاء ، لأنه سار في آخر حياته إلى ريدة ، ومن هنا يستدل على أنه توفي بريدة ودفن فيها . وقد استبعد الشيخ حمد الجاسر أن يموت الهمداني في صنعاء ثم ينقل جثمانه إلى ريدة وهي تبعد عنها مسافة ٢٠ ميلاً ، أي ما يقارب من مسيرة يوم للإبل ، إذ ليس من عادة العرب نقل موتاهم إلاّ في حالة الحرب[١٦] ، وهو يرجح لهذا السبب ولأسباب أخرى أن يكون الهمداني قد عاش مدة من الزمن بعد خروجه من السجن . وإلى هذا الرأي ذهب كذلك الأستاذ الأكوع محقق الإكليل واستند إلى خبر

(١٤) طبقات الأمم ص٥٩ ؛ إنباه الرواة ١/٢٨٤ .

(١٥) إنباه الرواة ١/٢٨٠ .

(١٦) مجلة المجمع المجلد ٢٥ ص٦٨ .

مرويّ في الجزء الثاني من الإكليل هذا نصه : « قال أبو محمد عبد الله بن سليمان الحلملي : رويت عن محمد هذا – أراد به محمد بن أحمد الأوساني شيخ الهمداني – سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، وهو من عمره في ثمانين ، وكتبت عنه . وقتل في سنة ستين وثلاثمئة ، رحمه الله »(١٧) ، فإيراد الهمداني هذا الخبر في كتابه يدل على أنه عاش إلى سنة ستين وثلاثمئة على الأقل .

مؤلفاته :

للهمداني مؤلفات كثيرة ولكن أكثرها مفقود ومنها كتاب « المسالك والممالك باليمن » و« السير والأخبار » و« اليعسوب » . وقد ذكر القفطي أنه « في فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد وعمل العرب فيه وغريب ذلك ونحوه والشعر فيه ، وهو كتاب جيد جداً مفيد للمتأدبين »(١٨) ، وكتاب « القوى » في الطب ، وكتاب « الجواهر العتيقة » ، وكتاب « الزيج » .

ومنها القصيدة النونية « الدامغة » في فضائل قحطان ، وقد شرحها ولده ، وهي التي أحدثت له العداوة من النزارية ، وله ديوان شعر في ستة أجزاء .

من مؤلفاته التي انتهت إلينا كتاب « الإكليل » الذي سأتحدث عنه فيما يأتي ، وكتاب « صفة جزيرة العرب » وهو من أجود كتبه ، وصف فيه معالم جزيرة العرب ، ولا سيما القسم الجنوبي منها ، وصفاً يعتمد على المشاهدة لا على السماع والنظر في المؤلفات فحسب . إذ كانت له جولات شملت جميع هذه البقاع . والكتاب مطبوع بمصر بتحقيق المؤرخ محمد بن

---

(١٧) الإكليل ٣٣٢/٢ .

(١٨) إنباه الرواة ٢٨٢/١ .

عبد الله بن بليهد النجدي . ومنها كتاب « سرائر الحكمة » في علم النجوم ، ويذكر الأستاذ الأكوع أنه وقف على المقالة العاشرة منه واستخلص منها زمن ولادة الهمداني[١٩] .

الكتاب :

كتاب « الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير » هو أعظم كتب الهمداني ، ومما يؤسف له أن بعض أجزائه العشرة مفقود ، ووصلنا منه فقط الأجزاء الأول والثاني والثامن والعاشر ؛ وقد طبعت[٢٠] .

وقد تحدّث القفطي عن هذا الكتاب وعن موضوعات أجزائه العشرة فقال : « وكتابه في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله المسمّى بالإكليل ، وهو عشرة أجزاء ، الجزء الأول في المبتدأ ونسب مالك بن حمير ، والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير ونوادر من أخبارهم ، والجزء الثالث في فضائل اليمن ومناقب قحطان ، والجزء الرابع في سيرة حمير الأولى ، والجزء الخامس في سيرة حمير الوسطى ، والجزء السادس في سيرة حمير الأخيرة إلى الإسلام ، والجزء السابع في ذكر السيرة القديمة والأخبار الباطلة المستحيلة ، والجزء الثامن في القبوريات وعجائب ما وجد في قبور اليمن ، وشعر علقمة بن ذي جَدَن وأسعد تُبّع ، والجزء التاسع في كلام حمير وحكمهم وتجاربهم المرويّة بلسانهم والموضوع للرطانة عندهم ، والجزء العاشر في معارف هَمْدان وأنسابها ونتف من أخبارها .

---

(١٩) انظر مقدمة الجزء الأول من الإكليل ص٧٥ .

(٢٠) حقق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الجزأين الأول والثاني ونشرهما ، وحقق الجزء الثامن ونشره الأب أنستاس الكرملي ببغداد سنة ١٩٣١م ، ثم أعاد تحقيقه ونشره الأستاذ نبيه أمين فارس سنة ١٩٤٠م في برنستن ، وحقق الجزء العاشر ونشره بالقاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٦٨هـ .

وهو كتاب جليل جميل ، عزيز الوجود ، لم أر منه إلا أجزاء متفرقة وصلت إليّ من اليمن وهي : الأول والرابع يعوزه يسير ، والسادس ، والعاشر والثامن . وهي على تفرقها تقرب من نصف التصنيف ، ووصلت في جملة كتب الوالد المخلّفة عنه ، حصّلها عند مقامه هناك . وقيل إن هذا الكتاب يتعذر وجوده تاماً لأن المثالب المذكورة فيه في بعض قبائل اليمن ...... وأعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب وتتبعوا إعدام النسخ منه ، فحصل نقصه لهذا السبب[٢١] . وفي الجملة الأخيرة خلل فخبر (لأن) غير مذكور ، ولعل مرد الخلل إلى الناسخ .

ونستخلص من نص القفطي كذلك أن بعض أجزاء الكتاب كانت مفقودة منذ زمنه (القرن السابع الهجري) وأن سبب ذلك تعريض المؤلف ببعض قبائل اليمن . وفي ظني أن الجزء الثالث فقد بسبب تعريض المؤلف بالعدنانية فيه وتطاوله عليهم بسبب عصبيته القحطانية .

ومما تقدم يتبين لنا أن كتاب الإكليل ليس كتاباً في الأنساب فحسب وإنما يشتمل على موضوعات أخرى ، وسوف أقصر حديثي على الأجزاء الحاوية للأنساب وهي الأول والثاني والعاشر .

ففي الجزأين الأول والثاني تناول المؤلف الأنساب الحميرية ، وفي الجزء العاشر ذكر أنساب كهلان بن سبأ – الجذم الثاني من قحطان – وأنساب همدان خاصة .

وكان الجزآن الأول والثاني مفقودين إلى أن عثر عليهما الأستاذ محمد بن علي الأكوع لدى أحد أصدقائه فحققهما ونشرهما وأضاف إلى الكتاب حواشي وافية . وقد سرد في مقدمة الجزء الأول تفصيل عثوره على

---

(٢١) إنباه الرواة ١/٢٨٢ .

هذين الجزأين ، وكان قد عثر على مخطوطة في برلين تشتمل على هذين الجزأين ولكنها نسخة رديئة فيها بياض في مواضع كثيرة ، فنشر الجزء الأول اعتماداً عليها ، وبعد عثوره على الجزأين في اليمن أعاد نشر الجزء الأول فصحح ما وقع فيه من أغلاط في الطبعة الأولى نبهه إليها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في مقالات نشرها في مجلة العرب وكذلك نبهه الشيخ محمد بن علي الأشول إلى بعض الأخطاء فتداركها في هذه الطبعة ، ثم نشر الجزء الثاني سنة ١٩٦٦م .

على أن النسخة التي عثر عليها الأستاذ الأكوع لدى القاضي محمد بن عبد الله العمري ليست في الواقع عين كتاب الإكليل ، وإنما هي قسم من كتاب ألّفه الأمير اليمني محمد بن نشوان بن سعيد الحميري ، وأبوه نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) هو أحد ملوك اليمن ومؤلف مشهور له كتاب « شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم » ومؤلفات أخرى ، وابنه الأمير محمد من أعيان علماء اليمن وشعرائها ، صنّف جملة من الكتب منها كتاب اختصر فيه كتاب أبيه شمس العلوم وسمّاه « ضياء الحلوم مختصر شمس العلوم » ، وكان على مخلاف خولان صعدة ثم قامت بينه وبين الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة حرب شارك فيها أنصارهما وانتهت بالموادعة بينهما ، ولا تعرف سنة وفاة محمد هذا .

وممّا يدل دلالة صريحة على أن الكتاب لمحمد بن نشوان ما جاء في مقدمته، بعد البسملة والحمدلة وهو قوله: « قال محمد بن نشوان بن سعيد الحميري : الحمد لله موجد الأشياء بعد العدم ، والمنفرد بأوصاف الوحدانية والقدم ... سألت أكرمك الله بأنواع كرامته ، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ، أن أوضّح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها ، وما حفظ من سيرها وآثارها ، فأجبتك إلى ما سألت ، وأشفعتك منه بما طلبت ، مؤتمّاً بما ذكره

الشيخ الفاضل المؤتمن لسان اليمن ، وفائق من كان فيه من الزمن ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمْداني ، رحمه الله ، ممّا صحّحه من علمه الجليل ، وحققه في كتابه المعروف بالإكليل ...» .

وبعد أن يثني على الهمداني وعلمه الغزير يقول : « فأثبتُّ في النسب ما أتى به ذاكراً لما ذكره في كتابه ، غير أني اختصرت شيئاً ممّا ذكره في النسب ، ليس هو من جملته بمحتسب »[٢٢] .

وفي الكتاب أكثر من إشارة دالة على أن مؤلف الجزأين الأول والثاني اللذين عثر عليهما المحقق في اليمن ليسا عين كتاب الإكليل وإنما هما من تأليف محمد بن نشوان ، ومن ذلك مثلاً ما نجده في ص٢٩٨ من الجزء الأول وهو : « وهم الذين ذكرهم الهمداني في برية القسي » ، فهو يتحدث عن الهمداني بصيغة الغائب . وكتاب محمد بن نشوان هو اختصار لما ذكره الحسن بن أحمد الهمداني من أنساب حمير ، وقد أضاف إليه إضافات يسيرة . على أن تصريح محمد بن نشوان بأنه نقل ما في الإكليل بنصه لم يكد يغير فيه إلاّ أشياء يسيرة يأذن بأن ينظر إلى هذين الجزأين على أنهما صورة لكتاب الإكليل للهمداني ، وهذا ما فعله محقق الجزأين . وقد ألف محمد بن نشوان كتابه تلبية لطلب صديق له طلب إليه بيان أنساب حمير[٢٣] .

تحدث الهمداني في الجزء الأول عن أنساب حمير ولكنه بدأ أولاً بذكر مبدأ الخلق وتناسل ولد آدم حتى بلغ أبناء نوح ومن تناسل منهم ، ثم ذكر نسب هود عليه السلام واختلاف أقوال النسابين في نسبه واختلافهم

---

(٢٢) الكتاب ١/٨١ .

(٢٣) الكتاب ١/٨٠ .

كذلك في نسب قحطان وهل هو من نسل إسماعيل أو لا ، حتى انتهى إلى نسب حمير .

وفي ذكره لأنساب حمير وقف أولاً عند نسب قبيلة قضاعة ، وهي حميرية عند جمهور النسابين ، ففصّل القول في نسبها وعدّد قبائلها وبطونها ، ووقف وقفة مطوّلة عند قبيلة خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وبذلك انتهى الجزء الأول . .

وفي الجزء الثاني استمرّ المؤلف في سرد الأنساب الحميرية ، وذكر الخلاف بين النسّابين في نسب « الصَّدِف » . وهل هم من حمير أو من حضرموت أو من كندة ، ثم أخذ في سرد نسب من تناسل من الهميسع بن حمير ، فلما فرغ من الهميسع انتقل إلى مالك بن حمير الفرع الثاني من حمير وأخذ في سرد نسب قضاعة بن مالك بن حمير على وجه الإيجاز ، ولكنه حينما بلغ قبيلة خولان وقف عندها وقفة طويلة وقال في ذلك : « قد ذكرنا قبائل قضاعة ذكراً مجملاً لشهرتها عند الناس ووقوف العامة عليها واستعمالهم لها ، وعمران قلوبهم بها وأسماعهم ، سوى خولان فإننا رأينا أن نشبع القول فيها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي إخوتها من قضاعة ، ونحرص أن نأتي من ذلك بما يعرفه أهل نجد وبعض أهل الحجاز وكافة أهل اليمن ونجران . ومن يبلغه رحلتهم ويبلغهم رحلته . ولو كانت صعدة في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث – أي الحديث النبوي – لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء ، فهذه الآن بطونها على ما روى خولان وحمير بصعدة ، وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجلّ محمد بن أبان الخنفريّ المتوارث من الجاهلية »[٢٤] .

(٢٤) الكتاب ١/٢٧٤ .

فهذا النص يطلعنا على أحد الدوافع التي حملت الهمداني على العناية بنسب خولان فقبيلة خولان كانت بصعدة ، ولذلك لم تعرف كما عرفت القبائل التي نزلت صنعاء . على أن هناك سبباً أخر وراء عناية الهمداني بأنساب خولان ، وهو تلك الرعاية التي أحاطته بها قبيلة خولان ورؤساؤها ابان أقامته بمدينة صعدة ، ونهوضها لمؤازرته حين سجنه الإمام العلوي حتى اضطر إلى اطلاقه .

ومما يلفت النظر هنا أن الهمداني ذكر قبيلة خولان المنحدرة من جذم قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وخولان هذه لا ذكر لها في جمهرة ابن الكلبي وكتب من تابعه من النسّابين ، أمّا خولان الأخرى المعروفة بَفْكل فهي تنتسب إلى كهلان بن سبأ .

وفي سياق سرده لأنساب خولان يستطرد الهمداني إلى ذكر نسب قبيلة عَنْز بن وائل لصلتها ببعض رجال خولان ، ثم يعود إلى خولان فيتمّ سرد أنسابها . وقد استغرق ذكر نسب خولان وحدها ستين ومئتي صفحة من الجزء الأول .

والجزء الثاني وقفه المؤلف على نسب الهميسع بن حمير. ومن المحقق أن كتاب الإكليل هو أوسع مصدر لهذا النسب ، وقد استغرق نسب الهميسع الجانب الأكبر من هذا الجزء ، ولما فرغ منه أورد مشجّرة لهذا النسب ، ثم الحق بنسب حمير أبواباً تتصل بالأسماء الحميرية : ما اتفق من أسمائها في الحروف وما اختلف ، وكذلك ما اتفق في أسمائها مع أسماء قبائل أخرى ، ونحو ذلك . وبذلك تم الجزء الثاني من الكتاب .

وفي الجزء العاشر – وهو الأخير – من الكتاب ينصرف الهمداني إلى ذكر أنساب كهلان بن سبأ ، وهو الجذم الثاني من قحطان ، فيذكر أولاً

تفرّع كهلان فروعاً ثلاثة : عريباً ، ومالكاً ، وغالباً ، ثم يسرد الأنساب المتفرعة من هؤلاء . ومنها قبيلة خولان العالية (فَكْل)[٢٥] التي تنتسب إلى عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن كهلان .

ونسب كهلان في هذا الجزء غاية في الاختصار ، باستثناء هَمْدان ، فالمؤلف اكتفى بذكر قبائلها في صفحات قليلة ، ولم يعن بتفصيل أنسابها ، على خلاف ما صنع في ذكر الأنساب الحميرية . أمّا همدان فقد فصّل القول في أنسابها تفصيلاً لا مزيد عليه . ولا غرابة في ذلك فهي قبيلته . ويكاد يكون الجزء العاشر وقفاً على أنساب همدان .

نهج المؤلف في ذكر الأنساب :

جرى الهمداني على النهج الذي سلكه جُلّ النسّابين في التفريع من الأصول بأسلوب الجملة الفعلية التي يبدؤها بلفظ (أولدَ) أو (وَلَدَ) .

ولكن المؤلف لم يقتصر على ذكر الأنساب وإنما أضاف إليها أشعاراً وأخباراً واستطرادات كثيرة حتى لتكاد هذه الإضافات تملأ من الصفحات أكثر مما ملأته الأنساب . وجل الأشعار التي أوردها هي لشعراء يمانين وقلة منها لشعراء عدنانيين ، والمؤلف نفسه كان شاعراً والكتاب يشتمل على طائفة كبيرة من أشعاره .

مصادر الكتاب وقيمته : .

للكتاب في طبعته التي انتهت إلينا مقدمتان متداخلتان ، أولاهما

---

(٢٥) خولان هذه غير خولان القضاعية التي ذكرها الهمداني في الجزء الأول ، وكانت منازل خولان العالية في مخلاف يقع جنوبي صنعاء ، أما خولان قضاعة فكانت منازلها في صعدة وما حولها ، وهي التي نزل المؤلف فيها .

لمحمد بن نشوان الحميري ، وقد ذكر فيها أنه أخذ ما في كتاب الإكليل من أنساب حمير وأثبته في كتابه ، وتليها مباشرة مقدمة الهمداني لكتاب الإكليل ، وقد ذكر فيها مصادره في الأنساب الحميرية ، فقد أخذ جُلّ هذه الأنساب عن نسّابة حمير أبي نصر البهري محمد بن عبد الله بن سعيد الحميري ، كما أخذ عن شيخ آخر هو محمد بن أحمد الأوساني ، واستمدّ كذلك من سجلّ كان يحتفظ به الصعديّون من قبيلة خولان القضاعية . وهو سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية . وقد ذكره المؤلف مرّات في كتابه[٢٦] . وأخذ كذلك عن علماء آخرين وعن نسّابي القبائل التي اتّصل بها . وهو يأخذ على النسّابين الكلبيين (مثل محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام) أنهم استقصوا أنساب القبائل الحميرية التي اتصلوا بها والتي تمتّ في نسبها إلى مالك بن حمير – ومنها قضاعة – في حين أنهم أغفلوا أنساب الهميسع بن حمير، يقول في ذلك: «لم أزل كلفاً بالبحث عن الأنساب ، والفحص على صحيحها ، والوقوف على سقيمها ، والتصفح لما أتى به النُسّاب ، فأخذنا عن ناسب كل قبيلة متقناً لأنسابها من قاربه وعاشره وساكنه وخالطه ، راجماً فيمن نأى عنه بالغيب ، يجمع من سيرهم الحقير ، ومن أنسابهم اليسير ، ومن علمهم وحكمهم النزر من الكثير . ويزلّ عنه منها الجمّ الغفير . ورأيت نُسّاب تلك النواحي – ولا سيما الكلبيين – استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير ، لما كان منهم بمرأى ومسمع ، وأتوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير بمثل أثر في عفر ، لا دارس فيعفو ، ولا بيّن فيبدو ، لمّا قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن ، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن ، فنتف ذلك واختصر ذا ، وأتوا من أنسابها بعنق يختلف عنها بدنها ، وكذلك غيرهم من

(٢٦) انظر مثلاً ١/٢٧٤ .

النُسّاب ، حتى إن محمد بن إسحاق أتى ، فيما سمعنا عنه ، بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر ، فقلت : أين ممّن لم يزل بعدهم مُوجفاً (يقصد نفسه) يغور وينجد ، ويقرب ويبعد . في طلب من يعلم ذلك على كماله . مثل شيخ حمير ونابها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادّخرته ملوك حمير في خزائنها ، من مكنون علمها ، وقارىء مساندها ، والمحيط بلغاتها ، أبي نصر محمد بن عبد الله بن سعيد ... ويشهر بصنعاء بأبي نصر الحنبصي ... فما أخذته عنه ما أثبتّه في كتابي هذا من أنساب بني الهميسع بن حمير وعدّة الأذواء ، وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها ، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجلّ خولان القديم بصعدة ، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان ، وما خبّرني به الآباء والأسلاف »[٢٧] .

لكتاب الإكليل قيمة كبيرة في بيان أنساب حمير وهمدان ، فليس بين أيدينا مصدر عنهما أوفى مما ذكره الهمداني في كتابه . وابن الكلبي لم يعن في كتابه إلا بأنساب مالك بن حمير ، أما نسب الهميسع بن حمير فهو غاية في الإيجاز ، وقد علل الهمداني جهله به بعدم ارتحاله إلى اليمن واتصاله بنسّابيها ، وقد أتيح للهمداني من مصادر الأنساب الحميرية ما لم يتح لسواه من علماء النسب .

إلى ذلك نجد في الأجزاء التي تحدثت عنها أخباراً عن اليمن وملوكها وأحداثها وأشعاراً لشعراء اليمن الذين استقرّوا فيها ولم يرتحلوا إلى مواطن أخرى ، وأشعاراً لغيرهم . فهو إذن مرجع في الأنساب والتاريخ والأدب لا نظير له في مصنفات اليمنيين .

---

(٢٧) الكتاب ٨٣/١ .

تحقيق الكتاب يفتقر إلى مزيد من العناية ، فقد وقع المحقق في أخطاء كثيرة لا موضع لتعدادها هنا ، وكذلك لم يخل الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ محيي الدين الخطيب من بعض الأخطاء ، وقد نبه الأستاذ حمد الجاسر إلى طائفة منها في مقالته في مجلة المجمع[٢٨] ، والإنصاف يقتضينا أن نشيد بما بذله المحققان من جهد كبير في التحقيق ، فليس من اليسير تحقيق كتب علماء اليمن لغرابة ما فيها من أسماء أعلام الأشخاص والأماكن وصعوبة التثبت من ضبطها ، بالقياس إلى قبائل شمالي الجزيرة وبلاد الشام . ونرجو أن يسعف الدهر بالعثور على سائر أجزاء الكتاب المفقودة فهو على الجملة موسوعة عظيمة الفائدة عن اليمن وقبائلها وأخبارها ولغاتها وشعرائها..

(٢٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٥ الجزء الأول سنة ١٩٥٠م ص٦٢ وما بعدها .

علم العربية في المراحل القرآنية(*)

الدكتور عوض القوزي

بلغت اللغة العربية درجة النضج اللغوي قبل نزول القرآن الكريم ، وأدرك أهلها ما تتميز به لغتهم من حيث الشمول والقدرة على احتواء المعاني ، وتفاضل المتكلمين بها في الفصاحة ، وعن طريق اتصال العرب في الحج والأسواق عرفت العربية البلغاء والشعراء وتمايز العرب في لهجاتها ، كما عرفت أيضاً علو شأن لغة قريش ، وسيطرتها في الساحة اللغوية والأدبية ، واعجاب العرب من غير قريش بما وصلت إليه قريش من فصاحة اللسان وهيمنة اللغة .

وجاء القرآن الكريم ليؤكد هذه الحقيقة فكان في عمومه بلغة قريش ، فقد روي : عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه أوصى أن يكتب القرآن بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم(١) ، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ ﴾(٢) ، أفحم البلغاء وتحداهم ببيانه فما اسطاعوا أن يأتوا بعشر سور مثله(٣) ، بل لقد عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله(٤) . ونزولُ القرآن بهذا الإعجاز أضاف إلى

---

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ١٣/١ .

(٢) سورة الشعراء الآية/١٩٥ .

(٣) قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرَيَاتٍ ، وادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِهِ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة هود ، الآية/١٣ .

(٤) قال تعالى : ﴿ وإنْ كُنتُم فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلى عَبْدِنَا ، فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ إنْ كُنتُمْ صَادِقِيْنَ ﴾ سورة البقرة ، الآية/٢٣ ، وقال جل

العربية رصيداً تقوّي به بلاغتها ، وتحتكم إليه فصحاؤها . تلقّاه الصحابة ، رضوان الله عليهم ، مشافهة من رسول الله ، ﷺ ، وكان بعضهم يكتب آياته ، ولكن أكثرهم كان يعتمد على الحفظ دون الكتـابة . ثم لما لحق الرسول عليه السلام بالرفيق الأعلى ، ولحق به خلق كثير من حفظة الكتاب العزيز ، خاصة بعد معركة اليمامة(٥) ، خاف المسلمون أن يُقضى على القرآن بالقضـاء على حفظته في حروب الفتح . فهرعوا إلى أبي بكر ، يعرضون الأمر عليه ، ويلتمسون الحل لديه ، وكان في مقدمتهم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يشرح لخليفة رسول الله ، أن القتل قد استحرّ بالقُرَّاء يوم اليمامة ، ويخشى أن يستحرَّ القتلُ فيهم في المواطن كلها ، فيذهب كثير من القرآن ، واقترح أن يُجمع القرآن بحال ، وتَرَدَّدَ أبو بكر ، رضي الله عنه ، وهاب الإقدام على عمل لم يفعله رسول الله ، ﷺ ، وأخذ عمر يراجعه ويقنعه بجدوى جمع القرآن ، حتى شرح الله صدره لما كان قد شرح له صدر عمر ، فوكل أبو بكر تلك المهمة إلى زيد بن ثابت وقال له : إنك رجل شاب عاقلٌ لا نتّهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ، ﷺ ، فتتبع القرآن واجمعه ، قال زيد : فوالله لنقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليّ من الذي أمرني به من جمع القرآن(٦) . ولنا أن نسأل : لماذا هرع المسلمون إلى أبي بكـر يطـلبـون منـه جمع القرآن ؟ لِمَ لَمْ يتطوع أحدهم أو بعضهم

= ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، سورة يونس ، الآية/٣٨ .

(٥) بعد وفاة النبي ﷺ ارتد بعض قبائل العرب عن الإسلام ، فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت أقسى المعارك ضراوة على المسلمين تلك التي خاضوها مع المرتدين في اليمامة سنـة اثنتي عشرة للهجرة ، انظر معجم البلدان ، (جـ٥ ، ص٤٤٢ ، يمامة) .

(٦) انظر الفهرست : ٢٤ .

بذلك ؟ ، الجواب أن القرآن وإن كان الله قد حفظه[٧] فإن مسؤولية رعايته في الأرض نيطت بمن يتولى أمر المسلمين ، وأن عليه مسؤوليته ، وأطْر المسلمين إلى أحكامه . ونظامُ الإسلام جعل للحاكم الطاعة وعليه الرعاية لما يصلح أمر المسلمين ، ومن إصلاح حالهم المحافظة على كتاب الله نوراً يهديهم . لذلك ما كان أحد ليجرؤ على عمل يتصل بالقرآن غير أبي بكر ، ولو كان ذلك في مقدور أي أحد لكان عمر جديراً بالإقدام عليه وتنفيذه ، ولأنه عمل يتصل بالأمة كلها ، كان خليفة المسلمين هو المسؤول عنه . وجُمع القرآنُ من الرقاع ، واللخاف ، والعُسُب ، وصدور الرجال ، وبقيت صحفه عند أبي بكر حياته ، وانتقلت إلى عمر بن الخطاب حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة ابنة عمر ، رضي الله عنهما . وخلال هذه المدة أخذ المسلمون في نشر الدعوة الإسلامية شرقاً وشمالاً وغرباً ، وكان الفاتحون يقرؤون كتاب الله كل بالحروف التي بلغتهم ، وطبيعي أن تظهر بينهم اختلافات في القراءة ، لكن تلك الاختلافات أخذت تشتد عندما اجتمع في غزو أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلون القرآن ، فلاحظوا اختلافاً ، وتنازعوا حتى كاد بعضهم يكفّر بعضاً[٨] ، ثم إن حذيفة بن اليمان ، قدم على عثمان بن عفان ، فقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، وأبلغه خلاف الناس في القراءة ، ففزع عثمان لذلك فزعاً شديداً ثم أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ،

---

(٧) قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر/٩ . وقال سبحانه : ﴿ بل هو قُرْآنٌ مَجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ سورة البروج/٢١ ــ ٢٢ .

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد/١١ (م) .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر رضي الله عنه ، زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، حتى إذا نسخ المصحف ، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق مصحفاً ، وأمر بكل ما سوى ذلك من القرآن أن يحرق[٩] . إن جمع الناس على مصحف واحد ليس بالأمر اليسير ، ولقد كان من جلائل الأعمال ، ولولا إرادة الله المتمثلة في حفظ كتابه ، ثم لولا سلطة الخلافة ، لما استطاع عثمان جمع الأمصار على مصحف واحد ، لا سيما وقد غبروا على قراءة ما يخالفه مدة ليست بالقليلة ، فضلاً عن أنهم تلقوه من ثقات إنْ في الشام أو في العراق . وهذه الخطوة في خدمة القرآن ما كانت لتقوم بها قوة غير قوة الولاية لأمور المسلمين ، وهي لا تقل في خطرها عن سابقتها التي تمثلت في جمعه في الصحائف بعد أن كان مبعثراً في صدور الرجال .

وما إن يُقْضى على مشكلة حتى تقوم أخرى ، ويكون على ولي أمر المسلمين مواجهتها بما يلائمها من الحلول ، فما إن عولجت قضية اختلاف القراءة حتى ظهرت قضية هي من الخطر بمكان ، وأعني بها قضية اللحن في قراءة القرآن . هذه القضية نشأت وكبرت بتزايد الداخلين في دين الإسلام من الأمم الأخرى غير العربية ، فكانوا يقرؤون القرآن لا يقيمون حروفه لصعوبة ذلك عليهم ، وكان عليهم أن يقرؤوه كما تعلموه وكما أنزل ، فكان طبيعياً أن يدفعهم الحرص على قراءة القرآن إلى التماس كل ما من شأنه تذليل تلك الصعوبة . يضاف إلى ذلك أن الحياة الجديدة أخذت تجذبهم إلى تعلم العربية باعتبار أنها لغة الدين الذي ارتضوه ، ولما لم يكن أمامهم من وسيلة لحذق هذا اللسان غير المشافهة ، رأيت اللحن يسري في كل ناحية ،

(٩) انظر المصدر السابق/١١ ، والفهرست/٢٤ ـ ٢٥ .

وأدركوا فضل العرب على من سواهم ، وشرعوا في طلب العربية بكل سبيل يؤدي إلى فهم الكتاب العزيز ، وإقامة حروفه ، وفهم معانيه وأسراره ، وأدركوا أن الوصول إلى ذلك لا يتحقق إلا عن طريق حذق العربية ، فقد حدَّث التاريخي بإسناد رفعه إلى سلمة بن قتيبة قال : كنت عند ابن هبيرة الأكبر ، قال : فجرى الحديث حتى ذكر العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان دينهما واحد ، وحسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، قال : فقلت : أصلح الله الأمير ، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته ، أرأيت الآخرة ما باله فضِّل فيها ؟ ، قال : إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل الله ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال : قلت : صدق الأمير وبرّ[١٠] .

ولم يقف أمر اللحن عند الأعاجم ومن في حكمهم ، بل تعدى إلى الناشئة العربية ، وأصبح يشكل ظاهرة تدفع إلى التندر تارة ، وإلى التخوّف على مستقبل الفصاحة العربية تارة أخرى .

وأخذ اللحن ينتشر حتى بين سراة القوم فرأوه هجنة على الشريف ، ونظروا إليه فكان في أنظارهم أقبح من آثار الجدري في الوجه[١١] ، وهو في الكتاب أقبح منه في الخطاب ، ولذلك عندما تلقى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كتاباً من الحصين بن أبي الحر[١٢] ، فلحن في حرف منه ، كتب عمر إليه أن قنّع كاتبك سوطاً[١٣] ، وكان عبد الملك بن مروان

---

(١٠) إرشاد الأريب ٨٣/١ ـ ٨٤ .

(١١) انظر البيان والتبيين ٢١٦/٢ ، العقد الفريد ٤٧٨/٢ .

(١٢) قيل إن الذي بعث بالكتاب إليه هو أبو موسى الأشعري ، انظر أدب الكتاب/١٢٩ .

(١٣) البيان والتبيين ٢١٦/٢ ـ ٢١٧ .

يقول : اللحن أقبح من التفتيق في الثوب النفيس[١٤] ، وتحرج بعضهم من مساءلة شيخه ، وما كان له من سبب غير أن لحنه يمنعه[١٥] . ويصل الحال ببعضهم إلى أن يتقزز من سماع اللحن ، فعمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، يقول : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن[١٦] ، وكان ابن عمر يضرب ولده على اللحن كما كان يضربهم على تعليم القرآن[١٧] وكان سراة القوم لا يتركون تفقد أبنائهم ومتابعة تلقينهم الفصاحة والأدب فهذا معاوية ، رضي الله عنه ، يكتب إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه ، فلما قدم عليه كلّمه ، فوجده يلحن ، فردّه إلى زياد ، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول : أمثل عبيد الله يضيّع ؟[١٨] ، ويقف عبد الملك بن مروان على لحن ابنه الوليد بن عبد الملك ، فيلوم نفسه في ذلك قائلاً : أضرَّ بنا في الوليد حُبُّنا له ، فلم نلزمه البادية[١٩] ، بل إنهم ليعدون سريان اللحن إلى ألسنة الأبناء نتيجة لتفريط الآباء وإهمالهم ، فهذا أبو جعفر المنصور وهو من هو في الشرف والمجد ، عندما سمعه الأعرابي يلحن قال لآخر كان يجلس إلى جانبه : ما كان أهون هذا القرشي على أهله[٢٠] ، ولم يعدّوا اللحن في الرجل السري نقصاً فحسب ، بل تجاوزوا بذلك إلى أنهم أصبحوا لا يرون للاحن

---

(١٤) عيون الأخبار ١٧٣/٢ .

(١٥) انظر البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

(١٦) انظر الأضداد/٢٤٥ .

(١٧) انظر : ارشاد الأريب ٨٩/١ ، والأضداد/٢٤٤ .

(١٨) المحكم في نقط المصاحف/٣ ، إيضاح الوقف والابتداء ٣٩/١ – ٤٠ ، روى الجاحظ أنه كانت في عبيد الله لكنة ، لأنه كان نشأ بالأساورة (وهم قوم من العجم بالبصرة) مع أمه مرجانة . انظر البيان والتبيين ٢١٠/٢ .

(١٩) انظر العقد الفريد ٣٠٩/٢ . وكان الوليد بن عبد الملك لحاناً .

(٢٠) انظر : إرشاد الأريب ٨٥/١ .

حرمة[٢١] ، وإن كان إماماً أُخِّر[٢٢] ، وأن الرجل – وإن بهر الآخرين بمظهره – فإنه إذا لحن يخف في أعينهم[٢٣] ، ولا أدل على ذلك من تقدير الأعرابي لأبي جعفر المنصور ، وعندما سمعه يكثر من اللحن قال : أشهد لقد وليتَ هذا الأمر بقضاء وقدر[٢٤] ، ويرى بعضهم أن اللحن لو كان من الذنوب لعدّ من الكبائر[٢٥] ، وقد يعدّون استماع اللحن مؤدياً إلى تردِّي الحال الصحية لمريض لا يطيق سماعه[٢٦] ، بل يصل الأمر ببعضهم إلى أن يستغفر الله إذا وقع في اللحن[٢٧] .

هذا إذا كان اللحن في الكلام العادي فما بالك به وقد وقع في القرآن الكريم ، إنه بلا شك أمر يستوجب استنهاض الهمم ويدعو إلى الاستنكار ، وهاك بعض المواقف التي استنكر فيها الأعراب لحناً سمع في بعض حروف القرآن الكريم ، روى ابن قتيبة قال : « سمع أعرابي إماماً يقرأ ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾[٢٨] بفتح تاء تَنْكِحُوا ، فقال : سبحان الله ، هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لحن ، والقراءة ﴿ ولا تُنْكِحُوا ﴾ فقال : قبحه الله ، لا تجعلوه بعدها إماماً فإنه يحل ما حرم الله »[٢٩] ثم قصة ذلك الأعرابي الذي قدم في زمان عمر بن الخطاب

---

(٢١) انظر إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ٤٨/١ .

(٢٢) العقد الفريد ٣٠٨/٢ .

(٢٣) إرشاد الأريب ٨٣/١ .

(٢٤) انظر : المصدر نفسه ٨٥/١ ، وانظر : عيون الأخبار ١٧٥/٢ .

(٢٥) أدب الكاتب/١٣٢ .

(٢٦) انظر : المصدر السابق/١٣٢ .

(٢٧) انظر : المصدر نفسه/١٢٩ ، إيضاح الوقف والابتداء ٣٣/١ .

(٢٨) سورة البقرة ، الآية ٢٢١ .

(٢٩) عيون الأخبار ١٧٥/٢ .

يطلب أن يقرئه بعضهم شيئاً مما أنزل على محمد ، فأقرأه رجل « براءة » فقال « أن الله بريء من المشركين ورسولِه » بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي ، فدعاه وبيّن له صواب القراءة ، فما كان من الأعرابيَ إلا أن قال : وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه[٣٠] .

وتدور الخواطر في أذهان المفكرين من الأمة ، كل يريد أن يصنع شيئاً يقيم به اللسان الذي فارق سبيل العرب في أصواتها وإعرابها ، على غرار ما نرى من أبي الأسود عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي فقال : « هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة ، فلو علمناهم الكلام »[٣١] .

وبالمقابل ترتفع الدعوة إلى تعلم الإعراب ، وهو سبيل العرب في الإبانة عن أغراضها ، يقول مالك بن أنس : « الإعراب حَلْيُ اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حليها »[٣٢] ، ويأتي الحث على التماس الإعراب في قراءة القرآن على وجه الخصوص ، فيقول عمر ، رضي الله عنه ، مثلاً : « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه »[٣٣] ، ويروى عن ابن مسعود أنه قال : « جرِّدوا

---

(٣٠) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٣٨/١ ـ ٣٩ ، وفي رواية أن الأعرابي لما سمع اللحن في القراءة قال : والله ما أنزل الله هذا على نبيه محمد ، فبلغ الأمر عمر ، رضي الله عنه ، ولم ينكر الأعرابي مقولته المبنية على ما سمع من لحن القارئ ، فقال عمر : صدق الأعرابي ، إنما هي « ورَسُولُه » انظر إيضاح الوقف والابتداء ٣٧/١ ـ ٣٩ ، وانظر أيضاً تفسير القرطبي ٢٤/١ .

(٣١) انظر أخبار النحويين البصريين/١٨ .

(٣٢) انظر : المصدر نفسه/٢٣ .

(٣٣) إيضاح الوقف والابتداء ٣٥/١ .

القـرآن وزينـوه بـأحسـن الأصـوات وأعربوه ، فإنه عربي ، والله يحب أن يُعْـرَب »[٣٤] وعن عبـد الله بن عمـر رضي الله عنهمـا أنه قال : « أعرِبُوا القرآن »[٣٥] .

وتتواتر الآثار عن صحابة رسول الله ، ﷺ ، في الحث على إعراب القرآن ، وما يترتب على إعرابه من الثواب[٣٦] ، ويرقى ذلك إلى عهد رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فعن أبيّ بن كعب ، رضي الله عنه ، أنه كان يقـرئ رجـلاً فـارسيّـاً ، فكـان إذا قرأ عليـه ﴿ إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَـامُ الأَثِيْمِ ﴾[٣٧] قال : « طَعَامُ اليَتِيْم » فمر به النبي ، ﷺ ، فقال : « طَعَامُ الظَّـالِم » ففصح به لسـانه ، فقال النبي ، ﷺ ، لأبي بن كعب : قوّم لسانه وعلّمه ، فإنك مأجور ، وإن الذي أنزله لم يلحن فيه ، ولا الذي نزل به ، ولا الذي أنزل عليه ، وإنه قرآن عربي »[٣٨] .

إن الفصـاحة مطـلب عظيم ، والعرب تتوخّى مواطنها بين البدو الخلّص ذوي السـليقة السليمة ، فتلحق أبناءها وهم في طور الاكتساب وطراوة اللسان بتلك القبائل التي تميزت بالإعراب والبيان ، وكان الموسرون من قريش يبعثون أولادهم إلى البادية لهذا الغرض ، ولا أدل على ذلك من

---

(٣٤) المصدر نفسه ١٦/١ ، تفسير القرطبي ٢٣/١ وفيه « جوّدوا القرآن ... » وأظن الرواية الأولى أصح ، لأن المعنى يفضي إلى تجريد القرآن مما كان بعض الصحابة يثبت في مصحفه من تفسير لغريبه ، أو نحو ذلك .

(٣٥) تفسير القرطبي ٢٣/١ .

(٣٦) انظر : المصدر السـابق ٢٣/١ ، إيضاح الوقف والابتداء ١٦/١ ، ميزان الاعتدال ٥٤١/٤ .

(٣٧) سورة الدخان الآية/٤٣ .

(٣٨) مقدمتـان في علوم القرآن/٢٢٩ ــ ٢٣٠ ، وانظر حديثاً آخر في إيضـاح الوقف والابتداء ١٦/١ .

إيفاد محمد بن عبد الله ، ﷺ ، وهو صغير إلى بني سعد واسترضاعه حليمة السعدية ، وهناك بدأ نشأته الطيبة ، واكتسب الفصاحة ، ونجا مما قد يصيب ناشئة مكة من فساد السليقة نظراً لما يلابسهم من الرقيق والخدم[٣٩] . وكان عليه السلام يفخر بذلك الاسترضاع ، فيقول لأصحابه : « أنا أَعْرَبُكُم ، أَنَا قرشي ، واستُرضِعْتُ في بني سعد بن بكر »[٤٠] ، وقد مرّ بنا تأسف عبد الملك بن مروان على فساد سليقة ابنه الوليد لعدم إلزامه البادية .

ولما كانت العربية هي المروءة الظاهرة التي ترفع الوضيع إلى مراتب الأشراف[٤١] ، وأن الفصاحة إحدى المروءتين[٤٢] ، وأن تعلُّم النحو جمال للوضيع[٤٣] . كان الإقبال على التحلي بحليتها كبيراً ، والتنافس على بابها شديداً ، وكان على مفكري الأمة وقادتها أن يستجيبوا لرغبات الرعية ، ويحافظوا على ما تقيم به ألسنتها عند قراءة كتاب ربها .

لقد انطلق علم النحو من منطلق قرآني ، والذي وضع أول لبنة فيه ما كان ليخطر بباله أنه يؤسس لعلم سيصبح له خطره وشأنه في الثقافة العربية الإسلامية ، ولم يدر بخلده وهو يضع تلك الإشارات على أواخر الكلمات القرآنية أنه قد أعرب المصحف – على ما تعارفت عليه الأجيال من بعده – . نظر مؤسسو النحو إلى الإعراب بمعناه الواسع المتضمن للإبانة ، أو قل طريق العرب في التعبير ، فحرصوا على تمكين إخوانهم

(٣٩) انظر سيرة النبي ، ﷺ ، ١/١٧٢ – ١٧٨ ، حياة محمد/٧١ .

(٤٠) سيرة النبي ، ﷺ ، ١/١٧٨ .

(٤١) انظر إيضاح الوقف والابتداء ١/٤٥ – ٤٦ .

(٤٢) انظر المصدر السابق ١/٤٧ .

(٤٣) انظر البيان والتبيين ٢/٢١٩ .

المستعربين من تلك الآلة وبالأخص عند قراءة كتاب الله الكريم ، لم ينظروا إلى إكساب غير العربي فصاحة العربي وبلاغته ، ولكنهم أخذوا على عاتقهم وضع علامات يهتدي بها غير العربي فينطق الحرف صحيحاً كما ينطقه العرب ، ليحموا الناس من الوقوع في شيء من اللحن في كتاب الله ، أو قل ليحموا كتاب الله من لحن اللاحنين .

وسواءٌ اتفقت الروايات أو اختلفت فيمن وضع تلك اللبنة الطيبة وأسس للدراسة النحوية ، فإنه لا خلاف في أن نقط الإعراب كان أول خطوة في هذا الميدان[٤٤] .

وهذا العمل وإن بدا بسيطاً في نظر المتأخرين ، فلقد كان جليلاً لم ينهض به إلا رجل كيّس ، وهبه الله الفطنة ، ويسّر له من ولاة الأمر من يشد أزره ويعينه على مهمة إعراب القرآن الصعبة . ولئن كانت فكرة الإعراب هذه هاجس المسلمين الغيورين على كتاب الله ، لا سيما وقد تفشى اللحن ، وسمعوه في بعض حروف القرآن ، إنّ أحداً لن يجرؤ على عمل شيء في كلام الله تحرجاً من أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا ، يضاف إلى ذلك أن مثل هذا الموقف لا يستطيعه فرد ، ولكن مسؤوليته تتعلق بوليّ أمر المسلمين . ثم لما شرح اللهلها الصدور ، قيض الله لها أن تكون ، يستوي في ذلك إن كانت هذه الخطوة بتأييد من الخليفة عمر[٤٥] ، أو كانت بتوجيه

(٤٤) الآراء في هذه القضية ثلاثة :
الأول : يرى أن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، هو أول من صنع شيئاً .
الثاني : يرى أن أبا الأسود هو صاحب الخطوة الأولى دون غيره .
الثالث : يتردد بين أبي الأسود ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر .
انظر : مراتب النحويين/٣٢ ، الفهرست/٣٩ ، أخبار النحويين البصريين/١٣ ، ١٥ ، إنباه الرواة ١/٤ ــ ٥ ، نزهة الألباء/٤ .

(٤٥) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٩ .

من علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٤٦] ، أو كانت بأمر من زياد[٤٧] أو من عبيد الله بن زياد[٤٨] المهم أن مرحلة نقط الإعراب هذه ما كانت لتقوم لولا أنه كان للحاكم يد في تأييدها .

غَبَرَ النـاس على ذلك بضع سنين ، وقد استبشـروا بالتغلب على مشكـلة اللحن في كتـاب الله . لكن ذلك لم يدم طويلاً حيث ظهرت مشكلة أخرى ، تستدعي بذل جهد جديد ومواجهة جديدة ، تلك هي قضية التصحيف ، وتبدو هذه القضية أكثر خطراً من سابقتها لأنه قد يقع في التصحيف العربيُّ الصليب ، وقد يرتكبه في القرآن من تسعفه سليقته بالمرادف اللفظي الذي يوافق التنزيل في المعنى وفي الرسم ففي مثل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيْلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا .. ﴾[٤٩] فيقرؤها « فَتَثَبَّتُـوا » ، وفي قوله تعـالى ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَـلاَئِكَـةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[٥٠] تقرأ (تُنَزَّل) ، أو (تَنَزَّل) ولئن كانت هذه الحروف قد قرأت بها القَرَأَةُ ، إن بعض التصحيف يذهب بعيداً عن الروايات المتواترة في وجوه القراءات ، وهذا لا يقره مسلم ، حتى ولو كان موافقاً للرسم والمعنى ، لأن القراءة سنة ،

---

(٤٦) انظر نزهة الألباء/٤ .

(٤٧) انظر أخبار النحويين البصريين/١٦ .

(٤٨) المصدر السابق/١٧ .

(٤٩) سورة النساء الآية/٩٤ .

(٥٠) سورة الحجر ، الآية/٨ . وهناك حروف كثيرة وقعت في القرآن الكريم تحتمل هجاءين وقراءتين منها ﴿ هنالك تَبْلُو (تَتْلُو) كل نفس ما أسلفت ﴾ الحجرات/٦ ، وقوله تعالى : ﴿ تقـاسموا بالله لنبيِّتَنَّـه (لَنُبَيِّنَنَّـه) ﴾ النمل/٤٩ ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تَجَسَّسُوا (تَحَسَّسُـوا) ﴾ الحجـرات/١٢ ، وقوله تعـالى : ﴿ والعنهـم لعناً كَبِيْراً (كَثِيْراً) ﴾ الأحزاب/٦٨ ، وقوله تعالى : ﴿ فمن خاف من موصٍ جَنَفاً (حَيْفاً) ﴾ البقرة/١٨٢ ، وغير ذلك في القرآن الكريم كثير .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « اتَّبعُوا وَلاَ تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيْتُم » ، وعن علي رضي الله عنه « أنَّ رسولَ الله ﷺ يأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَؤُوا القُرآنَ كَمَا عُلِّمتم »[٥١] . قال أبو عمرو بن العلاء : « لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا : كذا ، وحرف كذا : كذا »[٥٢] .

إن مما يدعو إلى التصحيف في العربية تشابه بعض الحروف الهجائية شكلاً ، وهذا ما يجعل قراءة بعضها مُشْكِلاً ، خاصة وأن الوجه الملفوظ قد يصل إلى المعنى نفسه وإن اختلف القصد ، ولعل في ما يلي من الأمثلة ما يكشف عن خطر التصحيف ، وكان في مثله دافع للمهتمين بالعربية إلى التماس مخرج يجنبهم مزالق التصحيف .

يروى أن امرأة جاءت إلى الفرزدق تستنجد به قائلة : إن ابني مع تميم بن زيد القيني بالسند ، وقد اشتقت إليه ، فإن رأيت أن تكتب إليه في أن يقفله إليّ ، فكتب إلى تميم :

تَمِيْمَ بْنَ زَيْدٍ لاَ تَكُوْنَنَّ حَاجَتِي بِظَهْرٍ فَلاَ يَخْفَى عَلَيَّ جَوَابُهَا
أَتَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيْمُ بِغَالِبٍ وَبالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهِ تُرَابُهَا
فَهَبْ لِي (خُنَيْساً) وَاتَّخِذْ فِيْهِ مِنَّةً أَهَبْهُ لأُمٍّ لاَ يَسُوْغُ شَرَابُهَا

فلما ورد الشعر إلى تميم أشكل عليه الاسم ، لفقدان النقط على الحروف ، فقال : أقفلوا كل من اسمه خنيس ، أو حبيش ، أو حنيش ، أو حشيش ، أو خشيش ، فعُدّوا فكانوا ثمانين رجلاً[٥٣] .

(٥١) انظر السبعة/٤٦ ، ٤٧ .

(٥٢) المصدر السابق/٤٨ ، وانظر ما روي عن الحجاج بن يوسف من كتابة بعض الحروف في مصحف عثمان . كتاب المصاحف/٤٩ ــ ٥٠ .

(٥٣) الأضداد/٢٥٦ .

ويروى أن أبا نواس تهكم برجل فقال :

رَأى الصَّيْفَ مَكْتُوْباً فَظَنَّ بِأَنَّهُ لِتَصْحِيْفِهِ (ضَيْفٌ) فَقَامَ يُوَاثِبُهُ[٥٤]

حقاً لقد رُصدت مثل هذه الأمثلة بعد معرفة الإعجام ونقط الإعراب ، وما سبق مرحلة الإعجام كان بلا شك أكثر وأوسع ، ولعله لما وقع في قراءة القرآن أو أحاديث رسول الله ﷺ ، هُرِعُوا لصنع شيء تقيم به العامة لسانها . قال الحسن : « أهلكتكم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيُعنى بوجوهها حتى يفتري على الله »[٥٥] ، ولعلنا نتصورهم سمعوا قارئاً يقرأ :

« وَلاَ يَغُوْثَ وَيَعُوْقَ وَبِشْراً »[٥٦] ، أو يقرأ : « جَعَلَ السَّفِيْنَةَ فِي رِجْلِ أَخِيْهِ »[٥٧] ، أو يقرأ : « وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ مُكَلِّبِيْنَ »[٥٨] أو يقرأ : « ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ زَيْتَ فِيْهِ »[٥٩] ، فما تراهم يفعلون إزاء مثل هذا ؟! ما تراهم صانعين إزاء فقيه يقرأ قوله : « وَلاَ يَكُونُ النَّذْرُ إلاَّ فِي قَرْيَةٍ » وهو يعني « قُرْبَة » ؟ أو آخر يحدث بقول الشافعي فيقول : « ويُسْتَحَبُّ فِي الْمُؤَذِّنِ أَنْ يَكُونَ صَبِيّاً » ، فقيل له : ما العلة في ذلك ؟ قال : ليكون قادراً على الصعود في درج المئذنة ، وإنما هو « صَيِّتاً » ، من الصوت »[٦٠] .

---

(٥٤) انظر : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف/٢٠ . وهناك أمثلة مشابهة لهذا كثيرة .

(٥٥) مقدمة ابن عطية/٢٦١ .

(٥٦) سورة نوح ، الآية/٢٣ .

(٥٧) سورة يوسف ، الآية/٧٠ .

(٥٨) سورة المائدة ، الآية/٤٨ .

(٥٩) البقرة ، الآية/٢ .

(٦٠) انظر تصحيح التصحيف/١٦ .

ليس ثمة من علاج غيرِ صنع علامات يفرِّق بها بين تلك الحروف المتشابهة . وقد روي لذلك أن السبب في نقط المصاحف أن الناس غبروا يقرؤون في مصـاحف عثمان رحمةُ الله عليه نَيِّفاً وأربعين سنة ، إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج إلى كُتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات[٦١] .

وليس يهمنا في هذا المقام ذكر من قام بهذه المهمة الصعبة من العلماء ، بقدر ما يهمنا أن هذه الخطوة لم تكن لتقوم لولا اهتمام ولي الأمر بشأن القرآن الكريم ، والحرص على حمايته من تحريف التصحيف . على أن بعضهم يرتفع بتاريخ النقط هذا إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم[٦٢] ، لكن يبدو أن هذا كان خاصاً ببعضهم ولم يكن عليه الإجماع .

وكما كان أمر جمع القرآن في مكان صعباً ، وكَتْبُه في مصحف أصعب ، كما لم يكن نقطه بالإعراب أقل منهما خطورة ، كذلك فإن نقط الإعجام ليس أقلّ خطراً من الجميع ، وما أثر عن المسلمين من خلاف في واحد من الأمور السابقة بقدر ما أثر عنهم من الخلاف في الإعجام ، وينطلق اختلافهم هذا من الخوف من زيادة حرف في القرآن أو نقص آخر منه ؛ ولذلك كانوا يحبون أن يُجرِّد القرآن ، وألا يخلط بشيء ، فالحسن البصري وابن سيرين كانا يكرهان أن ينقط المصحف بالنحو[٦٣] ، وروي أن مالك بن أنس كان قد سئل : هل ينقط المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتبة الأولى »[٦٤] ، ويصل الأمر إلى حد

---

(٦١) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف/١٣ .

(٦٢) انظر المحكم في نقط المصاحف/٢ ـ ٣ .

(٦٣) انظر المحكم في نقط المصاحف ١٠ ، وغيرهم كثير ، انظر المصاحف/١٤١ .

(٦٤) انظر الإتقان ، ٢/١٦٧ .

الحرج واستفتاء بعضهم فيه ، فيروى أن مالكاً سئل عن نقط القرآن فقال : أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ، ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها ، أمّا المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان ، وألواحهم فلا أرى بذلك بأساً »[٦٥] وأخذ الذين يُرغِّبون الناس فيه بالحث عليه وقالوا : العَجْمُ نورُ الكِتَاب[٦٦] وهم يسمون النقط (العربية) ، ويرونه عملاً مستقلاً عن القرآن ، وهذا الليث يقول : لا أرى بأساً أن ينقط المصحف بالعربية[٦٧] .

وليميزوا بين نقط الإعراب ونقط الإعجام اختاروا لونين مختلفين من الحبر ليضعوا كل نقط بلون يخالف لون الآخر ، ومضوا على ذلك زمناً حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) الذي كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس ، مع زهد في الدنيا وانقطاع إلى العلم[٦٨] ، نظر الخليل إلى الحروف ، فأدرك أنها تختلف بين مشدّد ومخفف ، وأن النقط لم يعالج هذه الجزئية فهدي إلى أن يجعل على الحرف المشدد سنينات ثلاث ، هكذا (ـ) ، مأخوذة من صدر كلمة (شديد) ، وعبّر عن الحرف الخفيف بوضع حرف الخاء صغيراً عليه (خ) وهو مأخوذ من أول كلمة (خفيف)[٦٩] ، ويبدو أن هذا دفعه إلى التفكير في صنع علامات للإعراب يفرق بها بين نقط الإعجام ونقط الإعراب ، ويهون على النساخ متاعب الحصول على الألوان المختلفة للحبر ، ويتقدم بالعلم خطوات أوسع وأرحب .

---

(٦٥) انظر المصاحف/١٤٢ ـ ١٤٣ ، المحكم في نقط المصاحف/١١ .

(٦٦) المحكم في نقط المصاحف/١٣ .

(٦٧) المصدر السابق/١٣ .

(٦٨) أخبار النحويين البصريين/٣٨ .

(٦٩) انظر المحكم في نقط المصاحف/٧ .

فقد روى أبو الحسن بن كيسان عن أبي العباس المبرد أن الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة بعض الواو ، والفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء[٧٠] ، قال أبو الفتح : « كان متقدمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا على طريق مستقيمة »[٧١] .

ويظهر أن عمل الخليل هذا كان ذاتياً دون أن يكون وراءه أمر من سلطان أو مساندة من والٍ ، وقد تقبلته النفوس ، لأنه انطلق من رجل عُرف بذكائه وفطنته وسعة علمه بالعربية وأسرارها ، يضاف إلى ذلك ما اتصف به من زهد وورع أكسبه ثقة الناس جميعاً ، فتقبلوا عمله دون تردد ، اقتناعاً برجاحة عقله ، بالإضافة إلى ما لمسوا في عمله هذا من تذليل للصعوبات التي يعجز النقط عن معالجتها . ثم إنه لم يضف جديداً إلى ما استقر ، ولكنه أجرى تعديلاً لما هو قائم ، منتقلاً به من مرحلة لا تخلو من اللبس والاضطراب ، ليبلغ مرحلة من النضج والتطور ، معالجاً لقضايا لم يكن نقط أبي الأسود ليصنع فيها شيئاً .

الخطوات المارّ ذكرها كانت بمثابة اللبنات الأولى في علم العربية لكن لم يسمها أحدٌ بما عرف بعد بالنحو ، وبالرغم من عظم أمرها في الدرس النحوي فإنّ النحو تجاوز تلك الحدود ، إذ أخذ ينمو بسرعة أذهلت الناظرين في مجال تطور العلوم ، ودعت بعض الغربيين إلى الشك في نشأته ، ودفعت الظنون بعضهم إلى أن ينسبوا الخطوات الأولى فيه إن لم يكن كله

---

(٧٠) انظر المصدر السابق/٧ ، سر صناعة الإعراب ١/١٧ .

(٧١) انظر سر صناعة الإعراب ١/١٧ ، وانظر نتائج الفكر/٨٤ .

إلى غير العرب[٧٢] ، في حين لم يعدم من ردّ ذلك الزعم ، مثبتاً أن النحو العربي « أثر رائع من آثار العقل العربي ... ويحق للعرب أن يفخروا به »[٧٣] .

ولم تقف الجهود عند هذا الحد في مجال خدمة القرآن الكريم ، فهم يدرسون ألفاظه ، ويبينون غريبه ، ويفسرون معانيه ، ومنهم من استعان بالشعر في توضيح معاني بعض ألفاظه ، لأن الشعر ديوان العرب ، كما أن الفقهاء اهتموا باستخراج الأحكام الشرعية منه ، وبتأييد ما جاء فيه بشيء من سنة الرسول ، ﷺ .

وباختصار لقد اشتغلوا بالقرآن تعلماً ودرساً . ونتج عن اهتمامهم هذا تلك العلوم الجليلة ، من تفسير ، وقراءات ، ونحو ، ومن النحو انبثقت علوم مختلفة أهمها علم التجويد ، وعلم الأصوات ، ودراسة اللهجات ، والبلاغة وغيرها .

وعلم النحو لم ينفصل عن القرآن إلا بعد مرور زمن ليس بالقصير ، تخلّله عناية العلماء بجمع اللغة ، ومشافهة الأعراب في أماكن الفصاحة ، ورصد الظواهر اللغوية لاستخراج القواعد المبنية على الاطراد والانسجام ، ثم معرفة كثير من خصائص اللهجات العربية المختلفة ، وهكذا بدأ علم العربية يتصل بروافد أخرى غير القرآن الكريم ، إذ اتجه العلماء إلى الشعر والموروث اللغوي عند القبائل الموثوق بفصاحتها ، المشهود بخلوها من شوائب العجمة ومخالطة الأمم الأخرى . وفي هذا الخضم الكبير من اهتمام العرب والمستعربين

---

(٧٢) انظر الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية/٩٠ .

(٧٣) انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام/٥٧ ، وانظر أيضاً مقدمة ابن خلدون/٥٤٥ .

بجمع اللغة من مصادرها الصافية وسلائق القبائل العربية أخذ علم النحو يتشكل ، وأخذت مصطلحاته تظهر ، وقواعده ترسم ، ليصبح علماً له كيانه وقوانينه ورجاله ، وبدأت الكتب تؤلف في علم شب عن طوق نقط الإعراب والإعجام أو حركات أواخر الكلم ، ليشكل ذاتاً مستقلة شمخت فوق تلك البذرة التي وضعها أبو الأسود الدؤلي ، وأصبحت دوحة عظيمة يتفاخر الناس بمعرفتها ، ويتسابقون إلى كنفها ، إدراكاً منهم بفضيلة من تحلى بحليتها ، ولذلك قال بعضهم :

النَحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ ... وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيْمُ الأَلْسُنِ [٧٤]

بل إنهم أخذوا يتفاخرون بالفصاحة وسلامة ألسنتهم من اللحن ، يقول بعضهم مفاخراً :

إِمَّا تَرَيْنِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ ... لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلاَ مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ
فَإِنَّ فِي المَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي ... عُلْوِيَّةٌ ، وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ [٧٥]

أخذ الناس – عربُهم وعجمُهم – في تعلم النحو ، وحرصوا على تقويم الألسنة بتعلم قوانينه إدراكاً منهم بأن تعلمه جمال للوضيع ، وتركه هجنة على الشريف[٧٦] ، ورحم الله الكسائي إذ قال في فضل النحو ، والفرق بين صاحب النحو ومن لا نحو عنده :

إِنَّمَا النحوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ ... وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعْ
وَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الْفَتَى ... مَرَّ فِي المَنْطِقِ مَرّاً فَاتَّسَعْ

(٧٤) انظر عيون الأخبار ، ١٧٢/٢ ـ ١٧٣ .
(٧٥) المصدر السابق ١٧٥/٢ ، إرشاد الأريب ٨٥/١ .
(٧٦) انظر العقد الفريد ٤٧٨/٢ ، البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

وَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيْسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ الْفَتَى خَافَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْناً فَانْقَمَعْ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لاَ يَعْلَمُ مَا صَرَّفَ الإِعْرَابُ فِيْهِ وَصَنَعْ
فَتَرَاهُ يَخْفِضُ الرَّفْعَ وَإِنْ كَانَ مِنْ نَصْبٍ وَمِنْ خَفْضٍ رَفَعْ
وَإِذَا يُبْصِرُهُ يَقْرَؤُهْ وَإِذَا مَا شَكَّ فِي حَرْفٍ رَجَعْ
نَاظِراً فِيْهِ وَفِي إِعْرَابِهِ فَإِذَا مَا عَرَفَ الْحَقَّ صَدَعْ[٧٧]

وهاك قول الآخر في وصف النحو :

اقْتَبِسِ النَّحْوَ فَنِعْمَ الْمُقْتَبَسْ وَالنَّحْوُ زَيْنٌ وَجَمَالٌ مُلْتَمَسْ
صَاحِبُهُ مُكَرَّمٌ حَيْثُ جَلَسْ مَنْ فَاتَهُ فَقَدْ تَعَمَّى وَانْتَكَسْ
كَأَنَّ مَا فِيْهِ مِنَ الْعِيِّ خَرَسْ شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْفَرَسْ[٧٨]

وأخذ طلاب العربية يتسابقون إلى علمائها ، ويشدّون الرحال إليهم ، ما كان لأحد طلبة إلا تعلّمُ هذا العلم الذي أصبح طلبه من المروءة ، قال الزهري : « ما أحدث الناس مروءة أحبَّ إليّ من تعلم النحو »[٧٩] ، وارتفع شأن أهل هذا العلم لعلو شأنه ، وأصبحت مجالس الولاة لا تنتظم إلاّ بهم ، وإذا أنشد الشاعر قصيدة كان لا يخشى إلاّ من النحوي ، وموقفُ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مع الفرزدق أشهر من أن يذكر . بل إن بعض النحاة فضل النحو على الفقه ، وما ذاك إلا لما في النحو من توسيع للنظر والفكر ، وما يتمتع به النحوي من القدرة على القياس والاستنتاج[٨٠] ، وبهذه النظرة استطاعوا أن يتبوأوا مكانة مرموقة في

(٧٧) انظر الورقة/٢٥ ، تاريخ بغداد ٤١٢/١١ .
(٧٨) إرشاد الأريب ٧٨/١ .
(٧٩) المصدر السابق ٧٨/١ .
(٨٠) المصدر نفسه ١٥/١ .

بلاط الولاة ودواوين الوزراء ، فقد أُثر أن أبا يوسف القاضي أستاذ محمد بن الحسن الشيباني ، وأحمد بن حنبل وغيرهما ، أثر أنه دخل يوماً على الرشيد والكسائي النحوي يمازحه ، فقال أبو يوسف : هذا الكوفي قد استفرغك ، وغلب عليك ، فقال : يا أبا يوسف ، إنه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي ، فأقبل الكسائي على أبي يوسف وقال : يا أبا يوسف ، هل لك في مسألة ؟ قال : نحو أو فقه ؟! قال : بل فقه ، فضحك الرشيد حتى فحص برجله ، ثم قال : تُلقي على أبي يوسف فقهاً ؟! قال : نعم ... »[٨١] ، بل إن الولاة أخذوا في التنافس على فضلاء النحاة واستقطابهم إلى كنفهم رغبة منهم في أن يُحلُّوا مجالسهم بالأدب ، وأن يقوموا على تأديب أبنائهم وتعليمهم ، فذللوا لهم الصعاب ، وهونوا عليهم مؤونة طلب الرزق ، وخصُّوهم بالاهتمام والرعاية ؛ ليتفرغوا للكتابة والتأليف . وأخذت كتب النحو تنتشر شرقاً وغرباً ، وبانتشارها كثر العلماء حتى أصبحت لهم مذاهبهم المختلفة ومدارسهم المتخصصة ، وكان لكتاب سيبويه في النحو النصيب الوافر من اهتمام الناس في كل زمان ومكان ، حتى إنهم أطلقوا عليه اسم « قرآن النحو » ؛ إذ حظي هذا الكتاب بإقبال الطلاب عليه درساً وحفظاً وشرحاً وتعليقاً واستدراكاً ، ولا يزال هذا الكتاب إلى يوم الناس هذا هو الإمام في كتب النحو ، كما أن صاحبه إمام النحاة .

بقيت كلمة أخيرة أود أن أختم بها المقام وهي أن اهتمام النحاة بتجويد قواعدهم وأقيستهم ، وتشددهم في بعض الأحكام ، وتجويزهم بعض الروايات الشعرية دون بعض ، وتوجيههم لبعض المأثور الشعري ولو بدا متكلفاً ، هذا الموقف جعل بعض الناس يُحجم عن النحو والنحاة ،

---

(٨١) انظر طبقات النحويين واللغويين/١٢٧ .

ويرغب عن النحو ، بل أدى الموقف إلى التهكّم بالنحاة وبصناعتهم ، قال بعضهم :

مَاذَا لقيتُ مِنَ الْمُسْتعربِينَ ومِنْ ... قِيَاسِ نَحْوِهِمُ هَذا الَّذي ابْتَدَعُوا
إنْ قُلْتُ قَافِيةً بِكْراً يَكونُ بِهَا ... بَيْتٌ خِلافُ الَّذي قَاسُوهُ أو ذَرَعُوا
قَالُوا : لَحَنْتَ ، وَهذَا لَيسَ مُنتصباً ... وَذَاكَ خَفْضٌ وهذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّضُوا بَيْنَ عَبدِ اللهِ منْ حَمَقٍ ... وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضَّرْبُ وَالوَجَعُ
كَمْ بَيْنَ قَومٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلى إعْرَابِهِمْ طُبِعُوا[٨٢]

لقد كان خروج النحو إلى مرحلة متطورة من التجريد وراء التبرم بالنحو وأهله ، فليس طلاب العربية على مستوى واحد من تقبل أحكام النحويين التي أخذت تتعقد بتتابع السنين ، لا سيما وقد لابس النحو المنطق والفلسفة ، وغاص في فقه اللغة واكتنه أسرارها ، فمن تجشم بالصبر وثابر على ملازمة أصحاب الصناعة فربما يحصل له مراده من هذا الفن ، لكن من ضاق صدره ، وكلّ ذهنه عن تقبل تلك الأسرار والنُّظُم اللغوية فإنه لا يلبث أن يعزّي نفسه ويردد قول الخليل بن أحمد :

إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيئاً فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إلى مَا تَسْتَطِيعُ

حقاً لقد حصل مثلُ هذا الموقف مع أحد تلاميذ المازني في النحو ، وكان قد قرأ من النحو أبواباً ، حتى إذا جاء عند قول الخليل وأصحابه : إن ما بعد الواو والفاء يكون منصوباً بإضمار (أنْ) ، ساء فهم الرجل لهذه القاعدة ، ولم يستطع تجاوزها ولا تمثلها ، فكتب إلى أستاذه المازني يشكو صعوبة هذا الباب ، وأن إضمار (أنْ) في هذا الباب قد اعتاص عليه والتاث أمره :

تَفَكَّرتُ في النَّحوِ حتّى مَلِلْتُ ... وَأتْعَبْتُ نَفسِي بِهِ والبَدَنْ

(٨٢) الكوكب الدري/٥٩ .

وأتعَبت بكـراً[٨٣] وَأَصحَـابَـهُ بِطُـولِ المَسَـائِلِ فِي كُلِّ فَنْ
فَمِـنْ عِـلْمِـهِ ظَـاهِـرٌ بَيِّنٌ وَمِنْ عِـلْمِـهِ غَـامِضٌ قَدْ بَطَنْ
فَكُـنتُ بِظَـاهِـرِهِ عَـالِمـاً وَكُنْتُ بِبَـاطِنِـهِ ذَا فِطَـنْ
خَـلاَ أَنَّ بَـابـاً عَـلَيْـهِ العَفَـا ءُ ، لِلْفَـاءِ يَـا لَيْتَـهُ لَمْ يَكُـنْ
وَلِلْوَاوِ بَـابٌ إِلى جَنْبِـهِ مِنَ المَـقْتِ أَحْسَبُـهُ قَـدْ لُعِنْ
إِذَا قُـلْتُ هَـاتُـوا لِمَـاذَا يُقَـا لُ « لَسْتُ بـآتِيْـكَ أَوْ تَـأْتِيَنْ »
أُجِيْبُـوا ، لِمَـا قِيْـلَ هَذَا كَذَا عَلَى النَّصْب ، قَالُوا لإضْمَـارِ (أَنْ)
وَمَـا إِنْ رَأَيْتُ لَهـا مَـوْضِعـاً فَـأَعْـرِفَ مَـا قِيْـلَ إِلاَّ بِظَـنْ
فَقَـدْ خِفْتُ يَا بَكْرُ مِنْ طُوْلِ مَا أُفَكِّـرُ فِي أَمْـرِ (أَنْ) أَنْ أُجَنْ

قـال القـالي : قال أبو العبـاس : فبـلغ ذلك المـازني فقـال : والله ما أحسب أنه سألني قط ، فكيف أتعبني ؟![٨٤] . ويبدو أن تلك الشكوى منذ أن انطلقت في تلك القرون لم تجد استجابة من النحاة ليتخلصوا من بعض القواعد العويصة التي تنفر طلاب العربية من تعلم النحو والإقبال عليه ، حتى إذا بلغتنا تلقفناها نرددها دونما فهم لحقيقتها ، ولم نتعب الذهن ولا البدن لمعرفة ما إذا كانت الصعوبة حقيقية أو غير حقيقية ، ولم نبذل من الجهود ما يستحق الذكر في تعلم هذا العلم الجليل الذي يرقى بعضهم بتعلمه إلى أن يجعله واجباً . وَقَفَتْ جهودُنا عند حدّ التذمر والشكوى من صعوبة النحو والصرف ، وواقعنا يؤكد أننا لم نبذل في تعلمهما ما يتناسب مع فضلهما ، فهل آن الأوان لنبذ الشكوى واكتناه أغوار هذا الفن ، والرجوع إلى منابعه الأصيلة في كتب التراث ، وعدم التعويل على الحواشي والمذكرات والمختصرات ؟

(٨٣) بكر بن بقية هو أبو عثمان المازني أستاذه .

(٨٤) أمالي القالي ١٨٦/٣ ، وانظر عيون الأخبار ١٧١/٢ ـ ١٧٢ ، إنباه الرواة ٥/٢ ـ ٦ .

المراجع

* البحث في أصول الإعراب وتاريخ النحو العربي مدين لعدد غير قليل من الباحثين المعاصرين ولعل أبرز الأعمال التي كان لها فضل السبق في هذا الميدان هي :

(١) تاريخ النحو وأصوله : للدكتور عبد الحميد السيد طلب .

(٢) تطور الدرس النحوي : للدكتور حسن عون .

(٣) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي : للدكتور عبد العال سالم مكرم.

(٤) في النحو العربي : للدكتور مهدي المخزومي .

(٥) المدارس النحوية : للدكتور شوقي ضيف .

(٦) المدارس النحوية : للدكتور إبراهيم السامرائي .

(٧) مدرسة البصرة : للدكتور عبد الرحمن السيد .

(٨) مدرسة الكوفة : للدكتور مهدي المخزومي .

(٩) من تاريخ النحو : للأستاذ سعيد الأفغاني .

(١٠) نشأة النحو : للأستاذ محمد الطنطاوي .

أما المراجع المباشرة في هذا الموضوع فهي :

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر :

ـ الشيخ أحمد بن عبد الغني الشهير بالبناء ، صححه وعلق عليه علي محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

(٢) أخبار النحويين البصريين :

ـ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، اعتنى بنشره وتهذيبه فرتس كرنكو ، نشر معهد المباحث الشرقية بالجزائر (خزانة الكتب العربية) ١٩٣٦م .

(٣) أدب الكتاب :

- تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . تحقيق محمد بهجة الأثري ، وراجعه محمد شكري الألوسي ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ .

(٤) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) :

- ياقوت الحموي ، الطبعة الأخيرة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

(٥) الأضداد :

- تأليف محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٦) أمالي القالي :

- أبو علي إسماعيل بن القاسم ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، بلا تاريخ .

(٧) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل :

- تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م .

(٨) البيان في غريب إعراب القرآن :

- أبو البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٩) إنباه الرواة على أنباه النحاة :

- علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

(١٠) البيان والتبيين :

- الجاحظ عمرو بن بحر ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(١١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام :

- للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

(١٢) الجامع لأحكام القرآن :

- لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧م .

(١٣) حجة القراءات :
– للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(١٤) الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية :
– تعريب مصطفى بدر ، دار الفكر العربي .

(١٥) ذيل الأمالي والنوادر :
– أبو علي القالي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، لبنان (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٦م .

(١٦) الرسالة :
– للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م . المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

(١٧) السبعة في القراءات :
– لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية (منقحة) ، دار المعارف بمصر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(١٨) سر صناعة الإعراب :
– أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١٩) سيرة النبي ﷺ :
– لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، راجع أصولها محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .

(٢٠) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف :
– تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(٢١) طبقات النحويين واللغويين :
– أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

(٢٢) العقد الفريد :
– تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق الدكتور/ مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٢٣) عيون الأخبار :
– تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، شرحه وطبعه الدكتور يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢٤) الفهرست :
– ابن النديم ، نشره غوستاف فلوغل ، ليبزغ ١٩٨٧م .

(٢٥) المحكم في نقط المصاحف :
– أبو عمرو الداني ، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٢٦) معجم البلدان :
– للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، نشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بلا تاريخ .

(٢٧) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :
– تأليف عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢٨) مقدمة ابن خلدون (المقدمة) :
– عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، الطبعة الثالثة ، بولاق ١٣٢٠هـ/١٩٠٠م .

(٢٩) مقدمتان في علوم القرآن : (مقدمة كتاب المباني – ومقدمة ابن عطية) :
– نشرهما آرثر جفري ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م . مطبعة دار الصاوي بالقاهرة .

(٣٠) نتائج الفكر في النحو :
– أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق الدكتور/محمد إبراهيم البنا ،

منشــورات دار الاعتصــام ، دار النصر للطبـاعـة الإســلاميـة ، القـاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء :

- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

(٣٢) النشر في القراءات العشر :

- الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري ، أشرف على تصحيحـه علي محمـد الضبـاع ، دار الكتب العـلميـة ، بيروت ، لبنـان ، بلا تاريخ .

شرح أبيات الداني الأربعة
في أصول ظاءات القرآن
لمؤلف مجهول

تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن

نال حرفا الضاد والظاء نصيباً وافراً من اهتمام العلماء ، وسبب ذلك صعوبة النطق بهما على مَنْ دخل الإسلام من الأمم المختلفة فضلاً عن قسم من القبائل العربية .

قال الصَّاحب بن عبَّاد[1] ، المتوفَّى سنة ٣٨٥هـ : (إذْ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكُتّاب ، لتقارب أجناسهما في المسامع ، وإشكال أصل تأسيس كلّ واحد منهما ، والتباس حقيقة كتابتهما ...) .

وقال ابن مكّيّ الصقليّ[2] ، المتوفَّى سنة ٥٠١هـ : (فأمّا العامّةُ ، وأكثر الخاصة ، فلا يفرِّقون بينهما في كتاب ولا قرآن ..) .

وقال ابن الجَزَري[3] المتوفَّى سنة ٨٣٣هـ : (والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ، فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقلّ مَنْ يحسنه ، فمنهم مَنْ يخرجه ظاء ، ومنهم من يمزجه

---

(١) الفرق بين الضاد والظاء ٣ .

(٢) تثقيف اللسان ٩١ .

(٣) النشر في القراءات العشر ١/٣١٠ .

بالذال ، ومنهم من يجعله لاماً مفخّمة ، ومنهم مَنْ يُشمّه الزاي ، وكلٌّ ذلك لا يجوز) .

والضاد حرف مجهور ، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصة . ولا يوجد في كلام العجم إلاّ في القليل[٤] .

أمّا الظاء فهو حرف مجهور ، وهو عربيّ خُصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم[٥] .

إن ما ورد في القرآن الكريم من الظاء ثلاثة وخمسون وثمان مئة ، ترجع إلى واحد وعشرين أصلاً .

أمّا الضاد فقد جاء في أربعة وثمانين وست مئة وألف موضع ، ترجع إلى واحد وثمانين أصلاً[٦] .

وقد كثرت المؤلفات فيهما ، وقد استقصينا ذلك في مقدمتي كتابي الصقليّ[٧] وابن مالك[٨] فلا موجب لذكرها .

وأفرد قسم من الباحثين مصنّفات مستقلة لذكر ظاءات القرآن الكريم ، ليُعلم أنّ ما عداها إنّما هو بالضاد .

ومن هذه المصنّفات منظومات شعرية تشتمل على أصول الكلمات الظائية في القرآن الكريم فقط ، وقد اختلفت في عدد أبياتها وأصولها[٩] .

(٤) ينظر : الكتاب ٢/٤٠٦ ، وسر صناعة الإعراب ١/٢١٣ ، والرعاية ١٨٤ .

(٥) ينظر : سر صناعة الإعراب ١/٢٢٧ ، والرعاية ٢٢٠ ، واللسان والتاج (حرف الظاء) .

(٦) منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٦ .

(٧) في معرفة الضاد والظاء ٩ ــ ١٠ .

(٨) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٦ ــ ١٢ .

(٩) تُنظر في : منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٧ ــ ٦٤٢ .

واتسمت هذه المنظومات بالإيجاز ، لذا فقد قام ناظموها أو غيرهم بشرحها ، وبيان مُبهمها ، وذكر الآيات المتعلقة بها .

ومن هذه المنظومات منظومة أبي عمرو الداني المتوفَّى سنة ٤٤٤هـ ، وتقع في أربعة أبيات هي[١٠] :

ظَفِرَتْ شُواظُ بحظِّها من ظُلمنا	فكَظَمْتُ غيظَ عظيمِ ما ظَنَّتْ بنا
وظَعَنْتُ أنظرُ في الظهيرة ظُلّةً	وظَلِلْتُ أنتظرُ الظِّلالَ لحِفْظنا
وظَمئْتُ في الظَّلْما ففي عظمي لظىً	ظَهرَ الظِهارُ لأجلِ غِلظةِ وَعْظِنا
أَنَظَرْت لفظي كي تيقّظ فَظّهُ	وحَظرْتُ ظهرَ ظهيرِها من ظُفْرِنا

وقد شرحها بإيجاز الناظم نفسه[١١] . وشرحها ابن الجَزَريّ في كتابه : (التمهيد في علم التجويد)[١٢] .

وثمة شرح لمؤلف مجهول وقفنا عليه ضمن مجموع رقمه ٢٥٤٧ ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ويقع في (ق ٥٢ ب ـ ٥٤ أ) ، في كلّ صفحة خمسة وعشرون سطراً ، كُتِب بخطٍّ مغربي يعود إلى القرن العاشر تقديراً ، وعلى المجموع تملك باسم عبد الجليل بن سعد القاضي بالمحاكم الأهلية[١٣] . وقد وافاني به مشكوراً أخي الدكتور صالح بن حسين العائد حفظه الله تعالى .

---

(١٠) ذكرها الجعبري في كتابه : الإرصاد في شرح المرصاد ق ١ ب ، وابن الجزري في كتابه : التمهيد في علم التجويد ٢١٠ .

(١١) نشر هذا الشرح الدكتور محسن جمال الدين ، رحمه الله ، ببغداد عام ١٩٧٠ بعنوان : (أبو عمرو الداني ورسالته في الظاءات القرآنية) .

(١٢) التمهيد ٢١٠ ـ ٢١٩ .

(١٣) فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/١٠٥ .

وقد بذلت جهداً كبيراً لمعرفة هذا الشارح المجهول ، ولكنني لم أوفق في ذلك ، وعسى أنْ يقف أحد الباحثين عليه فيفيد العلم وأهله .

وتكمن أهمية هذا الشرح في انفراده بشرح ظاءات القرآن الكريم ، وبلغ عدد الآيات التي ذكرها الشارح اثنتين وأربعين ومئة آية ، وترك الباقي مشيراً إليه بقوله : وشبهه ، أو : وما أشبهه ، أو : وما أشبه ذلك .

وعرض المؤلف عند حديثه عن ظاءات القرآن الكريم لنظائر الظاء من الضاد في ثمانية مواضع هي : (حظ وحض ، غيظ وغيض ، ظنّ وضنّ ، نظر ونضر ، ظلّ وضلّ ، العظة والعضة ، فظّ وفضّ ، حظر وحضر) .

فكلّ لفظة من هذه الألفاظ إذا جاءت بالظاء يكون لها معنى وإذا جاءت بالضاد فيكون لها معنى آخر . وهذا ما يُسمّى بالنظائر ، وقد أفرد ابن مالك الطائي كتابه (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) في هذا الموضوع .

وقد استعمل الشارح مصطلح (مرفوع) لحرف الظاء ، قال : (الظلم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ...) . وقال : (الكظم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ...) . وقال : (النظر المرفوع على خمسة معان ...) .

واستعمل مصطلح (مسقوط) لحرف الضاد ، قال : (فأمّا قوله تعالى : ﴿ وقَيَّضْنا ﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : يسّرنا) . وقال : (وأمّا في هود : ﴿ وغيض الماء ﴾ ، وفي الرعد : ﴿ وما تغيض الأرحام ﴾ فهما مسقوطان ، لأنهما بمعنى النقصان) . وقال : (فأمّا قوله تعالى في التكوير : ﴿ بضنين ﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : بخيل ، وهو في جميع

المصاحف بالضاد المسقوطة ، وقُرئ في السبع بالظاء المرفوع ، بمعنى : مُتَّهم . فاعلم ذلك) .

واستعمل مصطلح (ساقط) لحرف الضاد أيضاً في موضع واحد ، قال : (فأمّا قوله في الحجر : ﴿ عضين ﴾ فهو ساقط ، لأنه من العضة ، وهو القطعة من الشيء ، يعني : أنّهم جعلوا القرآن قِطعاً ، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض) .

وجاءت ظاءات القرآن في المنظومة والشرح في اثنين وثلاثين أصلاً ، وعدد هذه الأصول غير متساوٍ عند الناظمين ، وسبب هذا التفاوت أنّهم ينظرون إلى معنى اللفظ لا إلى مادته وجذره .

فعدد الأصول في منظومة المهدويّ[١٤] ، المتوفَّى سنة ٤٤٠هـ هو تسعة وعشرون أصلاً .

وعدد الأصول في منظومة السرقوسيّ[١٥] ، المتوفَّى نحو سنة ٥٩١هـ ، هو واحد وعشرون أصلاً .

فالدانيّ ذكر من مادة (ظهر) خمسة ألفاظ ، هي : ظَهَرَ ، والظهار ، والظهيرة ، والظّهر ، والظهير .

والمهدويّ ذكر أربعة ألفاظ ، هي : الظهور ، والظّهر ، والمظاهرة ، والظهيرة .

أمّا السرقوسيّ فقد ذكر هذه المادة مرّةً واحدةً ، وسار على منهج اللغويين في ردّ مشتقات الكلمة إلى أصل واحد ، فجعل ظاءات القرآن في منظومته في واحد وعشرين أصلاً .

(١٤) على هذه المنظومة شرح انتهينا من تحقيقه ودفعناه إلى المطبعة .
(١٥) ظاءات القرآن ٢٦٣ .

ورأينا إتماماً للفائدة أنْ نذكر في مقدمة هذا الشرح عدد المواضع التي جاءت فيها الألفاظ الظائية في القرآن الكريم ، والتي ترجع إلى احدى وعشرين مادة لغوية .

وهذه الألفاظ الظائية هي :

١ ـ مادة (حظر) : وقعت في موضعين .

٢ ـ مادة (حظظ) : وقعت في سبعة مواضع .

٣ ـ مادة (حفظ) : وقعت في أربعة وأربعين موضعاً .

٤ ـ مادة (شوظ) : وقعت في موضع واحد .

٥ ـ مادة (ظعن) : وقعت في موضع واحد .

٦ ـ مادة (ظفر) : وقعت في موضعين .

٧ ـ مادة (ظلل) : وقعت في ثلاثة وثلاثين موضعاً .

٨ ـ مادة (ظلم) : وقعت في خمسة عشر وثلاث مئة موضع .

٩ ـ مادة (ظمأ) : وقعت في ثلاثة مواضع .

١٠ ـ مادة (ظنن) : وقعت في تسعة وستين موضعاً .

١١ ـ مادة (ظهر) : وقعت في تسعة وخمسين موضعاً .

١٢ ـ مادة (عظم) : وقعت في ثمانية وعشرين ومئة موضع .

١٣ ـ مادة (غلظ) : وقعت في ثلاثة عشر موضعاً .

١٤ ـ مادة (غيظ) : وقعت في أحد عشر موضعاً .

١٥ ـ مادة (فظظ) : وقعت في موضع واحد .

١٦ ـ مادة (كظم) : وقعت في ستة مواضع .

١٧ ـ مادة (لظى) : وقعت في موضعين .

١٨ ـ مادة (لفظ) : وقعت في موضع واحد .

١٩ ــ مادة (نظر) : وقعت في تسعة وعشرين ومئة موضع .

٢٠ ــ مادة (وعظ) : وقعت في خمسة وعشرين موضعاً .

٢١ ــ مادة (يقظ) : وقعت في موضع واحد .

فهذه إحدى وعشرون مادة يرجع إليها ثلاث وخمسون وثمانمئة لفظة ظائية ، خلافاً لما ذكره أبو عمرو الداني في مقدمة منظومته إذ عدّها ثمانمئة واثنين وأربعين ظاء(١٦) .

وثمة أمر لا بُدَّ أنْ نشــير إليه وهو ما جاء في الصفحة الأولى من المخطوط ، إذ جاء فيها : (قال الشيخ الإمام العالم الفقيه **أبو محمد** عثمان الداني المُقْرئ) . ولم نعرف من أبنائه إلاّ واحداً اسمه (أحمد) ذكره ابن الجَزري(١٧) من بين تلامذة الداني ، كما لم نعرف سبب كنيته بأبي عمرو . فلعلّ ما جاء في المخطوط وهم من الناسخ ، والله أعلم .

وأخيراً أسأل الله تعالى أنْ يلهمنا السَّداد والصواب ، ويجنِّبنا المزالق والعثرات ، إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

---

(١٦) وذهب علي النوري الصفاقسي في كتابه (تنبيه الغافلين) ص٦٥ إلى أنها ثمانمئة وثلاثة وأربعون . وهو وهم أيضاً .

(١٧) غاية النهاية ١/٥٠٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على [illegible]

قال الشيخ الامام العالم الفقيه

ابو محمد عثمان الداني المقرئ رحمه الله

الحمد لله اعلم انني اطلعت على كلمات القرآن العظيم فوجدتها

ثمانمائة واثنين واربعين كلمة ووجدت اصولها التي تفرع

منها باصولها اثنين وثلاثين اصلا فنظمت تلك الاصول

في اربعة ابيات وضمنت على كل بيت منها ثمانية اصول

تسهيلا للطالبين وتقريبا على المتعلمين والحافظين وهي

كلمات شواذ بعضها من كلمنا . [illegible]

قال الشارح اعلم ارشدك الله ان ابا عمرو رحمه الله تعالى

في بعض الوزن ان يتكلم الكلمات الواقعة في القرآن [illegible] وما

جاءت فيه لان النظم انما تؤتى به في الشعر وانما اتى [illegible]

الابيات يتكلم يقاس على لفظها ومعناها لا على وزنها [illegible]

في قوله تعالى [illegible] من بعد ان اظفركم عليهم لا [illegible] شواظ [illegible]

سورة الرحمن يرسل عليكما شواظ من نار [illegible]

[illegible]

[illegible] وما اشبهه واما قوله تعالى في [illegible]

[illegible] فهو مسكوك [illegible] بمعنى البحث على الخبر [illegible]

كلمة الكلم وما [illegible] منه من يوم حيث وقع نحو [illegible]

[illegible] للقبيح [illegible] وشبهه [illegible] الكلم وما [illegible]

منه من يوم حيث وقع نحو الكاظمين فهو كظيم وهو مكظوم وما اشبهه

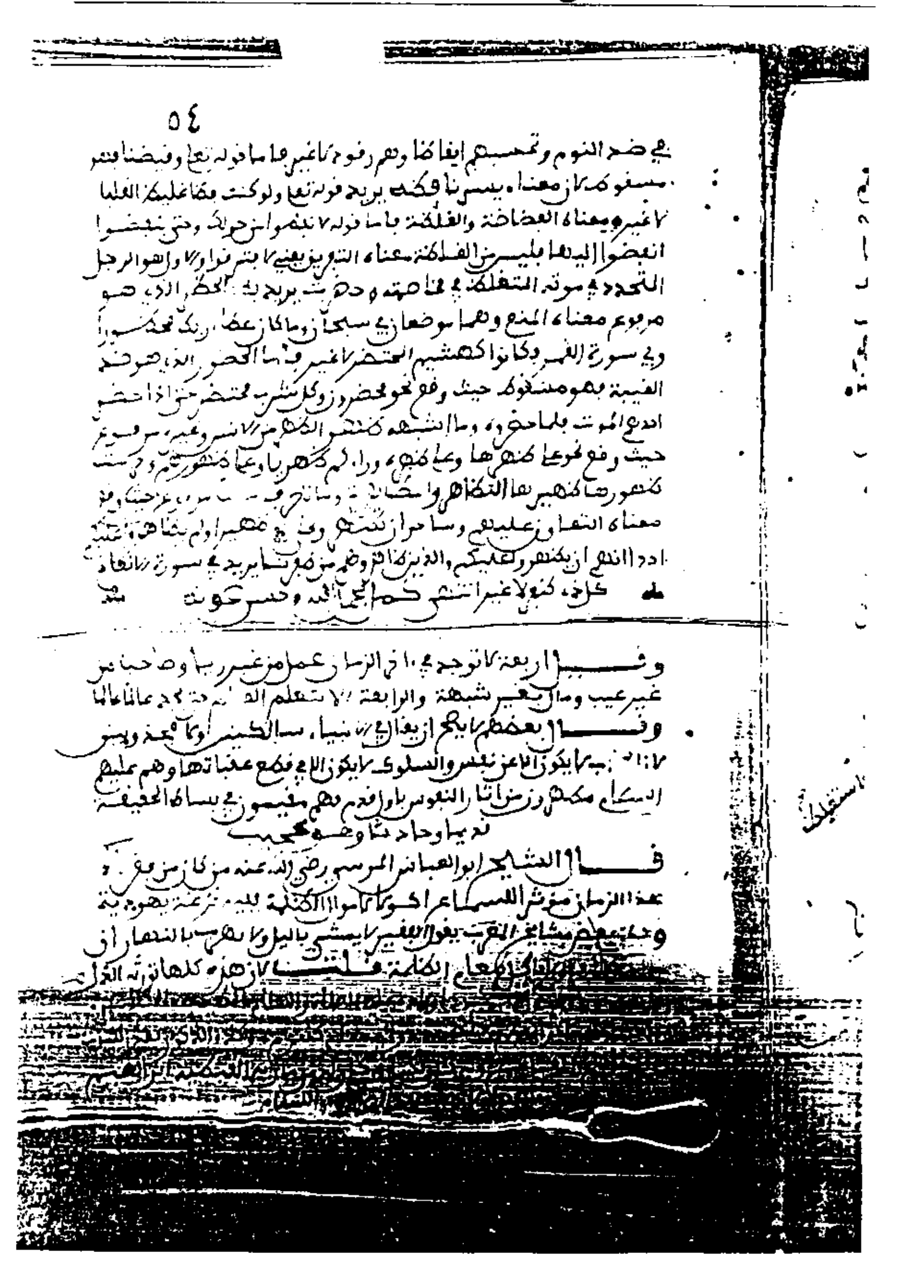
[illegible] الغضب والحرج [illegible]

[illegible] بهم ما يغيظ لنا [illegible]

في هود [illegible] الماء وفي الرعد وما تغيض [illegible]

[illegible] التفصيل [illegible]

الصفحة الأولى



الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم
صلّى الله على سيِّدنا محمد وسلّم

قال الشيخ الإمام العالم الفقيه أبو محمد عثمان الداني المُقْرِئ ، رحمه الله :

الحمدُ لله . اعْلمْ أنّي اطّلعتُ على ظاءاتِ القرآنِ العظيم فوجدتُها ثمانمئة واثنين وأربعين ظاءً ، ووجدتُ أصولها التي تفرعُ منها اثنين وثلاثين أصلاً ، فنظمتُ تلكَ الأصول في أربعة أبيات ، وضمَّنتُ على كلِّ بيتٍ منها ثماني كلم ، تسهيلاً للطالبين ، وتقريباً على المتحفِّظين والحافظين ، وهي :

ظَفِرَتْ شـواظُ بحظِّهـا مِن ظُلْمِنا ... فكَظَمْتُ غيظَ عظيمٍ ما ظَنَّتْ بنا

قال الشّارحُ :

اعلمْ ، أرْشَدَكَ اللهُ ، أنّ أبا عَمْرٍو ، رحمه الله تعالى ، لم يعطه الوزنُ أنْ يأتي بكلم الظاء الواردة في القرآن على نحو ما جاءتْ فيه ، لأنّ النظم لا يتأتّى فيه ما يتأتّى في النثر ، وإنّما أتى في هذه الأبيات بكلم يُقاسُ على لفظها ومعناها ، لا على وزنها .

(ظَفِرَتْ) : يريد قوله تعالى في الفتح[1] : ﴿ مِن بَعْدِ أنْ أَظْفَرَكُم عليهم ﴾ ، لا غير .

---

(١) آية ٢٤ . ينظر : الظـاءات في القرآن الكريم ٤٦ ، وظاءات القرآن ٢٦٣ .
وظَفِر : فاز ، والظافر : الغالب .

(شُواظ) : في سورة الرحمن[٢] : ﴿ يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ ونُحاسٌ ﴾ ، لا غير .

(بَحظِّها) : يعني الذي في آل عمران[٣] : ﴿ حَظّاً في الآخرةِ ﴾ ، ﴿ فَنَسُوا حظّاً ﴾[٤] ، ﴿ حَظٌّ عظيم ﴾[٥] ، « حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ »[٦] ، وما أَشْبَهه[٧] .

وأمّا قوله تعالى في الحاقّة[٨] ، وأرأيت[٩] : ﴿ ولا يَحُضُّ ﴾ ، وفي الفجر[١٠] : ﴿ ولا تحضّون ﴾ ، فهو مسقوط ، لأنّه بمعنى : الحثّ على الخير .

(من ظُلْمِنا) : الظلم وما تصرَّف منه مرفوع حيث وقع ، نحو : ﴿ لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون ﴾[١١] ، و﴿ بظلاّمٍ للعبيدِ ﴾[١٢] ، و﴿ لَظَلومٌ

---

(٢) آية ٣٥ . ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٤٦ ، وظاءات القرآن ٢٧٢ . والشواظ : اللهب . والنحاس : الدخان . (ينظر : تفسير القرطبي ١٧/١٧١) .

(٣) آية ١٧٦ . والحظّ : النصيب .

(٤) المائدة ١٤ .

(٥) القصص ٧٩ ، فصلت ٣٥ .

(٦) النساء ١١ و١٧٦ .

(٧) جاءت مادة (حظظ) في القرآن الكريم في سبعة مواضع .

(٨) آية ٣٤ .

(٩) آية ٣ . وهي سورة الماعون في المصحف الشريف .

(١٠) آية ٨ . وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر . أمّا الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي فقرؤوا : ولا تُحاضّون . (السبعة ٦٨٥ ، المبسوط في القراءات العشر ٤٧٠ - ٤٧١) .

(١١) البقرة ٢٧٩ .

(١٢) آل عمران ١٨٢ ، الأنفال ٥١ ، الحج ١٠ ، فصلت ٤٦ ، ق ٢٩ .

كفّارٌ ﴾[١٣] ، وشبهه[١٤] .

(فكَظَمْتُ) : الكَظْمُ وما تصرّف منه مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ الكاظِمينَ ﴾[١٥] ، ﴿ فهو كَظيمٌ ﴾[١٦] ، ﴿ وهو مكْظومٌ ﴾[١٧] ، وما أشبهه[١٨] .

(غَيْظ)[١٩] : يعني الذي بمعنى الغَضَب والحَرَج ، نحو : ﴿ تَمَيَّزُ من الغَيْظِ ﴾[٢٠] ، ﴿ لِيَغيظَ بهم ﴾[٢١] ، ﴿ ما يَغيظُ ﴾[٢٢] ، ﴿ لنا لغائِظون ﴾[٢٣] ، ﴿ لها تَغَيُّظا ﴾[٢٤] ، وما أشبهه[٢٥] .

وأمّا في هود[٢٦] : ﴿ وغِيضَ الماءُ ﴾ ، وفي الرعد[٢٧] :

---

(١٣) إبراهيم ٣٤ .

(١٤) جاءت مادة (ظلم) وما تصرّف منها في ثلاثة مئة وخمسة عشر موضعاً ، منها ستة وعشرون موضعاً في الظلام وما تصرّف منه .

(١٥) آل عمران ١٣٤ . والكظم : الحبس .

(١٦) يوسف ٨٤ .

(١٧) القلم ٤٨ .

(١٨) وقعت مادة (كظم) في القرآن الكريم في ستة مواضع .

(١٩) في الأصل : فغيظها .

(٢٠) الملك ٨ .

(٢١) الفتح ٢٩ .

(٢٢) الحج ١٥ .

(٢٣) الشعراء ٥٥ .

(٢٤) الفرقان ١٢ .

(٢٥) وقعت مادة (غيظ) وما تصرّف منها في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً .

(٢٦) آية ٤٤ .

(٢٧) آية ٨ .

﴿ وما تَغِيضُ الأرحامُ ﴾ فهما مسقوطان ، لأنّهما بمعنى النقصان[٢٨] .

(عظِيم) ، والعَظَمة ، وما اشتقّ من ذلك مرفوع ، [٥٣أ] حيث وقع ، نحو : ﴿ نَبَأٌ عظيمٌ ﴾[٢٩] ، و﴿ العَلِيُّ العظيم ﴾[٣٠] ، و﴿ أَعْظَمُ درجةً ﴾[٣١] ، و﴿ أَعْظَمَ أجراً ﴾[٣٢] ، و﴿ عَرْش عظيم ﴾[٣٣] ، و﴿ أجرٌ عظيم ﴾[٣٤] ، وشبهه[٣٥] .

(ما ظَنَّتْ بنا) : الظنّ المرفوع يكون بمعنى اليقين ، وبمعنى الشكّ ، فاليقين : ﴿ الذين يظنّونَ أنَّهم ﴾[٣٦] ، ﴿ وظَنّوا أنْ لا مَلْجَأَ ﴾[٣٧] ، و﴿ إنّي ظَنَنْتُ ﴾[٣٨] ، وشبهه[٣٩] .

والذي بمعنى الشكّ نحو : ﴿ إنْ نظُنُّ إلاّ ظَنّاً ﴾[٤٠] ، ﴿ وتَظُنُّونَ

---

(٢٨) ينظر في الغيظ والغيض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٦٦ ، وزينة الفضلاء ٩٧ ، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٤٨ .

(٢٩) ص٦٧ .

(٣٠) البقرة ٢٥٥ ، والشورى ٤ .

(٣١) التوبة ٢٠ ، والحديد ١٠ .

(٣٢) المزمل ٢٠ .

(٣٣) النمل ٢٣ .

(٣٤) آل عمران ١٧٢ ، ومواضع أُخَر (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ١٣) .

(٣٥) وقعت هذه المادة في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين ومئة موضع .

(٣٦) البقرة ٤٦ و٢٤٩ .

(٣٧) التوبة ١١٨ .

(٣٨) الحاقّة ٢٠ .

(٣٩) وقعت مادة (ظنّ) في القرآن الكريم في تسعة وستين موضعاً .

(٤٠) الجاثية ٣٢ .

بالله الظُّنُونا ﴾[٤١] ، و﴿ ظنُّوا كما ظَنَنْتُم ﴾[٤٢] ، وشبهه[٤٣] .

فأمّا قوله تعالى في التكوير[٤٤] : ﴿بضَنين﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : بخيل ، وهو في جميع المصاحف بالضاد المسقوطة ، وقُرِئ في السبع بالظاء المرفوع[٤٥] ، بمعنى : بُمتَّهم . فاعلم ذلك[٤٦] .

* * *

وظَعَنْتُ أَنْظُرُ في الظَّهِيرةِ ظُلَّةً   وظَلِلْتُ أَنْتَظِرُ الظِّلالَ لِحِفْظِنا

(وظَعَنْتُ) : يريد قوله تعالى : ﴿ يومَ ظَعْنِكُمْ ﴾[٤٧] ، لا غير .

(أَنْظُرُ) : النظر المرفوع على خمسة معانٍ :

منها المعاينة ، نحو ﴿ وانظرْ إلى إلهك ﴾[٤٨] و﴿ أَرِني أَنْظُرْ إليك ﴾[٤٩] ، و﴿ إلى ربِّها ناظِرة ﴾[٥٠] ، وشبهه .

---

(٤١) الأحزاب ١٠ .

(٤٢) الجنّ ٧ .

(٤٣) ينظر : الأضداد لقطرب ٧١ ، وللأصمعي ٣٤ ، ولابن الأنباري ١٤ ، وللتوزي ٢٥ ، ولأبي الطيب اللغوي ٤٦٦ .

(٤٤) آية ٢٤ .

(٤٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، وقرأ باقي السبعة بالضاد . (ينظر : السبعة في القراءات ٦٧٣ ، والإقناع ٨٠٥) .

(٤٦) ينظر في الظنّ والضنّ : الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء ٣٤ ، والفرق بين الحروف الخمسة ١٥١ ، والاعتماد ٣٨ .

(٤٧) النحل ٨٠ .

(٤٨) طه ٩٧ .

(٤٩) الأعراف ١٤٣ .

(٥٠) القيامة ٢٣ .

ومنها التفكّر والاعتبار ، نحو : ﴿ أَفَلا ينظرون ﴾[٥١] ، ﴿ أَوَلَمْ ينظروا في مَلَكُوتِ ﴾[٥٢] ، ﴿ فلينْظُرِ الإنسانُ ﴾[٥٣] ، وشبهه .

ومنها التعطّف ، نحو : ﴿ ولا يَنْظُرُ إليهم ﴾[٥٤] ، أي : لا يتعطّف عليهم .

ومنها الانتظار ، نحو : ﴿ هل ينظرونَ إلاّ تأويله ﴾[٥٥] ، و﴿ ما ينظرون إلاّ صيحةً واحدةً ﴾[٥٦] ، و﴿ غيرَ ناظِرينَ إناه ﴾[٥٧] ، وشبهه .

ومنها الاستماع ، < نحو >[٥٨] : ﴿ وقُولُوا انْظُرْنا واسْمَعُوا ﴾[٥٩] ، ﴿ واسْمَعْ وانْظُرْنا ﴾[٦٠] ، وما أشبه ذلك .

فأمّا قولُهُ في القيامة[٦١] : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ ﴾ ، وفي الإنسان[٦٢] : ﴿ لقّاهم نَضْرَةً وسروراً ﴾ ، وفي المطفِفين[٦٣] : ﴿ نَضْرَةَ

(٥١) الغاشية ١٧ .
(٥٢) الأعراف ١٨٥ .
(٥٣) الطارق ٥ .
(٥٤) آل عمران ٧٧ .
(٥٥) الأعراف ٥٣ .
(٥٦) يس ٤٩ .
(٥٧) الأحزاب ٥٣ .
(٥٨) يقتضيها السياق .
(٥٩) البقرة ١٠٤ .
(٦٠) النساء ٤٦ . وينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٣٠ ـ ٣٢ .
(٦١) آية ٢٢ .
(٦٢) آية ١١ .
(٦٣) آية ٢٤ . وينظر : التمهيد في علم التجويد ٢١٤ ، ولطائف الإشارات ٢٣٤/١ .

النَّعِيم ﴾ فهو مسقوط لأنّه بمعنى التَّنعِيم .

(في الظّهـيرة) : يريد به حَرْفَيْن : في النور[٦٤] : ﴿ ثيـابَكم من الظهيرة ﴾ ، والرُّوم[٦٥] : ﴿ وعَشِياً وحينَ تُظْهِرون ﴾ ، لا غير .

(ظُلَّة) : الظُلّة مرفوعة حيثُ وَقَعَتْ ، نحو : ﴿ كأنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾[٦٦] ، و﴿ عـذابُ يـومِ الظُـلَّةِ ﴾[٦٧] ، و﴿ في ظُـلَلٍ من الغَمـام ﴾[٦٨] ، وما أشبهه .

(وظَلِلْتُ) : يريد ظَلَّ الذي بمعنى صار ، وهي مرفوعة : وجملتُها تسعة مواضع :

أولها في الحجر[٦٩] : ﴿ فظَلُّوا فيه يعرجون ﴾ ،

وفي النحل[٧٠] : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً ﴾ ،

وفي طه[٧١] : ﴿ ظَلْتَ عليه عاكفاً ﴾ ،

وفي الشعراء[٧٢] : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْناقُهُم ﴾ ،

وفيها[٧٣] : ﴿ فنَظَلّ لها عاكِفِين ﴾ ،

(٦٤) آية ٥٨ .
(٦٥) آية ١٨ .
(٦٦) الأعراف ١٧١ .
(٦٧) الشعراء ١٨٩ .
(٦٨) البقرة ٢١٠ .
(٦٩) آية ١٤ .
(٧٠) آية ٥٨ .
(٧١) آية ٩٧ .
(٧٢) آية ٤ .
(٧٣) الشعراء ٧١ .

وفي الروم[٧٤] : ﴿ لظَلُّوا من بَعْدِهِ ﴾ ،

وفي الشورى[٧٥] : ﴿ فيَظْلَلْنَ رواكِدَ على ظهرِهِ ﴾ ،

وفي الزخرف[٧٦] : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ ﴾ ،

وفي الواقعة[٧٧] : ﴿ فظَلْتُم تَفكّهون ﴾ ، لا غير[٧٨] .

وما سوى ذلك فهو مسقوط ، نحو : ﴿ ضَلَلْنا في الأرض ﴾[٧٩] ، ﴿ ضلالٍ بعيدٍ ﴾[٨٠] ، و﴿ ضلالٍ مُبينٍ ﴾[٨١] ، و﴿ ضالّين ﴾[٨٢] ، و﴿ ضالاًّ فهدى ﴾[٨٣] ، معناه : الحيرة ، والحَيدة عن الطريق الجادة .

(أُنْتَظِرُ) : الانتظار وما تصرّف منه كلُّهُ مرفوعٌ [٥٣ب] حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ فهَلْ يَنْتَظِرُونَ ﴾[٨٤] ، ﴿ وانتَظِرْ إنَّهم مُنتظِرون ﴾[٨٥] ، ﴿ فانْتظِروا إنّي معكم من المنتظرين ﴾[٨٦] ، وما أشبه ذلك .

---

(٧٤) آية ٥١ .

(٧٥) آية ٣٣ .

(٧٦) آية ١٧ .

(٧٧) آية ٦٥ .

(٧٨) ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٣٣ – ٣٤ ، وظاءات القرآن ٢٦٨ .

(٧٩) السجدة ١٠ .

(٨٠) إبراهيم ٣ ، والشورى ١٨ ، وق ٢٧ .

(٨١) آل عمران ١٦٤ ، ومواضع أُخَر . (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٢٣) .

(٨٢) المؤمنون ١٠٦ ، والصافات ٦٩ .

(٨٣) الضحى ٧ .

(٨٤) يونس ١٠٢ .

(٨٥) السجدة ٣٠ .

(٨٦) الأعراف ٧١ . وفي الأصل : وانتظروا .

(الظّلال) : المفرد والمجموع وما تصرّف منه مرفوعٌ حيثُ وقع ، نحو : ﴿ في ظِلالٍ وعيونٍ ﴾(٨٧) ، ﴿ وظِلالهم بالغُدُوِّ ﴾(٨٨) ، ﴿ وظَلَّلْنا عليهم ﴾(٨٩) ، و﴿ لا ظليلٍ ﴾(٩٠) ، ﴿ وظِلٌّ من يحموم ﴾(٩١) ، و﴿ ظِلاًّ ظليلاً ﴾(٩٢) ، وشبهه .

(لِحفْظِنا)(٩٣) : الحِفْظُ وما تصرّف منه مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ بما حَفِظَ الله ﴾(٩٤) ، ﴿ ويَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ ﴾(٩٥) ، ﴿ لكلِّ أوّابٍ حفيظٍ ﴾(٩٦) ، ﴿ في لوحٍ محفوظٍ ﴾(٩٧) ، ﴿ فاللهُ خَيْرٌ حِفْظاً ﴾(٩٨) .

* * *

وظَمِئْتُ في الظَّلْما ففي عَظْمي لَظًى ظَهَرَ الظِهارُ لأَجْلِ غِلْظَةِ وَعْظِنا

(وظمئت) : الظمأ مرفوع حيث وقع ، معناه : العطش ، نحو : ﴿ ظَمَأٌ ولا نَصَبٌ ﴾(٩٩) ، ﴿ لا تَظْمَؤُاْ فيها ولا تَضْحَى ﴾(١٠٠) ،

(٨٧) المرسلات ٤١ .

(٨٨) الرعد ١٥ .

(٨٩) الأعراف ١٦٠ .

(٩٠) المرسلات ٣١ .

(٩١) الواقعة ٤٣ . وفي الأصل : وظل من تدعون . وهو وهم .

(٩٢) النساء ٥٧ .

(٩٣) في الأصل : بحفظنا ، في النظم والشرح . ووقعت مادة (حفظ) في القرآن الكريم في أربعة وأربعين موضعاً .

(٩٤) النساء ٣٤ .

(٩٥) النور ٣١ . وفي الأصل : وليحفظن ، وهو وهم .

(٩٦) ق ٣٢ .

(٩٧) البروج ٢٢ .

(٩٨) يوسف ٦٤ . وهي قراءة . وفي المصحف الشريف : حافِظاً . (ينظر : السبعة ٣٥٠ ، وحجة القراءات ٣٦٢ ، وارشاد المبتدي ٣٨٢) .

(٩٩) التوبة ١٢٠ . وفي الأصل : لا ظمأ . وهو وهم .

(١٠٠) طه ١١٩ .

﴿ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماءً ﴾[١٠١] ، وما أشبهه[١٠٢] .

(في الظـلمـا) : الظلامُ وما تصرّف منه مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، < نحو >[١٠٣] : ﴿ في ظُلُماتٍ ثلاثٍ ﴾[١٠٤] ، ﴿ ولا الظُلماتُ ﴾[١٠٥] ، ﴿ وجَعَلَ الظلماتِ ﴾[١٠٦] ، ﴿ وإذا أَظْلَمَ عليهم ﴾[١٠٧] ، ﴿ فإذا هُم مُظلِمون ﴾[١٠٨] ، و﴿ من الليلِ مُظْلِما ﴾[١٠٩] ، وشبهه[١١٠] .

(ففي عَظْمي) : العَظْـمُ : واحدُ العظامِ ، مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ أوْ مـا اختـلطَ بعَظْـمٍ ﴾[١١١] ، ﴿ وَهَنَ العَظْـمُ مني ﴾[١١٢] ، ﴿ والمضغةَ عِظاماً ﴾[١١٣] .

(لَظًى) : يريد حرفين ، في سأل سائل[١١٤] : ﴿ إنّها لَظًى ﴾ ،

---

(١٠١) النور ٣٩ .

(١٠٢) ليس في القرآن الكريم إلاّ المواضع الثلاثة التي ذكرها الشارح .

(١٠٣) يقتضيها السياق .

(١٠٤) الزمر ٦ .

(١٠٥) فاطر ٢٠ .

(١٠٦) الأنعام ١ .

(١٠٧) البقرة ٢٠ .

(١٠٨) يس ٣٧

(١٠٩) يونس ٢٧ .

(١١٠) تنظر الحاشية رقم ١٤ .

(١١١) الأنعام ١٤٦ . وفي الأصل : وما اختلط . وهو وهم .

(١١٢) مريم ٤ .

(١١٣) المؤمنون ١٤ . ووقع العظـم والعظـام في القرآن الكريم في خمسـة عشر موضعاً .

(١١٤) آية ١٥ . وهي سورة المعارج في المصحف الشريف .

وفي الليل[١١٥] : ﴿ ناراً تَلَظَّى ﴾ ، لا غير .

(ظَهَرَ) : الإظهار والظهور ، وما تصرّف منه ، مرفوعٌ حيثُ وَقَع ، نحو : ﴿ عليها يَظْهَرونَ ﴾[١١٦] ، ﴿ الظاهِرُ والباطِنُ ﴾[١١٧] ، ﴿ ليُظْهِرَهُ على الدينِ كلِّه ﴾[١١٨] ، و﴿ ظاهِرينَ ﴾[١١٩] ، وما أشبهه .

(الظِهار) : مأخوذ من الظهر ، وهو في ثلاثة مواضع ، في الأحزاب[١٢٠] : ﴿ اللائي تَظَّهَّرونَ ﴾ ، وفي المجادلة[١٢١] : ﴿ الذينَ يُظاهِرونَ منكم من نسائهم ﴾ ، لا غير .

(لأَجْلِ غِلْظَة) : الغِلْظة وما تصرّف منها ، مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ عذابٍ غليظٍ ﴾[١٢٢] ، و﴿ واغْلُظْ عليهم ﴾[١٢٣] ، و﴿ فيكم غِلْظَةٌ ﴾[١٢٤] ، ﴿ فاسْتَغْلَظَ ﴾[١٢٥] ، وما أشبهه[١٢٦] .

---

(١١٥) آية ١٤ .

(١١٦) الزخرف ٣٣ .

(١١٧) الحديد ٣ .

(١١٨) التوبة ٣٣ .

(١١٩) غافر ٢٩ .

(١٢٠) آية ٤ . وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . وثمة قراءات أُخر . (ينظر : السبعة ٥١٩ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/١٩٤) .

(١٢١) آية ٢ . والموضع الثالث في المجادلة ٣ : « والذين يظاهرون من نسائهم » . وينظر في قراءات هاتين الآيتين : السبعة ٦٢٨ ، والتيسير ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(١٢٢) هود ٥٨ ، ولقمان ٢٤ ، وفصّلت ٥٠ .

(١٢٣) التوبة ٧٣ .

(١٢٤) التوبة ١٢٣ .

(١٢٥) الفتح ٢٩ .

(١٢٦) وقعت (غلظ) وما تصرّف منها في ثلاثة عشر موضعاً .

(وَعْظِنا) : الوَعْظُ والمَوْعِظَةُ وما تصرّفَ منه مرفوعٌ حيث وَقَعَ . ومعناه : ذكر الخير[١٢٧] ، وانشراح الصدر ، ولين القلب ، نحو : ﴿ وعِظْهُمْ ﴾[١٢٨] ، ﴿ فعِظُوهُنَّ ﴾[١٢٩] ، ﴿ يُوعَظُ بِهِ ﴾[١٣٠] ، و﴿ لِمَ تَعِظُونَ قوماً ﴾[١٣١] ، و﴿ أَوَعَظْتَ أَمْ لم تكنْ مِن الواعظين »[١٣٢] ، وشبهه[١٣٣] .

فأمّا قولُهُ في الحجر[١٣٤] : ﴿ عِضِين ﴾ فهو ساقط ، لأنّه من العِضَة ، وهو القطعةُ من الشيء ، يعني : أنّهم جعلوا القرآن قِطَعاً ، يؤمنونَ ببعضٍ ويكفرونَ ببعض[١٣٥] . انتهى .

* * *

أنظـرْت لَفْظِي كي تَيَقَّظَ فَظّـهُ وحَظَرْتُ ظَهْرَ ظَهِيرها مِن ظُفُرِنا

قوله : (أَنظرت)[١٣٦] : الإنظار[١٣٧] والنَّظِرة ، وما تصرّف منها

---

(١٢٧) في الأصل : ومعناه تذكر وانشراح . وما أثبتناه من الظاءات في القرآن الكريم ٢٧ .

(١٢٨) النساء ٦٣ .

(١٢٩) النساء ٣٤ . وفي الأصل : فعظوهم . وهو وَهْمٌ .

(١٣٠) البقرة ٢٣٢ .

(١٣١) الأعراف ١٦٤ .

(١٣٢) الشعراء ١٣٦ .

(١٣٣) وقعت مادة (وعظ) ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة وعشرين موضعاً .

(١٣٤) آية ٩١ .

(١٣٥) ينظر : تفسير الطبري ١٤/٦٤ ، والمحرر الوجيز ١٠/١٥١ ، وتفسير القرطبي ١٠/٥٨ .

(١٣٦) في الأصل : انتظرت ، في النظم والشرح . والصواب ما أثبتنا .

(١٣٧) في الأصل : الانتظار . والصواب ما أثبتنا .

مرفوع أبداً حيثُ وَقَعَ ، ومعنـاه : التـأخير والإمهـال ، نحو ﴿قالَ ربِّ فـأَنْظِـرْني إلى يوم يُبعثـون ﴾(١٣٨) ، ﴿ قـالَ فـإنَّكَ من المُنْظَـرين﴾(١٣٩) ، ﴿ فنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ ﴾(١٤٠) .

(لَفْـظِـي) : يـريد قوله تعـالى : ﴿ مـا يَـلْفِظُ من قَوْلٍ ﴾(١٤١) لا غير .

(كي تَيَقَّظَ) : يريد [٥٤أ] في ضـدّ النوم : ﴿وتَحْسَبُهُم أيقاظاً وهُمْ رُقُودٌ ﴾(١٤٢) ، لا غير .

فأمّا قوله تعـالى : ﴿ وقَيَّضْنـا ﴾(١٤٣) فهو مسقوط ، لأنّ معناه : يَسَّرْنا .

(فَظّه) : يريد قوله تعالى : ﴿ولو كُنْتَ فَظّاً غليظَ القلبِ ﴾(١٤٤) لا غير . ومعناه : الفَظَاظة(١٤٥) والغِلْظَةُ .

فـأمَّـا قـوله : ﴿ لانفَـضُّـوا من حَـوْلكَ ﴾(١٤٦) ، و﴿ حـتى

---

(١٣٨) الحجر ٣٦ . وفي الأصل : أنظرني . وأثبتنا ما في المصحف الشريف .

(١٣٩) الحجر ٣٧ .

(١٤٠) البقرة ٢٨٠ .

(١٤١) ق ١٨ .

(١٤٢) الكهف ١٨ .

(١٤٣) فصلت ٢٥ .

(١٤٤) آل عمران ١٥٩ .

(١٤٥) في الأصل : الفضاضة ، بالضاد . وهو وَهْمٌ . وينظر : حصر حرف الظاء ١٨٢ .

(١٤٦) آل عمران ١٥٩ .

ينْفَضُّوا ﴾[١٤٧] ، ﴿ انْفَضُّوا إليها ﴾[١٤٨] ، فليس من الغِلْظة ، معناه : التفريق ، يعني : لافترقوا . والأول هو الرجل المتحدد في موته المتغلّظ في مخاصمته[١٤٩] .

(وحَظَرْت)[١٥٠] : يريد بها الحَظْر الذي هو مرفوع معناه : المنع ، وهما موضعان : في سبحان[١٥١] : ﴿وما كانَ عطاءُ رَبِّكَ مَحْظوراً ﴾ ، وفي سورة القمر[١٥٢] : ﴿ فكانوا كهشيمِ المُحْتَظِر ﴾ ، لا غير .

فأمّا الحضور الذي هو ضدّ الغيبة فهو مسقوطٌ . حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ مُحْضَرُونَ ﴾[١٥٣] ، و﴿ كلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾[١٥٤] ، ﴿ حتى إذا حَضَرَ أَحَدَهُم الموتُ ﴾[١٥٥] ، ﴿ فلمّا حَضَرُوه ﴾[١٥٦] ، وما أشبهه[١٥٧] .

---

(١٤٧) المنافقون ٧ .

(١٤٨) الجمعة ١١ .

(١٤٩) ينظر في الفظ والفض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٥٥ ، وزينة الفضلاء ٩٨ ، وظاءات القرآن ٢٦٩ ، والاعتماد ٤٩ . [والعبارة الأخيرة بحاجة إلى تحرير/المجلة] .

(١٥٠) في الأصل : وحضرت ، بالضاد ، وهو سهو .

(١٥١) آية ٢٠ . وهي سورة الإسراء في المصحف الشريف .

(١٥٢) آية ٣١ .

(١٥٣) الروم ١٦ ، ومواضع أُخَر . (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٠٦) .

(١٥٤) القمر ٢٨ .

(١٥٥) النساء ١٨ .

(١٥٦) الأحقاف ٢٩ .

(١٥٧) ينظر في حضر وحظر : الفرق بين الضاد والظاء ٩ ، زينة الفضلاء ١٠٠ ، الاعتماد ٢٩ .

(ظَهْر) : الظَهْرُ من الإنسان وغيره مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ على ظَهْرِها ﴾[١٥٨] ، و﴿ على ظَهْرِه ﴾[١٥٩] ، ﴿ وراءَكُم ظِهْرِيّاً ﴾[١٦٠] و﴿ على ظُهورِهم ﴾[١٦١] ، و﴿ حُرِّمَتْ ظُهورُها ﴾[١٦٢] .

(ظَهِيرها) : التظاهرُ والمظاهرة وما تصرَّف منها ، مرفوع حيثُ وَقَعَ ، معناه : التعاون ، < نحو : ﴿ تَظَاهَرُونَ>[١٦٣] عليهم ﴾[١٦٤] ، و﴿ ساحِرانِ تظاهرا ﴾[١٦٥] ، و﴿ على رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾[١٦٦] ، ﴿ ولم يُظاهِروا عليكم أحداً ﴾[١٦٧] ، ﴿ إنَّهم إنْ يظهروا عليكم ﴾[١٦٨] ، و﴿ الذينَ ظاهَروهم ﴾[١٦٩] .

(من ظُفْرِنا) : يريد في سورة الأنعام[١٧٠] : ﴿ كلَّ ذي ظُفُرٍ ﴾ ، لا غير . انتهى .

كمل بحمد الله وحسن عونه .

---

(١٥٨) فاطر ٤٥ .

(١٥٩) الشورى ٣٣ .

(١٦٠) هود ٩٢ .

(١٦١) الأنعام ٣١ .

(١٦٢) الأنعام ١٣٨ .

(١٦٣) يقتضيها السياق .

(١٦٤) البقرة ٨٥ .

(١٦٥) القصص ٤٨ .

(١٦٦) الفرقان ٥٥ .

(١٦٧) التوبة ٤ .

(١٦٨) الكهف ٢٠ .

(١٦٩) الأحزاب ٢٦ . وقد وقعت مادة (ظهر) بمشتقاتها في القرآن الكريم في تسعة وخمسين موضعاً .

(١٧٠) آية ١٤٦ .

ثَبَت المصادر والمراجع

– المصحف الشريف

(أ)

– أبو عمرو الداني الأندلسي ورسالته في الظاءات القرآنية : د. محسن جمال الدين ، بغداد ١٩٧٠ .

– إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر : القلانسي ، محمد بن الحسين ، ت ٥٢١هـ ، تح عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ١٩٨٤ .

– الإرصاد في شرح المرصاد الفارق بين الظاء والضاد : الجعبري ، إبراهيم بن عمر ، ت ٧٣٢هـ ، مخطوطة رقمها ١٠٢٠٧/١ في خزانة المتحف العراقي .

– الأضداد : الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦هـ ، تح هفنر (نشر في كتاب : ثلاثة كتب في الأضداد) ، بيروت ١٩١٢ .

– الأضداد : ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨هـ ، تح أبي الفضل ، الكويت ١٩٦٠ .

– الأضداد : التوزي ، عبد الله بن محمد ، ت ٢٣٣هـ ، تح د. محمد حسين آل ياسين ، بيروت ١٩٨٣ .

– الأضداد : قطرب ، محمد بن المستنير ، ت بعد ٢١٠هـ ، تح د. حنا حداد ، الرياض ١٩٨٤ .

– الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي ، ت ٣٥١هـ ، تح د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ .

– الاعتماد في نظائر الظاء والضاد : ابن مالك الطائي ، محمد ، ت ٦٧٢هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٤ .

– الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء : أبو عبد الله الداني ، محمد بن أحمد بن سعود ، ت بعد سنة ٤٧٠هـ ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٧ .

– الاقناع في القراءات السبع : ابن الباذش ، أحمد بن علي ، ت ٥٤٠هـ ، تح د. عبد المجيد قطامش ، دمشق ١٤٠٣هـ .

(ت)

ـ تاج العروس : الزَّبيدي ، محمد مرتضى ، ت ١٢٠٥هـ ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .

ـ تثقيف اللسان : ابن مكي الصقلي ، عمر بن خلف ، ت ٥٠١هـ ، تح د. عبد العزيز مطر ، القاهرة ١٩٦٦ .

ـ تفسير الطبري (جامع البيان) : الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : القرطبي ، محمد بن أحمد ، ت ٦٧١هـ ، القاهرة ١٩٦٧ .

ـ التمهيد في علم التجويد : ابن الجَزَري ، محمد بن محمد ، ت ٨٣٣هـ ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٥ .

ـ تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين : الصفاقسي ، علي بن محمد النوري ، ت ١١١٨هـ ، تح محمد الشاذلي النيفر ، تونس ١٩٧٤ .

ـ التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد ، ت ٤٤٤هـ ، تح أوتو برتزل ، استانبول ١٩٣٠ .

(ح)

ـ حجة القراءات : أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، ق ٤هـ ، تح سعيد الأفغاني ، منشورات جامعة بنغازي ١٩٧٤ .

ـ حصر حرف الظاء : الخولاني ، أبو الحسن علي بن محمد المقرئ ، ت بعد ٤٨٥هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن (نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي م٤١ ج٢) ، بغداد ١٩٩٠ .

(ر)

ـ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : القيسي ، مكي بن أبي طالب ، ت ٤٣٧هـ ، تح د. أحمد حسن فرحات ، عمّان ١٩٨٤ .

(ز)

– زينة الفضلاء في الفرق بينْ الضاد والظاء : الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، ت ٥٧٧هـ ، تح د. رمضان عبد التواب ، بيروت ١٩٧١ .

(س)

– السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى ، ت ٣٢٤هـ ، تح د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .

– سر صناعة الإعراب : ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت ٣٩٢هـ ، تح د. حسن هنداوي ، دمشق ١٩٨٥ .

(ظ)

– الظاءات في القرآن الكريم : أبو عمرو الداني ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٥ .

– ظاءات القرآن : السرقوسيّ ، سليمان بن أبي القاسم ، ت نحو ٥٩١هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن (مجلة المجمع العلمي العراقي م٤٠ ج١) ، بغداد ١٩٨٩ .

(غ)

– غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجَزَري ، تح برجستراسر وبرتزل ، القاهرة. ١٩٣٢ – ١٩٣٥ .

(ف)

– الفرق بين الحروف الخمسة : ابن السيد البطليوسي ، عبد الله بن محمد ، ت ٥٢١هـ ، تح عبد الله الناصير ، دمشق ١٩٨٤ .

– الفرق بين الضاد والظاء : الصاحب بن عبّاد ، ت ٣٨٥هـ ، تح الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٥٨ .

– فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : الرياض ١٩٨٢ .

(ك)

– الكتاب : سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠هـ ، بولاق ١٣١٦ – ١٣١٧هـ .

ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : القيسي ، مكي بن أبي طالب ، تح د. محيي الدين رمضان ، دمشق ١٩٧٤ .

(ل)

ـ لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات : القسطلاني ، شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت ٩٢٣هـ ، تح الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين ، القاهرة ١٩٧٢ .

(م)

ـ المبسوط في القراءات العشر : ابن مهران الأصبهاني ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، ت ٣٨١هـ ، تح سبيع حمزة حاكمي دمشق ١٩٨٦ .

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية عبد الحق ، ت ٥٤١هـ ، المغرب ١٩٧٥ ـ ١٩٩١ .

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي دار مطابع الشعب ، مصر .

ـ معرفة الضاد والظاء : الصقلي ، أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي ، ت ؟ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٥ .

ـ منظومات أصول الظاءات القرآنية : د. طه محسن ، (مجلة معهد المخطوطات م٣٠ ج٢) ، الكويت ١٩٨٦ .

(ن)

ـ النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، تح د. محمد سالم محيسن ، القاهرة .

النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية

في

دراسات المستشرقين الألمان

الدكتور موسى ربابعة

مقدمة :

حظي الشعر الجاهلي بدراسات المستشرقين الألمان منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وقد أظهرت هذه الدراسات اهتمامات المستشرقين بتحقيق النصوص ونشرها أو ترجمتها ، هذا بالإضافة إلى اهتمامهم بلغة الشعر الجاهلي واتخاذه مادة مهمة للتعرف على حياة العرب في جوانبها المختلفة .

ولكن دراسة القصيدة الجاهلية على أنها فن شعري قائم بذاته لم تلق من عنايتهم شيئاً كثيراً في وقت مبكر ، وقد حاولت دراسات عدة أن تقف عند القصيدة الجاهلية منطلقة في ذلك من زوايا نظر مختلفة . وليس هناك من شك في أن أسباباً معينة حالت دون النظر إلى القصيدة الجاهلية نظرة متكاملة ، وأول هذه الأسباب قضية النحل التي شغلت المستشرقين منذ وقت مبكر ، وجعلتهم يشكون في صحة هذا الشعر ، وذلك مثل الدراسات التي قام بها نولدكه ومرغليوث . أما السبب الثاني فهو متعلق برؤية المستشرقين ، وهي رؤية تقوم على أن الشعر العربي لا يتناسب مع

الذوق الأوروبي[١] . وأما السبب الثالث فهو أن نظرة المستشرقين إلى القصيدة الجاهلية كانت تفترض أن القصيدة الجاهلية مفككة وغير مترابطة تجمع موضوعات لا رابط بينها ، وكان الذي بلور مثل هذا التصور للشعر العربي بصورة عامة هو المستشرق تاديوسيز كوفاليسكي Tadeusz Kowalski الذي اتهم الشعر العربي بالتفكك والتجزؤ[٢] .

إن هذهَ الأسباب مجتمعة كانت كفيلة بأن تصرف نظر المستشرقين عن معاينة النص على أنه بناء متكامل ، ولذلك جاءت دراساتهم للقصيدة الجاهلية دراسة تهتم ببعض الأجزاء دون أن تدرس العلاقات القائمة بين أجزاء القصيدة وتنامي هذا العلاقة وتفاعلها ، مثال ذلك ما فعلت اليزه لشتنشتيتر في دراستها عن النسيب في القصيدة الجاهلية .

وقد ظلت النظرة الجزئية إلى النص الشعري الجاهلي هي الغالبة على دراسات المستشرقين الألمان لهذا الشعر حتى مطلع السبعينيات من هذا القرن ، وربما تعد ريناته يعقوبي الرائدة في هذا المجال ، إذ إنها أخذت على عاتقها دراسة شعرية القصيدة العربية الجاهلية . ومنذ أن درست يعقوبي القصيدة دراسة متكاملة احتل الشعر الجاهلي أهمية كبيرة في نظر

---

(١) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassishen arabischen Dichtung . Band I. Die altarabische Dichtung. Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt.1987.p4.

وربما يكون وراء مثل هذه الرؤية إحساس بتفوق الذات الأوربية العام الذي لم يقتصر على الأدب فقط وإنما امتد ليشمل جميع أصناف المعارف الإنسانية الأخرى . حول هذه القضية انظر : ادوارد سعيد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص٤٢ .

(٢) Wolfhart Heinrichs: Arabische Dichtung und grieschische Poetik Beirut. 1969.P.20 – 26

المستشرقين الذين بدؤوا ينظرون إلى القصيدة الجاهلية على أنها فن شعري (Dichtung)[٣] والمقصود بذلك أن المستشرقين أخذوا ينظرون إلى القصيدة من حيث بناؤها المتكامل ، ويعترفون بها على أنها شعر خالص ، وذلك بخلاف نظرتهم الأولية إلى هذه القصيدة التي كانت معيناً تستقى منه المعلومات التاريخية والنحوية واللغوية وغير ذلك ، ولذلك لم يحتفلوا احتفالاً كبيراً بفنية القصيدة في تلك الدراسات المبكرة .

وقد كان لا بد من هذه المقدمة المختصرة عن كيفية تناول المستشرقين للقصيدة الجاهلية ، وإن كان هذا البحث يتأسس على مناقشة آراء المستشرقين حول مقدمة القصيدة . وسيحاول هذا البحث أن يناقش الآراء التي انطلق منها المستشرقون في تفسير ظاهرة النسيب . ومن خلال النظر إلى الدراسات التي كتبت حول هذا الموضوع يمكن تقسيم دراساتهم للنسيب إلى قسمين : ١ – أصل النسيب

٢ – النسيب وبناء القصيدة

أولاً : أصل النسيب :

إن أول محاولة لدراسة النسيب قام بها جورج ياكوب في دراسته عن حياة العرب قبل الإسلام Altarabisches Beduinenleben واعتقد ياكوب أن النسيب نشأ عن أغاني الحداء الحزينة[٤] وكان ياكوب قد ساق هذا الرأي دون أن يقدم أية مسوغات ، فإذا كان النسيب قد نشأ عن

(٣) Wolfhart Heinrichs: Die altarabische Qaside als Dichtkunst. Der Islam. 51.1974.p.118.

(٤) Georg jacob: altarabisches beduienenleben. Hildesheim. 1967.p.206.

الحداء فإن أجزاء القصيدة الأخرى نتجت عنه ، لأن هناك نظريات تقول بأن الشعر العربي نشأ عن الحداء[٥] . يبدو أن مثل هذا الظن يتعلق تعلقاً مباشراً بقضية نشأة الشعر العربي التي لا تقوم على أسس ثابتة ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل راح ياكوب يعقد مقارنات بين النسيب ونشيد الأنشاد[٦] . وحاول أن يوجد بعض نقاط الالتقاء بين الاثنين من جانب المحتوى .

وقد ارتأت اليزه لشتنشتيتر أن النسيب يمكن أن يكون موازياً لما جاء في نشيد الانشاد ، ووسعت دائرة الشواهد التي جاء بها ياكوب ، إذ إنها اعتقدت أن النسيب يظهر تراثاً سامياً قديماً ، ويبرز هذا من خلال موازنته مع نشيد الإنشاد[٧] ، ولم تقف لشتنشتيتر عند هذا الحد بل ذهبت أبعد من ذلك عندما قالت إن النسيب يمكن أن يقارن بشعر الحب المصري القديم ، إذ إن النسيب يظهر تشاركاً مع الآداب الشرقية القديمة ، وقدمت على ذلك شواهد مشتركة من النسيب ومن شعر الحب المصري القديم[٨] .

إن هذه الآراء مجتمعة لا تقوم على أرضية صلبة ؛ لأن الأمر يتعلق تعلقاً مباشراً بموضوع الحب وهو موضوع إنساني وربما تكون هذه الثقافات قد التقت في رسم صورة مثالية للمرأة بشكل عام[٩] . هذا مع أن للنسيب

(٥) د . يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي ، مكتبة غريب . القاهرة ، ١٩٨١ ، ص٣٩ – ٤٩ .

(٦) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen Dichtung. Bd.I.p.84.

(٧) Ilse lichtenstädter: Das Nasib der altarabischen Qaside. Islamica.5.1932.p.91.

(٨) Ibid p.94.

(٩) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen =

في مقدمة القصيدة الجاهلية خصوصية تميزه عن غيره من ألوان الغزل . إذ إن النسيب هو جزء من القصيدة الجاهلية ولم يكن قصيدة قائمة بذاتها ، ولذلك يجب أن ينظر إليه متصلاً بالقصيدة ، وتنبع أهميته من كونه يشكل افتتاحية القصيدة .

فكيف يمكن أن يفسر المرء سر افتتاح القصيدة بالنسيب دون غيره ، وهذا الأمر قاد بعض المستشرقين إلى تفسيرات جديدة ، لكن المستشرقين الألمان وقفوا من هذه التفسيرات موقفاً سلبياً ورفضوها لأنها حاولت أن تربط النسيب بشعائر دينية مثال ما فعل غويدي **Guidi** الذي قال : « إن النسيب ذو وظيفة مشابهة لدعاء الآلهة كالرابسودون الموجود في مقدمة الملحمة اليونانية »[١٠] .

ولكن هذه المقارنة لم تلق قبولاً من المستشرقين الألمان ، فقد رفض بلوخ هذا الرأي رفضاً قاطعاً وقال : « إن دعاء الآلهة في مقدمة الملحمة يتعلق بدافع خارجي ، أما النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية فإنه شعر وحسب لأنه لم يرتبط بأية أجواء طقوسية »[١١] .

وليس هناك من شك في أن رأي غويدي يكتسب أهمية في أنه أول محاولة لتفسير النسيب تفسيراً دينياً ، وعلى الرغم من أهمية هذا الرأي والآراء المشابهة فإنها لا تستند على قواعد ثابتة ، على الرغم من أن النسيب يشكل طقساً من طقوس القصيدة الجاهلية ، وقد ذهب مثل هذا المذهب داود سلوم الذي يقول : « يبدو أن الشعر الغزلي الذي يرد في أول القصيدة

= dichtung.Bd.I.P.48.

(١٠) Ibid P79.

(١١) Alfred Bloch: Qaside. Asiatische studien.2.1948.P.107 – 108.

الجاهلية إنما هو بقايا للتراث الملحمي في ملاحم ما قبل التاريخ عند الساميين ، حيث كان الشاعر يقدم صلاته للآلهة قبل بداية القصيدة ثم حدث تدهور وطفرة فتحولت البداية القديمة إلى غزل بالمرأة »[١٢] .

ولكن مثل هذه الآراء تنقصها البراهين والأدلة – على الرغم من أهميتها – إذ إن النسيب ليس جزءاً قائماً بذاته وليس افتتاحية منبتة عن جسد القصيدة ككل ، إذ لو كان الأمر على هذه الشاكلة لتساوت تفسيرات المقدمات الطللية ، ولا يعني هذا تهميش المقدمة وإنما يعني أن المقدمة ذات مساس بتجربة الشاعر ورؤيته .

وقد ظنت ريناته يعقوبي « أن النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية كان في الأصل قصيدة غزلية مستقلة قائمة بذاتها **Einselbstandiges Liebesgedicht** تتألف من شكوى الحب ومدح جمال المرأة »[١٣] . إن هذه المقولة لا يمكن أن تؤخذ على أنها مسلمة من المسلمات لأن الأمر هنا يتعلق بالظن مما يجعل هذا الرأي غير نهائي ، لأن الرحلة أو المديح أو الغزل يمكن أن يكون قصيدة قائمة بذاتها قبل أن تندمج مع القصيدة ككل .

وإن هذا الرأي لم يستطع أن يقدم مثالاً واحداً على أن النسيب كان قد وجد منعزلاً عن القصيدة بكاملها ، ولكن هذا الرأي انبثق عن نظرة يعقوبي القائلة « بأن موضوعات القصيدة الجاهلية لم تكن في بداية الأمر

---

(١٢) د . داود سلوم : النقد العربي القديم بين الاستقرار والتأليف ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠ ص٢٣٧ الهامش . وانظر رأياً مشابهاً للدكتور عادل جاسم البياتي : رمز المرأة في أدب أيام العرب ، مجلة آفاق عربية العدد ١٢ آب ١٩٧٧ ص٧ .

(١٣) Renate jacobi: studien Zur poetik der altarabischen Qaside. Wiesbaden.1971.b.106

مرتبطاً بعضها ببعض إلا من خلال الوزن والقافية ، وإنما جاءت الروابط بين هذه الموضوعات في مرحلة لاحقة »[١٤] .

تبدو هذه الآراء حول أصل النسيب لها أهميتها لو أنها استطاعت أن تقدم أدلة وبراهين ملموسة ، لكن هذه الآراء لا تقوم إلا على ظنون ، تحاول تارة أن تهمش دور النسيب في القصيدة وتجعله دوراً ثانوياً ، وتارة تحاول أن تعطي النسيب أهمية كبيرة من خلال ربطه بالجانب الديني . إن أغلب هذه الآراء تكشف عن سطحية النظرة وجعل النسيب أمراً ثانوياً في كثير من الأحيان ، وهذا يقود إلى دراسة وظيفة النسيب في بناء القصيدة الجاهلية .

ثانياً : النسيب وبناء القصيدة :

كانت دراسات المستشرقين للنسيب متنوعة ومختلفة ، وذلك من جانب علاقة النسيب بأجزاء القصيدة الأخرى . وقد جاءت دراسة لشتنشتيتر مفصلة ومسهبة ، لكنها لم تعمل على الكشف عن علاقة النسيب بالنص الشعري ككل . فقد عالجت المؤلفة النسيب باسهاب واستقصاء لكنها عزلته عن ارتباطه بالنص . وقد رأت أن النسيب يتكون من ثلاثة أجزاء : الوقوف على الأطلال ، ورحلة المرأة ، والخيال (الطيف) . ثم درست محتوى كل جزء من هذه الأجزاء[١٥] . مع أنها لم تلتفت إلى قضية العمر والشكوى من الزمن التي تتكرر في كثير من نسيب القصيدة الجاهلية .

وحاولت المؤلفة أن تدرس كيفية ابتداء كل جزء من هذه الأجزاء

---

(١٤) Ibid P.5 – 6.

(١٥) Ilse Lichtenstädter: Das Nasib der altarabischen Qaside:P.22

من الناحية الأسلوبية ، ووجدت أن الصور والتشبيهات والكنايات تتكرر في كل جزء ، وإن لكل جزء أسلوباً يفتتح به[١٦] . ولكن المؤلفة ترى أن اللحظة الجنسية تؤدي دوراً مهما في النسيب[١٧] . ولكنها لم تشر إلى ارتباط النسيب مع أجزاء القصيدة ، ولذلك جاءت دراستها وصفية ومنفصلة عن الجو العام للقصيدة .

ومع ريشتر Richter بدأ التوجه نحو نظرة عامة إلى القصيدة الجاهلية ، وذلك في مقالته Zur Entstehungsgeschichte der Altarabischen Qaside « حول قضية نشأة القصيدة العربية الجاهلية » . وأول شيء فعله ريشتر أنه لم يقتنع بما قاله ابن قتيبة عن بناء القصيدة ، فهو يرى[١٨] – كما رأى نولدكه قبله – أن شكل القصيدة عند ابن قتيبة لم يكن نهائياً ، وذلك لأن خاتمة القصيدة تكون دائماً مختلفة ، كما أن هناك أجزاء تختفي نهائياً من القصيدة مثل الرحلة ، وهو يستند في ذلك على المعلقات وما فيها من تفاوت البناء ، فهي قصائد مشهورة لكنها لم تتبع نهج ابن قتيبة[١٩] .

ينطلق ريشتر في فهمه للنسيب وللقصيدة الجاهلية من منظور أساس يقيم عليه دراسته ، وهو « أن القصيدة الجاهلية لم تبن بناء تعسفياً في

---

(١٦) Ibid P.60.

(١٧) Ibid P.78.

(١٨) Gustav Richter: zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside. Zeitschrift der deutschen morgenländishen Gesellschaft.92.1938.P.552.

(١٩) Theodor Noldeke: Beiträge Zur Kenntnis der poesie der altenaraber Hannorer 1864.P.19

موضوعاتها ، وإنما نبعت موتيفاتها (أي موضوعاتها الجزئية الأساسية) من فكرة مشتركة »[٢٠] يعني هذا الرأي أن ريشتر يحاول أن يقيم فهمه لموضوعات القصيدة المتنوعة على أنها انبثاق عن موضوع واحد داخل القصيدة يعده هو الأساس يقول : « إن النسيب هو مركز القصيدة الأكثر فاعلية فيها ؛ ولذلك فليس هناك من شك في أن موتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) القصيدة الأخرى قد انبثقت عن النسيب »[٢١] .

وقد حاول ريشتر أن يثبت رأيه هذا من خلال اعتماده على ما كتبه هلموت ريتر **Helmut Ritter** عن طبيعة الشعر العربي الذي يعتمد على الوصف المسهب للأشياء التي يمتلكها الشاعر مثل المرأة والناقة والسلاح . وإن الاهتمام بمثل هذا الوصف يساعد على إبراز مجد الشاعر ومدحه لذاته ، ولذلك فإن الموضوعات التي يتحدث عنها الشاعر تتعلق بذاته تعلقاً مباشراً ، فالشاعر يريد من خلال القصيدة أن يفخر بنفسه وأفعاله وممتلكاته ، ويعني هذا أن مدح الذات عنصر رئيس تقوم عليه القصيدة ، ومعنى ذلك أن الموضوعات التي يتحدث عنها الشاعر تحمل نزعة دعائية كما في معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة[٢٢] .

وهذا يعني أن النسيب يصبح نوعاً من الفخر بالذات ؛ لأنه يتضمن استعراضاً يقوم به الشاعر أمام محبوبته أو زوجته التي يخاطبها ، فالافتخار بالذات أمام المرأة إنما هو محاولة الشاعر لامتلاكها أو إعادة امتلاكها بعد أن رحلت ، ويقدم ريشتر أدلة على ذلك من معلقة لبيد ومعلقة عنترة ، إذ يرى

---

(٢٠) Gustav Richter: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside.P.555

(٢١) Ibid P.561.

(٢٢) Ibid P.560.

أن قول لبيد هو استعراض دعائي من الشاعر أمام المرأة :

أولَمْ تكنْ تدري نوارُ بأنني وصَّالُ عَقْدِ حبائِلٍ جذَّامُها
ترَّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرْضَهَا أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها[٢٣]

ويقول إن هذه الأبيات تتعلق بذات الشاعر تعلقاً مباشراً وإنها تقوده إلى مدح الذات والافتخار بها .

إن حديث الشاعر إلى نوار في معلقة لبيد يكشف عن فخره بذاته وذلك بتضخيمه للأنا من خلال استخدامه لصيغ المبالغة « وصال ، جذام ، تراك » ، لكن هذا الحديث إلى نوار لا يمكن أن يفسر النسيب على أنه فخر بالذات ، والدليل على ذلك أن نسيب معلقة لبيد كان نسيباً قاتماً ومظلماً لا يشي إلا بالخراب والدمار ، ولذلك تمنى الشاعر الإحياء لهذه الأطلال . وكان الشاعر منبتاً عن دائرة المكان ودائرة المرأة ، وهذا ما جعله يحس أنه يقف في مواجهة عالم هش لا تتوافر فيه الطمأنينة ، ولا يعكس أي حس من أحاسيس الفخر بالذات ، بل إنه يشعر بالانطفاء والهامشية . أما عودة الشاعر إلى خطاب نوار في الأبيات السابقة فإنه مدخل إلى الخلاص من عالم الموت والقفر وإحساس بقيمة الذات من خلال سعيها إلى الاندماج مع القبيلة التي تهيئ للشاعر شيئاً من الطمأنينة التي كان يفتقدها في مقدمة القصيدة .

وخلاصة رأي ريشتر « أن الموضوعات كلها التي نجدها في القصيدة المثالية تتضح معالمها من خلال الموتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) الدعائية للنسيب ، وذلك من خلال عودة ظهورها في

---

(٢٣) ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ص٣٠٥ .

القصيدة »(٢٤) . كما أن ريشتر ذهب أبعد من ذلك وعدَّ القصيدة الجاهلية دعاية ، حتى إنه عد البكاء على الحبيبة شكلاً من أشكال الدعاية(٢٥) .

وفي ضوء هذا التصور فإن النسيب لم يكن عبارة عن مقدمة فقط ، وإنما هو مركز القصيدة الذي انبثقت منه الأغراض الأساسية الأخرى ، ولكن تفسير ريشتر للنسيب لا يخلو من بعض الهنات ، وأول هذه الهنات أن النسيب يوجد في قصائد ذات موضوعات لا تتعلق بمدح الذات أو الفخر بها ، إذ إنها ربما تكون مديحاً لشخص آخر أو عتاباً أو هجاء أو تحذيراً ، ولذلك فإن مدح الذات يختفي من هذه القصائد اختفاء تاماً ، فكيف يمكن أن يفسر نسيب معلقة زهير المدحية ومعلقة النابغة الذبياني العتابية ؟ ومن هنا فإن النسيب إذا صلح ارتباطه بالفخر بالذات فإنه يصطدم بنماذج شعرية جاهلية تخلو من هذا الموضوع بشكل مباشر ، كما أن هناك مقطوعات شعرية يفتخر بها الشاعر بنفسه دون أن يمتهدئا بالنسيب ، مثال ذلك الشعر الذي كان يقوله الشعراء وقت الحرب أو شعر الرجز . فكيف يمكن أن يفسر المرء مثل هذا المقطوعات . وعلى هذا الأساس تسقط مقولة ريشتر من أن القصيدة ما هي إلا نسيب موسع .

إن النسيب لا يمكن أن يكون نوعاً من أنواع الدعاية ، لأنه يحتوي على ذكريات موجعة وحزينة وإن هذا ظاهر بشكل بارز من خلال الحديث عن الأطلال وفراق الحبيبة . وهما يكشفان عن الوجع الإنساني الذي تصبح فيه ذات الشاعر محطمة ، ولكن الفخر بالذات الذي يأتي في القصيدة

---

(٢٤) Gustav Richter: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside.P.563.

(٢٥) Ibid P.568.

يمكن أن يهدف إلى سعي الشـاعر إلى حفظ الذات وإعادة توازنها أمام الخلخلة أو الهزة التي يسببها إقفار الديار وانفصال المحبوبة عنه .

ولو كانت نظرية ريشتر مقتصرة على القصائد الثنائية التي تتألف من النسيب ومدح الذات لأمكن أن يقوم رابط بين النسيب ومدح الذات ، إلا أن الشـواهد التي قدمهـا ريشـتر لم تستطع أن تبرز الترابط العميق بين النسيب ومدح الذات ، فهو لم يكن موفقاً في اختياره معلقة عنترة شاهداً على ذلك ، لأن الرحـلة تفصـل بين النسيب والفخر بالذات . ولكن لا يعدم المرء أمثلة من الشعر الجاهلي يجد فيها ترابطاً واضحاً بين النسيب والفخر بالذات ، مثال ذلك قول خفاف بن ندبة :

طَرقتْ أُسَيْمَـاءُ الرِّحالَ ودُونَنـا ... من فَيْـدِ غَيْقَـةَ سـاعِدٌ فكَثِيبُ
فالطَّوْدُ فالمَلَكـاتُ أصبحَ دُونَهـا ... ففـراعُ قُدْسٍ فعَمْقُهـا فَحُسُـوبُ
فلئِنْ صرَمْتِ الحبلَ يا ابنةَ مالك ... والرأيُ فيـه مُخْطِئٌ ومُصِيبُ
فَتـعَـلَّمي أنِّي امرؤٌ ذو مِرَّةٍ ... فيما أَلَمَّ من الخطـوبِ صَـليبُ
أدَعُ الدنـاءةَ لا أُلابِسُ أهـلَهـا ... ولديَّ من كَيْسِ الزمـان نَصِيبُ
ومُعَبّـد بَيْضُ القَطَـا بِجُنوبِـهِ ... ومن النَّـواعِجِ رِمَّـةٌ وصَـليبُ
نَفَّـرْتُ آمِنَ طَيْـرِهِ وسِبَـاعِـهِ ... ببُغـامِ مِجْـذَام الرَّواح خَبُـوب
أُجُدٍ كأنَّ الرَّحـلَ فَوقَ مُقَـلَّصٍ ... عـاري النَّواهقِ لاحَـهُ التَّقريبُ
عَـدَلَ النُّهـاقُ لِسَـانَـه فكـأنَّه ... لمـا تَخَمَّـط للشُّحـاج نقِيبُ
ولقد هبطتُ الغيثَ يدفعُ مَنكِبي ... . (٢٦)

(٢٦) الأصمعي : الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شـاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٥ . د . ت ص ٢٧ ــ ٢٨ . فيد وغيقـة وسـاعد وكثيب والطود وقدس وعمق : أسمـاء أماكن ، مرة : قوة ، الكيس : العقـل . المعبد : الطريق الممهد . النواعج : الإبل البيض . الصليب : ودك العظام ، البغام : حنين الإبل ، مجذام الرواح : =

تكشف هذه القصيدة عن أن هناك ترابطاً وثيقاً بين مقدمة القصيدة ، والفخر بالذات وهنا يمكن أن يستقيم لريتشر رأيه الذي يتأسس على أن القصيدة الجاهلية ما هي إلا قصيدة دعائية استعراضية أمام المحبوبة التي يتعلق بها الشاعر . ومثال آخر على ارتباط النسيب بالفخر بالذات قول ربيعة ابن مقروم :

ألا صَرَمتْ مودَّتَكَ الرُّوَاعُ ... وجَدَّ البَيْنُ منها والوَدَاعُ
وقالتْ : إنَّهُ شيخٌ كبيرٌ ... فَلَجَّ بها ، ولم تَرِعِ ، امْتِنَاعُ
فإمَّا أمسِ قد راجعتُ حِلْمِي ... ولاحَ عليَّ من شَيْبٍ قِنَاعُ
فقد أصلُ الخَليلَ وإن نآني ... وغِبُّ عَدَاوتِي كَلأٌ جُدَاعُ
وأحفَظُ بالمَغِيبةِ أمرَ قومي ... فلا يُسْدَى لَدَيَّ ولا يُضَاعُ
ويَسْعَدُ بي الضريكُ إذا اعتراني ... ويَكْرَهُ جانِبِي البَطَلُ الشُّجاعُ
ويأبَى الذَّمَّ لي أنِّي كَرِيمٌ ... وإنَّ محلِّي القَبَلُ اليَفَاعُ
وأنِّي في بَنِي بَكْرِ بْنِ سَعْدٍ ... إذا تَمَّتْ زَوَافِرُهُمْ أُطَاعُ
ومَلْمُومٍ جَوَانِبُها رَدَاحٍ ... تُزَجَّى بالرِّماحِ ، لها شُعَاعُ
شَهِدْتُ طِرَادَها فَصَبرتُ فيها ... إذا ما هَلَّلَ النِّكْسُ اليَرَاعُ
وخَصْمٍ يَرْكَبُ العَوْصَاءَ طَاطٍ ... عن المُثْلَى ، غُناماه القِذَاعُ
....(٢٧)

= سريعة السير عند الرواح . الخبوب : وصف من الخبب وهو السرعة ، الأجد : القوية ، المقلص : الطويل القوائم . الناهقان : عظمان شاخصان في وجه ذي الحافر ، لاحه : غيّره ، تخمط : هدر في حدة وغضب ، الشحاج : رفع الصوت ، النقيب : العريف على القوم .

(٢٧) المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٦ ، د . ت ص ١٨٦ - ١٨٧ الرواع : اسم امرأة . لجّ : تمادى . غبّ عداوتي : عاقبتها . كلأ جداع : كلأ وخيم . لا يسدى : لا يهمل . =

إن هذه الشواهد يمكنها أن تسوغ نظرية ريشتر لكن المشكلة التي وقع فيها هي مشكلة التعميم ، فهو لم يتحدث عن الاتصال بين النسيب والفخر الذاتي في القصائد الثنائية في تركيبها ، وإنما عمم ذلك على قصائد الشعر الجاهلي ، دون أن يراعي اختلاف الغرض الرئيس في القصيدة ، ودون أن يلتفت إلى وضع الشاعر النفسي الحزين الذي تعكسه لوحة النسيب في القصيدة ، فالنسيب لا يمكن أن يكون ذا نبرة دعائية أو لهجة استعراضية دائماً .

أما الفرد بلوخ فقد رفض تفسير ريشتر للنسيب[٢٨] وعمد إلى تصنيف الشعر الجاهلي إلى عدة أقسام أساسية وعلى النحو التالي :

١ ـ شعر الرجز المصاحب للعمل مثل أغاني العمل والحرب وترقيص الأطفال ، وإن هذه الأغاني تصور الأصل القديم للشعر العربي .

٢ ـ شعر الرسالة : وفي هذا اللون من الشعر يتحدث الشاعر عن أحداث تعنيه أو تعني قومه ، ويكون محتوى هذا الشعر التحذير أو الرد على التهديد أو العتاب وغير ذلك من هذه الأشياء . وفي هذا النمط من الشعر تعطى معلومات للساعي عن الطريق التي يجب أن يسيرها .

٣ ـ شعر الرثاء : في هذا النمط من الشعر يتحدث الشاعر عن ذكريات الشباب الماضية .

= الضريك : المحتاج الضعيف . القبل : ما استقبلك من الجبل . اليفاع : الموضع المرتفع . الزوافر : الجماعات . الململوم جوانبها : يعني الكتيبة . الرداح : الكثيرة الحرارة . تزجى : تساق ، هلل : جبن ورجع . اليراع : الذي لا جرأة ولا صبر له في الحرب . العوصاء : الخطة الشديدة . الطاط : المنحرف . القذاع : السباب .

(٢٨) alfred Bloch: Qaside.P.106 – 107

٤ – أغاني الرحلة ، وحسب رأي بلوخ فإن القصائد الجاهلية كانت في أصلها عبارة عن أغاني الرحلة إذ إن إنشاد القصيدة كان لحث الإبل على السير لكي تختصر الرحلة المملة في الصحراء(٢٩) .

إن هذا التقسيم يظهر أنواع الشعر الجاهلي ، ولكن بلوخ يرى أن القصائد كانت عبارة عن أغاني الرحلة ، إذ إنها لم تستخدم مؤخراً على أنها أغان للرحلة ، ولكنها كانت هكذا في الأصل ، إذ إن موتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) القصائد وبناءها تتضح من خلال هذا الفهم ، إذ إن معظم الشعر العربي هو شعر رسالة ، يحملها الشاعر إلى ساع يطلب منه أن يبلغها ؛ ولذلك فإن على الساعي أن يقطع مسافات واسعة ، ويرى بلوخ أن هناك عنصرين يتصلان بالرسالة وهما النسيب ورحلة الناقة ، وهنا يجد بلوخ نفسه مضطراً لكي يفسر النسيب في مقدمة القصيدة فيقول : إن النسيب ما هو إلا تسلية للساعي أو للسعاة ، ولذلك يجب عليه أن يتضمن محتوى يقيد الإنسان من الجانب النفسي بشكل تام(٣٠) وهو بذلك يقترب من تفسير ابن قتيبة للنسيب الذي رأى فيه تأثيراً نفسياً في السامع .

يبدو أن النسيب يصبح هنا تسلية وحسب ، إذ إن الشاعر يذكر أماكن كثيرة في مقدمة القصيدة لكي يدل الساعي على الطريق الشاق الذي يجب أن يقطعه ، وحتى يجعل الشاعر التكليف الصعب حلواً فلا بد إذن من تسلية للساعي وهذه التسلية قائمة في النسيب(٣١) .

---

(٢٩) Ibid.P.116 – 123

(٣٠) Ibid.P.124 – 125

(٣١) Ibid P.132

يظهر تفسير بلوخ للنسيب غير مقنع تماماً وذلك لأنه يلغي ذات الشاعر الغاء تاماً ، ولذلك يصبح النسيب أكثر صلة بالساعي منه بالشاعر ، وهذا أمر لا يمكن أن يقبل بسهولة ، فالشعراء يعانون ومعاناتهم تتجه للتخفيف عن الساعي ، فالشعراء في النسيب يصورون معاناتهم أمام التهدم المكاني والانفصال عن المرأة ، ولذلك يظهر التوتر القائم بينهم وبين العالم من حولهم . ولذلك « فإن النسيب كان تعبيراً يجسم لنا ارتداد الشاعر إلى نفسه وخلوه إليها وهو بذلك يعد الجزء الذاتي في القصيدة الذي يعبر فيه الشاعر عن موقفه من الحياة والكون من حوله »[٣٢] .

إن النسيب لا يمكن أن يكون منبتاً عن ذات الشاعر ولا يمكن جعله عنصراً ثانوياً في القصيدة ، ولذلك كيف يمكن بلوخ أن يفسر الأماكن الكثيفة في النسيب وبكاء الشاعر ووقوفه على الأطلال . فالمكان جزء أساس لا يمكن تفسيره دون أن يتعلق بتجربة الشاعر الذاتية ، ولا يتعلق بالسعاة الذين يحملون الرسائل التي يبلغهم الشعراء اياها .

إن تفسير بلوخ للنسيب جاء تفسيراً سطحياً هامشياً ، والسبب وراء ذلك أن بلوخ أراد أن يثبت رأيه في أن القصيدة العربية هي قصيدة رسالة لا بد لها من حامل يحملها ولكن قصيدة الرسالة لها بناؤها الخاص بها وليس هناك من شك في أن قصائد الشعر الجاهلي ليست قصائد رسالة في مجموعها ، إذ توجد دواوين لشعراء جاهليين دون أن تحتوي على قصيدة

---

(٣٢) د . عز الدين إسماعيل : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ، مجلة الشعر ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، فبراير ، ١٩٦٩ ، ص٧ . ود. يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي . ص١١٧ . ود. عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، فصول ، المجلد الرابع العدد الثاني ، ١٩٨٤ ، ص٣٢ .

رسالة . لكن المرء يستطيع أن يسمي القصائد التي تتخذ من الصيغ التالية : « أبلغ ، أبلغا ، بلّغ ، ومن مبلغ الخ » قصائد رسالة ، إذن فليس هناك من شك في أن هذا الرأي يحصر الدراسة في وحدة موضوعية واحدة ترد في الشعر العربي القديم هي الوحدة المعلن عنها بالعلامات الأسلوبية : أبلغ ...الخ « وهو لذلك يتجنب المواجهة مع أية مشكلة قد تنشأ عن التعقيد البنائي للقصيدة »[٣٣] .

يظهر أن رأي بلوخ لا يتناسب مع بناء النص الشعري الجاهلي بشكل مطلق ، إذ إنه يتعامل مع نوع واحد من القصائد ، لكن القصائد الجاهلية متعددة البناء والتركيب فهناك قصائد تحتوي على رحلة أو مشهد صيد أو مدح أو فخر أو رثاء ولذلك فإن معظم القصائد تكشف عن بناء متفاوت لا يستقيم لرأي بلوخ .

ومن أهم الأشياء التي يصطدم بها رأي بلوخ تلك القصائد التي تحتوي على رسالة لكنها لا تحتوي على نسيب أو رحلة ، فكيف يستطيع الساعي أن يقطع الفيافي ويبلغ رسالته دون تسلية مثلاً ؟ فهناك قصائد أو مقطوعات شعرية تخلو من النسيب والرحلة مثال ذلك قول النابغة :

ألا من مبلغ عني خُرَيْماً وزَبّانَ الذي لم يرع صهري

وقوله :

أبلغ بني ذبيان أن لا أخالهم بعبسٍ إذا حلوا الدماخَ فأظلما

وقوله :

ألا أبلغا ذبيان عني رسالة فقد أصبحت عن منهج الحق جائرَهْ

---

(٣٣) ياروسلاف ستتكيفيتش : ابن قتيبة وما بعده القصيدة العربية الكلاسيكية والأوجه البلاغية للرسالة ، ترجمة مصطفى رياض ، مجلة فصول ، المجلد ٦ العدد (٢) ، ١٩٨٦ ، ص٧٤ .

وقوله :

من مبلغ عمرو بن هند آية ومن النصيحة كثرة الأعذار

وقوله :

ألا أبلغ لديك أبا حريث وعاقبة الملامة للمليم[٣٤]

إن هذه القصائد والمقطوعات الشعرية تخلو من النسيب الذي جعله بلوخ تسلية للساعي ، وهذا أمر يناقض ما ذهب إليه بلوخ بصورة مباشرة وواضحة ، ولذلك فإن النسيب لا يمكن أن يكون للتسلية لأنه يرتبط ارتباطاً مباشراً بالجو العام لقصيدة الرسالة ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي التي حذر فيها قومه من كسرى الذي كان ينوي القضاء عليهم فقال مفتتحاً قصيدته :

يا دارَ عمرة من محتلها الجرعا هاجت لي الهمَّ والأحزانَ والوجعَا

تامتْ فؤادي بذاتِ الجزع خرعبةٌ مرَّتْ تريدُ بذات العذبة البيعَا

جرتْ لما بيننا حبل الشموس فلا يأساً مبيناً ترى منها ولا طيعا

فما أزالُ على شحط يؤرقني طيفٌ تعمد رحلي حيثما وضعا

أني بعيني ما أمّتْ حمولهم بطن السَّلوطح لا ينظرن من تبعا

طوراً أراهم وطوراً لا أبينهم إذا تواضع خدرٌ ساعة لمعا

تلتقي افتتاحية قصيدة لقيط في محتواها وموتيفاتها (أي موضوعاتها الجزئية الأساسية) مع مقدمات الشعراء الجاهليين الأخرى ، ففيها ذكر الديار وأسماء الأماكن والمرأة والطيف والظعائن . ولذلك فإن هذه الافتتاحية بما تحتويه من توتر وشعور بالاضطراب والقلق تكشف عن أن الشاعر لم

---

(٣٤) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٨٠ ، ١٠٤ ، ١٥٣ ، ١٦٧، ٢١١ .

يأت بهذه الأماكن لكي يجعلها أداة لتسلية الساعي ليس غير ، وإنما تنبعث من هذه المقدمة هواجس تنبئ عن الهم والأحزان والوجع ، وإن هذه الأمور تتعلق بذات الشاعر ولا تتعلق بشخصية الساعي ، لأنها لا تتضمن إلا الشكوى والألم . والشكوى والألم عنصران مثبطان للساعي وليسا حافزين للتسلية والاندفاع لكي يبلغ الرسالة . وإن الأماكن التي يعددها الشاعر هي ميدان تجربته ، وابتعاد الشاعر عنها كفيل بايقاظ الألم والوجع في نفسه ، إن الوجع الذي تسببه الديار وانفصال المحبوبة ما هو إلا ذلك الوجع الناجم عن عدم سماع بني قومه لتحذيره إياهم من كسرى .

ومن ناحية أخرى فإن الرحلة (رحلة الشاعر) تختفي في هذه القصيدة ، فإذا كانت الرحلة قد اختفت فإن هذا يعني – حسب تفسير بلوخ – أن عنصراً من عناصر التسلية قد اختفى ، ولذلك ينطفئ تحفز الساعي لمتابعة رحلته ، ولذلك فإن هذا الأمر يكشف عن نقص نظرية بلوخ .

يبدو أن هذه القصيدة تظهر ترابطاً نفسياً بين مقدمتها وغرضها الأساس ، وإن هذا الترابط يكمن في احساس الشاعر بالفاجعة الناجمة عن عدم التصالح بينه وبين المرأة والمكان ، كما أن الرسالة تشي أيضاً بعدم رضا الشاعر عن قومه الذين رفضوا الاستماع إلى صوته ، يقول بعد النسيب مباشرة :

بل أيها الراكب المزجي على عجل ... نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعا
أبلغ إياداً وخلل في سراتهم ... اني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا
يا لهف نفسي إن كانت أموركم ... شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا
ألا تخافون قوماً لا أبا لكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدبى سرعا

أبنـــاء قــوم تــأوَّوكم عـلى حنـق لا يشــعــرون أضر الله أم نفعــا

إلى أن يقول :

هذا كتــابي إليكـم والنذير لكـم لمن رأى رأيـه منكـم ومن سمعـا

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا ان خير العلم مانفعا(٣٥)

مما لا شك فيه أن صوت الشاعر في المقدمة يتناغم بشكل جلي مع صوته في رسالته التي أرسلها إلى قومه ، ولذلك يصبح النظر إلى النسيب على أنه تسـلية أمراً غير مسلم به ؛ وذلك لأن موضوع القصيدة وجوها النفسي يتدخلان تدخلاً واضحاً في كيفية بناء النص ، هذا بالإضافة إلى أن مقدمة القصيدة تتمركز حول الذات المهمومة التي انتقلت من الحديث عن الهم الذاتي إلى الحديث عن الهم الجماعي المتعلق بقوم الشاعر .

مع ريناته يعقوبي تبدأ دراسة النسيب تأخذ بعداً جديداً ، ولا سيما أن المؤلفة لجأت إلى تتبع بناء القصيدة من حيث إنها قصيدة غير مرتبطة بسياقها الاجتماعي أو التاريخي ، ولذلك رفضت يعقوبي دراسة ريشتر وبلوخ ورأت أنها دراسات لا تقوم إلا على فرضيات لا يمكن قبولها بسهولة .

بدأت يعقوبي دراستهـا برفض تفسـير ابن قتيبة للقصيدة العربية ، وذلك لأنها رأت فيه قصوراً واضحاً وإن تفسير ابن قتيبة ينطبق على نمط واحد من انماط القصيدة وهو قصائد المديح(٣٦) . لقد كانت هذه الدراسة

(٣٥) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي . تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية ، بغداد ، وزارة الأعلام ، ١٩٧٠ ، ص ٣٠ ــ ٥٠ . تامت : ضلت وذهبت به ، الجزع : منثنى الوادي ، خرعبـة : امرأة غضـة ، البيعة : كنيسـة النصـارى وقيل كنيسـة اليهود . الشـمـوس : الدابـة الممتنعـة فلا تمكن من الإسـراج والإلجام ، الشحط : البعد ، بطن السلوطح : اسم موضع . خلّلْ : خصّصْ . الدبى : صغار الجراد . تأووكم : أووا إليكم .

(٣٦) Renate Jacobi: Studien Zur boetik der altabischen

قد أشارت إلى رأي يعقوبي في أصل النسيب وهو رأي ينبثق من أن القصيدة العربيـة كانت تتـألف في البداية من موضوعات يربط بينها الوزن والقافية فقط ، ومع مرور الزمن أخذ الشعراء يبتدعون روابط بين هذه الموضوعات . (انظر ص٤)

ولأن يعقوبي انطلقت من هذا الفهم للقصيدة الجاهلية فإنها وصلت إلى مقولة أساسية في النسيب وهي « أن النسيب كان جزءاً قائماً بذاته أو قصيدة مستقلة تختص بوصف معاناة الحب ومدح جمال المرأة »(٣٧) . وهذا يعني أن ذكر ديار المحبوبة ورحليها ووصف ذلك وآثاره النفسية في الشاعر كان في البداية غرضاً قائماً بذاته . وقد ذهب الدكتور محمد مندور قريباً من هذا حينما قال : « فليس صحيحاً أن الشاعر المادح هو الذي فكر في أن يبـدأ بذكر الديـار والحبيبـة والسفر وما إلى ذلك ليمهد لمديحه ، وإنما هي تقاليد الشعر الجاهلي التي استمرت حية مسيطرة بعد أن دخل التكسب في الشعر ، فأصبحت المدائح تتكون من جزئين منفصـلين تمام الانفصال : القصـيـدة القـديمـة كما نجدها عند الشعراء الجاهليـين القدماء ثم المدح ، ولا أدل على ذلك من أن نفكر فيما كان من الممكن أن تكون عليه تلك المدائح لو لم يوجد الشعر الجاهلي الذي لا مديح فيه ، ولو لم يطغ سلطانه

= Qaside.p.41

وحول هذا الموضوع انظر : د. يوسف بكار : بناء القصيدة العربية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ،١٩٨٢ ، ص ٢١٤ – ٢١٥ و د. محمد حسن عبد الله : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٥ ، ص٥٥٠ و د. حسين الحاج حسن : أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسـة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ، ١٩٨٤ ، ص٥٥ .

(٣٧) Renate Jacobi: studien Zur Poetik der altarabischen Qaside .P.106

على الشعراء اللاحقين »[٣٨] .

وعلى الرغم من رأي يعقوبي القائل بأن النسيب كان جزءاً قائماً بذاته فإنها درست النسيب دراسة مستقصية ومستفيضة . وذلك من خلال محتواه ، وقد استندت في ذلك على دراسة لشتنشتيتر ، ولكن من أهم الآراء التي جاءت في دراسة يعقوبي « أن النسيب يظهر التعارض بين الحاضر المحزن والماضي الجميل ولذلك فإنها رأت لوحة النسيب عبارة عن قصيدة ذكرى Erinnerungsgedicht »[٣٩] ؛ ولأن يعقوبي حاولت أن تتبع دور النسيب في القصيدة من غير ربطه بسياقه الاجتماعي والتاريخي فإنها لم تفد من هذه المقولة ولم تتعمق في دراسة هذا التعارض وإنما اكتفت بالاشارة إليه .

وقد حاولت يعقوبي أن تجد روابط بين النسيب والجزء الذي يليه في القصيدة ، ولكن المؤلفة عنت بالروابط حسن التخلص ، ولذلك فإن الروابط بين النسيب والرحلة تكون عند يعقوبي روابط أسلوبية محضة لا تحتوي على أية تفسيرات نفسية أو اجتماعية أو واقعية ، وإنما عمدت إلى البحث عن الروابط لتقول إن النسيب يرتبط مع الرحلة من خلال قول الشاعر « دعها ، فعزيت نفسي ، فسليت ما عندي ، فسلِّ الهمّ ، فعدِّ عما ترى ... الخ » . ولذلك ترى يعقوبي أن ارتباط النسيب مع ما يليه في القصيدة كان معللاً ، ولكن ماذا تقول يعقوبي في القصائد التي تخلو من هذه الأنماط الأسلوبية ؟ أنها قالت : إن القصائد التي يخلو نسيبها من روابط

(٣٨) د . محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر : القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٣١ .

(٣٩) Renate Jacobi: Studien Zur Poetik der altarabischen Qaside .P.14,25

أسلوبية مع الموضوع الذي يليه كانت قصائد أقدم تاريخياً ، أما القصائد التي تمتلك مثل هذه الروابط فإنها تشكل تطوراً في بناء القصيدة ، وهي بهذا الرأي تعود إلى دائرة الظن(٤٠) .

ثمة محاولتان تختلفان عما سبقهما من محاولات لتفسير النسيب في القصيدة الجاهلية ، المحاولة الأولى قدمها فالتر براونه الذي رأى أن الشعر الجاهلي يمكن أن يفسر تفسيراً وجودياً ، أما المحاولة الأخرى فقد كانت من تلميذه غوتفريد مولر في دراسته عن معلقة لبيد .

لقد اعتمد براونه في تفسيره للنسيب على منظور فلسفي وجودي ، واتخذ هذا المنظور أســاســاً لفهم النسيب ، وعلى الرغم من خطر تطبيق الفـلسفة على الشعر تطبيقاً صـارماً فإن تفسـير براونه قد أثار تفسـيرات جديدة للنسيب في مقدمة القصيدة عند الباحثين العرب سواء أكانوا معه أم ضده(٤١) .

يقول براونه – بعد أن رفض تفسير ابن قتيبة : « إن النسيب عبارة

---

(٤٠) Ibid P 49 – 53

(٤١) حول هذه القضيـة انظر مثلاً : د عز الدين إسماعيل : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ومطاع صفدي وايليا حاوي : موسوعة الشعر العربي ، مكتبـة خيـاط للطبـاعة والنشـر ، بيروت ،ط١ ،١٩٧٤ ، ص٤١ . ود عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، ص٣٤ . ود حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي دار المعارف بمصر ، ط١ ١٩٧٠ ، ص ٢١٦ – ٢١٩ . ويوسف اليوسف : مقالات في الشعر الجاهلي : دار الحقائق ، بيروت ، د ت : ص ١٢٥ – ١٢٩ . و د سعد إسماعيل شـلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي : مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص١٤٣ – ١٤٤ . و د محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراستـه وتقـديمـه ، الدار القـوميـة للطبـاعة والنشـر . القـاهرة ، د ت ، ص ١٥٢ – ١٥٤ .

عن اختبار القضاء والفناء والتناهي ، لأن المسألة متعلقة بمسألة وجود الإنسان ومصيره ونهايته »[٤٢] . وليس من شك في أن مسألة المصير من أهم المسائل الماثلة في لوحة النسيب إذ إنها تكشف دائماً عن الصراع القائم بين الحياة والموت ، ولكن المسألة هنا تتعلق بمذهب فلسفي متشعب الأبعاد والمواقف ، ولذلك فإن مثل هذا الرأي جدير بالاهتمام ولكن يجب أن ينظر إليه في إطار الشعر الجاهلي بصورة عامة . إذ إن هناك بعض النسيب الذي لا تنطبق عليه الفلسفة الوجودية ولذلك يصبح التعميم أمراً فيه كثير من التعسف .

أما غوتفريد مولر فهو المستشرق الثاني الذي ينطلق في تفسيره للقصيدة الجاهلية من منظور فلسفي ، وهذا الأمر ليس غريباً على مولر ، فأستاذه براونه عمد إلى الإفادة من الوجودية في تفسير النسيب ، ولذلك فإن مولر يعيب الباحثين السابقين لأنهم لم يعاينوا النص الشعري الجاهلي في إطاره التاريخي والاجتماعي[٤٣] .

يرى مولر في دراسته لمعلقة لبيد أن الانفصال بين الشاعر والمحبوبة ناتج عن انفصال قبيلتين نقض بينهما عهد أو ميثاق ، أو أن هذا الانفصال كان ناتجاً عن أسباب اقتصادية ، وهذا يؤدي إلى أن تنفصم عرى المحبة كما تنفصم العلاقة بين القبائل[٤٤] .

---

(٤٢) فالتر براونه : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٦٣ ، ص٦٠ .

(٤٣) Gottfried Müller: Ich bin Labid und das ist mein Ziel. Zum Problem der Selbstbehauptung in der altarabischen Qaside. Wiesbaden 1981.P.u

(٤٤) Ibid P.27

يبدو أن هذا التفسير واقعي واجتماعي وتاريخي يحاول أن يعيد النسيب إلى الأسباب التي أفرزته ، لكن مولر لم يكتف بهذا الأمر وإنما راح يفلسف النسيب من خلال القناعات التي قدمها ، وحتى يضع النسيب في اطار فلسفي فقد رأى في لوحة النسيب عدة أمور تسهل عليه الوصول إلى تفسيره الذي ارتآه .

ومن هذه الأمور التي أولاها أهمية كبيرة أن النسيب يكشف عن انعدام الثقة بين الشاعر والمكان ؛ لأن النسيب لا يقدم سوى التهدم والتبعثر ولذلك « تصف لوحة النسيب وضعاً تكون فيه الثقة بالعالم مكاناً يكون فيه الإنسان فاعلاً ثم يختفي هذا العالم فجأة . وعلى هذا الأساس تكون الخبرة التي كوّنها الشاعر مع العالم هشة وتكشف عن تفاهة العلاقات الإنسانية ، إذ إن الإنسان يصبح دون وطن ، ولذلك يصبح كل شيء مغلفاً بالسواد ويظهر العالم للشاعر عبارة عن أكوام من أشياء غير مترابطة وتغيب الحقيقة من الحاضر »[٤٥] .

يبدو أن هذا التفسير هو محاولة لتعزيز الانفصال عن المكان ، والانفصال عن المكان يشكل عالماً غريباً للشاعر تبدو فيه كل الأشياء تافهة ، لذلك يبدو المكان غير موجود فيضطر الشاعر إلى أن ينفصل عنه . ولذلك يصبح الحاضر غير آمن ويتصف بالغدر بعد أن كان الشاعر في الماضي حراً ، مرناً ، وفرحاً وغير مقيد[٤٦] .

وعلى الرغم من جمالية تفسير مولر للنسيب فإنه يعزز قضية انفصال الشاعر عن المكان ، وكأنه من السهولة بمكان أن ينفصل الإنسان عن وطنه ، وقد رأى مولر هذا الرأي لأنه اعتمد على نظرة تيليش الفلسفية

(٤٥) Ibid p.29

(٤٦) Ibid P.28.

الدينية التي ترى أن الإنسان يرتبط بمرحلة الوعي المبكرة بقوى النشوء وهي الأرض والدم والجماعة ، وهذه الأشياء ذات طبيعة أسطورية ، وذلك في الوقت الذي يسيطر فيه المكان على الزمان . والإنسان يظهر هنا مرتبطاً بأصله فهو لا يمتلك مستقبلاً أو هدفاً ، لكن الانفصال عن أسطورة النشوء يعني ابدال الزمان بالمكان وفقد الأمان في الجماعة واستقلالية الذات وحريتها في أعمالها المستقبلية التي تريد أن تعملها »[٤٧] .

لقد استغل مولر هذا الانفكاك عن قوى النشوء الذي يعني الانفصال عن المكان الناتج عن تحول الوعي الإنساني في لحظة من اللحظات ؛ ولذلك يظهر النسيب عند مولر انفصالاً عن الأسطورة ودخولاً في عالم جديد ، « فالنسيب يأخذ بعداً سلبياً على أنه لا شيء ، وعالم غير مشكّل أي مبعثر ، وإن التهدم يصبح قادراً على أن ينال حياة الإنسان إذا ما أصر على البقاء في هذا المكان »[٤٨] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تفسير سوزان ستيتكيفيتش للنسيب جاء ليؤكد مفهوم الانفصال أو الفراق من خلال اعتمادها على (طقوس العبور) ، ولكن إذا كانت ستيتكيفيتش قد نجحت في اثبات عنصر الانفصال عن المكان في لوحة الطلل فإنها تناقضت تناقضاً مباشراً مع مولر في تفسيرها للرحلة على أنها الطقس الهامشي[٤٩] لأن مولر يرى أن الرحلة

(٤٧) Renate Jacobi: Neue Forschungen Zur altarabischen Qaside Bibliotheca Orientalni.40.1983 P.7.

(٤٨) Gottfried Müller: Ich bin Labid und das ist mein Ziel .P.39,40, 116

(٤٩) سوزان ستيتكيفيتش : القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، المجلد (٦٠) ، كانون الثاني ، ١٩٨٥ ، ص٦٢

هي عودة الشاعر إلى ذاته وإلى الواقع ولذلك يظهر فيها الشاعر فاعلاً[٥٠] .

إن الانفصال عن المكان – حسب تفسير مولر – مرتبط بالانفصال عن قوى النشوء التي يشكل المكان أحد عناصرها الرئيسة ، وإن هذا الانفصال يعني تغير الوعي الناتج عن رفض الشاعر البقاء في عالم متناثر ؛ ولذلك يصبح المكان هامشياً وإن الشاعر يعلق آماله على الزمان الذي يعني عودة الشاعر إلى العالم الحقيقي من خلال – الرحلة – التي يظهر فيها قادراً على ممارسة الفعل .

يبرز تفسير مولر للنسيب انفصال الشاعر عن المكان ، ولكن هل يمكن أن يكون هذا الانفصال رغبة من الشاعر في البحث عن عالم جديد ؟ إن الأمر لا يمكن أن يتعلق بمثل هذا الفهم ؛ لأن الشعراء كانوا يقيمون طقوساً من البكاء ويفجعون عندما يصطدمون بالمكان المقفر والمتهدم . ولا شك في أن هذا الرأي لا يمكن قبوله بسهولة ، لأن النسيب لا يعني الانفصال وإنما يعني الحنين إلى وطن مفقود ، لأن باعث النسيب الأول يمكن أن يكون حبيبة راحلة أو وطناً مفقوداً[٥١] .

---

(٥٠) انظر د . موسى ربابعة : اتجاهان من اتجاهات المستشرقين الألمان في تأول الشعر الجاهلي ، بحث مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

(٥١) د . نوري حمودي القيسي : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٤ ، ص ٩ – ١٠ ود . عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، ص٢٧ . ود . محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقديمه ج١/١٥٢ . ود . عبد الرزاق خشروم : الغربة في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ ، ص٢٤٤ ود . محمود عبد الله الجادر : شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٢٥٦ – ٢٥٧ . ود . سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، ص١٤١ . ومطاع صفدي وايليا حاوي : موسوعة العشر العربي ، ص٤١ .

وثمة أمر آخر ينبغي الاشارة إليه في كيفية فهم مولر للنسيب إذ إنه ربط الاقفار والخلاء من الديار بمفهوم الاقفار والخلاء في التوراة ، حتى إن هذا الرأي قاد مولر إلى أن يرى الأطلال في معلقة لبيد مجدبة لكنه لم يلتفت إلى الرغبة في الإحياء المتمثلة بقول الشاعر :

رُزِقَتْ مرابيعَ النجوم وصَابَهَا ... وَدْقُ الرَّواعدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا

من كلِّ سَارِيَةٍ وغادٍ مُدْجِنٍ ... وعشيَّةٍ متجاوبٍ إرْزَامُهَا

فَعَلا فُرُوْعُ الأيْهُقَانِ وأطفلتْ ... بالجلهتين ظباؤها ونَعَامُها

والعِينُ ساكنةٌ على أطلائِها ... عُوْذاً تأجَّلُ بالفضاءِ بِهَامُها

وجلا السيولُ عن الطلولِ كأنها ... زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أقلامُها

أو رَجْعُ واشمةٍ أُسِفَّ نؤورها ... كِفَفاً تَعَرَّضَ فوقهنَّ وِشَامُها[٥٢]

ولأن مولر محكوم في تفسيره للقصيدة من خلال فلسفة تيليش الدينية فإنه لم ير صورة الإحياء في لوحة النسيب ، فصورة الإحياء هذه لا تعزز الانفصال عن الوطن وإنما تحفز الشاعر إلى الارتباط به . ولم تكن لوحة النسيب في معلقة لبيد هي الشاهد الوحيد الدال على الحياة وإنما هناك شواهد أخرى كثيرة ، فإذا كان الشعراء قد جعلو المطر سبباً من أسباب الدمار والهلاك للأطلال فإنهم رأوا فيه أيضاً سبباً في خصوبتها واعادة الحياة إليها[٥٣] .

ولذلك فإن تفسير أبي ديب لمشهد الاحياء ألصق بالجو العام لمعلقة لبيد وبالشعر الجاهلي بصورة عامة[٥٤] وعلى هذا الأساس يمكن فهم السبب

---

(٥٢) ديوان لبيد : ص٢٩٨ – ٢٩٩ .

(٥٣) د أنور أبو سويلم : المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، عمان ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص١٣٣ – ١٣٥ .

(٥٤) د . محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار =

الذي جعل مولر يغفل عن ذكر عنصر الإحياء بصورة أساسية في تحليله لمعلقة لبيد .

وأخيراً حاول هذا البحث أن يقدم اضاءات عن تفسيرات المستشرقين الألمان للوحة النسيب في مقدمة القصيدة . ومما لا شك فيه أن هذه التفسيرات كشفت عن تطور نظرة هؤلاء المستشرقين للنسيب بوجه خاص وللقصيدة الجاهلية بوجه عام ، فمن سطحية النظرة والقاء التفسيرات دون الاستناد على براهين وحجج إلى تفسيرات تعتمد على النظرة الكلية للنص ، والإفادة من المذاهب الفلسفية ، ووضع القصيدة في إطارها الاجتماعي والتاريخي .

= النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص١٤٣ و د . كمال أبو ديب : الرؤى المقنعة . نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٥٩ – ٦٠ و د . سامي سويدان : في النص الشعري العربي مقاربات منهجية . دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ ص٢٢٠ .

المصادر والمراجع

أ ــ العربية :

١ ــ أبو ديب ، كمال : الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٦ .

٢ ــ أبو سويلم ، أنور : المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، عمان ، دار الجيل بيروت ، ١٩٨٦ .

٣ ــ الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب : الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٥ ،د ت .

٤ ــ بكار ، يوسف : بناء القصيدة العربية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ .

٥ ــ الجادر ، محمود عبد الله : شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٦ ــ حسن ، حسين الحاج : أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ .

٧ ــ خشروم ، عبد الرزاق : الغربة في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ .

٨ ــ خليف ، يوسف : دراسات في الشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٩ ــ سعيد ، ادوارد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١٠ ــ سلوم ، داود : النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠ .

١١ ــ سويدان ، سامي : في النص الشعري العربي ، مقاربات منهجية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٩ .

١٢ ــ شلبي ، سعد إسماعيل : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ،١٩٧٧ .

١٣ – صفدي ، مطاع وايليا حاوي : موسوعة الشعر العربي ، شركة خياط للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤ .

١٤ – الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى : المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٦ . دت .

١٥ – عبد الله ، محمد حسن : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ط١ ، ١٩٧٥ .

١٦ – العشماوي ، محمد زكي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث . دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١٧ – عطوان ، حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

١٨ – القيسي ، نوري حمودي : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة دار الكتب ، الموصل ، ١٩٧٤ .

١٩ – لبيد بن ربيعة : ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د . إحسان عباس ، ١٩٦٢ .

٢٠ – لقيط بن يعمر الإيادي : ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٠ .

٢١ – مندور ، محمد : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٢٢ – النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٢٣ – النويهي ، محمد : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، دت .

٢٤ – اليوسف ، يوسف : مقالات في الشعر الجاهلي ، دار الحقائق ، بيروت ، دت .

ب – الألمانية :

1 – Bantel, Otto: Grundbegriffe der literatur. Hirschgraben Verlag. Frankfurt. 1962

2 – Heinrichs, Wolfhart: Arabische Dichtung und griechische poetik. Beirut. 1969

3 – Jacob, Georg: Altarabisches Beduienenleben. Hildesheim, 1967

4 – Jacobi, Renate: Studien Zur poetik der altarabischen Qaside. Wiesbaden. 1971.

5 – Müller, Gottfried: Ich bin Labid und das ist mein Ziel. Zum problem der selbstbehauptung in der Altarabischen Qaside. Wiesbaden, 1981.

6 – Nöldeke, Theodor: Beiträge zur Kenntnis der poesie der altenaraber. Hannover. 1864.

7 – Wagner Ewald: Grundzüge der Klassischen arabischen Dichtung Band I. Die altarabische Dichtung. Wissenschaftliche Buchgesllschaft. Darmstadt. 1987.

٢ ـ المقالات :

أ ـ بالعربية :

١ ـ إسماعيل ، عز الدين : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ، مجلة الشعر العدد الثاني ، السنة الأولى ، فبراير ،١٩٦٤ .

٢ ـ بدوي ، عبده : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة . مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ .

٣ ـ براونه ، فالتر : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٦٣ .

٤ ـ البياتي ، عادل جاسم : رمز المرأة في أدب أيام العرب ، مجلة آفاق عربية ، العدد ، ١٢آب ، ١٩٧٧ .

٥ ـ ربابعة ، موسى : اتجاهان من اتجاهات المستشرقين الألمان في تناول الشعر الجاهلي ، بحث مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

٦ ـ ستتكيفيتش ، سوزان : القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، المجلد ٦٠ ، كانون الثاني ١٩٨٥ .

٧ ـ ستتكيفيتش ، ياروسلاف : ابن قتيبة وما بعده : القصيدة العربية الكلاسيكية والأوجه البلاغية للرسالة ، ترجمة مصطفى رياض ، مجلة فصول ، المجلد (٦) العدد (٢) ، ١٩٨٦ .

ب ـ بالألمانية :

1 – Bloch, Alfred: Qaside. Asiatische studien.2.1948.

2 – Heinrichs, Wolfhart: Die altarabische Qaside als dichtkunst. Der Islam. Band.51.1974.

3 – Jacobi, Renate: neue forschungen zur altarabischen Qaside. Bibliotheca Orientalni.40. 1983.

4 – Lichtenstädter, Ilse: Das Nasib der altarabischen Qaside. Islamica.5.1932.

5 – Richter, Gustav: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside. Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft. 92.1938.

الطبيب الرائد يحي بن ماسويه

حياته وآثاره

الدكتور سامي خلف حمارنة

إن جذور الطب العربي ومصـادره التاريخية متعددة ، منها : أولاً حصيلة المعارف الفنية والتقنية لدى أهل البلاد من العرب ، ومن الوافدين إليها ؛ وأساليب معيشتهم ، وتطور حِرَفهم فنياً ، ونموّ خبراتهم المهنية ، والتحيل في ممارستهم هذه المهن ، سواء أكانت موروثة أم مكتسبة . وثانياً الاقتباس من الحضارات المعاصرة أو السابقة في الشرق الأقصى والهند وفارس والسريان في بلاد الهلال الخصيب والأقباط في مصر ، والنقل عن هذه الحضارات والتفاعل معها . على أن المنبع الرئيس المستمر والمتجدد ، والمصدر الأهم الأعظم أثراً بالتأكيد ، هو حضارة اليونان والرومان ، وما تمخضت عنه ، منذ القرن الخامس ق.م ، من عطاء ظل باقياً أكثر من ألفي عام ، تجلت قيمتها في المصطلحات الطبية ، والاشتقاقات اللغوية ، وما استنبطوا من نظريات معروفة ، دامت حتى عصرنا الحاضر .

ومن الرواد الذين أسهموا في وضع أسس الطب العربي بأقسامه وفروعه العديدة ، الطبيب النطاسي أبو زكريا يحي (أو يوحَنّا) بن ماسويه ، العارف بأسرار العلاج فيه ، والمتبحر فيها ، والسبّاق إلى تطويرها ، الذي ذاع صيته بين الأطباء العرب والمسلمين ، فوردت أخباره في الكثير من تآليفهم . ثم طار ذكره العطر إلى أوروبا ، بعد أن تُرجِمَت بعض كتبه

من العربية إلى اللاتينية وإلى لغات أخرى ، منذ القرن الثاني عشر ، وبذلك صار يعد من أوائل الذين ظلت الأوساط الطبية في الغرب تعرف فضله ، وتلهج بذكره قروناً عديدة[١] .

أسرة ابن ماسويه :

لا نعرف شيئاً عن هذه الأسرة سوى أن أباه كان يدعى ماسويه ، (أبا يحيى أو يوحَنّا) ، وأنه كان مسيحياً نسطوري المذهب ، وأنه كان ذا نسب متواضع ، لم يختلف إلى مدرسة معروفة ، ولم ينل حظاً من العلم . لكنه عمل ، في مقتبل يفاعته ، أجيراً في دكان للصيدلة تابع لبيمارستان مدينة جنديسابور ، وكليتها الطبية ، التي كانت فريدة في نوعها في تلك المنطقة آنذاك . وكان موقع المدينة بالقرب من الأهواز في ولاية خوزستان في الجنوب الغربي من بلاد فارس ، وقد أسسها الملك الساساني شاهبور[٢] . كان ماسويه يعمل في دقّ الأدوية من غير تعلّم سابق ، بيد أنه تمرس بالمران والدربة ، فخبر سبب الأمراض وتفشيها وحسن معالجتها ، فاكتسب دراية في انتقاء الصالح من الأدوية ، وطرح الرديء منها ونبذه[٣] .

---

(١) بيركيك Pierre Guigues ، « الكلمات العربية في كتاب سرابيون » ، **المجلة الآسيوية** ، باريس ، ١٩٠٥ ، المقدمة بالفرنسية ، ولويس شيخو ، **علماء النصرانيّة في الإسلام** ، تحقيق كميل حشيمة ، جونية ، لبنان ، ١٩٨٣ ، ص١٢ ، **ودائرة المعارف الإسلامية** ، طبعة ثانية ، ليدن ج٣ : ٨٩٦ .

(٢) أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ، **تاريخ** ، ج١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٥٩ ، وموفق الدين أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة ، **عيون الأنْباء** ، ج١ ، طبعة بولاق ، ١٢٩٩هـ ، ص١٠٩ ، ١٧١ ـ ٧٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٧١ ـ ٥ ، وجمال الدين علي بن يوسف القفطي ، **تاريخ الحكماء** ، طبعة مكتبة المثنى عن طبعة ليبزج ، ١٩٠٣ ، ص٣٢٨ ـ ٩ .

وكانت لماسويه علاقة حميمة بآل بختيشوع الذائعي الصيت ، الذين كانوا يتمتعون بمكانة رفيعة ، فهم أصحاب البيمارستان والكلية الطبيةالآنفي الذكر ، وهم الذين كانوا يتولون إدارتهما . كما كانت لماسويه ، على ما يبدو ، صلات ودية ببيت الطبيب سرابيون ، الذي أنجب ولدين اثنين ، هما داود ويوحنا ، وكانا طبيبين أيضاً . وفي ظل رعاية هؤلاء جميعاً ، وبفضل ما كان لهم من مكانة عالية في صناعة الطب ، وإدارة البيمارستان ، وفق إلى الزواج من امرأة هناك ، أنجبت له ولدين ، هما يحيى (يوحَنّا) وميخائيل ، اللذان اشتهرا فيما بعد بالصناعة الطبية ، كما سنرى[٤] .

بقي ماسويه الأب يخدم في صيدلية البيمارستان مدةً تربو على ثلاثين عاماً ، أتقن في أثنائها صناعة الأدوية وتركيب العقاقير المتنوعة ، وتحضير الوصفات الطبية لمرضى البيمارستان وزائريه في العيادة الخارجية . كما تعلم طرق المعالجات المألوفة والنافعة بذكائه وفطنته واجتهاده ، وبات قادراً على التمييز بين النافع والضار من الأعشاب ، التي كان العطارون والعشابون يجلبونها إلى دكان الصيدلة ، فلا يصف إلا النافع منها لزبائن البيمارستان .

زد على ذلك أن ماسويه أتقن صناعة الكحالة (طب العيون)

---

(٤) سرابيون أو سرافيون الطبيب من أهل باجرمي (أو باجَرْمق إقليم يقع شرقي نهر دجلة بين جبال حَمْرين بالعراق ونهر الزاب الصغير أو الأسفل من روافد دجلة وكانت كرْكوك (كَرْخاديث سلوخ) المدينة الرئيسة وكان بين سكانها طائفة كبيرة من النساطرة (أتباع نِسْطور Nestorius بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨ – ٤٣١ الذي خُلِع من منصبه في مجمع أفَسُس المسكوني لخلافات تتصل بالعقيدة) . واشتهر وَلَدَا سَرافيون طبيبين فاضلين في العاصمة العباسية وجميع ما ألّفه يحي بن سرافيون كان بالسريانية .

انظر أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم ، **الفهرست** ، بيروت ، طبعة دار المعرفة ، ١٩٧٨ ، ص٤١١ – ٢ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٨٠ ، ٤٣١ ، وابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٧١ – ٤ .

بالممارسة والخبرة ، ودقة الملاحظة ، وخبر أساليب معالجة أمراض العيون ومفردات أدويتها الناجعة ، فكان لهذا أثر عظيم في تقدمه العملي ، ونجاحه المهني[٥] .

كان عميد آل بختيشوع ، ورئيس البيمارستان في جنديسابور ، والمشرف على كليّتها هو جرجيس بن بختيشوع ، الذي قدم في آخر أيامه إلى بغداد ، بدعوة من الخليفة أبي جعفر المنصور ، فصار طبيب الخليفة بعد أن نال الشفاء على يديه ، وبقي في هذا المنصب حوالي أربعة أعوام ، رجع بعدها ، لكبر سنّه ، إلى جنديسابور ، مسقط رأسه ، حيث توفي سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م[٦] .

---

(٥) أُصيبعة ، **عيون** ، المرجع أعلاه ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٢٨ – ٩ .

(٦) جيورجيس (أو جورجيس أو جرجس) الطبيب الأول المعروف من هذه العائلة يعرف بالجنديسابوري ، والمدينة نفسها كانت معسكراً كحصْن أسسها شابور الأول مؤسس دولة الساسانيين بعدما هاجم انطاكية بسورية ودَحَر الجيش الروماني وأسر الأمبراطور فاليريان (مَلَكَ ٢٥٣ – ٢٦٠م وحمله إلى فارس وسامه سوء العذاب حتى الموت تَشَفّيا ، وكان هذا إيذاناً بسقوط الأمبراطورية الرومانية الغربية . وقد اعتبرت جندي سابور أعظم وأفضل من أنطاكية . انظر ادوردجيبون **(Edward Gibbon 1737 – 94)** ، **تداعي الأمبراطورية الرومانية وسقوطها** ، ج١ ، طبعة ثانية ، شيكاغو ، ١٩٩٠ ، ص١٠٢ – ١٠ ، وأيضا ويل دورانت ، **حقبة الإيمان** ، نيويورك ، ١٩٥٠ ، ص١٤٣ (بالانكليزية) .

أما حفيده فهو شابور الثاني (٣٠٩ – ٧٩) الذي عمّر طويلا واستتب له الملك . أما الأعظم شهرة عند العرب فهو كسرى أنوشروان (٥٣١ – ٧٩م) ، الذي نَاصَر العلوم وشجع الكلية الطبية والبيمارستان في جندي سابور ، فازدهرت هاتان المؤسستان ، وكانت لغة العلم فيهما بالسريانية ، ولكن اليونانية كانت معروفة . انظر أيضاً القفطي ، **تاريخ** ، ١٥٨ – ٦٠ ، واصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٢٣ – ٣٤ ، وباومستراك **A.Baumstrak** ، **تاريخ الأدب السرياني** ، بون ، المانيا ، ١٩٢٢ ، ص٢٣١ .

ثم حلّ محلّه ابنه بختيشوع ، الذي قدم أيضـاً إلى مدينة السلام ، بدعوة من الخليفـة المهدي لمعالجة ولده الهادي ، فنال على يده الشفاء ، وبعد ذلك قفل راجعاً إلى مدينته ، حيث كان يعمل رئيساً للبيمارستان بعد أبيه[٧] .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد قدم إلى بغداد مرة أخرى بدعوة من الوزير القدير الواسع النفوذ جعفر بن يحيى البرمكي ، وحالفـه التوفيق في المهمة التي أوكلت إليه ، فولاه الخليفة رئاسة أطباء قصره ، وظل يتولى هذه الرئاسة حتى وفاته سنة ١٨٥هـ/٨٠١م[٨] .

بعد ذلك تسلّم الحفيد جبريل (أو جبرائيل) رئاسة البيمارستان ، حتى استدعاه الخليفة الرشيد ، وولاه رئاسة أطباء قصره بعد أبيه ، كما ولاه إدارة شؤون البيمارستان الأول من نوعه في التاريخ العربي الإسلامي . كذلك عمل جبريل في خدمة الخليفة الأمين ثم في خدمة الخليفة المأمون حتى وفاته سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م[٩] .

أما ماسويه فقد وقع في هذه الأثناء سوء تفاهم بينه وبين الطبيب جبريل ، فطلب إعفاءه من العمل . ثم رحل هو وزوجته وولداه إلى بغداد ، مدينـة السـلام ، حيث كان جبريل قد ارتحل إليها من قبل . وقد جرت

(٧) شـيخـو ، **مجلة المشـرق** ، ج٨ (١٩٠٥) ، ص١١٠٠ – ٢ ، **وعلمـاء النصرانية** ، ١٩٨٣ ، ص١١١ – ٢١ ، وابن النديم ، **الفهرست** ، ص٤١٣ .

(٨) أبو الفرج غريغوريوس الملطي ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** ، بيروت ، المطبعـة الكـاثوليكيـة ، ١٩٥٨ ، ص١٢٤ ، ١٣٠ – ٦ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ص ، ١٠٠ – ١٠٣ ، وأيضاً أبو العبّاس أحمد بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، تحقيق إحسان عبّاس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢ ، ج١ : ٣٢٨ – ٤٦ .

(٩) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٢٧ – ١٣٨ ، وماري بن سـليمان ، **أخبار بطاركة كرسي المشرق** ، تحقيق H. Gismondi ، روما ، ١٨٩٩ ، ص٧٤ – ٨٠ .

محاولات لإصلاح ذات البين بينهما على غير طائل . ثم سعى إلى التقرب من الوزير الفضل بن الربيع ، ليتولى العمل في قصره . وكان من حسن طالعه أن خادماً للوزير كان مصاباً بعلة في عينيه ، فعالجه ماسويه بمهارة وحذق ، حتى شفي على يديه . وتناهى خبر ذلك إلى سمع الوزير ، فعينه كحالاً في قصره . وبعد وفاة الخليفة الرشيد سنة ٨٠٩م ظل ابن الربيع وزيراً واسع النفوذ في عهد الخليفة الأمين .

أما في عهد الخليفة المأمون ، فقد استعفى ابن الربيع من خدمة الخليفة ، وتوفي بعد ذلك سنة ٢٠٨هـ/٨٢٤م ، وتوفي ماسويه بعده بقليل[١٠] .

أما ميخائيل، وهو ابن ماسويه الأصغر، فقد درس صناعة الطب وتمرس فيها بالدربة والمران ، ثم التحق بخدمة الخليفة المأمون (٨١٣– ٨٣٣م) . وكان لا يستعمل الورد المربّى ومركب السكنجبين (مركب صيدلاني هاضم ، يُعمَل من مقدارين من العسل ، ومقدار من الخلّ ، وأربعة مقادير من الماء النقي) في المعالجة إلا ممزوجاً بالعسل ، وليس بالسكّر . وكان يسير في معالجاته كلها على نهج الاغريق القدماء ، ويسلك السبل المعروفة في كتبهم اليونانية ، أو المترجمة من اليونانية إلى السريانية في ما يتصل بالغذاء أو الدواء ، سواء أكان الدواء بسيطاً أم مركباً . وقد أغدق عليه الخليفة المأمون من أعطياته ، وجعله موضع ثقته ، فكان لا يشرب دواء ولا يتناول علاجاً إلا إذا كان من تركيبه . وقد جرى سائر الناس في مدينة السلام على منوال الخليفة المأمون ، فكان ابن ماسويه موضع تبجيلهم واحترامهم وإطرائهم ،

---

(١٠) فؤاد سزكين ، **تاريخ التراث العربي** (بالالمانية) ، ج٣ ، ليدن ، ١٩٧٠ ، ص٢٢٨ – ٩ ، وكمال السامرائي ، **مختصر تاريخ الطب العربي** ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٤ ص٣٨٣ – ٩٠ ، ٤١٤ – ٦ ، وبابو إسحق ، نصارى بغداد ، ص١٧٥ – ٧٩ .

ولكنه لم يترك بعده أثراً مخطوطاً ، على ما نعلم[١١] .

حياة يحيي بن ماسويه وفضله :

أما أبو زكريا يحيي (أو يوحَنّا) بن ماسويه ، فهو أعظم أفراد أسرة ماسويه وأكثرهم ابداعاً وأوسعهم شهرة ، كما أسلفنا . وقد ولد في جنديسابور حوالي سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م ، ونشأ فيها وترعرع ، ثم عكف على دراسة مهنة الطب في كليتها الأكثر عراقة في ذلك الزمان ، الواقعة بجوار البيمارستان الآنف ذكره . وحين رحل أبواه إلى بغداد رحل معهما هو وأخوه الأصغر ميخائيل ، لمتابعة دراسة صناعة الطب والمران فيها ومطالعة المفيد من كتبها . وقد قام ميخائيل على خدمة الخليفة المأمون باخلاص وتفوق ، كما أسلفنا[١٢] .

أما يحيي بن ماسويه فقد تميز باجتهاده وذكائه الوقاد ، وفاق أترابه علماً ومهارة في عهد الخليفة الرشيد والخليفة الأمين . ثم طار صيته ولمع نجمه في أواخر عهد الخليفة المأمون . وكان ابن ماسويه يلمّ بطرف من اليونانية والفارسية ، وكان يجيد السريانية لغة أمه ، كما كان معروفاً بإتقانه العربية ، فكانت تآليفه كلها بلغة الضاد . ولتضلعه من هذه اللغة فقد أجاد في شرح بعض مشتقاتها الطبية ، ومصطلحاتها في الأمراض والأدوية والأغذية . ولذلك عيّنه المأمون في إدارة مؤسسة بيت الحكمة للاستفادة

(١١) القفطي ، **تاريخ** ، ص٣٢٨ ، وأصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ – ٤ ، وشيخو ، **علماء** ، ص٢١٠ – ٣ ، وابن خلكان ، **وفيات** ، ٢ : ٢٩٤ – ٩ ، ٤ : ٣٧ – ٤٠ .

(١٢) فؤاد إفرام البُستاني ، **دائرة المعارف** ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ٤ : ١٣ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ليدن ، بريل ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٣ ، ج١ : ٢٦٦ ، وملحق ١ : ٤١٦ – ٧ .

من علمه ، ولا سيما في مجال المهن الصحية وفي النقل والترجمة والبحوث النافعة[١٣] .

ومن المعروف أنه كانت تنعقد بانتظام مجالس في قصر الخليفة ، وكذلك في قصور ذوي الشأن في الدولة ، يلتقي فيها العلماء والأطباء والفقهاء ، يدور الحديث والحوار فيها حول موضوعات متنوعة من البحوث ، وتنعقد فيها مناظرات رفيعة المستوى بحضور الخليفة وإشرافه ، بل ومشاركته ، في جو ودي مفتوح ، يتعاونون فيه جميعاً على معرفة الحقائق العلمية والأدبية، ويهدفون فيه إلى التعلم أو الإرشاد وكثيراً ما دارت في هذه المجالس مناقشات حول عدد من المسائل ، وكانت هذه المناقشات سبباً في ظهور تآليف عديدة ، أو حافزاً لكتابة مقالات قيمة ، تقدم أجوبة تنير البصر والبصائر حول الكثير من هذه المسائل . وغاية ذلك كله النفع العميم ، وتنمية المعرفة ونشرها في الأوساط العلمية . وبذلك ارتفعت منارات العلم ، وعلا شأن العلماء ، واتسع نطاق الإبداع الفكري وسما ، في مجتمع متقدم علمياً وتقنياً وفنيّاً واقتصادياً وعمرانياً ، إلى أرقى مستوى[١٤] .

في ظل هذا الازدهار والتقدم العلمي ، ولا سيما في مجال العلوم

(١٣) أبو داود سليمان بن حَسّان بن جلجل ، **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق فؤاد سيّد ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥ ، ٦٤ – ٦٦ ، وعمر رضا كحّاله ، **معجم المؤلفين** ، ج١٣ ، دمشق ، ١٩٦٠ ص٢٦٣ – ٤ ، وخير الدين الزركلي ، **الأعلام** ، ج٩ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ، ٢٧٩ ، وسعيد الديوهجي ، **بيت الحكمة** ، الموصل ، دار الكتب ، ١٩٧٢ ص٣١ – ٩ and M.G.Balty – guesdon,
«Le Bayt al – Hikma de Baghdad » Arabica , 39 (1992) 50 -- 131

(١٤) الملطي ، **تاريخ** ، ص١٢٨ – ٦٢ ، وفيليب حتي ، **تاريخ العرب** ، لندن ، مكملان ،١٩٦١ص٣٠٢ –١١(بالانكليزية) ،واليعقوبي **تاريخ** ، ج٢ : ٤٠٧ – ٩٢ .

الطبيـة ، كان لا بد من تطور مماثل في أســاليب التعليم المهني والتدريس التخصصي في هذه العلوم . إننا نعلم من وثائق معاصرة أن الطبيب الحكم الدمشقي (المتوفى حوالي سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م) كان له تلاميذ وأتباع ، يتمرنون ويتدربون على يديه ، ويمارسون المعالجات الطبية اليدوية من فصدٍ ، وحجامة ، وجبر للعظام وغير ذلك من الاحتيالات الجراحية . غير أن هذه الاحتيـالات وتلك المعـالجات كلهـا كانت ، على ما يبدو ، مفتقرة إلى الدراسات الأكاديمية المنتظمة ، وخالية من التركيز على التعليم المنهجي(١٥) .

في هذه الأثناء قام ابن ماسويه بتأسيس كلية طبية خاصة ، كانت الأولى من نوعها في التاريخ العربي الإسلامي ، تولى التدريس فيها لعدد كبير من الطلبـة ، والإشـراف على تقدمهم العلمي والأكاديمي . وبذلك مهّد السبيل لنشوء كليات أخرى مماثلة بعدها ، في مراكز ومدن عربية وإسلامية عريقة ، من دمشق والقاهرة وقرطبة ، إلى الري وبخارى وسمرقند . ونذكر من الطـلبـة ، الذين أخذوا وتتـلمذوا على ابن ماسـويه ، طالبـين اثـنين ، لمع نجمهمـا ، وعلا شـأنهما بعد ذلك(١٦) ، **أولهما** الطبيب الترجمان أبو زيد

---

(١٥) غورلت Ernst I. Gurlt ، **تـاريخ الجراحـة** ، ج١ ، برلين ، ١٨٩٨ ، ص٦١٨ ـ ٦٢٤ ، وســامي خلف حمارنة ، **تاريخ تراث العلوم الطبيـة عند العرب والمســلمين** ، عمـان اربد ، جامعـة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٢١ ـ ٢ ، و« الطبيب عيسى بن الحكم الدمشقي ورسـالته الهارونية » **بلاد الشـام في العصر العباسي** ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ، تحرير محمد عدنان البخيت ، عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ ، ج١ : ٥٤٠ ـ ٥٥٥ .

(١٦) « التثقيف الطبي في العصر الذهبي » ، الموسم الثقافي لعام ١٩٨٥/٦ ، تحرير ع . عطيات ، جامعة اليرموك ، أربد ، ١٩٨٨ ص٦٥ ـ ٧٨ ، وسامي حمارنة ، « مناهج العـلوم الطبيـة » **القدس الشريف** ، العدد الستون ، ١٩٩٠ ، ص٦١ ـ ٧٤ ، **وتاريخ تراث** ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٣٦ .

حنين بن إسحق العِبادي (المتوفى في بغداد سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ، الذي بدأ دراسة الطب على يد ابن ماسويه ، ولكنه استخف به في أول الأمر ، ونبذه من مجلسه في الكلية لالتباس في الفهم وقع بينهما . وعلى الأثر رحل ابن اسحق ، وتغرب في بلدان كثيرة ، سعياً إلى المزيد من العلم والخبرة ، وإلى إتقان لغة الإغريق ، واجتهد في ذلك حتى أجادها إجادة تامة . وفي أثناء رحلته زار المكتبات ، وقرأ المخطوطات الطبية بإمعان ، وجمع منها الكثير وأفاد ، حتى فاق طائفة المترجمين من أترابه مقدرة ومهارة ، فانتدبه الخلفاء لترجمتها ، والإشراف على نشرها ، فنقلها في أحسن أسلوب وأدق تعبير ، حتى صار يعدّ من أول واضعي المصطلحات الطبية العربية ، « وما زال أمره يقوى ، وعلمُه يتزايد ، وعجائبه في النقل والترجمة والتفاسير والتآليف تظهر ، حتى صار ينبوعاً للمعرفة ومعدناً للفضائل » ، متمسكاً بآداب المهنة ، رافعاً من شأنها . فهرع الأطباء وطلبة العلم يقبسون من ترجماته ، ويتلقفون تآليفه وعلومها ، حتى إن معلمه ابن ماسويه سارع إلى الاستفادة من حكمته ، واعتذر له عما بدا منه ، ودعاه بالابن الرشيد ، وسعى إلى الارتباط به برباط وثيق من المحبة الصادقة والنوايا الصافية(١٧) .

أما الطالب **الثاني** فكان إبراهيم بن عيسى (المتوفى في فسطاط مصر سنة ٢٦٠هـ/٨٧٢م) ، الذي غدا الطبيب الخاص للأمير أحمد بن طولون ، عندما كان قائداً للجيش في بلاد الشام ، وكذلك بعد تأسيس الدولة الطولونية ، التي كانت تضم قسماً كبيراً من بلاد الشام إلى جانب

---

(١٧) حمارنة ، **تاريخ تراث** ، المرجع أعلاه ، ١٩٨٦ ، ص١٦١ ـ ٥ ، **وفهرس المخطوطات** في المكتبة البريطانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٣٥ ـ ٤٠ ، ولوسيان لوكلير L.Leclerc ، **تاريخ الطب العربي** ، ج١ (طبعة الرباط ، ١٩٨٠) ، ص١٣٩ ـ ٥١ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ص١٧١ ـ ٤ .

مصر أيضاً[١٨] .

لقد اجتمعت لدى يحيى بن ماسويه ، عبر دراساته الواسعة ، وخبرته العملية والموضوعية ، مهارة في العمل ، وفصاحة في البيان ، وحسن في المحاضرة ، وبلغ في ذلك كله شأواً بعيداً لم يبلغه أحد من معاصريه ، ولا سيما في مضمار نقل تراث الإغريق القدماء . لذلك كَثُر حساده ، وكَثُرت حملاتهم على آرائه وتعليمه . فانبرى الأطباء اللامعون من آل بختيشوع للدفاع عنه ، فأبرزوا إنجازاته المشرّفة ، وأقروا بافحامه خصومه بطلاوة حديثه ، وحسن معشره ، وحجته المقنعة في شؤون الطب والمنهج والأصول الصحية الناجعة[١٩] .

لقد نجح ابن ماسويه في ممارسة الطب ، فسلّمه الخليفة المأمون إدارة بيمارستان بغداد مدة من الزمن . لقد كان بيمارستان بغداد شيئاً عظيماً بالقياس إلى بيمارستان جنديسابور ، الذي لم يكن إلا نموذجاً غير متكامل ، والذي اقتصر في إدارته وعوّاده على فئة من المشرفين عليه والآوين إليه . أما بيمارستان مدينة السلام ، الذي تأسس في مطلع القرن التاسع الميلادي ، والذي قام بتنفيذ عربي ، وتخطيط إغريقي – سرياني ، وترويج فارسي – هندي[٢٠] ، فهو يعدّ بحق أول مصحّ من نوعه يماثل المشافي ودور الشفاء

(١٨) إبن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج٢ : ٨٣ ، وشيخو ، **علماء** ، ١٩٨٣ ، ص٣٩ ، ولوكلير ، **تاريخ** ، ١ : ١٨٢ ، وابن خلكان ، **وفيات** ، ج١ : ١٧٣ – ٤ .

(١٩) القفطي ، **تاريخ** ، ص٣٨٠ – ٨ ، وابن أبي أُصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٧٥ – ٨٣ ، وابن صاعد الأندلسي الطليطلي ، **طبقات الأمم** ، ص٣٦ ، وجورج غراف G.Graf ، **تاريخ** ، ج٢ (الفاتيكان – روما ، ١٩٤٦) ، ١١٣ – ٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، ليدن ، الطبعة الثانية ، ج٣ : ٨٩٦ – ٧ .

(٢٠) حمارنة ، « البيمارستانات ، وأصول التعليم الطبي فيها » ، **الفكر العربي** ، السنة الثامنة ، العدد ٤٩ ، كانون الأول (ديسمبر ، ١٩٨٧) ، ١٢١ – ٣٤ ، and **«Vistas» Hamdard Medicus, Vol.32, n03, p.12 – 15.**

العصرية ، لاتصافه بالصفات الأساسية الثلاث ، التي تتصف بها المشافي الحديثة ، وهي :

أولاً : كونه مركز دار شفاء ، يعنى بالمرضى جسمانياً ونفسانياً ، وهدفه الأساسي إعادة المريض إلى صحته وعافيته ، بالوسائل العلمية والمهنية من عناية طبية ومعالجات ورعاية ناجحة .

ثانياً : كونه مركزاً يرحب بزواره من مختلف الفئات الاجتماعية ، بغض النظر عن الجنس أو المذهب أو الطبقة أو العنصر ، ويعاملهم جميعاً معاملة حسنة وعلى قدم المساواة ، فيكلؤهم بالرعاية الطبية الصحيحة دون تمييز ولا إجحاف .

ثالثاً : كونه مركزاً صحياً للتمرين الطبي والتعليم والتعلم ، تتوافر فيه وسائل نشر البحوث الطبية وتشجيعها ، ويقدم العون والرعاية المهنيه للباحثين ، وتعقد فيه المحاضرات والندوات والمناقشات حول تطوير العلوم الطبية وتنشيطها ورفع مستواها ، ودفع الخدمات الصحية قدماً إلى الأمام ، علمياً وأخلاقياً وتقنياً وإدارياً ، وفي مختلف الحقول[٢١] .

وقد أفاد الطبيب والمحدّث أبو الحسن يوسف بن إبراهيم بن الداية عام ٢١٥هـ/٨٣٠م، أن هارون الرشيد (تولى الخلافة من ٧٨٦ – ٨٠٩) هو الذي أمر بإنشاء هذا البيمارستان . قال ابن الداية : « أمرني الرشيد باتخاذ بيمارستان ، فأحضرت دَهَشْتَكَ من بيمارستان جنديسابور لتقليده زمامه ، فامتنع عن ذلك » . فاستلمه آخرون . ثم إن ابن ماسويه ولي هذا البيمارستان أيضاً في عهد المأمون ، كما أسلفنا ، وبتشجيع من جبريل بن

---

(٢١) القفطي ، **تاريخ** ، ص٣٨٣ – ٤ ، وأصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٧١ – ٢ ، وحمارنة ، « تاريخ مهنة التمريض » ، العدد ٥٥ ، السنة الرابعة ، ١٩٨٩ ، ص٦٣ – ٩ .

بختيشوع ، وربما كان لماسويه الأب ضلع في هذا الأمر ، مع أنه فضل ، على ما يبدو ، البقاء في خدمة الوزير ابن الربيع[٢٢] .

ومن الأطباء الذين ناصروا ابن ماسويه سلمويه بن بنان (المتوفى سنة ٨٤٠م) ، الذي عمل طبيباً للمأمون ثم للمعتصم ، الذي كان الأكثر رعاية له . وكان سلمويه والعبادي يقدران كلاهما علم ابن ماسويه الغزير وخبرته واطلاعه الواسع على مآثر قدماء الإغريق وتزوده من مهاراتهم ومعارفهم وأساليب معالجاتهم . فقد أفاد منهم ، على سبيل المثال ، أن المريض المصاب بحمى وارتفاع في الحرارة الغريزية تجب معالجته بالأدوية والأغذية الباردة ، وبالعكس يعالج برود أطراف المريض بالمعالجات الحارة[٢٣] .

وفي العام ٢٢٣هـ/٨٣٨م أحرز جيش المعتصم انتصاراً حاسماً على جيوش البيزنطيين في بلاد الأناضول في آسيا الصغرى ، واحتل عمورية وأنقرة والمدن المجاورة . وقد نقل معظم المخطوطات اليونانية الموجودة في مكتباتها إلى العاصمة العباسية بغداد ، وأودعت في بيت الحكمة ، ليستفيد منها العلماء والأطباء ، ولكي تترجم إغناء للعلم والمعرفة . وقد عين ابن ماسويه أميناً على ترجمتها[٢٤] .

---

(٢٢) المرجع أعلاه ، رقم ٢١ ، وحمارنة ، « البيمارستانات » ، **مجلة الفكر العربي** ، ١٩٨٧ ، ص١٢٥ ، « والتثقيف الطبي » ، **الموسم الثقافي لعام ١٩٨٦** ، جامعة اليرموك ، اربد ، ١٩٨٨ ، ص٦٨ – ٦٩ .

(٢٣) القفطي ، **تاريخ** ، ٢٠٧ – ٨ ، ٣٨٣ – ٥ ، وشيخو ، **علماء** ، ١٧٠ – ٢ ، والراغب الاصفهاني ، **محاضرات الأدباء ومحاورة الشُّعراء** ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ ج١ : ٢٦٣ .

(٢٤) ابن جُلْجل ، **طبقات** ، ص٦٥ – ٦ ، أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٦٧ – ٧٥ .

وقد جرى المعتصم على نهج أسلافه الرشيد والأمين والمأمون ، فجعل قصره ندوة يجتمع فيها الفقهاء والأطباء وأهل العلم ، فيتداولون في سبل الحكمة والسعي إلى الحقيقة ، ويتناقشون في شؤون الدين والعلم والأدب . وكان ابن ماسويه ذكياً ذا فكاهة ودعابة ،سواء في الجد أو في الهزل . وذات مرة كان يتحدث في مجلس العلماء في قصر الخليفة في شؤون الطب ، فأعلن أنه لا يجد مانعاً يمنعه من القيام « بتشريح جسم ابنه » ، الذي كان في طبعه ، خلافاً لأبيه ، بلادة وتخلف عقلي ، وذلك على نحو ما كان يفعل الطبيب الفيلسوف جالينوس (١٣٠ - ٢٠١م) ، الذي « كان يشرّح الناس والقرود » ، وليعرف بتشريحه أسباب بلادته ، فيريح الناس من سماجته ، ويكسب أهل صناعة الطب مما يتم اكتشافه « من تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوردته وأعصابه علماً ، ولكن السلطان يمنع ذلك » .

ومما يروى من نوادره « أن رجلاً شكا إليه علّة كان شفاءه منها الفصد ، فأشار عليه به » ، فقال الرجل : « لم أعتد الفصد . فقال له يوحنا ولا أحسب أحداً اعتاده في بطن أمه ، وكذلك لم تعتد العلّة قبل أن تعتلّ ، وقد حدثت بك ، فاختر ما شئت »[٢٥] .

وقد ازداد نجم ابن ماسويه سطوعاً ولمعاناً في الأعوام الخمسة من حكم الخليفة الواثق (٨٤٢ - ٨٤٧م) ، الذي كان « مشغوفاً ضنيناً به » ، يغدق عليه المال ويرفع من شأنه ومكانته . وكان مجلس ابن ماسويه أعمر المجالس في العاصمة العباسية في زمانه ، سواء أكانت مجالس للأطباء ، أم لعلماء الكلام ، أم للفلاسفة . كان يجتمع في مجلسه أكثر أهل العلم فضلاً ورفعة . وكان خفيف الظل كثير الدعابة والطرافة ، وقد أقبلت الدنيا

(٢٥) القفطي ، **تاريخ** ، ص ٣٨١ - ٩١ ، وأصيبعة ، **عيون** ، ١٧٥ - ٦ .

عليه حتى صار نديم الخلفاء وسميرهم ، حتى غمرته السعادة ، فنال منها ما لم يبلغه أمله .

« وكان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرة ابن ماسويه . وكان يقف على رؤوسهم ومعه البَراني (الخزفية) بالجوارشنات (أو الجوارشات ، مركبات صيدلانية معاجين علاجية تحوي مواد عطرية تعجن مع العسل أو الشراب لتكون بشكل الحلويات ، وتعرف باللاتينية باسم electuaries) الهاضمة المسخّنة الطابخة المقوّية للحرارة الغريزية في الشتاء ، وفي الصيف الأشربة الباردة منها . وكان معظماً ببغداد ، جليل القدر. وله في الطب أسرار (ونوادر وفصول طبية) خلّدها الناس لنفعها ». وعرف الناس فضله لمهارته وحسن أدائه في التأليف والعلاج ، واعتبروه في مصاف الأطباء القدماء (الإغريق) النابهين ، كأبقراط وجالينوس[٢٦] .

وقد خدم ابن ماسويه في آخر أيامه - وكان قد طعن في السن - الخليفة المتوكل في سامراء ، وتوفي فيها في ٤ جمادى الآخرة سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م ، حسب ما ذكر ابن أبي أصيبعة . ويكون بذلك قد عاصر الرشيد والأمين في أول شبابه ، وتولى رئاسة الطب في قصور الخلفاء الأربعة ، من المأمون حتى المتوكل . ولم يحظ بمثل هذا الشرف أحد من قبل ، علاوة على أفضاله العلمية العظيمة ، مع أن بدايته كانت بسيطة ، ونسبه كان متواضعاً ، ولكنه باجتهاده المتواصل ، وذكائه الخارق ، ودعابته المرحة ، وتآليفه ذات النفع العميم ، خَلُد ذكره ، وتعطرت سيرته ، وطبقت

---

(٢٦) وستنفيلد=F.Wüstefeld ، **تاريخ أطباء العرب** ، غوتنغن ، ١٨٤٠ ، ص٢٣ ، وسارتون G.Sarton ، **مقدمة في تاريخ العلم** ، طبعة دوبرت كريغر ، نيويورك ، ١٩٧٥ ، ج١ : ٥٧٤ .

سمعته الآفاق[٢٧] .

ولا يفوتنا ، استكمالاً للحديث عن سيرة ابن ماسويه وحياته ، أن نلفت النظر إلى التقارير والمخطوطات والوثائق ، التي كتب معظمها باللاتينية وبعضها بلغات غربية أخرى ، والتي تتحدث عمن يسمونه ابن ماسويه الثاني ، أو الأصغر (Mesuë The Younger) وابن ماسويه الثالث (Third Mesuë) من القرن الثاني عشر أو القرن الثالث عشر الميلادي ، في أرجح الظن . أما ماسويه المعروف بالأصغر فهو المارديني (من بلدة ماردين في الأناضول بآسيا الصغرى ، وهي مسقط رأسه) ، فقد عاش في مدينة السلام ، حيث ذاعت شهرته في صناعة الطب . ودخل بعد ذلك في خدمة الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة ، حيث توفي سنة ١٠١٥م . على أننا لا نعرف له أي أثر مخطوط بالعربية ، وكل آثاره ، التي ذكرها علماء الغرب ، هي باللغة اللاتينية ، وربما كان بعضها مترجماً إلى العبرية أيضاً على يد الطبيب الكابوي صموئيل بن يعقوب (Capua, ca. ١٢٧٥) . وبعض هذه المؤلفات يقع تحت العناوين التالية باللاتينية (مع بعض الشرح) :

١) كتاب في الأدوية المسهلة والمقيئة = 1) De medicinis Laxatives

٢) كتاب الكافي في الطب مع المعالجات النافعة = 2) De consolatione medicinarum et correctione operationum earundem

٣) في أسباب الأمراض المألوفة وعلاجها = 3) De egritudinibus

(٢٧) أمين خير الله ، **أفضال العرب في الطب** ، بيروت ، ١٩٤٦ (بالانكليزية) ، ص١٠٣ ـ ٦ ، لوكلير ، **تاريخ** ، ١ : ١٠٥ ـ ١٠ ، وكامبيل D.Campbell ، **تاريخ الطب العربي** ، لندن ، ١٩٢٦ ، ج١ : ٦٠ ـ ١ .

4) Antidotarium sive grabadin medicamenturum compositurum, Known as the (pharmacopoeorum evangelista) ascribed to its translation by Arnold of Villanova completed shortly after 1308 =

٤) كتاب في الأدوية البسيطة والمركبة ، المعروف باسم « الدستور الأساسي في تحضير العقاقير الطبية » ، نسبة إلى ترجمته التي قام بها الطبيب الكيميائي والمنجّم أرنولد الفيلانوفي ، وفيلانوفا بلدة تقع بالقرب من بولونيا بايطاليا ، مع أن هذا الطبيب المنجم مولود بالقرب من بلنسيه بالأندلس ، بعد استيلاء الاسبان عليها .

كما أن له كتابات حول تقطير النباتات الطبية العطرة ، وكتاباً **في التشريح والجراحة** باللغة اللاتينية أيضاً ، وإن كان بعضها قد ترجم إلى العبرية على أيدي فرج بن سالم ويعقوب بن يوسف اللاوي (أو الهاروني) ، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي . غير أن هذه الكتابات كلها لا أثر لها في العربية ، ولا يوجد أي ذكر لها في أي مرجع يشير إلى أنها كتبت بلغة الضاد ، أو أن لها صلة مباشرة بالحضارة العربية الاسلامية الأصيلة ، لذلك نصرف النظر عنها ، لأنها لا تعتمد على أصول صحيحة ومعروفة[٢٨] .

آثار ابن ماسويه :

كل ما كتبه ابن ماسويه ، أو كل ما هو معروف مما كتبه ، يبحث في الطب ، وفي العلوم الصحية المساندة . فنشاطاته العلمية والمهنية كلها كانت مكرّسة لخدمة هذه الصناعة الشريفة . وكان ابن ماسويه من خيار

---

(٢٨) جورج سارتون ، **مقدمة** ، ج١ : ٥٧٤ ، ٧٢٧ ، ج٢ : ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٢ – ٤ ، ٢٣٧ ، ٣٤٣ ، ٥٢٢ ، ٨٥٤ ، ٨٩٣ – ٩ ، وغورلت ، **جراحة** ، ٢ : ٦٦٣ – ٩ ، ونيوبرغر Max Neuburger ، **تاريخ الطب** ، بالألمانية ، ج٢ (١٩١١) ص٢٢٦ – ٧ وشولان Ludwig Choulant ، **تاريخ علم التشريح** ، ليزج ، ١٨٤١ ، ص٣٥٤ – ٨ .

الذين مثّلوها في زمنه أفضل تمثيل ، سواء في قصور الخلفاء ، أو المراكز العلمية المعتبرة ، أو في البيمارستان والكلية ، أو بين العلماء والأطباء ، أو عند عامة الشعب . وإن هذا التخصص في المهارات الطبية ، والالتزام به التزاماً كاملاً ، لأمر يدعو إلى الاعتزاز والفخر . لقد ملأ ابن ماسويه بنشاطه فراغاً ، كان لا بد من ملئه ، في عصر كعصره متفتح للحق والنور ، وهو العصر الذهبي الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية العريقة ، وهي في أوج نهضتها وانطلاقها ، وبزّت فيه الحضارات المعاصرة لها في ذلك الزمان قاطبة . زد على ذلك أن عباقرة علماء العرب والمسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا والبيروني ، على سبيل المثال ، لم يحصروا نشاطهم في حقل واحد كما فعل ابن ماسويه ، بل تعدّوه إلى حقول كثيرة ومتنوعة الجوانب : من طب وفلك ، إلى رياضيات وعلم اجتماع[٢٩] .

وها نحن نعرض باختصار أهم تصانيف ابن ماسويه المحققة ، أو التي لا تزال مخطوطة تنتظر الشرح والتحقيق ، أو المترجمة إلى لغات أخرى .

أ ــ **كتاب في جواهر الطيب المفردة** : حول العقاقير الطبية العطرة (العطرية) الرائحة ، وأسمائها ووصفها والتعريف بمنافعها وفوائدها الدوائية والتجميلية ، والأفاويه والتوابل ومنابتها . ومنها مخطوطات معروفة : مخطوطة في مكتبة برنستون في نيوجرزي بأمريكا ، في مجموعة قاربت تحت رقم

(٢٩) انظر **رسالة التنبيه على سبيل السعادة** ، لأبي نصر محمد الفارابي (المتوفى بدمشق حوالي ٩٥٠م) ، تحقيق سحبان خليفات ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧ ، ص١٩ ــ ٥٠ ، وسارتون ، **مقدمة** ، ج١ : ٦٢٨ ــ ٩ ، وحمارنة ، **تاريخ تراث** ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٤٦ ــ ٥٥ ، **وفهرس المخطوطات في المكتبة البريطانية** ، ١٩٧٥ ، ص٤٠ ــ ٤٢ ، ٩٣ ــ ٩ ، **كتاب الجماهر مع معرفة الجماهر** ، مقدمة بالانكليزية ، همدرد ، ١٩٨٨ ، ص٣ ــ ٩ .

٢/٢١٥٤ ، تمّ نقلها عام ٥٩٠هـ/١١٩٤م ، ومخطوطة بدار الكتب بالقاهرة ، وأخرى في طهران ، ملك رقم ٦/١٥٦٩ ، في ست ورقات ، نقل القرن ١١هـ/القرن ١٧م[٣٠] .

قام بتحقيق هذا الكتاب بول سباط ، تحت عنوان بالفرنسية في مجلة معهد مصر = (Bullet. de L'Institut d' Egypte) ، ج١٩ ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٥ – ٢٧ . وكذلك Martin Levey, «I. Mäsawayh and his treatise on simple aromatic substances», Jour. Hist. of Med. and Allied Sciences, 16 (1961), 394 – 410 .

ب – **كتاب ماء الشعير** : مقالة صغيرة ، توجد مخطوطة منها بالقاهرة ، وأخرى بالجزائر تحت رقم ٢/١٧٤٦ق٧٦ – ١١٣ ، نقل القرن ١٠هـ/١٦م ، قام بول سباط بتحقيقها أيضاً ، وفي المجلة نفسها بالقاهرة ، ج٢١ (١٩٣٩) ، ص١٣ – ٢٤ . ومما يؤكد أصالة هذه المقالة أن الرازي أتى على ذكرها في كتاباته .

وقد سبق للغريق أن كتبوا في هذا الموضوع ، ضمن الكتابات الابقراطية ، كما أن جالينوس نوّه بفائدة هذا العلاج . وأول من أشار إلى هذا الموضوع بدقة واهتمام من الأطباء العرب ، طبيب معاصر لابن ماسويه ، ولكنه أكبر سنّاً منه ، هو أبو الحسن الدمشقي ، وذلك في **رسالته الهارونية** ، التي أنجزها حوالي عام ٨٠٧م في مدينة السلام ، قبل أكثر من ثلاثين عاماً من كتاب ابن ماسويه الموسّع ، والأكثر توضيحاً وشمولاً في

(٣٠) سزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٣ – ٤ ، أولمان Manfred Ullmann ، **الطب في الإسلام** ، ليدن ، بريل ، ١٩٧٠ ، ١١٢ – ٥ .

الوصف والعلاج[٣١] .

ج – **كتاب الأزمنة** : في علاقة الطب بعلم التنجيم ، المعروف منذ زمن البابليين وقدماء المصريين . وقد أشارت إلى ذلك الكتابات الأبقراطية الإغريقية ، في **كتاب الأهوية والمياه والأماكن** ، في ثلاث مقالات حول المياه والمناخ والأمزجة والفصول حسب الأمكنة طبياً وجغرافياً وتاريخياً ، وعلاقة ذلك بانتشار الأمراض ، وأثره في جسم الإنسان . توجد منه مخطوطة في القاهرة ، وبُرْصة في تركيا في مجموعة رقمها ١/٧٢٩ق١ – ١٧ ، نقل القرن ٥هـ/١١م. وقد ذكرها هلموت ريتر (H. Ritter) في **مجلة الشرق** (Oriens) ، ج٣ (١٩٥٠) ، ص١٠٣ ، وفي الاسكندرية بالمكتبة الأهلية ، رقم ٢/٣٣٢٨ في مجموعة متأخرة النقل ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م ، حققها بول سباط في **المجلة المصرية** ، ج١٥ (١٩٣٣) ، ص٢٣٥ – ٥٧ . كما ذكرها الرازي تحت عنوان **تدبير الأزمنة**[٣٢] .

د – **دَغَل العين** : فحص هذا الكتاب الصغير الحجم ، الحاوي على ٤٧ باباً مختصراً ، أ.د. نشأت الحمارنة ، وما يرهوف وآخرون ، فاعتبروه أقدم كتاب تعليمي مستقل في طب العيون جرى تصنيفه بلغة الضاد . أما باليونانية ، فقد نشر ديمو سثينيس فلاليثيس (Demosthenes Philalethes) في زمن دِيُسْقوريديس (Dioscorides) حوالي العام ٦٤م ، كتاباً هاماً في طب العيون ، ولكنه مفقود . لذلك يحق لنا اعتبار كتاب ابن

---

(٣١) « عيسى بن الحكم الدمشقي (المتوفى عام ٨٤١م) ، ورسالته الهارونية » **بلاد الشام** ، ص٥٧٧ ، وذكره ابن أبي اصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ .

(٣٢) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ ، وسزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٤ .

ماسويه أقدم ما هو موجود ومحقق في هذا الموضوع في تاريخ طب العيون ، يليه كتاب **عشر مقالات في العين** لتلميذه أبي زيد حنين بن إسحاق العبادي (٨٠٩ — ٢٧٣) .

ويتميز أسلوب **دَغَل العين** بالأصالة والحيوية ، ومن مزاياه التعريف بأحوال المريض الصحية للتثبت من معالجته . وقد اعتمد المؤلف في اقتباس المصطلحات الطبية على الترجمة من اللغات السريانية واليونانية والفارسية ، وقد أحسن الترجمة ، وكذلك في تشريح العين وأمراضها ومعالجتها . وكان أول من وصف مثلاً مرض السبل المتكوّن من أوعية دموية تظهر على القرنية بسبب الحَثَر (أو الحفر ، أو الرمد الحبيبي ، وباليونانية التراخوم لخشونتها) .

ومن المعتقد أن الكتاب عرف في الغرب ، فقد ترجمه قُسْطَنْطين الأفريقي (المتوفى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٧م ، في مونتي كاسينو بايطاليا) ، وعرّف به بتفصيل أكثر بروفر و مايرهوف (C. prüfer and M. Meyerhof,1916) في **مجلة الإسلام** الألمانية ، ج٦ ، ص٢١٧ —٢٥٦ ، وكذلك باغل (I. Pagel, Die angebliche chirurgie de I.Mesuë, Berlin, Hirschwald,1893) . أما بالعربية فالكتاب نادر الوجود ، ذكره سباط في فهرسته (١ : ١٩ ، رقم ٩٧ بحلب) ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في القاهرة ، طب تيمور رقم ١٠٠ (ق١ — ٩) ، وفي مخطوط **الكنّاش المشجرّ الكبير** (الباب ٢٧) فصل حول أمراض العين ومعالجتها ، وسيأتي شرح ذلك[٣٣] .

(٣٣) نشأت الحمارنة ، **تاريخ أطباء العيون العرب** ، دمشق ، ص٤٤ — ٨ ، و« الكحالة في العصر العربي الأول » ، **مقالات حول العلم** ، تحقيق الحكيم محمد سعيد ، كراتشي ، ١٩٨٧ص ٧٥ — ١٠ .

هـ - **محنة الكحالين** : في تعريف أهمية المهنة ، وامتحان ممارسيها ممن هم أهل لتعاطيها باستحقاق ، وهو كتاب على شكل سؤال وجواب ، لتعريف طلابها بأفضل الأجوبة في وصف الأمراض وتحديد أسلوب العلاج ، مع كل ما في ذلك من تطويل لا مسوّغ له . وقد أتى على ذكر هذا الكتاب الرازي والقُمْري في القرن الرابع هـ/ ١٠م(٣٤) .

و - **النوادر الطبية** أو**الفصول الحكميّة والنوادر الطبية** : وهي أمثال في آداب المهن الصحية وممارستها ، وقواعد ذهبية فلسفية ، وأقوال سائرة مأثورة ، وبديهيات في التدابير الطبية ، في حوالي ١٣١ فصلاً ، مهداة من المؤلف إلى تلميذه سابقاً ، وزميله وصديقه الحميم لاحقاً حنين العبادي . ويخاطبه فيه كابنه الرشيد في مسالك الهدى وحبّ الخير ، وأنه

= **يعتقد كاتب هذا المقال بان يحي بن ماسويه نَشَر كتاب دغل العين ، أولاً ، ثم** بعد ذلك بزمن ليس بقليل ، أكمل كناشه المشجّر والحاوي في الباب ٢٧ شرحاً لأمراض العين وتشريحها ومعالجتها ، بعد أن زاد فكر المؤلف نضجاً ، وتبحر في العلم ، فأخذ يتجه نحو الواقعية في التفسير والدقة في التعبير وصار أجمل أسلوباً وأفضل أداءً . ويرجو الكاتب أن يخصص دراسة أعمق لتقويم هذا الكناش ، ولا سيا القسم المختص بالكحالة فيه .

أما كلمة دغل العين الفصيحة لغوياً فتدل على أن ابن ماسويه يملك ناصية التعبير بلغة الضاد والدغل يدل على ما يدخل صفاء العين ويشوب نقاءها ، فيفسد وضوح الرؤية ، ويضعف قوتها ورونقها ، فيصبح العلاج لازماً لتشفى العين وتسترد صحتها .

(٣٤) توجد من هذا الكتاب الصغير نسخة موجودة في مكتبة نور عثمانية تحت عنوان معرفة العين وطبقاتها وأسمائها ومجاريها وأصول تركيبها ومسائل في عللها وامتحان في كيفيتها وكيفية تركيبها رقم ٣٥٧٦ (٤) ق٢٨/ب - ١٤٩ب ، بخط نسخ ١٣ ½ × ١٨سم ، كتبه علي آسطاي المتصوف عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م . انظر بروكلمن ، ملحق ١ : ٤١٦ ، وسزكين ، ٣ : ٢٣٣ ، والبرت ديتريش ، **الطب عند العرب** ، غوتنغن ، ١٩٦٦ ، ص١٧٠ - ١ . وهناك مخطوطة منه في القاهرة ، وأخرى في بطرسبرج في روسيا ، ولكني لم افحص أية نسخة منها بعد .

متمم الآمال بنيل النجاح وبلوغ المراد ، إذ وجده أهلاً للحكمة ، ومجتهداً في التخصص ، مستعداً لإكمال **كتاب حيلة البرء** للفاضل جالينوس ، ونقله من اليونانية إلى اللسان العربي[٣٥] .

قام بتحقيق هذا الكتاب أولا بول سباط بالقاهرة عام ١٩٣٤ ، ثم بتحقيق مفصّل مع ترجمة ومقدمة فرنسية وفهارس مفيدة (طبع جنيف — وباريس ، ١٩٨٠) . وأول من ترجمه إلى اللاتينية قُسْطَنْطين الافريقي السابق ذكره ، وقد طبعت الترجمة في إيطاليا عام ١٤٧٨م ، وفي بولونيا أيضاً عام ١٤٨٩ . وها نحن نقتبس منه بعض الأفكار الهامة :

١ ــ الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بنصوص الكتب دون عمل الحكيم الماهر خطر .

٢ ــ النفْس المطبوعة تعين الصناعة الطبية والطبيعة المدبرة ، وبالعكس .

٣ ــ الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع ، فان لكل حكيم نزعة عظيمة الخطر .

٤ ــ كما أن أخلاق النفس موروثة عن الآباء والأجداد ، كذلك الأمراض المزمنة موروثة عنهم ، لا سيما في الأعضاء الرئيسة .

٥ ــ إذا عالجْتَ فيما يقرُب من الاعتدال ، وتطييب رائحته ، وإذا أمكن أن

(٣٥) أهدى المؤلِّف ابن ماسويه هذا الكتاب لابنه حنين ومنه نسخ مخطوطة في : الاسكوريال والقاهرة (في مجموع في ٣٢ صفحة نقل ٩٩٣هـ) ، وبمكتبة رشيد في اسطنبول رقم ٣٧٧ (٢) ق٢٥ ــ ٣٤ ، نقل ١١١٩هـ ، وليدن تحت رقم شرقي ١٢٨ (٢) ١٤١ ــ ٦ ، بتاريخ ٧٢٤هـ ، وغوتنغن رقم ٩٩ق ١٧٠ ــ ١٧٦ ، وفي الرباط رقم ٤٠٤ د(٣) ق٣١ ــ ٦٤ وتاريخ النقل ٨٦٣هـ ، نقل الطبيب ناصر الدين محمد بن خضر ، وبمكتبة مدريد الوطنية ، رقم ٥٢٤٠ في ٩ق ، وبمكتبة الأزهر بالقاهرة في مجموع ١١٨٤ ، ق٦٧ ــ ٧٥ وتاريخ النقل ٧٤١هـ/١٣٤٠م .

يُغتذى به ، فذلك الغاية .

٦ – النفْس تابعة لمزاج البدن ، فمتى عَرَضَت علة ، لاسيا في الأعضاء الرئيسة ، لا تَدَع معالجة النفس بما يُشَمّ ويُنْظَر إليه ويُفرح به ويطيب سماعه ، فذلك باب عظيم في العلاج .

٧ – معالجة الضد بالضد يجب أن تكون على سبيل المنافرة ، لا على سبيل الامتزاج .

٨ – ينبغي للطبيب أن يوهِم المريض الصحة أبداً ويرجيه فيها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .

٩ – الأطباء الأميون والمقلّدون والأحداث ، ومن قلت عنايتهم وكَثُرت شهواتهم قَتّالون جداً .

١٠ – ينبغي للطبيب ألا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علّته ، من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضي بالأفضل .

١١ – إذا أسرع الطبيب بالمجاوبة في كل مسألة ، فَلْيُتهم .

١٢ – ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في حال صحته ، ومواضع آماله ، ثم يصورونها له ، ويرجونه فيها ، وينشطونه إليها .

١٣ – ينبغي للطبيب أن يتشبّه في علاجه بفعل الطبيعة ، وإن طال العلاج وعَسُر وبعد ، ولا يعالج بما يظهر منه نفع على غير تدبير الطبيعة ، لأنه خدعة كالكيمياء (تحويل المعادن الرخيصة إلى الفضة والذهب بواسطة الأكسير) .

١٤ – ينبغي للمريض أن يقتصر على طبيب واحد ممن يوثق بهم من الأطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً . ومن ساءل في مرضه كثيراً من الأطباء أوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم .

١٥ – مما ينبغي للأطباء ، إن أرادوا قرب الحقيقة ، أن يركبوا لكل علّة دواء

مستنبطاً على قدر حدسهم ومنتهى حذقهم .

١٦ – ليس شيء في الطب يسير المؤونة : فأسهل مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أصعبَ مرضٍ وأغمضَه ، وأغمض مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أسهل مرض وأهونه في العلاج .

١٧ – الأمراض المزمنة والضعف في الأعضاء موروثة من الآباء ، لكنها تنقص إذا كان أحد الآباء سالماً صحيحاً .

١٨ – إذا استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية ، فقد وافق السعادة[٣٦] .

ز – **كتاب في إصلاح الأدوية المُسْهلة** ، وتركيبها ، وخاصةِ كل واحد منها ومنفعته ، وفي ترتيب سقي هذه الأدوية بحسب الأزمنة والأمزجة ، وكيف ينبغي أن يُسقى العليل ولمن غيره ، ومتى وكيف يعان إذا احتبس ، وكيف يمنع الإسهال إذا أفرط . وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية تحت عنوان (De medicamentorum Purgantium delectu et castigatione) ، ولكننا لا نعرف لهذا الكتاب نسخة مخطوطة بالعربية[٣٧] .

---

(٣٦) كان الأب بول سباط الأسبق إلى القيام بهذا التحقيق عام ١٩٣٤ . وبعده ، في عام ١٩٨٠ ، قام بهذا التحقيق بالعربية والفرنسية= D. Iacguart and G.Trupeau انظر الصفحات : ٥ – ١٩ ، ١٠٦ – ١٨ ، ١٤٤ –٨ وقد ذكر **النوادر** أيضاً ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ص ١ : ١٨٣ .

(٣٧) ولكن الطبيب أبا بكر الرازي ذكره في كتاب الحاوي الكبير ٥٢ مرة في شرح الأمراض وسبل معالجتها ، كما نشر في ايطاليا (في فلورنسا) عام ١٨٧٦م ، وفي عام ١٨٩٣م ذكره المؤرخ موريتز شتاينشنايدر في طبقاته وتواريخه **Die hebr. übersetz.** في تراجم علماء العصر الوسيط ، رقم ٤٦٥ وص ، ٧١٨ ، وسزكين ، **تاريخ** ، ج٣ : ٢٣٣ .

ح ـ **الكُنّاش المشجَّر الكبير** : يُعَدّ هذا **الكُنّاش** (أو الدستور الطبي التعليمي للأمراض والمتعلق بالمعالجات الدوائية) من أكبر تآليف ابن ماسويه وأجلّها شأناً في بابه ، وهو مُشَجَّر لأنه يحوي جداول أو رسوماً بيانية مصورة تبين أسباب هذه الأمراض ، ودلائلها ، وتشخيصها ، والمعالجات المناسبة ، حسب أمزجة الجسم والأخلاط فيها . ومن هذا **الكُنّاش** توجد ثلاث مخطوطات معروفة :

١ ـ **مخطوطة بانكيبور بالهند** ، في المكتبة العامة الشرقية ، المجلد الرابع (١) رقم ٢١٦٧ في ١١٧ق٢ غير كاملة ، موجودة في خزانة خُدابَخْش ، في مدينة بتنه ـ بيهار ، وهي بخط نسخ معتاد واضح ، ترجع إلى القرن ٩هـ/١٥م ، في الصفحة ٢٢ سطراً ، والمقاس : ½ ١٠سم × ١٥سم[٣٨].

٢ ـ **مخطوطة** تحت عنوان **كُناش علل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها (المشجَّر الكبير)** في مكتبة مولانا محمود البركات بتونك ، بخط نسخ جميل نفيس في ١٥٢ق ، المقاس ١٨ × ٢٤سم ، تمّ نقلها في ٩ جمادى الأولى عام ٥٩٧هـ/١٢٠١م على يد الطبيب أبي المظفّر بن علي بن أبي الفتوح القرشي ، المولود في مدينة حمص السورية ، والذي درس مهنة الطب في دمشق ، حيث واصل ممارسة المهنة بعد تخرجه ، كما عمل طبيباً في البيمارستان النوري الكبير ، وكان فضله في عمله معروفاً ومحموداً حتى وفاته سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م .

---

(٣٨) حصل كاتب هذه المقالة على نسخة من هذه المخطوطة مصورة بخط نَسْخ واضح مع الجداول ، وهو يقدم الشكر للمسؤولين في خزانة خدابخش في بتنه بالهند لإذنهم بفحصها وتقويمها . انظر الوصف في **فهرس المخطوطات المصورة** ، تحقيق إبراهيم شبّوح ، ج٣ (٢) طبع القاهرة ، معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة ، ١٩٥٩ ، ص١٧٣ ـ ٤ .

إن ما قمنا به من شرح وتعليق على هذا **الكُنّاش** يعتمد على نص هاتين المخطوطتين المذكورتين آنفاً لمولانا بركات أحمد وخليفَهُ ابن الصمد محمود البركات ، مصورتين في صورتين شمسيتين على (الميكروفلم) ليدرسهما كاتب هذا التحقيق . ونحن نسجل الشكر الجزيل للمسؤولين عن المكتبتين لما قدموه من مساعدة في الحصول عليهما .

وفي آخر نسخة مولانا بركات فصل نقله الناسّخ عن الأصل يفيد بأن الكتاب قد ألفه ابن ماسويه باللغة السريانية ، واحتفظ به بين كتبه للاستفادة منه ، وربما كان يقوم بمراجعته وإكماله وتدقيقه ، فجاء متكامل المعاني جمّ الفوائد ، حتى لقد أثنى عليه كل من ابن جلجل والقاضي القفطي . وهذا الفصل يوضح أن المتطبب أبو عيسى دانيال بن يوحَنّا وجد هذا **الكُنّاش** بين كتب ابن ماسويه من دون ترجمته إلى العربية ، فلما حانت وفاته أراد أبو عيسى إخراجه لفائدة الطبيب الممارس وطالب الطب معاً ، لما فيه من منافع في علامات الأمراض وأسبابها ومعالجتها ، فأعلم بذلك منصور بن طلحة مولى أمير المؤمنين (الخليفة المتوكل ؟) – وكان أبو عيسى يعمل أيضاً في قصر الخليفة – فطلب إحضاره ، فلما رآه وأعجب به ، وفيه جداول التشجير ، أمر أبا عيسى ابنَ يوحَنّا بترجمته من السريانية إلى العربية لإجادته السريانية إجادة تامة . ولكنه شكا من أن بعض المصطلحات والمشتقات صعبة معقدة لمن ليست له معرفة أصيلة بالعربية ، فطلب مساعدة من القاضي غسان بن محمد من أهل الكوفة ، ومن عبد الله بن مصعب ، فأكمل الترجمة[٣٩] .

---

(٣٩) شبّوح ، **فهرس** ، ج٣ (٢) ، ص١٥٨ – ٩ ، ونتقدم بالشكر للمسؤولين عن مكتبة مولانا للسماح لنا بدراسة هذه المخطوطة على الميكروفلم (صورة شمسية) ، وهي أكمل نسخة لهذا الكناش ، تمّ نقلها بواسطة المُتطبّب أبو المظفر بن علي بن الفتوح القرشي بدمشق عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠ زمن الايوبيين . انظر أيضاً أصيبعة ، **عيون** ، ج٢ : ٢٠١ .

٣ ـ **ومخطوطة** ثالثة **في خزانة رضا رامبور** (١:٤٩٤ رقم ٢٠٤ طب ، تقع في ١٥٦ق ، وتاريخ النقل في ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م)[٤٠] .

وها نحن نشرح هذا **الكُنّاش** بأبوابه كلها ، ونقومه باختصار :

الأبواب الأربعة الأولى : كُنّاش علل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها ، المعروف **بالمشجَّر الكبير** ، يبدأ الكُنّاش بداء الثعلب وأسبابه ، والاستدلال على أنواعه ومعالجتها ، ثم الحزاز ، والفصل بين داء الثعلب وداء الحيّة : في السبب والشكل والمكان في الجسم . فداء الحيّة يكون في جلد الجسد كله ، وداء الثعلب يكون في شعر الرأس والحاجب واللحية ، ثم البثور في جلدة الرأس ، وأنواع الخراجات والقروح وأنواعها وأسمائها ، وتسبب القمل في الرأس وفي البدن ، وعلاج ذلك .

الباب الخامس : في الصداع في الرأس نصفياً (الشقيقة) ، أو كلياً ، وما هو كائن من سوء المزاج ، أو من الورم ، أو من مشاركة من أعضاء أخرى في الجسم ، كالكبد أو المعدة أو الطحال أو الرجلين ، مع الحمى أو بدونها ، أو ما يعرض له من الخارج ، مثل ضربة (أو حرّ) الشمس ، أو شرب الخمور المسكرة ، وتشخيص أنواع الإصابة ، وأوصافها ، والأخلاط المشاركة ، وطرق المعالجات ، بما في ذلك الشقيقة (migraine) أو الصداع النصفي .

الأبواب من السادس حتى الثامن : في النسيان وأسبابه والتشخيص ، والسبات السَّهَري كعلّة مركبة agrypno coma (**فهي سبات مع التيقظ**

---

(٤٠) ظهرت كتابات يحيى بن ماسويه الطبية المتميزه كالنوادر وماء الشعير ، وجواهر الطيب وآخرها **الكناش** قبل نظائرها من كتابات الرازي بأكثر من ٧٥ سنة ، والمجوسي بحوالي ١٤٠ سنة ، وقبل شهرة الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى ١٠٣٧م) بحوالي ١٨٠ سنة . انظر سزكين ، **تاريخ** ، ج٣ : ٢٣١ ـ ٣٦ .

والهذيان) والعلامات والأنواع والعلاج ، بما في ذلك العلاج الغذائي . وفي السدر ، وهو الحيرة وعدم المبالاة والزغلل في البصر ، والدُّوار (وهو شبه الدوران يأخذ بالرأس ، وعند العامة الدوخة=Vertigo) ، والأسباب والعلامات ، ومعالجته في وقت هيجانه وفي وقت سكونه . ومن الجدير بالذكر أن بعض الأمراض الجلدية وعلاج الصداع والسدر والدوار لها مقالات منفصلة في أهم المراجع العربية[٤١] .

الباب التاسع : في الوجع المسمى باليونانية قرانيطس ، وهو ورم حار يحدث في الدماغ نفسه ، أو في أغشيته (وهي الحُجُب التي تحيط بالدماغ) أو الرسام الحار ، وعلامته شدة الوجع في الرأس ، ونتوء العينين ، واحمرار الوجه ، وثقل في الرأس ، وسبات ، وقلق شديد ، وهذيان (أو اختلاط العقل ، أو التهاب السحايا=meningitis) .

الباب العاشر : في الوجع المسمى فلغموني ، أي الورم الحار الكائن في الدماغ ، مع ألم في الرأس بسبب تورم في الدماغ ، ومع الغثيان والقيء واحمرار الوجه وانتفاخه ، ترافقه حمى حادة . يعالج بالفصد ، مع تضميد الرأس بالأشياء المرطبة المحللة ، ويسقى المريض ماء الشعير والعنّاب والخبازي والبقلة اليمانية .

الباب الحادي عشر : في الحُمْرة في الدماغ مع الوجع الشديد في الرأس كله ، والالتهاب وبرد الوجه وصُفْرته ، ويُبْس الفم . ويعالج بالفصد ، ويسقى المريض ماء العنّاب والتمر الهندي والإجاص ، أو يسقى ماء الشعير

(٤١) في المراجع والهوامش ركزنا في البيبليوغرافيا على ما تمّ ذكره من كتب ابن ماسويه في كل من ابن جلجل وابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة وغيرهم من المؤلفين حتى زمننا . ونعتقد أن بعض هذه الكتب المنسوبة إلى ابن ماسويه مستقلة قد تكون قد اشتملت على هذا **الكناش** موزعاً حسب عناوين أبوابه الثمانين .

مع الرمان وماء عنب الثعلب مع الخيار شنبر وأكل البقلة اليمانية والقطف[٤٢] .

الأبواب من الثاني عشر حتى السادس عشر : في كثرة النوم العارض في الحمّيات تعترضها الأحلام الغريبة ، والفزع ، واسترخاء الجبين ، والرطوبة في الرأس ، والسبات ، والماليخوليا أو داء الوسواس ، وفساد الفكر وذهاب العقل بلا حمّى ، والمراقي النافخ واختلال العقل ، وولوع شديد وعبث ، ثم الهذيان وذهاب العقل .

الباب السابع عشر: في الصرع (باليونانية = **scizure = epilepsy**). وفي هذه العلة يلاحظ امتداد جميع الجسد ، مع امتناع الأفعال المدبرة حسياً وحركياً ، إما من الدماغ أو من المعدة أو بعض أعضاء الجسم كالرجلين.. أما مقدماتها : فحزن بغير علة ، وتنبه العقل ، والنسيان ، ورديء الأحلام ، والصداع . ويقترح المؤلف العلاج حسب السن والحالة : ففي حالة الصبي الرضيع ، أو من هو أكبر سناً تكون « راسخة في الدماغ نفسه » ، وتكون في هذه الحالة أصعب مما لو كانت في وعائه . وأكثر ما تَعْرض للأطفال ، وبعدهم للصبيان ، ثم للمراهقين ، وقلّما تعرض للكهول والمشايخ .

وعلامة الصرع : « سقوط العليل ، وامتداد جسده ، وارتعاشه ، وصياحه ، وظهور الزبد من الفم » ، وأعراض أخرى تحدث أيضاً . أما

(٤٢) رجعنا في هذه المصطلحات والمعالجات لعدة مراجع منها : سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، ورمزي مفتاح ، **النباتات الطبية والمفردات العطارية** ، القاهرة ، البابي الحلبي ، ١٩٥٣ ، وابن القف الكركي ، **جامع الغرض** ، تحقيق حمارنة ، ومطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص٥٠٠ ـ ٦٤٠ .

العلاجات ، ولا سيما الغذائية منها ، فيذكرها المؤلف بالتفصيل ، كما يقترح « امتحان من به الصرع وكشفه بهذه الأشياء »(٤٣) .

الأبواب من الثامن عشر حتى الحادي والعشرين : في الرعونة وفساد مؤخر الدماغ=cerebellum؟ أما القُطْرب فنوع من الماليخوليا ووسواس الرأس والهوس وفساد العقل مع شدة العطش . والكابوس ، وهو ما يحصل للانسان في نومه ، فيزعجه ويضايقه . ويرى المؤلف أن هذه العلة مقدمة لثلاث علل : الصرع والمانيا (الجنون) والسكتة بانقطاع الصوت والحركة وثقل في الرأس وانتباه من النوم بغتة ، والمعالجة بالدواء وقلة من الطعام . وأما العشق فيسبب كآبة صماء ، مع ألم نفسي وكثرة في الحركة ، وتكون العيون غائرة جافة ، وتذبل أعضاء الجسم كلها ، ويعي المريض عند ذكر مَن يحبّ أو سماع اسمه ، وعلاجه بإشغال المريض بالصناعات أو بالاستماع إلى الألحان الجميلة ، ومصادقة من يحبّ أو من يشبهه شخصاً وصورة وحسناً(٤٤) .

الأبواب من الثاني والعشرين حتى السادس والعشرين : في السكتة والفالج والاسترخاء في أحد الشقّين أو كليهما ، وفي مقدمة الدماغ أو في مؤخره ، وانقطاع الأفعال المدبّرة والحس والحركة في جميع الأعضاء . أما مقدمات

(٤٣) انظر أيضا : الفرائد الدرية – عربي – انكليزي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٤ ، إبراهم مدكور وإبراهيم انيس ومن معهم ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، مطابع دار المعارف ، ١٩٧٣م ، ومهذب الدين أبو الحسن علي بن هبل البغدادي ، **كتاب المختارات** ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٦٣هـ ، ج٢ (الجزء الثالث) .

(٤٤) ابن هُبَل البغدادي **المختارات** ، الجزء ٣ : ٢٠ – ٥٤ ، والياس انطون الياس ، **القاموس العصري** ، الطبعة الثامنة أو بعد ذلك ، القاهرة .

السكتة : فصداع شديد ، وانتفاخ الأوداج ، ودوار ، واختلاج ، وبرد الأطراف . وأكثر ما تَعْرض للمشايخ .

أما اللقوة فهي – كما يرى ابن ماسويه – استرخاء جانب الوجه ، وميلانه إلى الجانب الآخر الصحيح . وتعالج بربط الجانب المائل بعصابة . ومن الاسترخاء ما هو سهل المعالجة ، ومنه ما لا علاج له . أما التشنّج فيكون إما من الامتلاء وتوالي الرطوبة ، أو من الخلاء وتوالي اليبس . وأما الامتداد فيَعْرض إما في العصب وعضلات العنق أو في العضلات المقدمة والمؤخرة معاً . وينجم إما عن تعب ، أو نوم على الأرض ، أو عن حمل ثقيل ، أو سقطة ، أو من حرق النار ، أو ضربة . وأما علة الارتعاش فتكون من ضعف العصب ، وتعالج بالدواء والغذاء[٤٥] .

الباب السابع والعشرون : في أوجاع العين : كالورم الحار في العين ، وانقلاب الجفن وخشونته ، أو انتفاخه وتورمه ، والجسا ، والحكّة ، والناصور ، والشعر الزائد المنقلب ، وانتشار الأشفار ، وقرحة العين ، ونتوء العنبية ، واجتماع المدة في القرنية ، والظفرة ، وسرطان القرنية ، والقروح ، وضعف البصر ، والعشي (العشا) ، والحَوَل ، وفي طرق المعالجة[٤٦] .

---

(٤٥) البغدادي ، **المختارات** ، **المرجع أعلاه** ، ج٣ : ٦٠ – ٧٩ ، **ودورلاند في القاموس الطبي المصور** (بالانكليزية) ، الطبعة ٢٦ وما بعد ذلك ، مطبعة سوندرز ، فيلادلفيا ، ١٩٨١م .

(٤٦) البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ٨١ – ١٣٩ ، ونشأت الحمارنة ، **تاريخ أطباء العيون العرب** ، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، و« المهذب في الكحل لابن النفيس » ، دمشق ، مطابع ألف باء ، ١٩٨٦ ، ص٣ – ١٢ ، والحمارنة ، « مقدمة حول طب العيون العربي » ، **مجلة التراث العربي** ، دمشق ، العدد ١٧ (١٩٨٤) ، ص١٥٣ – ٨٥ .

الأبواب من الثامن والعشرين حتى الثاني والثلاثين : في أوجاع الأذن وعللها وأنواعها : كالانسداد في الأذن ، والورم في المجرى ، أو تجمع القيح فيه ، أو دخولها (الأذن) شيء من خارج ، أو دمٌ يسيل من الأذن ، أو وسخ ، أو دود يتولد فيها ، وعلاج هذه العلل . ثم في أوجاع الأنف والمنخرين : كأن تنبت في المنخرين زوائد ، أو أن يسيل منهما الدم (الرعاف) ، أو أن تسيل إليهما رطوبة منتشرة من الرأس ، وسبل العلاج يلي ذلك ذكر أوجاع اللسان : كالأورام ، والقروح ، والتشنج ، ومعالجة ذلك . ثم يأتي ذكر البَخَر ووجع الفم والأسنان وفسادها : ويكون من نوع الطعام والشراب ، أو مضغ الأشياء العلكة ، أو كسر أشياء صلبة ، ومعالجة هذه العلل . ثم تورم اللَّهاة (uvula) والحنك واللوزتين والخوانيق ، وما يَعْرض لها ، وعلاجها[٤٧] .

الأبواب من الثالث والثلاثين حتى الثامن والثلاثين : في النوازل ، والزكام ، والسعال وأسبابه وأنواعه ومعالجته ، وفي وجع التهاب ذات الرئة ، الذي يعرض فيها عقب النوازل ، أو الخوانيق الشديدة والبَرْسام ، ونفث الدم من الصدر والرئة ، أو من الحنك والحنجرة ، أو من المعدة والبطن ، أو من الرأس ، وعلاجه . وفي التقريح أو التقيح من الحجاب الحاجز ، أو من الصدر والرئة . وفي الخراجات (abscesses) الكثيرة ، سواء أكانت حادة ، أم سنْخية ، وسواء أكانت باردة ، أم حارة ، أم قيحية (pyemic؟) . أما التهاب ذات الجنب ، أو البَرْسام (pleurisy) ، فيقول ابن ماسويه فيه : « إنه يعرض في الحجاب الحاجز ، أو الغشاء المحيط بالرئة (أو ذات

(٤٧) البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ١٤٢ – ٨٩ ، وأ.ل.كليرفيل وترجمة مرشد خاطر ومن معه وتحقيق حسني سبح ، معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات ، دمشق ، ١٩٨٣ (١٤٠٤هـ) .

الجنب) » ، ومنه ذات الجنب الخالصة الحادة ، وغير الخالصة الحجابية ، وفي العضلات الحجابية = diaphragmatie[٤٨] .

الأبواب من التاسع والثلاثين حتى الحادي والأربعين : في أوجاع القلب : الغشي ، وسقوط القوة ، والخفقان . ثم أوجاع الثدي . أما تغير روائح العرق ، والصَنّان في الإبطين وجميع الجسد ، والعقاقير والأطلية المزيلة للرائحة ، وأهم الأدوية الناجعة (deodorants) ، فالكلام فيها في هذه الأبواب مختصر .

الباب الثاني والأربعون : في أوجاع المعدة ، كالعطش ، والاحتراق ، والقيء ، والفُواق (الهَقّة أو الزُغُطّة عند العامة=hiccup) ، والتهوّع ، والشهوة الكلبية=bulimia (البقرية) ، أو الشعور بالجوع شعوراً زائداً غير طبيعي ، أو ضد ذلك بذهاب هذه الشهوة ، وفي الأورام والقروح الحادثة فيها وأعراضها : كالذبول ، والغشي ، والنفخة ، والتشنج . ويرى ابن ماسويه أن وجع المعدة يمكن أن يسبب الهيضة (الكوليرا) ، كحركة مفرطة في البطن يسببها التخم ، وكثرة الرياح فيه ، والتمدد في الشراسيف[٤٩] .

الأبواب من الثالث والأربعين حتى الثامن والأربعين : في أوجاع الكبد : كضعف القوة ، والسُّدَد ، وسوء المزاج ، والورم الفلغموني الحار أو الصلب ، وأنواع هذه الأوجاع ، وعلاماتها ، وأعراضها العامة . ثم في

---

(٤٨) ابن هُبَل البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ١٩٢ – ٢١٦ ، والموسوعة الطبية=**The Mosby** تحقيق و.د.غلانز ومن معه ، المطبعة الاميركية الجديدة ، نيويورك ، ١٩٨٥ .

(٤٩) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٢٥١ – ٨٧ ، **وكتاب المعدة وأمراضها ومداواتها** ، لأبي جعفر أحمد ابن الجزّار القيرواني ، تحقيق سلمان قطاية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ص ١٣ – ٢٠ ، ٧٣ – ٢٥٧ .

اليرقان ، محموداً كان أم رديئاً ، وعلاجه . وفي مرض الاستسقاء ، وتعريف مصطلحه العربي (الطوبل) ، ومنه الطَبَلي ، والزقي ، واللحمي ، وهذا يمكن أن يعالج بمداخلة جراحية ، في رأي ابن ماسويه ، بقطع عرق الباسليق الأكحل ، ثم بالمعالجة الدوائية والغذائية بمنتهى الدقة وحسن التدبير . ثم في أوجاع الطحال والعلل العارضة من الأطعمة ، وهي متعددة . وتعالج بالأدوية الملطفة الناجعة . وفي الاختلاف في المنشأ : من المعدة ، أم من الكبد ، أم من الأمعاء ، والاستدلال على كلٍّ منها ، ومعالجته على حدة . ثم حول المغص (colic) وأنواعه : من الريح ، أو الكيموس ، أو خلط المرة الصفراء ، والاستدلال على كلٍّ منها ، وسبل المعالجة[٥٠] .

الأبواب من التاسع والأربعين حتى الحادي والخمسين : في القولنج ، منفرداً كان أم مشتركاً مع الكبد ، أو البطن ، أو الكلى وغيرها من الأعضاء ، وأنواعه ، وطرق معالجة كلٍّ منها . ويذكر أن مرضاً في المعاء (أو الأمعاء) الدقاق ، اسمه بالسريانية معناه « ربِّ ارحم » ، لا يغيّر الدبل ، فيقي صاحبه من علة القولنج ، ومن هنا جاء اسمه .

ويرى ابن ماسويه أن علل الاجسام الطبيعية أربع : الفاعلة كالنجار والبناء ، والعنصرية كالخشب والحجارة ، والآلية كالمنشار والناس ، والتمامية كالباب والبيت . وهذه تتوافق مع تكوين الديدان في الحشا ، وهي : الديدان الطوال في الأمعاء الدقاق ، والعراض في الأمعاء الغلاظ ، والصغار التي تتكاثر في المعاء المستوي (وهو المستقيم) ، وهي الأقل ضرراً ، والسريعة الخروج من البدن كالطوال ، مع الاستدلال على الأعراض ،

(٥٠) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٣٤٧ – ٩٩ ، وج .ميكينز **J.C.Meakins** **ممارسة الطب** (بالانكليزية) ، الطبعة الثالثة ، موسبي ، سنت لويس ، ١٩٤٠ .

وتدابير خروجها ، والشفاء (أو الخلاص) منها[٥١] .

الأبواب من الثاني والخمسين حتى الستين : في أوجاع الكلى ، والأعراض الجامعة للقولنج ، ولمن به حصى الكلى ، أو حصى في المثانة ، واستدلالات ذلك . ثم في الورم الحار أو الدموي في الكلى ، أو نضجه واستحالته إلى القيح ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وغذائياً . وفي تقطير البول وعُسْره واحتباسه ، والأنواع والعلاج . وفي وجع الديابيطس (الداء السكري diabetes mellitus) ، ومعناه باليونانية عبور البول وخروجه (مع العطش الشديد المفرط) . وبهذا يكون يحي بن ماسويه رائداً بين الأطباء العرب ، إذ كرّس فصلاً كاملاً لهذه العلة . ثم باب في سيلان المني ومعالجة ذلك ، والأمراض التناسلية في الذكور ، ومنافع الجماع ومضاره ، وتجنب ذلك . وفي الأوجاع التي تعرض للذكر وفيه ، كالورم ، والقروح ، والخُرّاج الصلب ، والمعالجة[٥٢] .

الأبواب من الحادي والستين حتى الرابع والستين : في الرحم ، من الناحيتين التشريحية والفيزلوجية (الوظائفية) ، وموانع الحبل من قِبَل الذكر أو الأنثى ، وعلامات الحبل وأعراضه : كوجع المراق والظهر ، والغثيان . ثم ما يعرض في الرحم من أمراض : كالورم ، ولا سيما السرطاني منه ، الذي ليس له بَرْء ، ولكن يُعمل في تسكين أوجاعه . ثم في احتباس الحيض أو

---

(٥١) البغدادي ، **المختارات** ، ٩ : ٣٠٩ – ٤١ ، ومارشيا ستانهوب **M.Stanhope** **تدبير طب المجتمع في الممارسة الصحية** ، سنت لويس ، موزبي **Mosby Co.** ، ١٩٨٤ ، ص٢٨٠ – ٤ ، ٩٥٩ ، وميكينتز ، ممارسة الطب ، ١٩٤٠ ، ص٥٩١ – ٦٨٦ .

(٥٢) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٤٠٣ – ٣٩ ، وستاينغاس=F.Steingass قاموس فارسي – انكليزي ، لندن ، ١٩٦٣ ، وعبد اللطيف البغدادي ، **مقالتان** ، تحقيق بول غليونجي ومن معه ، التراث العربي ، ١٩٧٢ ، ص١٢٣ – ٥٧ .

اختناقه ، أوميلانه ، أو انقلابه ، والمعالجات في ذلك . وفي علامات الذكر والأنثى ، وعسر الولادة وعلاجها . وفي احتباس دم الحيض ، أو نزفه ، وسببه ، والمعالجة ، أما الباب الرابع والستون فهو باب في أوجاع المقعدة والبواسير وعلاجها[٥٣] .

الباب الخامس والستون : في النقرس ، ولا سيما الآلام الشديدة في إبهام القدم = Hllex . وفي عرق النسا ، وهو وجع يبتدئ في حقّ الورك وينتشر ، فباقي الكعب والخنصر ممتداً ، وسببه ، والاستدلالات ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وتضميداً[٥٤] .

الأبواب من السادس والستين حتى الثاني والسبعين : في القوباء impetigo ، سواء في أعضاء البدن أو في اللحية (الذقن= mantagra) ، والاستدلالات ، والمعالجة . وفي البرص ، وهو مرض يحدث في الجسم كله قشراً أبيض مع الحكاك الشديد ، ويسمى الوَضْح ، لبياض لونه . ويبدأ العلاج بتأن ، ثم يتدرج بالدَّلْك الشديد ، فإذا احمرّ الجلد سريعاً كان العلاج هيناً ، وإذا احمرّ ببطء كانت العلة عسيرة الشفاء ، وإذا لم يحمرّ البتة كان البرص متقدماً جداً ، ولا يقبل العلاج . أما البَهَق = Vitiligo ، فمنه الأسود ، ومنه الأبيض ، ويعالج جراحياً ، وبالدواء والغذاء . ثم في الحمرة ، والاستدلال عليها بسرعة انتشارها ، أو

---

(٥٣) ابن هُبَل البغدادي ، المختارات ، الجزء ٤ : ٢ – ٧٩ ، **الطفل في الطب العربي** ، **أبحاث** ، جمع واعداد عبد الكريم أبو شويرب ، ج١ ، طرابلس ، جامعة الفاتح ، ١٩٨٢ ص١١١ – ٩ ، ٢٣٩ – ٤٠ ، ٣٢٧ – ٣٨ ، ٤٠٧ – ٢٧ .

(٥٤) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ٨٤ – ١٢٣ ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، « في وجع النقرس » ، مجلّة **فانيسِس** ، فلورنسا ، ايطاليا ، ج٢٠ (١٩٧٨) ، ٣١ – ٤٨ .

انتفاخها ، أو ثباتها من غير انتشار ، والمعالجة . أما الخدر ، الذي يعرض للأصابع ، من برد شديد ، أو شقاق ، وأوجاع الأظفار ، فيكون علاجه بالأطلية والمراهم والأدهان الدوائية المناسبة .

وفي علة الجمار يقول ابن ماسويه : « أما علة الجمار فهي تنفيط ، كالذي يعرض من حرق النار ، فإن كانت في اللحم أبيضت سريعاً ، وإن كانت في الحجب والعصب طالت وألمت ما حولها ، وولّدت ورماً حاراً مع تقيح » ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما علة الجذام فأسبابها قد تكون وراثية من الآباء ، أو يكون سببها خلل في سير استمراء الغذاء أو رداءته ، أو انسداد في الطحال ، أو عدم صلاح مكان الايواء لخلوه من الهواء النقي . ومن الجذام نوع يمكن علاجه ، « ونوع رديء ، يولّد قروحاً ، ويُسقط اللحم ، ويسرع بصاحبه إلى التلف » ، ويعالج كلاهما جراحياً ودوائياً . وبمناسبة الكلام في الجذام قيل في المراجع التاريخية عن كُنّاش ابن ماسويه إنه كتاب لم يسبقه أحد إلى مثله[٥٥] .

الأبواب من الثالث والسبعين حتى التاسع والسبعين : « في السَّيْحَج ، الذي يكون من الخفّ واللحم النابت في أصول الأظفار » ، ويعالج بحرق نعل الخفّ ، وبذرّ رماده عليه ، أو بذرّ مسحوق الأقاقيا acacia ، أو الصمغ العربي ، ويعالج اللحم النابت في الظفر بالمطبوخات واللطاخات الدوائية .

(٥٥) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ١٣٣ ــ ٥٢ ، ابن القُفّ الكركي ، **جامع الغرض** ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص٥٣٢ ــ ٥٦٣ ، وابن جلجل ، **طبقات** ، ص٦٦ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٨١ (ويقول هنا عن الجذام أنه كتاب شريف) وذكر أيضاً ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٢ ــ ٣ (لم يسبقه أحد إلى مثله) .

أما المسامير ، التي تخرج في أصابع الرجل ، فتعالج جراحياً ودوائياً ، في حين أن داء الخنازير (scrofula) يعالج بالمراهم والأدوية « آكلة اللحم » . وأما داء الفيل (elephantiasis) ، فمرض يحدث منه غلظ كثيف في القدم والساق ، تتخلله عجر صغيرة ناتئة ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما الباب السادس والسبعون ففي معالجات الحكّة والجرب. وفي وباء الجدري والحصبة ، والأعراض ، وطرق المعالجة ، ويليه الباب السابع والسبعون في الآكلة ، ومعالجتها بالأدوية والأدهان . وفي حرق النار والنّورة (وهي خليط من أملاح وأحجار الكلس والزرنيخ والبورق) ، والمعالجة بالمراهم والأدهان . ثم الباب الثامن والسبعون في عض الكَلْب الكَلِب ، وعلامته أن الكلب المصاب يذهب عقله ، ولا يتصور الماء أو يشربه لأيام ، ويرعد ، ثم إنه يصرع صاحبه بدون معرفة ، ويُبَحّ صوته ، ويكون مفتوح الفم محمرّ العينين ، ويؤذي كثيراً من يعضّه . ثم الباب التاسع والسبعون في لدغ الحيّات والعقارب والزنابير والجرارات ، ومعالجة من أصيب بلدغها(٥٦) .

الباب الثمانون : وهو الباب الأخير في هذا الكُنّاش البالغ الأهمية ، وهو « في الحمّيات وأعراضها وعلاجها ، من عمل دانيال بن يوحنا من كتاب يحيى بن ماسويه ، قال : الحمّى هي حرارة خارجة من الطبيعة ، ترسل من القلب في العروق إلى سائر البدن ، فتضرّ بالأفعال الطبيعية . وهي ثلاثة أجناس : في الروح كالحمّى اليومية، أو في الأعضاء الأصلية الصلبة ، أو

(٥٦) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ١٧٣ – ٦ ، ١٧٩ – ٩٧ ، ٢٠١ – ٤ ، وصَطِن R.L.Sutton **أمراض الجلد** (بالانكليزية) ، الطبعة العاشرة ، سنت لويس ، موزبي ، ١٩٣٩ .

الحمّى الكائنة من الكيموسات المسمى حمّى العَفَن » .

أما الحمّى اليومية فتكون إما في الروح النفسانية أو الحيوانية أو الطبيعية ، وخواصها تُحقَّق بالبول أو نبض العروق وصعود الحرارة وانتشارها . وأما الحمى الكائنة في الأعضاء الصلبة فتؤثر في القلب ، حسب الأخلاط وأنواع الأمزجة . وأما حمى العفن والمطبقة فيستدل عليهما بالأشياء الطبيعية ، أو بالأشياء الخارجة من الطبيعة ، أو الأشياء التي ليست بالطبيعة . ويكون علاج الحميات بالدواء والغذاء بالمركبات المعروفة ، والمبردات كالسكنجبين ومياه الخُضَر والنباتات العطرية والبذور المطبوخة .

ولعل هذا الباب مأخوذ عن مخطوطات أخرى ، نقل عنها مع بعض التنقيح ، وفصل عنها ليكون مستقلاً[٥٧] .

ولابن ماسويه آثار مخطوطة أخرى ، ذات صلة أكيدة **بالكُنّاش المشجر الكبير** ، أو هي متضمنة فيه ، وهي جديرة بالاشارة إليها ، منها : **كتاب** (أو مقالة ، أو باب) **الحمّيات** ، **والجذام** ، **والسموم وعلاجها** ، **والقولنج** ، **والمعدة** ، كتاب معروف **بالرجحان** ، **والماليخوليا** (أو داء الوسواس ، أو الاكتئاب ، أو مرض السوداء) **وأسبابها وعلاماتها وعلاجها** ، **وعلاج الصداع** (وعلله وأوجاعه ، ألفه لعبد الله بن طاهر) ،

---

(٥٧) وفي موضوع الحميات هناك نُسَخٌ مستقلة لا بد من درسها فما كتبه يحيى بن ماسويه في هذا الباب كان عظيم الأثر في الأطباء الذين جاؤوا بعده : من الرازي ، فإسحاق بن سليمان الاسرائيلي ، وكتابه : **الحميات** ، وأحمد الطبري ، وعلي المجوسي والزهراوي وابن سينا وابن بطلان وابن زهر وغيرهم . انظر **المسائل في الطب للمتعلمين** ، لأبي زيد حنين بن إسحاق العِبَادي ، تحقيق محمد أبو ريان ومن معه ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٨ ، ص١ — ١٧ ، ٢٠ —٢٢ ، ٤٠ — ٩ ، ٦٧ — ٩ ، ٨٤ — ٨ ، ٢١٣ — ٦ ، ٢٢٥ — ٩ ، ٢٥٩ — ٦٥ ، ٢٨٠ — ٨ ، ٢٩٢ — ٩ .

والسدر والدوار[٥٨] .

ومن بين أصحاب التراجم في العصر العربي الذهبي ينفرد ابن أبي أصيبعة (المتوفى سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م) بذكر **كتاب الجنين** لابن ماسويه . كما نجد في الأبواب من الحادي والستين حتى الثالث والستين من **الكُنّاش المشجّر الكبير** موضوعات تقترب في مضمونها من موضوع **كتاب الجنين** ، وذلك تحت عنوان : الرحم وأوجاعه وعلاجاته ، وعلامات الذكر والأنثى ، وهل يمكن معرفة فيما إذا كان حَمْل المرأة هو ذكر أم هو أنثى ؟ وشرح عُسْر الولادة ، واحتباس دم الرحم ونزفه ، ومعالجة ذلك .

وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة مخطوطة فريدة (رقم ٢٤٩ ق٢٤٢ ب – ٢٤٦أ ، تاريخ نقلها قرن ٩هـ/١٥م) ، تحت عنوان : **مقالة في الجنين وكونه أو تكوينه في الرحم** ، عرفها الأستاذ فؤاد سزكين ، وحصل على نسخة مصورة منها ، وقامت الدكتورة أورسولافايسر U.Weisser بدراستها ، وتقويمها ، والتعليق عليها بالعربية والانكليزية . وقد عاين هذا المجموع كاتب هذا المقال في زيارته لمكتبة المجمع في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٦٤ ، ونأمل أن يكون بقي محفوظاً وسالماً حتى الآن[٥٩] .

---

(٥٨) انظر **كتاب القولنج** ، لأبي محمد بن زكريا الرازي ، تحقيق صبحي حمامي ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، ١٩٨٣ ، ص٧ – ١٧ ، و**كتاب المعدة** لابن الجزار تحقيق قطاية ، وفيه صفة أقراص الكوكب من **كتاب النجع** لابن ماسويه ، ص ١٨٧ ، **وفي الماليخوليا** ، لاسحاق بن عمران تحقيق سليم عَمّار ، **الطب الإسلامي** ، ١٩٨١ ، ص١٧١ – ٩ ، وعن عبد الله بن طاهر بن الحسين (المتوفى عام ٢٣٠ هـ/٨٤٤م) ابن خلكان ، **وفيات** ، ج١ : ٤٢١ –٢ ، وج٣ : ٨٣ – ٩ ، فكتاب علاج الصداع يكون قد تمّ قبل ذلك بسنين زمن المعتصم .

(٥٩) .أ.فايسر ، « علم الأجنّة لدى يوحنا بن ماسويه » ، **مجلة تاريخ العلوم العربية** ، جامعة حلب ، ج٤ (١٩٨١) ، ص٩ – ٢٢ بالانكليزية ، ٩٤ – ١٠٠ بالعربية .

وليحيي بن ماسويه آثار مخطوطة أخرى ذكرها مؤرخو هذه الحقبة في أكثر من مرجع ، وهي : **البرهان** ، وهي كتاب في ثلاثين باباً ، **والكمال والتمام** ، **والبصيرة والفصد والحجامة** ، **والأغذية والأشربة** ، أو **إصلاح الأغذية ودفع مضارها** ، **والحمّام** (دخوله) **ومنافعه ومضاره** ، **والسواك والسنونات** ، **والتشريح** ، ألفه للمأمون ، أو**تركيب خلق الإنسان** وأجزائه وعدد أعضائه وأسباب الأوجاع[٦٠] .

وهناك كتب ورسائل منسوبة ليحيي بن ماسويه ، ولكننا غير واثقين بصحة هذه النسبة ، لعدم وجود ما يؤكدها ، ومنها **كتاب في غير ما شيء مما عجز عنه غيره** ، **والمنجّح** أو النجْح (في التداوي ، في وصف الأمراض والشكاوي . ذكره الرازي في الحاوي ، والبيروني في **كتاب**

---

(٦٠) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزّار في كتابه : **المعدة وأمراضها ومداواتها** ، تحقيق قطاية ويذكر يحيي بن ماسويه في عدة أماكن (ص٨٦ اقتباس من **كتاب التمام والكمال** ، ص ،٩٩) ان اشتراك الدماغ مع فم المعدة (الفؤاد) يعرض منه ابليسيميا ، وكذلك (ص١٠٠) عن الشهوة الكلبية واعتلال آلة الشهوة في فم المعدة وألمها وأيضاً (ص١١٤) صفة أقراص ألّفها ابن ماسويه لسوء مزاج المعدة المسبّب بالحرارة ، (وص١١٦) صفة شراب ألّفه ابن ماسويه ينفع في قمع الصفراء المتولدة في المعدة وسمّاه مطفئ الوهج . ويقول فيه ابن الجزار : « وقد اختبرناه فحمدناه » ، (ص١٢٢) ، وصفة جوارشن ألفه ابن ماسويه للرشيد (وربما المقصود المأمون) نافعا في فساد المعدة وبردها من البلغم ، (وص١٥٦ – ٧) صفة شراب ألّفه ابن ماسويه في إيقاظ شهوة الطعام عند انقطاعها أو ضعفها نافعاً من الحرّ المستحكم والوهج والغثي وهو مجرب ونافع ، (ص١٧١) صفة نقوع ألّفه ابن ماسويه ينفع من شدة العطش والحرارة ويبس الحلق والفم وهو مجرب ونافع ، وأخيراً (ص١٨٦) صفة حب ألّفها ابن ماسويه يستعمل على الريق نافع من النفخة في المعدة والريح المستحكمة فيها . هذه الاقتباسات إما ان تكون من كتابه **في المعدة** المسمّى **بالرجحان** ، أو في **الكُنّاش المشجر الكبير** ، أو من كليهما .

الصيدنة) . ومنه نسخة مخطوطة في القاهرة رقم ١٦ طب ، ومجسّة العروق[٦١] .

إن آثار يحيى بن ماسويه المخطوطة المعروفة والمحققة ، والمتوافرة بالعربية أو في ترجماتها إلى اللاتينية ، بوجه الخصوص ، تسمح لنا بأن نقول إنه قد ملأ فارغاً كبيراً في مجال تطوير المهن الصحية في عصره ، وهو عصر حاسم وخلاق ، بعث في العلوم الصحية روحاً مجدّدة ومبدعة ، وأعطى الطب العربي ، بفروعه المختلفة المعروفة آنذاك ، دفعة قوية إلى الأمام[٦٢] .

لقد منح ابن ماسويه بكتاباته حيوية وانطلاقاً لما يمكننا أن نطلق عليه اسم الطب العربي من ناحية ، وأسهم ، من جهة أخرى ، بقسط عظيم في نقل التراث الطبي الغريقي - السرياني ، ولا سيما في الفترة الممتدة من العصور المسيحية ، إلى بزوغ فجر الإسلام ، وحتى نهاية القرن الثاني للهجرة .

أما معاصرو ابن ماسويه المشهورون ، فمنهم : أسرة الدمشقي ، ولا سيما الحفيد أبو الحسن عيسى بن الحكم ، والثلاثة الأوائل من آل

---

(٦١) انظر ابن الجزّار ، **في المعدة** ، تحقيق قطاية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص١٨٧ ، يقتبس هنا صفة أقراص الكوكب ألّفها يحيى بن ماسويه من **كتاب النجح** (أو **المنجح**) يصف بأنها تنفع من وجع المعدة ومن الريح وزيادة البلغم والمغص والجشاء ولشدّ البطن . انظر سزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٣ - ٥ ، بذكر **المرة السوداء أو الماليخوليا** ، مخطوط مشهد بايران ، رقم ٥٢٢٢ ، ومخطوط طهران ، بمجلس شوارى ، رقم ٥٢٨ في ١٤٣ق ، تاريخ النقل ٧١٥هـ/١٣١٥م ، حول **المنجح** لابن ماسويه .

(٦٢) سورينا وترويو **J.Sourina et Tropeau** ، « ابن ماسويه » ، **Clio Medic.** ، ١٩٦٨ ، ج٣ : ١٠٩ - ١٧ ، وميبلي ، **A.Mieli** ، « التشريح عند ابن ماسويه » ، **Archeion** ، ١٩٤٢ ، ج٢٤ : ٤٣٨ - ٤٢ ، **والعلم عند العرب** (في الفرنسية) ، ليدن ، بريل ، ١٩٦٦ ، ص٧١ - ٢ .

بختيشـوع ، وسـرابيون وولداه ، والكندي وصـديقـاه الحميان أبو الحسن علي بن سهل الطبري (المتوفى حوالي ٢٤٦هـ/٨٦١م) ، وأبو زيد حنين العبادي ، وأسرة الطيفوري . هؤلاء هم الرعيل الأول من واضعي أسس العلوم الطبية العربية بفروعها المختلفة . ومن حق ابن ماسويه علينا أن نذكر له فضله في هذا المضمار ، وأن ندرج اسمه في عداد هذا الرعيل الخالد[٦٣] .

---

(٦٣) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٢٠ – ٨٧ ، ولوكلير ، **تاريخ** ، طبعة الربـاط ، ١٩٨٠ ، ج١ : ٩٩ – ١٤٢ ، **وتاريخ تراث** ، جامعـة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ج١ : ١٢١ – ٦٠ .

علم الأصوات عند العرب

الدكتور محمد حسان الطيان

علم الأصوات Phonétique علم جديد قديم : جديد لأنه واحد من فروع علم اللسـانيات Linguistque الذي لا يعدو تأسيسهُ مطلعَ هذا القـرن على يد اللغـوي السـويسـري فردينـان دوسـوسّـور (١٨٥٧–١٩١٣)[١] .

وقديمٌ لأنه واحد من العلوم التي تقوم عليها كل لغة ، فاللغة أصوات تتألف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني شتّى ، أو هي على حد تعبير ابن جني : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[٢] . والصوت كما قال الجاحظ : « هو آلة اللفظ ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف»[٣] .

ولما كان الأمر كذلك فقد عُني أصحاب كلِّ لغة بأصواتها منذ أقدم

---

(١) مدخل إلى الألسنية ٣٠–٣١ ، وعلم الأصوات العام ١٠ ، ويلاحظ أن نسبة التأسيس إلى دوسوسور لا تعني أنه لم يسبق بدراسات مختلفة تنحو هذا النحو ، ولكنه عدَّ الرائد بكتـابه « محاضرات في الألسنيـة العـامة » انظر مقدمة الترجمة العربية لهذا الكتاب ص٣ .

(٢) الخصائص ١/٣٣ .

(٣) البيان والتبين ١/٧٩ .

العصور ، من ذلك ما أُثِر عن قدماء اليونان كأفلاطون وأرسطو من ملاحظات صوتية متناثرة ، وكذا ما ورد عن قدماء الرومان أمثال بريسكيان وترنتيانوس . أما الهنود فكانوا أكثر اتساعاً وأعمق أثراً في آرائهم الصوتية ، وهم أول من نظر إلى الدراسات الصوتية على أنها فرع مستقل من فروع علم اللغة ، واشتهر منهم بانيني بكتابه المسمى Ashtadhyayi[١] .

وجاء العرب المسلمون فخطَوا بهذه الدراسات الصوتية خطوات واسعة ، وضربوا فيها بسهم وافر ، شهد بذلك نَصَفَةُ الدارسين من الغربيين ، غير أولي الهوى والزيغ ، حتى قال قائلهم : « لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان العرب والهنود »[٢] . وقال المستشرق الألماني شادِه عن الأصوات عند سيبويه : « فيستحق ما قد وصل إليه من غايات عِلم الأصوات أن نعتبره[٣] كما أجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب مفخراً من أعظم مفاخر العرب »[٤] .

ومع أن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة ، فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية (نحوها

---

(١) علم اللغة ٨٧ـ٨٨ ، والبحث اللغوي عند العرب ٣٤٢ـ٣٤٣ ، وفي صوتيات العربية ٤٥ . وبانيني نحوي هندي ، لعله الأقدم في العالم ، كما تقدر دائرة المعارف البريطانية ، إذ يعود إلى القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد . انظر (في الأصوات اللغوية ـ دراسة في أصوات المد العربية) ٦٤ .

(٢) من كلمة للمستشرق الألماني برغشتراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية ، وقريب منها قول فيرث الإنكليزي : « إن علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية » . البحث اللغوي عند العرب ١٠١ .

(٣) كذا ، والصواب : نعده .

(٤) من محاضرة له بعنوان « علم الأصوات عند سيبويه وعندنا » نقلاً عن مقدمة كتاب ما ذكره الكوفيون عن الإدغام ٣٨ .

وصرفها وعروضها وبلاغتها وموسوعاتها الأدبية) والطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد ... ذلك أنه مازج هذه العلوم المختلفة وداخَلَها حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في علم الأصوات أو أثارةٍ منه . قال أبو نصر الفارابي : « وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولاً في الحروف المعجمة عن عددها ومن أين خرج كل واحد منها في آلات التصويت وعن المصوت منها وغير المصوت وعما يتركب منها في اللسان وعما لا يتركّب »[1] .

ويمكن أن نصنّف العلوم التي أسهمت ولو على نحوٍ ما في علم الأصوات ، في زمرٍ ثلاث :

١ ـ علوم العربية : النحو والصرف والبلاغة والعروض ...

٢ ـ علوم الحكمة والفلسفة والطب والموسيقى .

٣ ـ علوم القراءة والتجويد والرسم والضبط .

ـ ١ ـ

أما الزمرة الأولى فتبدأ بظهور أول معجم في العربية ، وهو كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) والذي بُني على أساس صوتي ، وصدِّر بمقدمة صوتية تعد أول دراسة صوتية منظمة وصلت إلينا في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب[2] . ولا غروَ فصاحبها الخليل مفتاح العلوم ومصرفها ، وصاحب العروض ، ذو الباع الطويل بالموسيقى وغير ذلك مما له مساس بعلم الأصوات ، بل إن حمزة الأصفهاني ينسب إليه

---

(١) إحصاء العلوم ٤٧ـ٤٨ نقلاً عن التفكير اللساني في الحضارة العربية ٢٥٤ .

(٢) يراجع في هذا الباب كتاب التفكير الصوتي عند الخليل للدكتور حلمي خليل ، وفصل الأصوات اللغوية من كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي للدكتور مهدي المخزومي ٥٦ـ١٥٨ .

كتاباً مستقلاً في الأصوات اسمه « تراكيب الأصوات »[١] . وكان الخليل أسبق من ذاق الحروف ليتعرف مخارجها : « وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو : أَبْ ، أَتْ ، أَحْ ، أَعْ ، أَغْ ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم »[٢] .

وتلاه كتاب سيبويه – حاوي علم الخليل – الذي تضمن دراسات صوتية أوفت على الغاية دقةً وأهميةً ، وتنوعت بتنوع مادتها ؛ فكان منها ما يتعلق باللهجات والمقايسة بينها والاستدلال لها[٣] ، ومنها ما يعرض للقراءات[٤] ، ومنها ما يتحدث عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز من تحقيق وتسهيل وهمزة بين بين[٥] ، والإمالة والفتح وما يتعلق بهما من أحكام[٦] .. والإعلال والإبدال والتعليل الصوتي لهما[٧] ... إلى غير ذلك من مباحث صوتية مبثوثة في طيّات الكتاب بأجزائه الأربعة . ويستأثر الجزء

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ١٢٠ ، ولم أقع على ذكرٍ لهذا الكتاب فيما رجعت إليه من تراجم الخليل ، على أن كتب التراجم تذكر له كتباً أخرى تنحو هذا النحو ككتاب النغم وكتاب الإيقاع . انظر معجم الأدباء ٧٤/١١ ، ووفيات الأعيان ٢٤٦/٢ ، والبغية ٥٦٠/١ .

(٢) العين ٤٧/١ .

(٣) انظر على سبيل المثال الكتاب ٥٧/١–٦٦ ، ٧١–٧٢ (٢٨/١–٣٣ ، ٣٦–٣٧ ط. بولاق) و٥٣٠/٣ (١٥٨/٢–١٥٩) .

(٤) انظر على سبيل المثال الكتاب ٥٨/١ ، ٥٩ ، ٧١ (٢٨/١ ، ٢٩ ، ٣٦) و٩١/٢ ، ١٠٨ (٢٦٢/١ ، ٢٧٠) .

(٥) الكتاب ٥٤١/٣–٥٥٦ (١٦٣/٢–١٧١) .

(٦) الكتاب ١١٧/٤–١٣٥ (٢٥٩/٢–٢٦٧) .

(٧) الكتاب ٣٣٤/٤–٤٣١ (٣٥٦/٢–٤٠٤) .

الرابع بأجلّ هذه المباحث وهو باب الإدغام[1] الذي استهله سيبويه بذكر عدد الحروف العربيـة ، ومخارجهـا ، ومهمـوسـهـا ومجهورها ، وأصـولها وفروعها ، وما إلى ذلك مما يدخل في تكوين النظام الصوتي العربي ليغدو أسـاسـاً ومرجعاً لكـل من صنف في هذا البـاب من النحـاة واللغويين والقراء[2] .

ثم تتابعت كتب النحو واللغة بعد سيبويه تنحو نحوه وتقفو أثره في تخصيص حيّز للدراسـات الصوتية مرددةً تعبيراته ومصطلحاته في كل ما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها[3] — وهو الباب الذي يعنينا هنا — وكان على رأسها ، مما وصلنا ، المقتضب[4] للمبرد (٢٨٥هـ) والأصول في النحو لابن السراج (٣١٦هـ) ورسـالة الاشتقاق[5] له أيضاً ، والجمهرة[6] لابن

(١) الكتاب ٤/٤٣١–٤٨٥ (٢/٤٠٤–٤٣٠) .

(٢) تناول كثير من اللسـانيين المعاصرين مباحث الصوت في الكتاب بالدراسة والتتبع ، أذكر منهم الأستاذ شاده في بحثه علم الأصوات عند سيبويه وعندنا . والدكتور إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية ١١١– ١٣٥ . والدكتور أحمد مختار عمر في البحث اللغوي عند العرب ٩١–١٠٩ . والدكتور تمام حسـان في اللغة العربية معناها ومبناها ٥٠–٦٣ . والدكتور حسـام النعيمي في الدراسـات اللهجيـة والصوتية عند ابن جني ٥٧–٥٩ . والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في أطروحته : **Linguistique Arabe et Linguistiqe general** . ود. شـاهـين في أثر القراءات في الأصوات ١٨٢–٢١٩ ، والطيب بكوش في مقاله « النظريات الصوتية في كتاب سيبويه » حوليات الجامعة التونسية (١١) ١٩٧٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٠٥ ، والبحث اللغوي عند العرب ١٠٦ ، وأثر القراءات في الأصوات ١٩٨ .

(٤) المقتضب ١/١٩٢–١٩٦ . (باب مخارج الحروف) وهو المقصود من كل الإحالات التالية .

(٥) الأصول في النحو ٣/٣٩٩–٤٠٤ . ورسالة الاشتقاق ٣٤–٣٨ .

(٦) جمهرة اللغة ١/٦–٩ .

دريد (٣٢١هـ) والجمل[١] للزجاجي (٣٤٠هـ) والتهذيب[٢] للأزهري (٣٧٠هـ) . ومما يدخل في هذا الباب شروح سيبويه المختلفة وفي مقدمتها شرح السيرافي[٣][1] (٣٦٨هـ) والرمّاني[٤] (٣٨٤هـ) والأعلم الشنتمري[٥] (٤٧٦هـ) وشرح أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) المسمى « تعليقة على كتاب سيبويه »[٦][2] ، وغيرها من شروح الكتاب ، ولعل ما لم يصلنا منها أغزر

(١) الجمل في النحو ٤٠٩–٤١٣ .

(٢) تهذيب اللغة ١/٤٨–٥١ .

(٣) لم يطبع من شرحه سوى جزء جاء ضمن كتاب السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه للدكتور عبد المنعم فائز . على أن في آخر الشرح رسالتين في الإدغام نشرتا مؤخراً الأولى بعنوان ما ذكره الكوفيون من الإدغام تحقيق د. صبيح التميمي ، والثانية بعنوان إدغام القراء تحقيق د. محمد علي الرديني . وفي كلتيهما مادة صوتية صالحة . كما نشر د. رمضان عبد التواب مؤخراً جزءاً من شرح السيرافي خاصًّا بالضرورة الشعرية ، لكن عنوانه لا يؤذن بكونه قطعة من شرح الكتاب لأنه اقتصر على : « ضرورة الشعر » لأبي سعيد السيرافي . دار النهضة ، بيروت ١٩٨٥ .

(1) ضرورة الشعر لأبي سعيد السيرافي الذي قام بطبعه الدكتور رمضان عبد التواب هو جزء من شرح السيرافي لكتاب سيبويه .

وقد قام الأستاذ الدكتور عوض القوزي بتحقيق هذا القسم من كتاب سيبويه والتعليق عليه ، وأصدره بعنوان : ما يحتمل الشعر من الضرورة (ط١/١٩٨٩م ، ط٢/١٩٩١م) . وقد طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع)/ش . ف .

(٤) مخطوط شرح الرماني ١٥٨/ب – ١٦٢/أ . وللرماني رسالة عنوانها النكت في إعجاز القرآن ضمَّنَها أحكاماً صوتية في تنافر الحروف وتلاؤمها ٨٧–٨٩ .

(٥) في كتابه النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢/١٢٤٢– ١٢٤٨ .

(٦) منها نسخة خطية في مكتبة شهيد علي باسطنبول وقد عاينتها سنة ١٩٨١ مع الزميل الدكتور يحيى ميرعلم ، وجلبنا صورة عنها لأستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ رحمه الله .

(2) ويقوم الأستاذ الدكتور عوض القوزي بتحقيق كتاب التعليقة لأبي علي الفارسي وقد أصدر جزأين منها (الأول ١٩٩٠م ، والثاني ١٩٩٢م) ، وفقه الله لإتمامها / ش . ف .

مادة صوتية مما وصلنا فهي كثيرة أربت على الخمسين شرحاً[١] .

وتلا ذلك كله كتاب المفصل للزمخشري (٥٣٨هـ) الذي نسج على منوال سيبويه أيضاً فختم كتابه بباب الإدغام مستهلاً بذكر حروف العربية ومخارجها وصفاتها[٢] ، وكان بهذا المادةَ الصوتية التي بنى عليها ابنُ يعيش (٦٤٣هـ) شرحَهُ الغنيَّ بالدراسة الصوتية[٣] . ولا يكاد يدانيه في ذلك إلا الرضيُّ الأَسْتَراباذي (٦٨٦هـ) في شرحه للشافية حيث تداخل علم الصوت بعلم الصرف[٤] .

ولا بد من الإشارة إلى أن ثمة كتباً تحمل اسم الأصوات أو ما يشاكلها لم تصل إلينا ، لكن المصادر حفظت أسماءها ، مثل كتاب الأصوات لقطرب النحوي[٥] (٢٠٦هـ) تلميذ سيبويه ، والأصوات للأخفش[٦] (٢١٥هـ) وليعقوب بن السكِّيت[٧] (٢٤٦هـ) ولابن

---

(١) انظر المغني في تصريف الأفعال ٨ ، وتقديم كتاب سيبويه للأستاذ عبد السلام هارون ٣٥–٤١ .

(٢) جاء الإدغام في المفصل تحت عنوان « ومن أصناف المشترك الإدغام » . انظر المفصل ٣٩٣ – ٤٠٥ .

(٣) شرح المفصل ١٢٣/١٠ – ١٣١ حيث بسط ابن يعيش الكلام على مخارج الحروف وصفاتها ثم تابع الكلام على الإدغام حتى آخر الكتاب ١٣١/١٠– ١٥٥ . وانظر الأصوات اللغوية ١٢٨ – ١٣٥ حيث أثبت د. إبراهيم أنيس نص كلام الزمخشري وابن يعيش في جدول إلى جانب نصوص من الكتاب وسر الصناعة والنشر في مخارج الحروف وصفاتها تسهيلاً للموازنة بينها .

(٤) شرح الشافية ٢٢٠/٣–٢٦٤ ، والكلام هنا على مخارج الحروف وصفاتها ، أما ظواهر الإدغام والإعلال والإبدال والإمالة فلكلٍّ منها في الكتاب بابٌ مستقلٌّ وحديث متطاول .

(٥) الفهرست ٥٨ ، ومعجم الأدباء ٥٣/١٩ .

(٦) الفهرست ٥٨ ، وإنباه الرواة ٤٢/٢ .

(٧) الفهرست ٧٩ .

أبي الدنيا[١] (٢٨١هـ) . وكتاب الصوت والبَحَّة ليحيى بن ماسويه[٢] . ومن ذلك أيضاً كتاب الصوت لجالينوس الذي نقله إلى العربية حنين بن إسحاق[٣] . ولعل من أعجب ما ذكر ابن النديم في هذا الباب كتاب آلة مصوتة تسمع على ستين ميلاً لمورطس[٤] .

على أن أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ، ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابنُ جني (٣٩٢هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب الذي بسط فيه الكلام على حروف العربية : مخارجها ، وصفاتها ، وأحوالها ، وما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف ، والفرق بين الحرف والحركة ، والحروف الفروع المستحسنة والمستقبحة ، ومزج الحروف وتنافرها .. إلى غير ذلك من مباحث بوّأتْهُ المقامَ الأول في هذا الفن ، فعُدَّ بحقٍّ رائدَ الدراسات الصوتية ، وهو يعني ذلك إذ يقول : « وما علمتُ أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ، ولا أشبعه هذا الإشباع ، ومن وجد قولاً قاله ، والله يعين على الصواب بقدرته »[٥] .

ولا تقتصر جهود ابن جني الصوتية على ما في سر الصناعة وإنما

(١) الفهرست ٢٣٧ .

(٢) الفهرست ٣٥٤ .

(٣) الفهرست ٣٤٩ .

(٤) الفهرست ٣٢٩ .

(٥) سر صناعة الإعراب ٦٣/١ . وبعض الباحثين يعدّ ابن جني أول من استعمل مصطلح « علم الأصوات » وذلك بقوله في سرّ الصناعة للدلالة على هذا العلم ١٠/١ : « ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعني علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم » انظر البحث اللغوي عند العرب ٩٩ ولا يبعد هذا وإن لم نستطع القطع به لما تقدم من ذكر كتب الأصوات التي لم تصلنا .

تتعدّاه إلى كتبه الأخرى ، وفي مقدمتها الخصائص الذي تضمن مادة صوتيةً غنيةً جاء بعضها منثوراً في تضاعيف الكتاب[1] ، وأُفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة مثل باب في كمية الحركات ، وباب في مطل الحركات ، وباب في مطل الحروف[2] .... الخ .

ويبدو أن موضوع طول الحركات والأصوات قد استبدّ بابن جني إلى حدٍّ جعله يفرد له رسالةً ، لم تصلنا ، سماها « رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدات » ذكر ياقوت أنّه كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وأنها في ست عشرة ورقة بخطّ ولده عال[3] .

هذا وإن من وراء ما ذكرناه من كتب في علوم العربية كتباً أخرى حوت مادة صالحة في الصوت وماإليه ، نذكر منها : كتابَ الجيم حيث عني أبو عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ) بلغات القبائل ولهجاتها المختلفة[4] ، والبيانَ والتبيين حيث تكلم الجاحظ (٢٥٥ هـ) على اللثغة ، والصوت ونسج الكلمة

(١) من مثل كلامه على حروف الهمس ١/٥٧–٥٩ ، وكلامه على جرس الحرف وأثره في الدلالة ١/٦٥– ٦٦ ، وكلامه على الإشمام وهمزة بين بين والروم ٢/١٤٤– ١٤٥ ... الخ .

(٢) الخصائص ٣/١٢٠– ١٣٣ .

(٣) معجم الأدباء ١٢/١١٣ . هذا وقد كتب الكثيرون عن جهود ابن جني الصوتية مثل هنري فليش : « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني » مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء ٢٣ سنة ١٩٦٨ . والدكتور حسام النعيمي : « الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني » بغداد ١٩٨٠ . والدكتور محمد حسن باكلا : « ابن جني عالم الصوتيات » لندن ١٩٨٢ .

(٤) لا تكاد صفحة منه تخلو من لغات القبائل ولهجاتها الغريبة ، والمؤلف ينسب كلاً منها إلى أصلها بقوله : قال النميريّ .. وقال العبسيّ .. وقال الطائيّ .. الخ ، انظر على سبيل المثال : ١/٦٤–٦٥ . وانظر الدراسات اللهجية ٥٩– ٦٠ .

العربيةوتردّدِ الحروف فيها[١] ، والزينةَ حيث تكلّم أبو حاتم الرازي (٣٢٢هـ) على جرس حروف المدّ[٢] وقابل بين العربية والفارسية من حيث أصواتُ كلٍّ منهما مما يدخل تحت علم اللغة التقابلي[٣] ، وإعجازَ القرآن حيث تكلم الباقلاني (٤٠٣هـ) على صفات الحروف وعلاقتها بفواتح السور[٤] ، وسرَّ الفصاحة حيث عقد الخفاجي (٤٦٦هـ) فصلاً مفرداً للأصوات تكلم فيه على ما هيتها وإدراكها ، وفصلاً مفرداً للحروف تكلم فيه على حدِّها واختلافها ومخارجها وصفاتها ، ثم تناول موضوع تأليف الحروف وتنافرها[٥] ، والتفسيرَ الكبيرَ حيث تكلم الفخر الرازي (٦٠٦هـ) على الأصوات وتولّدِها وأقسامها وعلاقتها بعلم التشريح[٦] . والمباحثَ المشرقية في علم الإلهيات الطبيعيات . له أيضاً حيث تكلم على آلية التصويت كلاماً مُعجِباً يتوافق مع كثير مما جاء به علم الفيزياء الحديث[٧] .

(١) البيان والتبيين ١/١٤ ، ٢٢ ، ٣٤ ــ ٤٠ ، ٦٩ ــ ٧٤ ، ٧٩ . وانظر البحث اللغوي عند العرب ٩٧ ــ ٩٨ ، والمعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢٢ ــ ٢٣ .

(٢) الزينة ١/٦٤ و٢/٢٨ نقلاً عن دراسة في أصوات المد العربية ٨٣ ــ ٨٥ ، وانظر التصور اللغوي عند الإسماعيلية/ دراسة في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ٢٠٢ــ ٢١٧ .

(٣) أو Constrative Linguistique . انظر التصور اللغوي عند الإسماعيلية ٢٠٧ــ ٢٠٨ .

(٤) إعجاز القرآن ٤٤ ــ ٤٦ . وانظر البحث اللغوي عند العرب ٩٥ــ ٩٦ .

(٥) سر الفصاحة ٦ ــ ٢٤ ، ٥٣ ــ ٥٤ ، ٦٠ ــ ٦١ ، ٩١ ــ ٩٤ ، وانظر المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ١٣٢/٢ــ ١٣٥ .

(٦) التفسير الكبير ١/١١ ، ١٥ ، ٢٩ ــ ٣١ ، ٤٧ ــ ٤٨ نقلاً عن دراسة في أصوات المد العربية ١٠٠ ــ ١٠٢ .

(٧) المباحث المشرقية للفخر الرازي ، الباب الرابع (في الكيفيات المسموعة) ١/٤١٩ (بيروت ١٩٩٠) .

ولا نكاد نجد بعد هذا في كتب المتأخرين من النحاة واللغويين ما يمكن أن يتّسم بالأصالة في دراسة أصوات اللغة ، سوى تلك المحاولة التي جاءت في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (٦٢٦هـ) من رسم بدائي لأعضاء النطق[١] .

— ٢ —

وأما الزمرة الثانية — زمرة الفلاسفة والأطباء والحكماء — فيقدُمُها فيلسوفُ العرب الكندي (٢٦٠هـ) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات ، تبدّت في أكثر من مصنّف ، وعلى رأس ذلك رسالته في استخراج المعمى حيث تكلم على تردّد حروف العربية ودورانها في الكلام معتمداً على إحصاء صنعه بنفسه ، وتقسيمِها إلى مصوتة وخرس (صامتة) . وذكر قانوناً لغوياً عاماً يسري على كل اللغات وهو كونُ المصوتات أكثر الحروف تردداً . ونبّه على اشتماله المصوتة على المصوتات العظام ، وهي حروف المد ، والمصوتات الصغار ، وهي الحركات[٢] . Les Voyelles longues Les Voyelles breves ثم بسط الكلام على نسج الكلمة العربية باستفاضة إذ أورد ما يقرب من مئة قانون من قوانين ائتلاف الحروف واختلافها أو تنافرها[٣] .

---

(١) مفتاح العلوم ١٣ ، وانظر المدخل إلى علم اللغة ١٨ .

(٢) أحال الكندي عند تنبيهه هذا على كتاب له سماه « في صناعة الشعر » وهو مظنّة التوسع في هذه القضايا . انظر علم التعمية واستخراج المعمى ١/٢٣٧ ، والفهرست ٣١٧ ، والمعجم العربي دراسة إحصائية ٢/٣٠ .

(٣) انظر بيان ذلك في رسالتي للماجستير « المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢/٢٤ — ٤١ » وقد جمعتُ ثمة جملةً صالحة من النصوص المعنية بنسج الكلمة العربية . وانظر النص الكامل لرسالة الكندي في كتاب علم التعمية واستخراج المعمى ١/٢٠٤— ٢٥٩ .

وللكندي رسالة أخرى ذات مساس بالصوتيات بل بتطبيقٍ دقيق من تطبيقاتها هو ما يدعى اليوم بأمراض النطق **Troubles de la parole** ، وهي رسالة اللثغة[١](3) ، وقد قدّم لها ببيانٍ وافٍ لآلية النطق ، وعلاقتها بالحروف ، وما تحتاجه كل لغة من اللغات السائدة آنذاك من الحروف ، ثم تكلم على أسباب اللثغة وما يعرض للسان من التشنج أو الاسترخاء ، ووصف مخارج حروف العربية وهيئات النطق بها وصفاً تشريحياً فيزيائياً على نحو يختلف عما عهدناه عند سيبويه وخالفيه . ثم حدّد حروف اللثغة ، وسمّى أعراضها وأنواعها وختم الكلام بعللها[٢] .

ومخالفة نهج سيبويه في تتبع مخارج الحروف تفضي بنا إلى ملاحظة هامة تتعلق بطبيعة تناول هؤلاء الحكماء للصوت ، إذ هي تنزع نحو فيزيائية الصوت أو ما أطلق عليه بعض الباحثين اسم علم الصوتيات المَوْجي السمعي[٣] **Acoustique phonetique** ولا غروَ فقد عرض حكماؤنا لمصدر الصوت ، وكيفية انتقاله في الهواء ، والمميزات الخاصة التي يتصف

---

(١) نشـرَتْهـا مجلة مجمع اللغـة العربيـة بدمشق بتحقيقي في المجلد ٦٠ ج٣/ ٥١٥-٥٣٢ سنة ١٩٨٥ .

(3) وكان الأستاذ شلنتاتو قد نشر الرسالة سنة ١٩٧٩م . انظر مجلة المجمع ، مج٦١ ، ج٢ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١/ش . ف .

(٢) للكندي رسائل أخرى مظنة أن تنحو هذا النحو لمّا تجدْ طريقَها إلى النور ، منها رسالته في الأصوات الخمسة ، ورسالته في الإيقاع ، ورسالته في المدخل إلى صناعة الموسيقى . انظر الفهرست ٣١٦- ٣١٧ .

(٣) هو الدكتور يوسف الهليس ، انظر مقاله « علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء » في المجلة العربية للدراسات اللغوية المجلد الثالث العدد الثاني ١٩٨٥ ص١٠١- ١٢٣ . وقد تعقبه د . سعد مصلوح واقترح مصطلح « علم الأصوات الفيزيقي أو الفيزيائي » انظر العدد نفسه ١١٨ - ١٢٠ .

بها ، وكيفيـة وصوله إلى الأذن ، وإدراكه ، والتميز بين الأصوات اللغوية وغير اللغوية ، ووضع المعايير السمعية لتقسيم الأصوات اللغوية ، والنغمة الصوتية ، وشدة الصوت ... الخ[١] .

والفارابي (٣٣٩هـ) المعلم الثاني واحد ممن عُني بهذه الدراسات ، إذ انطوى كتـابه الموسيقى الكبـير على الكثير منهـا : من ذلك كلامه على حدوث الصوت والنغم ، وربطه بين المبدأ الطبيعي لحدوث الصوت وكيفية حدوث الكـلام ، وعنـايته بدرجة الصوت (حدّته وثقله) وإشـارته إلى وجوب استعمـال الآلات للقيام ببعض القياسـات التي يصعب تحديدها بالسمع[٢] .

ومما ينحو هذا النحو رسالة الموسيقى[٣] لإخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) وقد اشتملت على عدة فصول أهمها فصل في كيفية إدراك القوة السـامعة للأصـوات فيـه كلام على الأصوات ، وأنواعها ، ومصدرها ، وماهيتها ، ونغماتها[٤] ..

وجاء ابن سينا (٤٢٨هـ) فجمع هذا كله في رسالته الفذّة أسباب حدوث الحروف ، التي عالج فيها أصوات اللغة على نحو فريد لا نكاد نقع عليه عند أحد من المتقدمين ، وهو يتصل بما يسمى علم الأصوات النطقي phonetique articulatoir فقد جاء حديثه فيها حديثَ العالم الفيزيائي حين أشار إلى كنهِ الصوت وأسبابه ، وحديث الطبيب المشرح حين وصف

(١) علم الصوتيات الموجي والسمعي ١٠١ .

(٢) في مقال د. هليس السالف نصوص هذه المباحث والإحالات عليها انظر فيه الصفحات ١٠٢–١١٥ .

(٣) وهي الرسالة الخامسة من القسم الرياضي من رسائل إخوان الصفا ١/١٨٣–٢٤١ .

(٤) رسائل إخوان الصفا ١/١٨٨– ١٩٤ .

الحنجرة واللســـان ، وحديثَ اللغوي المجود حين عرض لوصف مخارج الحروف وصفاتها ، وحديثَ عالم الأصوات المقارنة حين تصدى لوصف أصوات ليست من العربية ، وحديثَ فقيهِ اللسان وأسرار الطبيعة حين ربط بين أصــوات الطبيعــة وأصــوات الحروف . وتميّز كلامُهُ في ذلك كله بمصطلحاتٍ لا نحسِب أحداً من علماء العربية يَشْرَكُهُ فيها . من أجل هذا سنخص رسالته بفضل بيان وتفصيل[١] .

قسم ابن سينا رسالته إلى ستة فصول :

– أولها في سبب حدوث الصوت[٢] حيث ردَّ ذلك إلى القلع أو القرع اللذين يلزم عنهما تموّجٌ سريعٌ عنيفٌ في الهواء يُحدِث الصوتَ .

– وثانيها في سبب حدوث الحروف[٣] حيث يبيّن أن حال المتموِّج في نفسه من اتصال أجزائه أو تفرقها تفعل الحدة والثقل – وهما يمثلان شدة الصوت[٤] pitch – وأن حاله من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه تفعل الحرف ، ثم يُعرِّف الحرفَ ، ويقسم الحروف إلى مفردة ومركبة موضحاً طبيعة كلٍّ منها .

---

(١) كنت قد حققت هذه الرسالة بروايتيها مع الزميل الدكتور يحيى مير علم ، ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ٥٦– ٥٨ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٥٩– ٦٣ .

(٤) من المعلوم في الصوتيات الفيزيائية اليوم أن الصوت الحاد أعلى تردداً من الصوت الثقيل ، فالتردد الأساسي لصوت المرأة ٣٥٠– ٥٠٠ هرتز (هزة بالثانية) في حين ينحصر التردد الأســاسي للرجل بين ١٠٠– ٢٥٠ هرتز ، ويمكن أن نمثل ما قاله ابن سينا هنا بصوت الطبل ، فكلما كان سطحه أملس وأجزاؤه متماسكة كان صوته حاداً ، وكلما كان سطحه متشظياً متشذباً غير متماسك كان صوته ثقيلاً .

– وثالثها في تشريح الحَنجرة واللسان[١] : حيث تبدَّت عبقريّة ابن سينا الطبيّة ، فشرَّح الحنجرة مبيّناً غضاريفَها الثلاثة (الدَّرَقي ، والطِّرْجِهاري ، وعديم الاسم) وكيفيّةَ تركّبها وارتباطها بعضها ببعض عن طريق المفاصل والعضلات التي عدّدها وحدّدها تحديداً دقيقاً بعد أن قسمها إلى عضلاتٍ مضيقة للحجرة وأخرى موسّعة ، كما أشار إلى ارتباط بعضها بأنواع معيّنة من العظام (كالعظم الشبيه باللام) . ثم شرَّح اللسان مبيناً عضلاتِه الثماني وارتباطاتها المختلفة .

– ورابعها في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حرف العربية[٢] وهو بيت القصيد من الرسالة إذ تناول فيه حروف العربية حرفاً حرفاً مبيّناً سببَ حدوثها وما يعتري كلاً منها من عمليّات عضوية تتبدّى في دفع الهواء ، وحبسه ، وكيفية هذا الحبس ، والوسط الذي يتردّد فيه الهواء المدفوع من رطوبةٍ أو يُبوسة أو ما إلى ذلك .

ولعلَّ من أهم ما في هذا الفصل تفريقَ ابنِ سينا بين الواو والياء الصامتتين ، والواو والياء المصوتتين ، ثم بيانه العلاقة بين المصوّتات الطويلة والمصوّتات القصيرة ومحاولته تحديد زمن حصول كل منها .

– وخامسها في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب[٣] ، حيث عرض لحروف أعجمية (فارسية ويونانية وتركية) تشبه بعض حروف العربية مثل G وV وP والزاء الظائية في مثل (يصدر) . واللام المطبقة في مثل (الصلاة) . وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعضَ هذه

---

(١) أسباب حدوث الحروف ٦٤ – ٧١ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ٧٢ – ٨٥ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٨٦ – ٩٢ .

الحروف موجود في بعض اللهجات العربية والقديمة ، ومن ثمّ فقد اشتملت عليه بعض القراءات القرآنية ، كما جاء في قراءة حمزة والكسائي (حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخٌ كبيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] بإشمام الصاد صوت الزاي[١] وكما جاء في قراءة ورش ﴿ ويقيمونَ الصلاةَ ﴾ [البقرة : ٣] بتفخيم اللام[٢] .

– وسادسها في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية[٣] . وهو فصل طريف يربط فيه ابن سينا بين أصوات اللغة والأصوات الطبيعية الأخرى محاولاً أن يتلمّس وجوه الشبه بينهما ، فالخاء عن حك جسم ليّن حكًّا كالقشر بجسم صلب ، والشين عن نشيش الرطوبات وعن نفوذ الرطوبات في خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوة ، والطاء عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هناك هواء له دوي ، والتاء عن قرع الكف بإصبع قرعاً بقوة .. الخ .

ولا تخلو كتب ابن سينا الأخرى كالقانون والشفاء من إلماعات صوتية تدخل فيما نحن بسبيله[٤] . كما لا يعدم الباحث إسهامات مشابهة في هذا المجال عند خالفي ابن سينا كعبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ) وهو واحد من فلاسفة الإسلام المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطبّ ... ومن رسائله المتصلة بموضوعنا « مقالتان في الحواس » و« النفس

---

(١) انظر التيسير ٩٧ .

(٢) التيسير ٥٨ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٩٣-٩٧ .

(٤) انظر على سبيل المثال كلامه على تشريح الحنجرة واللسان في القانون ١/٦٤-٦٦ ، وكلامه على الصوت وآلته ومادته وباعثها ومؤدّيها في القانون ٣/١١٤٥- ١١٤٩ . وانظر كذلك كلامه على الحدة والثقل في الشفاء ٣/١٠ .

والصوت والكلام » و« اللغات وكيفية تولدها[١] » .

وأما الزمرة الثالثة - زمرة علماء القراءة والتجويد والرسم والضبط - فقد وُسِمَتْ مصنفاتُها بأنها أكثر الكتب احتفاءًا بالمادة الصوتية ؛ وذلك لابتغائها الدقةفي تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي وأغنته[٢] ، على أنها أفادت من علم النحو عامة ومن كتاب سيبويه خاصة ، يقول برغشتراسر : « كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون ، وزادوا في تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم[٣] » .

والحق أن هذه العلوم تمثل الجانب التطبيقي الوظيفي لكل ماسبق ذكره من دراسات صوتية ، وقد ظهرت في مرحلة مبكرة من تاريخ حضارتنا العلمي صدعاً بالأمر الإلهي ﴿ ورتِّلِ القرآنَ ترتيلاً ﴾ ووصولاً إلى الوجه الأمثل لهذه التلاوة ، ووصفاً لأوجه الأداء المختلفة التي تبدّت في القراءات القرآنية وانطوى عليها الرسم العثماني للمصحف . لكنها اقتصرت بادئ الأمر على المشافهة والتلقين دون الكتابة والتدوين ، ثم ظهرت مصنّفات القراءات القرآنية التي عنيت ببيان وجوهِ الأداء المختلفة معزوةً إلى ناقليها : ووجوهُ الأداء هذه تشتمل على الكثير من الظواهر الصوتية ؛ كإدغام المتماثلين والمتقاربين وإظهارهما ، ونبر الهمز وتسهيله وإبداله وحذفه ، وإمالة الألف

---

(١) الأعلام ٤/٦١ وانظر مقال الدكتور الحليس السالف الذكر ص١٠٣ ، وبحث الدكتور عبد الكريم شحادة : « أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي » ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ٦٩٣ - ٧٧٤ .

(٢) الأصوات ووظائفها ٨٨ .

(٣) نقلاً عن كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ص١٤٩ .

والفتحة وفتحهما ... إلى غير ذلك مما يدخل تحت ما يدعى اليوم بعلم وظائف الأصوات Phonologie[١] .

ويعزو المؤرخون أول كتاب في القراءات إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) الذي جعل القرّاء خمسة وعشرين قارئاً[٢] ، أما أول كتاب وصلنا في هذا الفن فهو كتاب السبعة لابن مجاهد (٣٢٤هـ) شيخ الصنعة وأول من سبّع السبعة ، وتواصلت بعده كتب القراءة تترى ، تقفو أثره ، وتنهل من منهله على اختلاف عدد القرّاء في كلٍّ منها[٣] .

أما فنُّ التجويد فأول من صنّف فيه موسى بن عبيد الله بن خاقان (٣٢٥) صاحب القصيدة الخاقانية في التجويد[٤] ، وهي تضم واحداً وخمسين بيتاً في حسن أداء القرآن الكريم[٥] ، وقد شرحها الإمام الداني (٤٤٤هـ) صاحب التصانيف العديدة في القراءات والتجويد ، ولعل من أهمها في هذا الباب رسالته « التحديد في الإتقان والتجويد[٦] » . التي

(١) علم اللغة العام – الأصوات ٢٨– ٢٩ ، وعلم الأصوات العام ٧ ، ١٧٦ .

(٢) النشر ٣٤/١ ، وكشف الظنون ١٣١٧/٢ .

(٣) يراجع فيها النشر ٣٤/١ – ٣٥ ، وكشف الظنون ١٣١٧/٢ – ١٣٢٢ ، وتاريخ التراث العربي ١٧/١–٣٦ .

(٤) كشف الظنون ٣٥٤/١ ، وأبجد العلوم ١٨٨/٢ .

(٥) حققها الدكتور علي حسين البواب مع مقتطفات من شرحها للداني في مجلة المورد العراقية مج ١٤ عدد١ سنة ١٩٨٥ . وانظر في نسخ هذه القصيدة ونسخ شرحها تاريخ الأدب العربي (المترجم) ٥/٤ وتاريخ التراث العربي ٢٩/١–٣٠ .

(٦) كذا ورد اسمها في المصادر ؛ كشف الظنون ٣٥٥/١ ، وغاية النهاية ٥٠٣/١ ، وغيرهما ، على أني أحتفظ بمصورة عنها أثبت عليها عنوان مغاير نصه : « كتاب تجويد التلاوة وتحقيق القراءة » وأصل هذه المصورة تحتفظ به مكتبة جار الله باصطنبول تحت رقم ٢٣ . هذا وقد أعلمني أستاذنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنها نشرت مؤخراً .

ضمّنها باباً في ذكر مخارج الحروف وآخر في أصنافها وصفاتها ، ثم أتى على ذكر أحوال النون الساكنة والتنوين عند جميع حروف المعجم ، وأفرد باباً لذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وتعمّل بيانها وتخليصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها[1] .

ومن أقدم ما وصلنا بعد القصيدة الخاقانية رسالة « التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي » لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي المقرئ (٤٦١هـ) وهي ذات موضوع طريف يتعلق بنطق الأصوات العربية ، ويكشف عن الانحرافات النطقية الخفية التي يمكن أن يقع فيها المتكلم لا سيما قارئ القرآن الكريم حيث يتطلب الأمر عناية خاصة بأداء الأصوات[2] .

ومما ينحو نحوَها كتابُ « بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء » لابن البناء (٤٧١هـ) وهو لا يقتصر على بيان الانحرافات النطقية في الأصوات والعجز عن أدائها وبيان كيفية علاجها ، إنما يتجاوز ذلك إلى معالجة موضوعات أخرى تتعلق بكيفيات الأداء ، وبيان العادات الذميمة المتعلقة بالهيئات والجوارح مع

---

(١) تجويد التلاوة للداني ورقة ٩٨/أ .

(٢) نشرت هذه الرسالة بتحقيق د. غانم قدوري حمد في مجلة المجمع العراقي سنة ١٩٨٥ مج٣٦ ج٢/٢٤٠– ٢٨٧ . والجدير بالذكر أن مؤلفها استخدم فيها مصطلحات صوتية تستأهل العناية والتتبع ، من ذلك ما جاء في قوله : « واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقّن من ألفاظ الأستاذين ، المؤدي عنهم ، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه ، المتجنب عن الإفراط في الفتحات والضمات والكسرات والهمزات ، وتشديد المشددات وتخفيف المخففات ، وتسكين المسكنات ، وتطنين النونات ، وتفريط المدات وترعيدها ، وتغليظ الراءات وتكريرها ، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة ، وتشديد الهمزات وتلكيزها .. » ص٢٦٠ .

توضيح معايب النطق الخاصة ببعض الأصوات ، مما يدخل في بابي أمراض الكلام والأصول الواجب مراعاتها عند القراءة[١] .

على أن أوسع ما وصلنا في علم التجويد كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التـلاوة[٢] للإمـام المقـرئ أبي محمـد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) صاحب التصانيف الجليلة في علوم القرآن والعربية وقد جمع فيه صاحبه فأوعى ، ثم زاد فأربى على كل من تقدمه ، وفي ذلك يقول : « وما علمت أن أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها ، ولا إلى ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى ، والتنبيه على تجويد لفظه ، والتحفظ به عند تلاوته[٣] » .

وحسبنا أن نشير ، تدليلاً على هذا ، أنه ذكر لحروف العربية أربعةً وأربعين لقباً ، بيّنها وشرحها ، « وكل واحد من هذه الألقاب يدل على معنى وفائدة في الحرف ليسا في غيره مما ليس له ذلك اللقب[٤] » .

وتتابعت بعد ذلك رسائل التجويد تقفو أثر مال تقدم ، ولا نكاد نجد فيها جديداً يذكر . ولعل أبرزها ما وضعه الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ)

---

(١) عرّف الكتاب وحقق نصـه د. غانم قدوري حمد في مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٨٧ . مج ٣١ ج١/٧–٥٨ . وتجدر الإشارة إلى أن ثمة مصنفات أخرى على هذه الشاكلة أشار إليها ابن البناء في كتابه وصرح بنقله عن واحدة منها لأبي الحسين المنادي (٣٣٦هـ) . انظر المرجع نفسه ٣٣ ، ٤٨ .

(٢) حققـه د. أحمد حسـن فرحات سنـة ١٩٧٣ بدمشق ونشـرته دار الكتب العربية ، ولأستاذنا المرحوم العلامة أحمد راتب النفاخ نقدات وملاحظ عليه ، كان قد أذن لي بنقلها إلى نسختي يرحمه الله .

(٣) الرعاية ٤٢ .

(٤) الرعاية ١١٣ . وانظر فيه باب صفات الحروف وألقابها وعللها ٩١–١١٨ .

المقرئ المشهور ، وله في هذا الباب أكثر من أثر ؛ من ذلك كتابه التمهيد في علم التجويد [١] وقد تناول فيه كل مسائل التجويد وضم إليها باباً في الوقف والابتداء ، وآخر في معرفة الظاء وتمييزها من الضاد [٢] . ومن ذلك أيضاً قصيدته المعروفة بالمقدمة الجزرية وهي أرجوزة في ثمانية ومئة بيت في التجويد والرسم والوقف والابتداء .. وقد تداولها خالفوه بشروح عديدة [٣] ، أذكر منها الحواشي المفهمة في شرح المقدمة لأحمد بن الجزري (٨٢٧هـ) ابن الناظم ، والدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية لزكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ) [٤] .

(١) حققه د. علي حسين البواب ، ونشرته مكتبة المعارف بالرياض ١٩٨٥ .

(٢) التمهيد في علم التجويد ١٦٥ ، ٢٠٩ .

(٣) ذكرها صاحب كشف الظنون ٢/١٧٩٩ـ ١٨٠٠ .

(٤) حققه د. نسب نشاوي ونشره بدمشق ١٩٨٠ .

ثبت المراجع

- أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧هـ) . أعده للطبع عبد الجبار زكار ، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ .
- أسباب حدوث الحروف ، الحسين بن عبد الله بن سينا (٤٢٨هـ) ، تحقيق محمد حسان الطيان ويحي مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط١ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
- الاشتقاق ، ابن السرّاج (٣١٦هـ) ، تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحدري ، دار مجلة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٣م .
- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ط٥ ، ١٩٧٥م .
- الأصوات ووظائفها ، محمد منصف القماطي ، منشورات جامعة الفاتح ١٩٨٦م .
- الأصول في النحو ، أبو بكر السراج (٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي ، د. عبد الكريم شحادة ، أبحاث الندوة الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ١٩٧٧م .
- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ١٩٨١م .
- الأعلام ، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ١٩٨٠م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .
- البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٤ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

(٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء ، لابن البناء (٤٧١هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٣١/ج١ ، الكويت ، ١٩٨٧ .
- البيان والتبيين ، الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة د. عبد الحليم النجار وزملائه ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ١٩٧٧م .
- تاريخ التراث العرب ، د. فؤاد سزكين ، ترجمة د. محمود حجازي و د. فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- تجويد التلاوة وتحقيق القراءة ، أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) ، مصورة عن نسخة مكتبة جار الله باسطنبول رقم (٢٣) .
- التصور اللغوي عند الإسماعيلية - دراسة في كتاب الزينة للرازي (٣٢٢هـ) ، د. محمد رياض العشيري ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٥م .
- التفكير الصوتي عند الخليل ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط١ ١٩٨٨م .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبية - تونس ١٩٨١م .
- التمهيد في علم التجويد ، محمد بن الجزري (٨٣٣هـ) ، تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- التنبيه على حدوث التصحيف ، حمزة الأصفهاني (٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد أسعد طلس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ، لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي (٤٦١هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، مجلة المجمع العراقي ، مج٣٦/ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الازهري (٣٧٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون وزملائه ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ) ، بعناية أوتوبرتزل ، مصورة دار الكتاب العربي ببيروت ، ط٣ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
- الجمل في النحو ، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ) ، تحقيق علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ودار الأمل - إربد ، ط٢ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
- جمهرة اللغة ، ابن دريد (٣٢١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الهندية ١٣٥١هـ .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ط٢ .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام سعيد النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٠م .
- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ، زكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ) ، تحقيق د. نسب نشاوي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، المجلد الأول - القسم الرياضي ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٥هـ .
- رسالة يعقوب الكندي في اللثغة ، تحقيق محمد حسان الطيان ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٠/ج٣ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية ، دمشق ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- سر الفصاحة ، عبد الله بن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، تحقيق علي فوده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- سر صناعة الإعراب ، عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، الجزء الأول ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م . نسخة ثانية دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن والزفزاف وعبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

- شرح كتاب سيبويه ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ، مصورة عن نسخة مكتبة فيض الله باصطنبول رقم (١٩٨٧) .
- شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي (٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- علم الأصوات العام – أصوات اللغة العربية ، د. بسام بركة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، د. محمد مراياتي ، محمد حسان الطيان ، يحيى مير علم ، مطبوعات مجموع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء ، د. يوسف الهليس ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، مج٣/العدد٢ ، الخرطوم ، ١٩٨٥ .
- علم اللغة العام – الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥م .
- علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، بعناية ج ، برجستراسر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- الفهرست ، ابن النديم (٣٨٥هـ) ، تحقيق رضا–تجدّد ، طهران ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١ .
- في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية ، د. غالب فاضل المطلبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٤م .
- في صوتيات العربية ، د. محيي الدين رمضان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ١٩٧٩م .
- القانون في الطب ، الحسين بن سينا (٤٢٨هـ) ، تحقيق د. إدوار القش ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
- كتاب الجيم ، أبو عمرو الشيباني (٢١٣هـ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، مجمع اللغة العربية ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .
- كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م .
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ، إيران – قم ، ط١ ١٤٠٥هـ .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف

بحاجي خليفة (١٠١٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان . الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ١٩٧٩م .
- ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) ، تحقيق د. صبيح التميمي ، دار الشهاب ـ باتنة ـ الجزائر .
- محاضرات في الألسنية العامة ، فردينان ده سوسُّر ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ، دار نعمان للثقافة ، لبنان ، ١٩٨٤م .
- مدخل إلى الألسنية ، د. يوسف غازي ، منشورات العالم العربية الجامعية ، دمشق ، ط١ ١٩٨٥م .
- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ، محمد حسان الطيان ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ـ ١٩٨٤م .
- المغني في تصريف الأفعال ، د. عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، ط٣ ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .
- مفتاح العلوم ، يوسف بن محمد السكاكي (٦٢٦هـ) ، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
- المفصل في علم العربية ، الزمخشري (٥٣٨هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ .
- المقتضب ، أبو العباس المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، مصورة عن نسخة القاهرة ١٩٦٣ .
- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، تصحيح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ، تحقيق محمد خلف الله أحمد ـ د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م .
- النكت في تفسير كتاب سيبويه ، الأعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط١ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
- وفيات الأعيان ، ابن خلكان (٦٨١هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(التعريف والنقد)

من كلام العرب قولهم

« أمَّا أنت منطلقاً انطلقت »

وجولة مع الدكتور رمضان عبد التواب فيه

الدكتور محمد أحمد الدّالي

« أمَّا أَنت منطلقاً انطلقت » من عبارات العربية التي كثر دورها على ألسنتهم ، واجترؤوا عليها بالحذف طلباً للخفّة ، وهم ممّا يفعلون ذلك فيما كثر استعمالهم إياه[1].

قال سيبويه[2] في « باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي » : « ومن ذلك قول العرب : **أمّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك** ، وأمّا زيدٌ ذاهباً ذهبتُ معه ، وقال الشاعر (العباس بن مرداس) :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أنت ذا نَفَرٍ ... فإنَّ قوميَ لم تأكلهم الضَّبُعُ

فإنما هي « أنْ » ضُمَّت إليها « ما » ، وهي « ما » التوكيد ، ولزمت كراهية أن يجحفوا بها ، لتكون عوضاً عن ذهاب الفعل ....
حتى صار كأنهم قالوا : إذْ صرتَ منطلقاً فأنا أنطلق معك ، لأنها في معنى

---

(١) من ذلك قولهم « هل لك في كذا وكذا » . وقد بسطنا الكلام على هذه العبارة في مقالة أفردناها لها نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٢ جـ٢/٣٧٦ – ٣٨٣ .

(٢) في الكتاب ١/١٤٧ – ١٤٨ .

« إذْ » في هذا الموضع ، و« إذْ » في معناها أيضاً في ذا الموضع ، إلا أنَّ « إذْ » لا يحذف معها الفعل ، و« أمَّا » **لا يذكر بعدها الفعل لأنه من المضمر المتروك إظهاره** حتى صار ساقطاً ...... فإن أظهرت الفعل قلت : إمّا كنت منطلقاً انطلقت ، إنما تريد ، إن كنت منطلقاً انطلقت . فحَذْفُ الفعل لا يجوز ههنا كما لم يجز ثَمَّ إظهاره ، **لأنّ « أمَّا » كثرت في كلامهم** واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل ...... » اهـ . وقال في موضع آخر[٣] : « .... وكما قلت : أمَّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك ، حين لم يجز أن تبتدئ الكلام بعد « أمّا » فاضطررت في هذا الموضع إلى أن تحمل الكلام على الفعل » اهـ . وقال في موضع آخر[٤] قبل هذا الكلام : « وسألتُه[٥] عن قوله : أمَّا أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرفع ، وهو قول أبي عمرو ، وحدثنا به يونس . وذلك لأنه لا يجازى بـ « أنْ » ، **كأنه قال : لأن صرتَ منطلقاً أنطلقُ معك** » اهـ .

وقال أبو سعيد السيرافي في « شرح كتاب سيبويه » ، فيما نقله منه ملخصاً مَن وقف على طبعة بولاق من كتاب سيبويه[٦] ، عند قول سيبويه : « ومن ذلك قول العرب : أمّا أنت منطلقاً انطلقت معك .... إلخ » = قال : « اتفق الكوفيون والبصريون على وجوب حذف الفعل في هذا ونحوه ، واختلفوا في المعنى : فالكوفيون يقولون : هو بمعنى « أنْ » ، وإنَّ « أن » المفتوحة فيها معنى « إن » التي للمجازاة ، ويحملون قوله تعالى ﴿ أن

---

(٣) الكتاب ١/٤٧٤ .

(٤) الكتاب ١/٤٥٣ . وانظر المسائل المنثورة ١٥٨ ، وارتشاف الضرب ٢/٩٩ ـ ١٠٠ .

(٥) يعني شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي .

(٦) حاشية الكتاب ١/١٤٨ .

تضل إحداهما ﴾ الآية [سورة البقرة : ٢٨٢] عليه . والبصريون يقولون : إنه على معنى التعليل ، أي لأَن كنت منطلقاً أنطلق معك ، وشبهوها بـ « إذْ » ؛ ولأجل أنَّ الثاني استحق بالأول جاز دخول الفاء في الجواب » اهـ .

فقول العرب « أَمَّا أنت منطلقاً انطلقت » وما كان على مثاله قد رواه البصريون والكوفيون ، و« أَمَّا » مفتوحة الهمزة عند الفريقين ، والفعل « كان » أو « صار » بعدها محذوف عندهما جميعاً للتعويض عنه بـ « ما » ، وأصلها « أَنْ ما » . ثم اختلفوا في جهة تفسيرها : فأهل الكوفة يجعلون « أَنْ » بمعنى « إن » الشرطية ، وذهبوا في قول الشاعر :

أبا خراشة أَمّا أنت ذا نفر   فإن قومي لم تأكلهم الضبع

إلى أنّ الفاء في « فإنَّ » هي فاء الجزاء . وذهب البصريون إلى أن التقدير : « لأَنْ كنت » فحذف الفعل وحذفت اللام ، وحذفُها قبل « أَنْ » قياس[٧] .

وأما قولهم « أمّا أنت منطلقاً أنطلقُ معك » فالذي رواه الخليل وأبو عمرو ويونس عن العرب أنهم يرفعون « أنطلقُ » لأنه لا يجازى بـ « أنْ » . وحكى الجرميّ[٨] المجازاة بـ « أَمّا » هذه ، وهو مذهب الكوفيين في جواز المجازاة بـ « أَن » .

وقولُ الشاعر :

أبا خراشة أَمّا أنت ذا نفر   فإنّ قومي لم تأكلهم الضبع

(٧) انظر مقالتنا « عبارة هل لك في كذا وكذا » ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٢ جـ٢/٣٨٢ – ٣٨٣ .

(٨) انظر المسائل المنثورة ١٥٨ ، وارتشاف الضرب ٩٩/٢ – ١٠٠ .

الذي استُشهد به في هذه المسألة عزي في مطبوعة الكتاب ١٤٨/١ (بولاق) إلى العباس بن مرداس السُّلَمي ، وليست النسبة من سيبويه نفسه . وإلى العباس عزي في شرح اللمع لابن برهان ٢٤٣ ، وأمالي ابن الشجري ٣٤/١ ، ٣٥٣ و٣٥٠/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٩/٢ ، وشذور الذهب ٢٤٢ ، وتخليص الشواهد ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، والمقاصد النحوية ٥٥/٢ ، والخزانة ٨٠/٢ و٤٢١/٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ١٧٣/١ . ولم يرد في أصل ديوانه فزاده ناشره فيه ص١٢٨ .

ونسب إلى بعض هذيل في المفصل ٧٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٨/٢ ، والانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ص٥٨ .

ونسب إلى مالك بن ربيعة العامري في اللسان (ض ب ع) .

وعزي ضلة إلى خفاف بن ندبة السلمي ، انظر ديوانه ص ١٣٢ .

وهو بلا نسبة في الخصائص ٣٨١/٢ ، والمنصف ١١٦/٣ ، والفصول لابن الدهان ٤٢ ، والإفصاح للفارقي ٢٨٨ ، وشرح المفصل ١٣٢/٨ ، وسفر السعادة ٧١٩ ، والإنصاف ٧١ ، ورصف المباني ٩٩ ، ٢٠١ ، وأمالي ابن الحاجب ١٢٣/٢ ، ١٤٥ ، وشرح الكافية ٢٥٣/١ ، والأزهية ١٤٧ ، والجنى الداني ٥٢٨ ، وأوضح المسالك ١٦٥/١ ، وشرح التصريح ١٩٥/١ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١١٨/١ ، وحاشية الصبان على الأشموني ٢٤٤/١ و٢٤٩/٤ ، وهمع الهوامع ١٠٦/٢ ، وغيرها .

وقد روي « **إمَّا كنتَ** ذا نفر » ، وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت على المسألة .

ولمّا وقف الدكتور رمضان عبد التواب على هذه الرواية « إمّا كنت

ذا نفر » علق عليها بقوله في كتابه « بحوث ومقالات في اللغة »[٩] في الفصل الثاني منه « حاجة تراثنا اللغوي إلى التهذيب والتنقية » : « إنه ليلاحظ في هذا التراث النحوي أنّ فيه متابعة تكاد تكون كاملة ، لكثير مما جاء به سيبويه في كتابه ، دون تمحيص أو تدقيق ، على ما في بعض مسائله أحياناً من الخطأ المبني على تحريف في الرواية أو تغيير في الشواهد العربية . وهذا مثال واحد ، من أمثلة كثيرة ، يدل على صدق ما نذهب إليه .

يرى النحاة العرب ، منذ أيام سيبويه ، أنّ (كان) الناسخة تحذف وحدها أحياناً ، وذلك بعد أن المصدرية ، في مثل قولك : « أمّا أنت منطلقاً انطلقت » ...... ويستشهدون على ذلك بقول العباس بن مرداس السلمي :

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

وقول الشاعر :

أما[١٠] أقمت وأما أنت مرتحلاً فالله يكلأ ما تأتي وما تذر

ويبدو أن هذه المسألة مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدَي هذه المسألة ، لأن البيت الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوئها .

وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً ، وأنّ النحاة

---

(٩) ص١٥٥ ــ ١٥٧ منه .

(١٠) كذا وقع ، وصوابه « إمّا أقمت وأمّا » الأولى منهما مكسورة ، والبيت في تهذيب اللغة ٣٢١/٦ و٦٢٩/١٥ ، وشرح أبيات المغني ١٧٩/١ ، وأمالي ابن الحاجب ١٢٣/٢ ، ١٢٤ ، وارتشاف الضرب ٩٩/٢ ، وشرح المفصل ٩٨/٢ .

وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في بيت العباس بن مرداس ، وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأنّ صواب رواية البيت :

أبـا خراشـــة إمّـا كنت ذا نفـر فـإن قـومي لم تـأكلهـم الضبع

هكذا : « إمّا كنت » بدلاً من « أما أنت » التي يزعم النحاة منذ أيام سيبويه أن البيت يروى بها . و« إمّا » هذه هي « إن » الشرطية المؤكدة بما الزائدة ......

ولعـل الدليل على صحة ما نقول ، أن بيت العباس بن مرداس ، يروى كثيراً في غير كتب النحو (التي ينقل بعضها عن بعض) ، بالرواية الصحيحة ، وهي « إما كنت » . ويكفي أن تراجع ذلك في كتاب العين للخـليـل بن أحمد ٣٣١/١ وجمهـرة الأمثـال لأبي هـلال العسـكـري ١١٠/٢ ، وتهذيب الألفـاظ لابن السكيت ٢٦ وحماسـة الخالديين ٨٩/١ . وجمهرة اللغـة لابن دريد ٣٠٢/١ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١ ، ولســان العـرب (خرش) ١٤٣/٨ ، والاشتقـاق لابن دريد ٣١٣ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤١/١ ، وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب ٣٤٩/١ ، والحيوان للجاحظ ٢٤/٥ ؛ ٤٤٦/٦ وغير ذلك » اهـ .

هذا كلامه . وفيما يأتي تعقيب على مواضع من كلامه :

١ ــ قوله « ويبدو أن هذه المسألة مبنية على تحريف وقع في بيت العبـاس بن مرداس السـلمي ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدَي هذه المسألة » فيه أنّ المسألة مبنية على هذين البيتين ، وليس الأمر كذلك . بل المسألة مبنية على ما أطبق أئمة البصريين والكوفيين على روايته عن العرب في كلامهم نحو « أما أنت منطلقاً انطلقت معك » . والبيتان مما يستشهد به من الشعر على المسألة ، ولم تبنَ المسألة عليهما .

وفيـه أيضـاً القطع بأن روايتـه « أما أنت » تحريف وأن من رواها كذلك محرِّف للرواية . والدكتور لم يذكر ما دعاه إلى اتهام هذه الرواية لا من جهة رواتها ولا من معناها . وهذا منه تحكّم واطمئنان إلى رأي رآه بغير دليل .

وفيه أيضاً أن البيت الذي اختلف في نسبته لا يستشهد به !! وهذا شـيء غريب لا يقوله من كان له عنـاية بشـواهد العربيـة ومعرفة بقواعد الاحتجاج بها . وشواهد العربية التي هي دلائل على مسائلها : القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف المروي عن النبي عليه السلام بلفظه أو بلفظ من يحتج به ، وكلام من يحتج به شعراً ونثراً .

وقوله في بيت العباس : « وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة » غير صحيح ، فقد عزي البيت إلى غيره ، وليس ذلك بضارِّه شيئاً .

٢ ــ وقوله : « لأنّ البيت الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوئها » غريب من كل وجه . فالعباس بن مرداس شاعر إسلامي ، وهو محتج بكلامه المشتمل على معان إسلامية والخالي منها . وقد أطبق العلماء على الاحتجاج بشعر أهل الجاهلية وأهل الإسلام إلى نحو سنة ١٥٠هـ . ولو ذهب ذاهب مع الدكتور فأسقط ما كان فيه عبارات إسلامية أو كان قائله إسلامياً لأسقط قدراً عظيماً مما يحتج به في كل علم من العلوم .

وقد استشهد سيبويه[11] وغيره بشعر الشعراء الإسلاميين ، وآخرهم إبراهيم بن هرمـة ، ومنهـم جرير ، والفـرزدق ، والأخطـل ، والحطيئـة ، والراعي ، ورؤبة ، والعجاج ، وابن قيس الرقيات ، والعباس بن مرداس ،

---

(١١) انظر « شواهد الشعر في كتاب سيبويه » ٢٦٨ ــ ٣٠٣ (شعراء سيبويه) .

وحسان بن ثابت ، وابنه عبد الرحمن ، وهدبة بن خشرم العذري ، والطرماح ، وغيرهم .

٣ – وقوله « وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً ، وأن النحاة وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في بيت العباس بن مرداس وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأنَّ .... » دعوى بغير دليل ، وطعن صريح في جلة من علماء العربية الذين رووا ما سمعوا من العرب ومنهم الخليل وأبو عمرو ويونس وسيبويه وأهل الكوفة ، وما منهم إلا ثقة ثبت إمام ، أدّوا ما سمعوه من العرب ، واختلفوا في تفسير أشياء منه .

وقوله « لا وجود لها في اللغة أصلاً » أغرب ما في كلامه ولا يكاد يقضى منه العجب . فمن مضى من الأئمة الأثبات جميعاً حكوا أن العرب يقولون « أمَّا أنت منطلقاً انطلقت » ونحوه ، وهم قد علموا ذلك وفسروه ، والدكتور رمضان يقول : « لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً » !! وأنى له أن يدعي هذا ؟! وللدكتور – بلا ريب – أن يوافقهم أو يخالفهم في تفسير ما رووه عن العرب .

ومدار الأمر وملاكُه في شواهد العربية – وإن عرف قائلوها أو جهلوا أو تعدّدت الرواية فيها أو اختلف في نسبتها – على مخارج روايتها وصدق رواتها والثقة بهم[١٢] . قال أبو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه[١٣] ، في إنكار أبي العباس المبرد « لولاي » وخطأ الشعر الوارد فيه ، وهو قول يزيد بن الحكم الثقفي :

وكم موطنٍ لولاي طِحْتَ كما هوى بأَجْرامِه من قُلَّةِ النِّيق مُنْهَوِي

(١٢) انظر كلام ابن جني في الخصائص ٣/٣٠٩ – ٣١٣ في الباب الذي عقده لصدق النقلة وثقة الرواة والحملة .

(١٣) انظر حاشية الكتاب ١/٣٨٨ .

« ما كان لأبي العباس أن يسقط الاستشهاد بشعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون وغيرهم ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب ... » اهـ . وقال ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه[١٤] : « فلا ينبغي أن يذهب إنسان له علم وتحصيل إلى أن سيبويه غلط في الإنشاد ، وإن وقع شيء مما استشهد به في الدواوين على خلاف ما ذكر = فإنما ذلك سمع إنشاده ممن يستشهد بقوله على وجه ، فأنشد ما سمع ، لأن الذي رواه قوله حجة ، فصار بمنزلة شعر يروى على وجهين » اهـ . وقال[١٥] أيضاً : « واعلم أن اختلاف الإنشاد إذا وقع في مثل ذا الموقع لا ينبغي أن ينسبه أحد إلى اضطراب سيبويه ، وإنما الرواية تختلف في الإنشاد ، ويسمعه سيبويه ينشد على بعض الروايات التي له فيها حجة ، فينشده على ما سمعه ، ويرويه راو آخر على وجه آخر لا حجة فيه ، والرواة المختلفون إنما أخذوه من أفواه العرب الذين يحفظون الأشعار ، فالتغيير واقع من جهتهم . والشواهد في كل رواية صحيحة لأن العربي الذي غيَّر الشعر وأنشده على وجه دون وجه قولُه حجة ، ولو كان الشعر له لكان يحتج به . ألا ترى أن الحطيئة راوية زهير وكثيِّراً راوية جميل ، والراوي والمروي عنه كلاهما حجة » اهـ . وهذا كلام نفيس في بابه جامع بيِّن .

هذا كلام ابن السيرافي في موضعين من كتابه « شرح أبيات سيبويه » ، وقد كان تحقيقه موضوع رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور رمضان .

فقول العرب إذاً « أمَّا أنت منطلقاً انطلقت » ونحوه من الأمثلة التي

(١٤) شرح أبيات سيبويه ٣٠٣/١ .

(١٥) المصدر نفسه ١١٨/٢ . وانظر الشعر والروايات المتعددة في « شواهد الشعر في كتاب سيبويه » ٣٠٧ – ٣٨٨ .

وقفنا عليها في الشعر والنثر والتي لم نقف عليها مّما كثر في كلامهم .
وأصله : لأنْ كنت منطلقاً ، والمصدر المؤول من أن وما بعدها في محل جرّ باللام المتعلقة بالعامل المؤخر « انطلقت » ؛ فحذفت اللام قبل أن ، وحذفها في ذا الموضع حسن كثير ، فصار : أن كنت منطلقاً ، ثم حذفت « كان » فانفصل الضمير ، وعوضوا بـ « ما » عن كان المحذوفة وأدغمت النون من أن في ما ، فصار « أما أنت منطلقاً » .[١٦]

والفعل المحذوف بعد « أن » المصدرية والمعوض عنه بـ « ما » من الأفعال المضمرة المتروك إظهارها عند جمهور البصريين ، وأجاز المبرد إظهاره ، وعنده هو ومن وافقه أن « ما » زائدة لا عوض . وذهب جماعة من البصريين منهم أبو علي الفارسي وابن جني[١٧] إلى أن « ما » المعوض بها عن « كان » هي العاملة في الاسم والخبر لا « كان » .

وعند الكوفيين ومن وافقهم[١٨] أنّ « أنْ » في ذا الموضع شرطية بمعنى « إنْ » . والفاء التي في نحو قوله :

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإنّ قومي لم تأكلهم الضبع

عندهم فاء الجزاء ، وهي زائدة عند البصريين .

والكوفيون يقولون « أمّا أنت منطلقاً أنطلقْ معك » بالجزم ، ويجوزون رفعه لكون الشرط محذوفاً حذفاً لازماً ، والبصريون يرفعونه ولا يجيزون جزمه .

---

(١٦) انظر تعليق محقق المقتضب ٣٤/٤ ح٤ ، والأزهية ١٤٨ ، وشرح الكافية ٢٥٣/١ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١١٨/١ ، وهمع الهوامع ١٠٦/٢ .

(١٧) انظر الخصائص ٣٨١/٢ ، والمغني ٥٧٢ .

(١٨) منهم ابن هشام في بعض كلامه ، انظر المغني ٥٤ . وقال الرضي في شرح الكافية ٢٥٣/١ : « ولا أرى قولهم بعيداً من الصواب » .

المصادر والمراجع

ارتشاف الضرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور مصطفى النماس ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٨٩ .

الأزهية في علم الحروف ، للهروي ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢ .

الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، للفارقي ، تحقيق سعيد الأفغاني ، جامعة بنغازي ، ط٢ ، ١٩٧٤ .

أمالي ابن الحاجب (الأمالي النحوية ، لابن الحاجب) تحقيق هادي حمودي ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ببيروت ١٩٨٥ .

الأمالي الشجرية ، لابن الشجري ، حيدر آباد ١٣٤٩هـ .

الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر ، ط٤ ، ١٩٦١ .

الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ، لابن عدلان ، تحقيق الدكتور حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨ .

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ط٥ ، ١٩٦٧ .

بحوث ومقالات في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٢ .

تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور عباس الصالحي ، دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٨٦ .

تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ومحمد علي النجار وآخرين . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ .

الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٣ .

حاشية الخضري على ابن عقيل ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .
حاشية الصبان على الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .
خزانة الأدب ، للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩هـ .
الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
ديوان العباس بن مرداس ، جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري ، دار الجمهورية ببغداد ١٩٦٨ .
رصف المباني في شرح حروف المعاني ، للمالقي ، تحقيق أحمد الخراط ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ .
سفر السعادة وسفير الإفادة ، للسخاوي ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .
شرح أبيات سيبويه ، لابن السيرافي ، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٣ .
شرح أبيات مغني اللبيب ، للبغدادي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٣ .
شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية .
شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، رتبه وعلق عليه عبد الغني الدقر ، دار الكتب العربية بدمشق ودار الكتاب .
شرح الكافية ، لرضي الدين الأستراباذي ، الشركة الصحافية العثمانية ١٣١٠هـ .
شرح اللمع ، لابن برهان ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، الكويت ١٩٨٤ .
شرح المفصل ، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .
شواهد الشعر في كتاب سيبويه ، للدكتور خالد عبد الكريم جمعة ، مكتبة دار العروبة بالكويت ١٩٨٠ .
الفصول في العربية ، لابن الدهان ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، مؤسسة الرسالة ودار الأمل ، بيروت ١٩٨٨ .
الكتاب ، لسيبويه ، بولاق ١٢٩٩هـ .
لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ببيروت .
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٢ جـ٢ .
المسائل المنثورة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق مصطفى الحدري ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ .

مغني اللبيب ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر بيروت ، ط٥ ، ١٩٧٩ .

المفصل ، للزمخشري (مع شرح شواهده للنعساني الحلبي) ، طبعة مصورة ، دار الجيل بيروت .

المقاصد النحوية ، للعيني ، (بهامش خزانة الأدب – ط بولاق) .

المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣ .

المنصف ، لابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

همع الهوامع ، للسيوطي ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٥ .

(آراء وأنباء)

مؤتة للبحوث والدراسات

مأمون الصاغرجي

وصل إلى خزانة المجمع مؤخراً مجلة « مؤتة للبحوث والدراسات » من سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة مؤتة –الأردن ، (المجلد الثامن/ العدد الثاني/ أيلول ١٩٩٣) وكان موضوع هذا العدد اللغة العربية .

افتتح العدد بمقال عنوانه « عوف بن محلم الخزاعي » حياته وشعره ، كتبه رشدي حسن (ص ١١– ٦٧) . استهل الكاتب مقاله بمقدمة بيَّن فيها الأسباب الداعية إلى كتابته ، ولخص فيها مضمون بحثه ، ثم تناول بالتفصيل حياة الشاعر وعلاقاته الاجتماعية ، وألمَّ بالأغراض الشعرية التي تناولها في شعره ، وتكلم في الخصائص الفنية التي تميز بها ، ثم ذكر المصادر التي استخرجه منها والمنهج الذي اتبعه في جمع شعره ، وكان قد جعله في قسمين : الأول ما صحت نسبته إلى الشاعر ، والثاني ما ينسب إليه وإلى غيره من الشعراء .

وقام الكاتب بضبط النص وتخريجه من المصادر ، وأثبت اختلافات الروايات ، وشرح ما احتاج إلى شرح ، وهو جهد يشكر له ، ولكن يبدو أن الأخطاء الطباعية شوَّهته وأحالت ألفاظه ومعانيه إلى الالتواء ، فمثلاً في البيت الثالث من المقطّعة الأولى ص٣٠ جاء ضبطه هكذا « وأبصِر ما يُريُهُمُ » والصواب « وأبصِرْ ما يَرِيبُهمُ » وفي البيت الثالث من المقطعة١٢ ص٤٦ : « نوح حملة » والصواب « نوح حمامة » . وفي البيت

الخامس من المقطعة١٣ ص٥١ : «أمالكِ رحمةً » والصواب « رحمةٌ » بالرفع .

ولو رحنا نستعرض جميع الأخطاء لما خلت منها مقطعة أو بيت .

وثمة ملاحظات تؤخذ على الكاتب في عمله ، ففي المقطعة الثامنة ص٣٨ في البيت الأول :

أنشـــدني رَوْحٌ مـــديحـــاً له فقـلت : شعرٌ ؟ قال لي : فايْش

ثم علق الكاتب على البيت بقوله : فيش : لعلها منحوتة من « فأي شيء هو » وفي معاجم اللغة : فاش الرجل فيشاً : افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده ، فايشه مفايشةً : فاخره . وفايش الرجل : أكثر الوعيد في القتال ثم لم يفعل . (انظر تاج العروس ج١٧ ص٣١٩ وما بعدها ، مادة فيش) والمعنى الأول هو المقصود اهـ .

قلت : الصواب أنها منحوته من قولهم : « أي شيء هو » كما جاء في معجم متن اللغة (أيش) ، والفاء للاستئناف ، إذ لا صلة للفظ (الشيء) بمادة (فيش) ، وربما أوقع الكاتبَ في اللَّبْس ضرورة الوزن التي ألجأت الشاعر إلى تحويل همزة القطع من قوله « فأيش » إلى جعلها همزة وصل « فايش » ليستقم وزن البيت من السريع .

وضبط الكاتب البيت الخامس من المقطعة التاسعة ص٣٩ هكذا :

ركبتُ بـه الأهـوال حتى تركتـه **بمـنزِلِ ضنكٍ** لا يكدّ ولا يَمضي

والصـواب أن يكون « بمنزلِ » على أنه مضـاف إلى « ضنكٍ » ليستقيم وزن البيت من الطويل .

وجاء في المقطعة (١١) البيت الخامس ص٤١ هكذا :

وقـاربت مـني خُطىً لم تكـنْ مقـاربـاتٍ وثنت من عنـانْ

فخطىً جمع خطوة ، والصواب في كتابتها هكذا « خُطاً » لأن أصلها واوي .

ومن مقالات هذا العدد « الغربة في شعر أسامة بن منقذ (٤٨٨هـ/١٠٩٥م - ٥٨٤هـ/١١٨٨م) (ص٦٩- ١١٨) كتبه حلمي إبراهيم عبد الفتاح الكيلاني ، بدأه بمقدمة بيَّنَ فيها مفهوم الغربة والاغتراب في اللغة وعلم النفس ، وأشار إلى هدف دراسته هذه أنها التحدث عن الغربة المكانية أو غربة النفي قهراً في حياة أسامة وشعره . وأتبع المقدمة بمدخل تمهيداً لفهم الحياة السياسية في عصر أسامة وأسرته والاضطرابات التي عاشتها في زمن الاحتلال الصليبي ، وما تعرضتْ له من اضطهاد وتغريب ، ثم تحدث بشيء من التفصيل عن غربته واغترابه عن موطنه ، فكانت غربته الأولى من سنة ٥٢٥ - ٥٣٢هـ من جراء تخوف عمه سلطان بن علي حاكم شيزر منه ، إذ كان دائم الافتخار ببطولته وشجاعته ، وربما كان ولعه باصطياد الأسود وجز رؤوسها ما نفَّر قلب عمه منه ، وأدى إلى تخوفه على سلطانه ، ففي منتصف إحدى الليالي يأمره عمه بالخروج معه إلى موقع سماه خارج شيزر ، وفيه صارحه ببغضه ، وأبدى له تخوفه منه على سلطانه ، وطلب إليه ألا يساكنه شيزر ؛ فامتثل لأمره وودَّعه .

وينتظم أسامة في جيوش عماد الدين زنكي ، ولا يني في الفخر بشجاعته وبلائه في المعارك التي خاضها معه ضد الصليبيين ، ويجد في عمله هذا عزاءً عن فقد أهله ووطنه .

وحين يهاجم الروم والفرنج قلعة شيزر يهبُّ للدفاع عنها ناسياً ما كان بينه وبين عمه سلطان ، آملاً أن يستقرَّ في وطنه من جديد ، إلا أن عمه لم يستطع التخلص من حقده ، فنفاه مرةً ثانية مع أسرته وأخوته سنة ٥٣٢ ، فذهب بهم إلى دمشق ، ثم انتقل منها إلى مصر سنة ٥٤٠ ومكث بها إلى سنة ٥٤٩ حيث عاد إلى دمشق ، وبقي فيها إلى أن حدث زلزال مروِّع في

شيزر عام ٥٥٢ . ثم ينتقل بعد ذلك مع ولده سنة٥٥٨ إلى حصن كيفا - جنوب شرق تركيا قرب حدودها مع العراق اليوم - إلى أن استدعاه صلاح الدين الأيوبي الذي أعجب به وبنظمه إلى دمشق ، وكان قد جاوز الثمانين من عمره .

ويصور لنا الكاتب شدة وطء الزمن على أسامة ، وتقلبه في البلاد غريباً يحن إلى وطنه وأهله حتى يقول فيما يقول :

أهكذا أنا باقي العمر مغترب ناء عن الأهل والأوطان والسكن

لا تستقرُّ جيادي في معرَّسها حتى أروعها بالشدّ والظعن

وقد عاش أسامة عمراً مديداً ستة وتسعين عاماً كان له تجارب طويلة مع الحياة والناس أنطقته بالحكمة من مثل قوله :

الق الخطوب إذا طرقـ ـن بقلب محتسب صبور

فسينقضي زمن الهمو م كما انقضى زمن السرور

فمن المحال دوام حا ل في مدى العمر القصير

ثم يتناول الكاتب مظاهر الغربة في شعره ، منها الشعور بالوحدة والحنين إلى الأهل والأوطان وفقد الأحبة ، ومنها أيضاً تأكيد ذاته بما يحمله بين جنبيه من ماض مجيد في الشجاعة والفروسية ، وفي آخر المطاف بعد عمره الطويل يجد الملجأ والملاذ في الزهد بالدنيا وما فيها من مغريات .

ويختم الكاتب بحثه بنتائج توصل إليها من دراسته شعر أسامة بيَّن فيها أسباب الأغراض التي تناولها وأثر الأحداث في حياته وشعره .

وقد بذل الكاتب جهداً مشكوراً في تبيان هذا الجانب من شعر أسامة فأحسن وأجاد ، وعمله مع ذلك لم يكن يخلو من هنات ، من ذلك مثلاً قول أسامة ص٩٠ :

اذا عنَّ ذكراكم عرتني سكرة كأنّي سقاني البابليّة خمّارُ[٩٠]

وعلّق الكاتب على البيت بقوله ص١١٤ حاشية ٩٠ : الخمّار : بقية السُّكر . اهـ .

وما شرحه الكاتب هو (الخُمَار) – بضم الخاء المعجمة وتخفيف الميم المفتوحة – وليس مراداً ، والمراد حسَبَ ضبطه لـ (خمّار) – بفتح الخاء المعجمة وتشديد الميم المفتوحة – في البيت فهو : بائع الخمر .

وجاء في ص٨٦ قوله :

انظر بعيشك هل ترى أحداً يدوم على المودّة
لترى أخلاء الرّخاء عدا إذا نابتك شدّة

ففيه أولاً : القافية هي الدّال ، والهاء للوصل ، فتكتب من غير نقط هكذا « المودَّهْ ... شدَّهْ » .

ثانياً : قوله (عدا) بمعنى الأعداء ، الصواب أن يكتب « عِدَى » بالياء وإن كان واويًّا لكسرة أوله ، انظر التاج (عدو) وشرح شافية ابن الحاجب ١٢٣/٢ .

وجاء في الصفحة نفسها(٨٦) قوله :

وقد ساءني أن الليالي غيّرت أخلاي حتى ما يدومُ خليلُ

والصواب في تقطيعه ، أن تكون كلمة « أخلاي » في أول الشطر الثاني ليستقيم الوزن .

يضاف إلى ذلك الأخطاء الطباعية التي شوهت جمال شعر أسامة ، من ذلك قوله ص٧٥ .

أطاع ما قله الواشي وما هرقا فعاد ينكر منا كل ما عرفا

والصواب : « ما قاله... وما هرفا »

وقوله ص٨٩ :

مـــا أنت أول أرض مسّ تـرابهـا   جسمي ولا فيك أوطاني وأوطاري

فالشطر الأول مختل الوزن ، ويستقيم بقوله « تربتها » .

ومن المقالات التي ضمها هذا العدد « شعر الرثاء في حروب الردة : دراسة موضوعية وفنية » (ص١١٩ –١١٦) كتبه علي ارشيد المحاسنة ، تنـاول فيـه شعر الرثاء الذي قيـل في حروب الردة ، وقســم فيه بحثه إلى قسمين :

الأول تحدث فيه عن القضايا الموضوعية في شعر رثاء المسلمين ، منهـم رســل أبي بكر ودعاته الذين حاولوا ردع المرتدين وإرجاعهـم إلى الصواب ودين الحق ، فقتلوهم لموقفهم هذا ، كعبد الله بن يزيد بن قيس السكـوني ؛ ومنهــم شـهداء سقطوا في المعـارك التي خاضهـا المســلمون كعبد الله بن المنذر التميمي ونافع بن غيلان وغيرهما .

وتعرض الكاتب أيضاً للشعر الذي قيل في رثاء المرتدين وعلى رأسهم مالك بن نويرة الذي كان لشعر متمم أخيه النصيب الأوفى من البحث ، إذ تنوعت فيه المراثي بين ندب وتأبين وتعزية .

أما القسم الثاني من البحث فتناول فيه الكاتب قضايا فنية متعددة ، منهـا شكـل القصيدة والعـاطفة والموسيقى ، بيد أنه لاحظ أن المقطعات خاصة تكاد تخلو من هذه الجوانب الفنية ، فهي أقرب إلى التاريخ منها إلى الفن ، وقد ارتبطت موضوعاتها بأحداث التاريخ . لذا ركز الدراسة الفنية في هذا القسم على شعر متمم دون سواه لشموله على قضايا التي دار البحث حولها في هذا القسم .

وفي هذاالمقال ما في سالفيه من أخطاء طباعية وعروضية كنا نتمنى لو خلا العدد منها .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ١٩٩٤م

أ ـ الكتب العربية

خير الله الشريف

آثار محمد البشير الإبراهيمي /الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٧ (ج٣) – ١٩٨٥ (ج٤) .

آلاف السنين من الطاقة /تأليف : فلاديمير كارتسيف ، بيوتر خازانوفسكي ؛ ترجمة : محمد غياث الزيات .ـ الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .ـ (سلسلة : عالم المعرفة رقم ١٨٧) .

أبو العيناء : دراسة في حياته وشعره ونثره /د. أنور أبو سويلم .ـ ط١ .ـ عمان : دار عمار ، ١٩٩٠ .

الاتجاه القومي في الرواية /د. مصطفى عبد الغني .ـ ط١ .ـ الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .ـ (سلسلة : عالم المعرفة رقم ١٨٨) .

إدارة أنظمة المعلومات الحكومية /دائرة التعاون الفني للتنمية بالأمم المتحدة .ـ نيويورك : المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ١٩٨٩ .

استخدام النباتات الطبية كعقاقير علاجية : المؤتمر العربي الأول /وزارة التعليم العالي .ـ دمشق : وزارة التعليم العالي ، ١٩٩٤ .

الاشتقاق اللغوي /د. عبد المنعم عبد الله حسن .ــ ط١ .ــ القاهرة : المؤلف ، ١٩٩٣ .

أصــول الإيقــاعات الشرقيـة /عمر عبد الرحمن الحمصي .ــ دمشق : [د .ن] ، ١٩٩٢

أضواء وظلال /سعد صائب .ــ دمشق : الإدارة السياسية ، ١٩٩٢ .

أعلام الفكر في دمشق بين القرنين الأول والثاني عشر للهجرة/إحسان بنت سعيد خلوصي .ــ دمشق : دار يعرب ، ١٩٩٤ .

ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ /د. رشيدة اللقاني .ــ الرياض : جامعة الملك سعود ــ عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

أمـام ألســنة اللهب /تأليف : غرغري أورفلي ، ترجمة : هنزي مطر .ــ عمان : مركز الكتب الأردني ، ١٩٨٩ .

الأندلس الذاهبة /تأليف : ضيا باشا ؛ تعريب : عبد الرحمن ارشيدات ؛ راجعه وحققه : صــلاح ارشيدات .ــ ط١ .ــ عمـان : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٩ .ــ ٣ج .

بحوث ودراسـات مهداة إلى عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسـة والستين /تحرير : ناظم كلاس .ــ عمان : [د.ن] ، ١٩٨٩ .

البيبــليـوغرافيـا الجزائرية /المكتبـة الوطنيـة الجزائرية .ــ الجزائر : المكتبـة الوطنية ، ١٩٩٣ .

التخطيط والرقابة المالية /نضال رشيد صبري .ــ عمان : المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ١٩٩٤ .

التدريس من أجل الكفـاية /تأليف : هوارد ســلفـان ، نورمان هجنز ؛ ترجمـة : محمـد عيـد ديراني ، د. مصـطفى محمـد متـولي .ــ الريـاض : جامعة الملك سعود ــ عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

تشعيع الغذاء /ترجمة : د.نجم الدين شرابي .ـ دمشق : هيئة الطاقة الذرية ، ١٩٩٢ .

التصوير الضوئي في التعليم والتدريب /د. مصطفى بن محمد عيسى فلاتة .ـ الرياض : جامعة الملك سعود ـ عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

التعريفات /الجرجاني ، ضبطه وفهرسه : محمد القاضي .ـ ط١ .ـ القاهرة : دار الكتاب المصري ؛ بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٩١ .

تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات : شرح شواهد الكشاف /تأليف : محب الدين أفندي ؛ أخرجه وقدم له : عبد الله بن محمد بن خميس .ـ الرياض : دار الخضرمة ، ١٩٩٤ .

حادي الأظعان النجدية إلى البلاد الشامية /تأليف : محب الدين الحموي ؛ تحقيق محمد عدنان البخيت .ـ عمان : جامعة مؤتة ، ١٩٩٣ .

الحركة العياشية /عبد اللطيف الشاذلي .ـ الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٨٢ .

حقائق حول تشعيع الغذاء /ترجمة : د. نزار حمد .ـ دمشق : هيئة الطاقة الذرية ، ١٩٩٤ .

حياة الأمير عبد القادر /تأليف : شارل هنري تشرشل ؛ ترجمة : د. أبو القاسم سعد الله .ـ الجزائر : الشركة الوطنية ، ١٩٨٢ .ـ (سلسلة : أعلام المغرب) .

دائرة المخطوطات والوثائق /وزارة التراث القومي والثقافة .ـ سلطنة عمان : مطبعة مزون ، ١٩٩٤ .

دراسـات طبيـة ميسـرة /د. صبيحـة الدباغ .ـ بغداد : وزارة الثقـافة والإعلام ، ١٩٨٦ .ـ (سلسلة : الموسوعة الصغيرة ١٩٩) .

دور التعريب في تطوير اللغة العربية : ترقية العربية في تونس /ملتقى ابن منظور .ـ ط١ .ـ تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .

الدولة الصنهـاجيـة /تأليف : الهادي روجي إدريس ؛ ترجمة : حمادي الساحلي .ـ ط١ .ـ بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ .ـ ٢ج .

ديوان ابن الأبـار /تعـليق : د. عبـد السـلام الهراس .ـ تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥ .

ديوان امرئ القيس بشرح الحضرمي /تحقيق : د. أنور أبو سويلم ، د. علي الهروط ، د. علي الشـوملي .ـ ط١ .ـ عمـان : دار عمـار ، ١٩٩١ .ـ (سلسلة : مشكل إعراب أشعار الستة الجاهلية ١) .

ديوان الجزائر /سليمان العيسى .ـ الجزائر : المركز الوطني لتوثيق الصحافة والإعلام ، ١٩٩٣ .

ديوان الخنسـاء بشرح ثعلب /تحقيق : د. أنور أبو سويلم .ـ ط١ .ـ عمان : دار عمار ، ١٩٨٨ .

ديوان النـابغـة الذبيـاني بشـرح الحضرمي/تحقيق : د. علي الهروط .ـ ط١ .ـ الكرك : جامعة مؤتة ، ١٩٩٢ .ـ (سـلسلة : مشكل إعراب أشعار الستة الجاهلية ٣) .

رجل الصنـاعتـين/عبد الله بن سـليم الرشيد .ـ الرياض : مكتبة التوبة ، ١٩٩٤ .

الروض المعطـار في خبر الأقطـار : معجم جغرافي /تأليف : الحميري ؛ تحقيق : د. إحسان عباس .ـ بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ .

زمن الترهات في ثلاث مسرحيات /د. محمد رشاد الحمزاوي .– تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٨ .

شرح مقامات جلال الدين السيوطي /تحقيق : سمير محمود الدروبي .– ط١ .– بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩ .– ٢ج .

شعر ابن جبير /تحقيق : فوزي الخطبا .– ط١ .– عمان : دار الينابيع ، ١٩٩١ .

علم النفس الاجتماعي التجريبي /تأليف : أ. أنسكو ، ج .سكوبلر ؛ ترجمة : د. عبد الحميد صفوت إبراهيم .– الرياض : جامعة الملك سعود – عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

فارس الأحلام القديمة /د. وليد قصاب .– الدوحة : دار الثقافة ، ١٩٩٠ .

فن الإملاء في العربية /د. عبد الفتاح الحموز .– ط١ .– عمان : دار عمار ، ١٩٩٣ .– ٢ج .

قاموس حتي الطبي : انكليزي عربي /د. يوسف حتي .– ط٤ .– بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٠ .

قضية البنيوية : دراسة ونماذج /د. عبد السلام المسدي .– ط١ .– تونس : دار أمية ، ١٩٩١ .

قوانين ومبادئ المقاطعة العربية لإسرائيل /د. محمد عبد الحميد أبو زيد عبد الغني .– الرياض : جامعة الملك سعود – عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة /د. رشاد عبد الله الشامي .– ط١ .– الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .– (سلسلة : عالم المعرفة ١٨٦) .

كان شــاعراً/ د. أمجد الطرابلسي .ـ ط١ .ـ الرباط : المجلس القومي للثقافة العربية ، ١٩٩٣ .ـ (سلسلة : إبداع 7) .

الكتابات في المســاجد العمانية القديمة / إعداد : إيروس بلديسيرا . ـ ط ١ .ـ سلطنة عمان : دار جريدة عمان ، ١٩٩٤ .

الكليات/ تأليف : الكفوي ؛ قابله : د. عدنان درويش ، محمد المصري . ـ ط١ .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢ .

مأساة كشمير المسلمة/ د. إحسان حقي . ـ ط١ .ـ دمشق : إبراهيم حقي ، ١٩٩٤ .

المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر/ أحمد التوفيق . ـ الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، ١٩٧٨ .ـ ج١ .

مسند الإمام أحمد بن حنبل/ المشرف العام : د. عبد الله عبد المحسن التركي ؛ تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين . ـ ط١ .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ . ـ ج١ ـ ٥ .ـ (سلسلة : الموسوعة الحديثية ١) .

المصطلحات وأساليب التعبير في الرياضة البدنية قديماً وحديثاً/ عبد الحميد سلامة .ـ تونس : المؤلف ، ١٩٩١ .

المصطلح الصوتي/ د. عبد القادر مرعي خليل . ـ ط١ .ـ عمان : جامعة مؤتة ، ١٩٩٣ .

معاني القرآن/ تأليف : الفراء ؛ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ـ بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٠ .ـ ٣ج .

معجم إسباني عربي وعربي إسباني/ فرناندو بلديراما مرتينيث . ـ مدريد : المعهد الإسباني العربي للثقافة ، ١٩٨٠ .

المعجم الموحد/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ـ تونس :

المنظمة ، ١٩٨٩ – ١٩٩٣ .– ج١ – ٨ .

المعجم الوافي في النحو العربي/ د. علي توفيق الحمد ، يوسف جميل الزعبي . – عمان : دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٨٤ .

من أعلام الحضارة الإسلامية/ حمد بن ناصر الدخيل . – الرياض : المؤلف ، ١٩٩٣ .

من سلة الأخبار العلمية/ د. صلاح يحياوي . – ط١ .– بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٥ .

من لا يحضره الطبيب/ تأليف : الرازي ؛ تحقيق : د. محمود الحاج قاسم محمد . – بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩١ .

منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر/ طاهر الأخضر حمروني . – تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .

نثر الدر/ تأليف : الآبي ؛ تحقيق : د. عثمان بوغانمي . – تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٣ .

ندوة النحو والصرف/ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . – دمشق : المجلس ١٩٩٤ .

نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة/ تأليف : د. أمجد الطرابلسي ؛ ترجمة : إدريس بلمليح . – ط١ – الدار البيضاء : دار توبقال ، ١٩٩٣ .

ب ـ المجلات العربية المهداة

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٧ ـ ٧٨	١٩٩٤	سورية
الأسبوع الأدبي	٤١١ ، من ٤١٤ ـ ٤٢٥	١٩٩٤	سورية
التراث العربي	٥٥ ـ ٥٦	١٩٩٤	سورية
الثقافة	أيار ، حزيران ، تموز	١٩٩٤	سورية
الحياة التشكيلية	٥١ ـ ٥٢	١٩٩٣	سورية
الحياة الموسيقية	٥	١٩٩٤	سورية
صوت فلسطين	من ٣١٧ ـ ٣١٩	١٩٩٤	سورية
الضاد	من ٢ ـ ٧	١٩٩٤	سورية
عالم الذرة	٢٩ ، ٣٠	١٩٩٤	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١٦ (إنسانية)	١٩٨٩	سورية
	١٩ (إنسانية)	١٩٩٠	سورية
	٢٣ (إنسانية)	١٩٩٣	سورية
	١٤ (اقتصادية)	١٩٩١	سورية
المجلة البطريركية	١٣٥ ـ ١٣٦	١٩٩٤	سورية
مجلة جامعة البعث	١٢	١٩٩٣	سورية
مجلة جامعة دمشق	٢٩ ـ ٣٠ (مجلد ٨/ أساسية)	١٩٩٢	سورية
	٢٩ ـ ٣٠ (مجلد ٨/ إنسانية)	١٩٩٢	
المعرفة	من ٣٦٩ ـ ٣٧١	١٩٩٤	سورية
الموقف الأدبي	٢٧٦ ، ٢٧٧	١٩٩٤	سورية
الأنباء	٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٤	١٩٩٤	الأردن
الجديد في عالم الكتب والمكتبات	١	١٩٩٤	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
دراسات	٥ (مجلد ٢٠/سلسلة ب)	١٩٩٣	الأردن
	١، ٢، ٣ (مجلد ٢١/ سلسلة ب)	١٩٩٤	
راية مؤتة	٢ (مجلد ٢)	١٩٩٣	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	٥، ٦ (مجلد ٨/ سلسلة أ)	١٩٩٣	الأردن
	٤، ٥، ٦ (مجلد ٨/ سلسلة ب)	١٩٩٣	
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية	٨	١٩٩٤	الإمارات المتحدة
الكراسات التونسية	١٥٩ – ١٦٠	١٩٩٢	تونس
الثقافة	٨٧	١٩٨٥	الجزائر
الدارة	٢	١٤١٥هـ	السعودية
عالم الكتب	٣	١٩٩٤	السعودية
القافلة	١ – ١٢ (مجلد ٤١)	١٤١٣هـ	السعودية
	١ – ١٢ (مجلد ٤٢)	١٤١٤هـ	
حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية	١٦	١٩٩٣	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٣٣، ٣٤	١٩٩٣	الكويت
الثقافة العالمية	٦٤، ٦٥	١٩٩٤	الكويت
حديث الدار	نشرة دورية	١٩٩٣	الكويت
علوم وتكنولوجيا	١١، ١٢	١٩٩٤	الكويت
الأبحاث	–	١٩٩٣	لبنان
الدراسات الفلسطينية	١٧، ١٨	١٩٩٤	لبنان
الشراع	٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٢؛ من ٦٣٥ –٦٤١	١٩٩٤	لبنان
الفكر العربي	٧٧	١٩٩٤	لبنان
أخبار التراث العربي	٥٥ – ٥٩	١٩٩١–١٩٩٢	مصر
اللسان العربي	٣٧	١٩٩٣	المغرب (المنظمة العربية)

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الوحدة	١٠٣ ـ ١٠٤	١٩٩٣	المغرب
عالم الطباعة	٩	١٩٩٤	انكلتره
الثقافة الإسلامية	٥٤	١٩٩٤	إيران
الدراسات الإسلامية	٢	١٩٩٣	باكستان
النشرة الإخبارية لمنظمة المؤتمر الإسلامي	٣٣	١٩٩٤	تركيا
جمهورية كوريا الديمقراطية	٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣	١٩٩٤	كوريا
صوت الأمة	٨	١٩٩٤	الهند

الفهارس العامة للمجلد التاسع والستين

أ ـ فهرس أسماء كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ب ـ فهرس المقالات

منسوقة على حروف المعجم

(ك)

(م)

(ن)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٧

ـــ فهارس مجلة المقتبس ، وضع رياض عبد الحميد مراد .
ـــ إعراب الحديث النبوي ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق عبد الإله نبهان .
ـــ شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد السيرافي، (ج٢)، تحقيق د. محمد علي سلطاني.
ـــ معجم المصطلحات الحديثية ، للدكتور نور الدين العتر .
ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عاصم ـــ عائذ) تحقيق د. شكري فيصل .
ـــ محمد كرد علي مؤسس المجمع (الكلمات التي ألقيت في الاحتفال بمرور مئة عام على مولده).
ـــ نص مستدرك من كتاب العبر ، تحقيق رياض مراد .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٨

ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج١ ، وضع محمد رياض مراد .
ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن عمران ـــ عبد الله بن قيس) ، طبعة مصورة عن مخطوطة .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٩

ـــ تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور يوسف العش ، مراجعة سماء المحاسني .
ـــ تاريخ الخلفاء لمحمد بن يزيد ، تحقيق محمد مطيع الحافظ .
ـــ عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ، لمحمد خليل المرادي ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض مراد .
ـــ محمد أسعد الحكيم ، للدكتور عدنان الخطيب .
ـــ قاموس الأطبا وناموس الألبا ج١ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٠

ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة) ، وضع مصطفى سعيد الصباغ .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٢ ، وضع محمد رياض المالح .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج١ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ـــ قاموس الأطبا وناموس الألبا ج٢ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري ، (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .
ـــ شعر أبي هلال العسكري ، جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع .

ـــ تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١ ـــ ٢) ، تحقيق نعمة الله القوجاني .
ـــ تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (طبعة ثانية) ، تحقيق محمد بهجة الأثري .
ـــ المعاصرون للأستاذ محمد كرد علي ، تعليق محمد المصري .
ـــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج١ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .
ـــ القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام ، لعبد اللطيف الطيباوي .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج٢ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ـــ شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول) ، تحقيق د. محمد يوسف . مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ .
ـــ شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢ ، وضع صلاح الخيمي .
ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر ـــ عبد الله بن زيد) ، تحقيق د. شكري فيصل ، شهابي ، طرابيشي .
ـــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج٢ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى ـــ عبد الله بن ثوب) تحقيق د. فيصل ، نحاس ، مراد .
ـــ كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط٢) ، تحقيق عبد المعين الملوحي .
ـــ التاريخ المنصوري ، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي ، تحقيق د. أبو العيد دودو ، مراجعة د. عدنان درويش .
ـــ شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، مراجعة قدري الحكيم .
ـــ كتاب الأفضليات ، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي ، تحقيق د. وليد قصاب ، د. عبد العزيز المانع .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج١ ، وضع رياض مراد وياسين السواس .
ـــ زجر النابح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري ، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي (ط٢) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان — تح د. محمد طاهر ملك
- سفر السعادة وسفير الإفادة ج١ — تح محمد أحمد الدالي
- شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢) — صنعة د. عبد الكريم الأشتر
- الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢) — لعبد الحي الحسني
- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي — تح د. نسيب النشاوي
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا — تح د. طيان وميرعلم
- نظرات في ديوان بشار بن برد — للدكتور شاكر الفحام
- التوفيق للتلفيق للثعالبي — تح إبراهيم صالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣ — وضع محمد رياض المالح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢ — وضع مراد وسواس
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات — الدكتور حسني سبح
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١ — وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١ — وضع ياسين السواس
- سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣ — تح محمد أحمد الدالي
- نوح العندليب — لشفيق جبري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣ — وضع صلاح الخيمي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١ — تح نشاط غزاوي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد) — تح عبد الغني الدقر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان) — تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدي كرب — جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١ — تح محمد كامل القصار
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢ — تح حافظ وبدير
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١ — تح عبد الإله نبهان

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والستين